

TASNIF No.

ان ينطقوا به السنتهم وان ينظروا ويتبصروا بعيونهم فعلوا كانما ابقت مشاعرهم
وانتقضت بناها التي بنيت عليها للاحساس والادراك كقوله صم اذا سمعوا خيرا
ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا اصم عن سماعه سميع وكقوله اصم
عن الشي الذي لا اريده واسمع خلق الله حين اريد فاصممت مروا واعييته عن
الجود والفخر يوم الفخار **فان قلت** كيف طريقته عند علما البيان **قلت** طريقة
قولهم هم ليوث للشجعان وبحور للاسخياء الا ان هذا في الصفات وذاك في
الاسماء وقد جات الاستعارة في الاسماء والصفات والافعال جميعا تقول رايت
ليوثا ولقيت صما عن الخير ودجا الاسلام واضاء الحق **فان قلت** هل يسمى
ما في الاية استعارة **قلت** مختلف فيه والمحققون على تسميته تشبيها بليغا لا استعارة
لان المستعار له مذكور وهم المنافقون والاستعارة انما تطلق حيث يطوى ذكر
المستعار له ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لان يراد به المنقول عنه والمنقول اليه
لولا دلالة الحال اي فحوى الكلام كقول زهير لدى اسد شاك السلاح مقذف
له لبد اظفاره لم تقلم ومن ثم ترى المفلقين السحرة منهم فانهم يتناسون التشبيه
ويضربون عن توهمه صفحا قال ابو تمام وتصعد حتى لظن الجهول بان له حاجة
في السماء ولبعضهم لا تحسبوا ان في سربال رجلا ففيه غيث وليث مسبل مشبل
وليس لقايل ان يقول طوى ذكرهم عن الجملة لحذف المبتدا فتسلق بذلك الى تسميته
استعارة لانه في حكم المنطوق به نظيره قول من يخاطب الحجاج اسد علي وفي
الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر ومعنى لا يرجعون انهم لا
يعودون الى الهدى بعد ان باعوه او عن الضلالة بعد ان اشتروها تسجيلا
عليهم بالطبع او اراد انهم بمنزلة المتحيرين الذين بقوا جامدين في مكاناتهم لا
يبرحون ولا يدرون ايتقدمون ام يتاخرون وكيف يرجعون الى حيث ابتدوا
منه ثم ثنى الله سبحانه في شانهم بتمثيل اخر ليكون اخفا لحالهم بعد كشف وايضاحا
غب ايضاح وكما يجب على البليغ في مظان الاجمال والايجاز ان يجمل ويوجز فكذلك
الواجب عليه في موارد التفصيل والاشباع ان يفصل ويشبع انشد الجاحظ
يرمون بالخطب الطوال وتارة وحي الملاحظ خيفة الرقباء ومما ثني من التمثيل
في التنزيل قوله وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا
الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات والا ترى الى ذي الرمة كيف صنع في
قصيدته اذاك ام نمش بالوشي اكرعه اذاك ام خاضب بالسي مرتعه
فان قلت قد شبه المنافق في التمثيل الاول بالمستوقد نارا واظهاره الايمان

MİLLET GENEL KÜTÜPHANESİ
KISMI
ESKİ KAYIT
YENİ KAYIT No.
TASNİF No.
V. Cavu Olah
136

بالاضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار فماذا شبه في التمثيل الثاني بالصيب وبالظلمات
وبالرعد والبرق وبالصواعق قلت لقائل ان يقول شبه دين الاسلام بالصيب لان
القلوب تحيا به حياة الارض بالمطر وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات وما فيه
من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيب الكفرة من الافزاع والبلايا والفتن
من جهة اهل الاسلام بالصواعق والمعنى او كمثل ذوي صيب والمراد كمثل قوم اخذتهم
السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا فان قلت هذا تشبيه اشيا باشيا فاين
ذكر المشبهات وهلا صرح به كما في قوله وما يستوي الاعمى والبصير والذين امنوا وعملوا
الصالحات ولا المسيء وفي قول امرئ القيس • كان قلوب الطير رطبا ويابسا
لدى وكرها العناب والحشف البالي قلت لما جاء ذلك صريحا فقد جاء مطويا ذكره
على سنن الاستعارة كقوله تعالى وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ
شرابه وهذا ملح اجاج ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سالما
لرجل والصحيح الذي عليه علماء البيان لا يتخطونه ان التمثيلين جميعا من جملة التمثيلات
المركبة دون المفرقة لا يتكلف لواحد واحد شيء يقدر شبهه به وهو القول الفحل
والمذهب الجزل بيانه ان العرب تاخذ اشيا فرادى معزولا بعضها من بعض
لم ياخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها بنظايرها كما فعل امرؤ القيس وجاء في القران وتشبه
كيفية حاصلة من مجموع اشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيا واحدا
باخرى مثلها كقوله مثل الذين حملوا التورية الغرض تشبيه حال اليهود في حملها بما
معها من التورية واياتها الباهرة بحال الحمار في حمله بما يحمل من اسفار الحكمة وتساوي
الحالتين عنده بحمل اسفار الحكمة وحمل ما سواها من الاوقار لا يشعر من ذلك
الا بما يمر بدفيه من الكد والتعب وكقوله واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه
من السماء والمراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر فاما ان يراد تشبيه
الافراد بالافراد غير منوط بعضها ببعض ومصيرة شيئا واحدا فلا فكذلك
لما وصف وقوع المنافقين في ضلالتهم وما خطبوا فيه من الحيرة والدهشة
شبهت حيرتهم وشدة الامر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد ايقادها في
ظلمة الليل وكذلك من اخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف
من الصواعق فان قلت الذي كنت تقدره في المفرق من التشبيه
من حذف المضاف وهو قولك او كمثل ذوي صيب هل يقدر مثله في المركب
منه قلت لولا طلب الراجع في قوله يجعلون اصابعهم في اذانهم ما يرجع
اليه لكنت مستغنيا عن تقديره لاني اراعي الكيفية المنتزعة من مجموع

الكلام

الكلام فلا علي اولى حرف التشبيه مفرد يتاتى التشبيه به ام لم يله الا ترى الى قوله انما مثل
الحيوة الدنيا الاية كيف ولي الماء الكاف وليس الغرض تشبيه الدنيا بالماء ولا بمفرد اخر
يتمحل لتقديره ومما هو بين في هذا قول لبيد • وما الناس الا كالديار واهلها بها يوم حلوها
وغدوا بلاقع • لم يشبه الناس بالديار وانما شبه وجودهم في الدنيا وسرعة زوالهم وفناهم
بحلول اهل الديار فيها ووشك نهوضهم عنها وتركها خلاء خاوية فان قلت اي التمثيلين
ابلغ قلت الثاني لانه ادل على فرط الحيرة وشدة الامر وفظاعته ولذلك اخر
وهم يتدرجون في نحو هذا من الاهون الى الاغلظ فان قلت لم عطف احد التمثيلين
على الاخر بحرف الشك قلت او في اصلها لتساوي شيئين فصاعدا في الشك ثم اتسع
فيها فاستعيرت للتساوي في غير الشك وذلك نحو قولك جالس الحسن او ابن سيرين تريد
انهما سيان في استصواب ان يجالسا ومنه قوله تعالى ولا تطع منهم اثما او كفورا اي
الاثم والكفور متساويان في وجوب عصيانهما فكذلك قوله او كصيب معناه ان كيفية
قصة المنافقين مشبهة لكيفيتي هاتين القصتين وان القصتين سواء في استقلال
كل واحدة منهما بوجه التمثيل فبايتهما مثلتها فانت مصيب وان مثلتها بهما جميعا
فكذلك والصيب المطر الذي يصوب اي ينزل ويقع ويقال للسحاب صيب ايضا قال
الشماخ واسحم دان صادق الرعد صيب • وتنكير صيب لانه اريد نوع من المطر
شديد هائل كما نكرت النار في التمثيل الاول وقرئ كصائب والصيب ابلغ
والسماء هذه المظلة وعن الحسن انها موج مكفوف فان قلت قوله من السماء
ما الفائدة في ذكره والصيب لا يكون الا من السماء قلت الفائدة فيه انه جاء بالسماء
فنفى ان يتصوب من سماء اي من افق واحد من بين سائر الافاق لان كل افق
من افاقها سماء كما ان كل طبقة من الطباق سماء في قوله واوحى في كل سماء امرها والدليل عليه
قوله • ومن بعد ارض بيننا وسماء • والمعنى انه غمام مطبق اخذ بافاق السماء
وكما جاء بصيب وفيه مبالغات من جهة التركيب والبناء والتنكير امد ذلك
بان جعله مطبقا وفيه ان السحاب من السماء ينحدر ومنها ياخذ ماءه لا كزعم
من يزعم انه ياخذه من البحر ويؤيده قوله تعالى وينزل من السماء من جبال فيها
من برد فان قلت بم ارتفع ظلمات قلت بالظرف على الاتفاق لاعتماده على
موصوف والرعد الصوت الذي يسمع من السحاب كان اجرام السحاب تضطرب وتنتصف
اذا حدتها الريح فتصوت عند ذلك من الارتعاد والبرق الذي يلمع من السحاب
من برق الشيء بريقا اذا لمع فان قلت قد جعل الصيب مكانا للظلمات فلا
يخلو ان يراد به السحاب او المطر فايهما اريد فما ظلماته قلت اما ظلمات السحاب

فاذا كان اسحم مطبقاً فظلمتا سحمته وتطبيقه مضمومة اليهما ظلمة الليل واما ظلمات المطر فظلمة
تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر وظلمة اظلال غمامه مع ظلمة الليل **فان قلت** كيف
يكون المطر مكانا للرعد والبرق وانما مكانهما السحاب **قلت** اذا كانا في اعلاه ومصبه
وملتبسين في الجملة به فهما فيه الا تراك تقول فلان في البلد وما هو منه الا في
حيز تشغله جرمه **فان قلت** هلا جمع الرعد والبرق اخذا بالابلغ كقول
البحتري يا عارضا متلفعا ببروده يختال بين بروقه ورعوده وكما قيل ظلمات
قلت فيه وجهان احدهما ان يراد العينان ولكنهما لما كانا مصدرين في الاصل
يقال رعدت السماء رعدا وبرقت برقا روعي حكم اصلهما بان ترك جمعهما وان اريد
معنى الجمع والثاني ان يراد الحدثان كانه قيل وارعاد وابراق وانما جات هذه الاشياء
منكرات لان المراد انواع منها كانه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق
خاطف وجاز رجوع الضمير في يجعلون الى اصحاب الصيب مع كونه محذوفا قايما
مقامه الصيب كما قال او هم قايلون لان المحذوف باق معناه وان سقط لفظه
الا ترى الى حسان كيف عول على بقاء معناه في قوله يسقون من ورد البريص
عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل حيث ذكر يصفق لان المعنى ماء بردى
ولا محل لقوله يجعلون لكونه مستانفا لانه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن
بالشدة والهول فكان قايلا قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون
اصابعهم في اذانهم ثم قال فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فقيل يكاد البرق
يخطف ابصارهم **فان قلت** رويس الاصبع هو الذي يجعل في الاذن فهلا قيل
انامله **قلت** هذا من الاتساعات في اللغة التي لا يكاد الحاصر يحصرها كقوله
فاغسلوا وجوهكم وايديكم وفاقطعوا ايديهما اراد البعض الذي هو الى المرفق
والذي الى الرسغ وايضا ففي ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل **فان
قلت** فالاصبع التي يسد بها الاذن اصبع خاصة فلم ذكر الاسم العام دون
الخاص **قلت** لان السبابة فعالة من السب فكان اجتنابها اولى باداب
القران الا ترى انهم قد استبشعوها فكنوا عنها بالمسبحة والسباحة والمهللة
والدعاءة **فان قلت** فهلا ذكر بعض هذه الكنايات **قلت** هي الفاظ مستحدثة
لم يتعارفها الناس في ذلك العهد وانما احدثوها بعد وقوله من الصواعق متعلق
بيجعلون اي من اجل الصواعق يجعلون اصابعهم في اذانهم كقولك سقاه من
العيمة والصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقة من نار قالوا تنقدح من
السحاب اذا اصطكت اجرامه وهي نار حديدة لطيفة لا تمر بشي الا اتت عليه

الا انها

الا انها مع حدتها سريعة الخمود يحكى انها سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف ثم طفيت ويقال
صعقته الصاعقة اذا اهلكته فصعق اي مات اما بشدة الصوت او بالاحراق ومنه
قوله تعالى وخر موسى صعقا وقراء الحسن من الصواقع وليس بقلب للصواعق لان
كلا البنائين سواء في التصرف واذا استويا كان كل واحد بناء على حياله الا تراك تقول
صقعه على راسه وصقع الديك وخطيب مصقع يجهر بخطبته ونظيره جبذ في
جذب ليس بقلبه لاستوائهما في التصرف وبناؤها اما ان يكون صفة لقصفة الرعد
او للرعد والتاء مبالغة كما في الرواية او مصدرا كالكاذبة والعافية وقراء ابن
ابي ليلى حذار الموت وانتصب على انه مفعول له واغفر عوراء الكريم ادخاره
والموت فساد بنية الحيوان وقيل عرض لا يصح معه احساس معاقب للحيوة
واحاطة الله بالكافرين مجاز والمعنى انهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به
المحيط به حقيقة وهذه الجملة اعتراض لا محل لها والخطف الاخذ بسرعة وقراء
مجاهد يخطف بكسر الطاء والفتح افصح واعلى وعن ابن مسعود يختطف وعن
الحسن يخطف بفتح الياء والخاء واصله يختطف وعنه يخطف بكسرهما على اتباع الياء
الخاء وعن زيد بن علي يخطف من خطف وعن ابي يتخطف من قوله ويتخطف
الناس من حولهم كلما اضاء لهم استيناف ثالث كانه جواب لمن يقول كيف يصنعون
في تارتي خفوق البرق وخفيته وهذا مثل لشدة الامر على المنافقين بشدته على
اصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير والجهل بما ياتون وما يذرون اذا
صادفوا من البرق خفقة مع خوف ان تخطف ابصارهم انتهزوا تلك الخفقة
فرصة فخطوا خطوات يسيرة فاذا خفي وفتر لمعانه بقوا واقفين متقيدين عن
الحركة ولو شاء الله لزاد في قصيف الرعد فاصمهم او في ضوء البرق فاعماهم واضاء
اما متعد بمعنى كلما نور لهم ممشى ومسلكا اخذوه والمفعول محذوف واما
غير متعد بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وملقى ضوئه ويعضده
قراءة بن ابي عبلة كلما ضاء لهم والمشي جنس الحركة المخصوصة فاذا اشتد
فهو سعي فاذا ازداد فهو عدو **فان قلت** كيف قيل مع الاضاءة كلما ومع
الاظلام اذا **قلت** لانهم حراص على وجود ما همهم به معقود من امكان المشي
وتاتيه فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها وليس كذلك التوقف والتحبس
واظلم يحتمل ان يكون غير متعد وهو الظاهر وان يكون متعديا منقولا من
ظلم الليل وتشهد له قراءة يزيد بن قطيب اظلم على ما لم يسم فاعله وجاء في
شعر حبيب بن اوس هما اظلما حالي ثمت اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب

اي امرد في السن اشيب في العقل

اي كفا

اي الشيب والشباب

الليل والنهار وقيل العقل والدهر وانما اسند الظلام الى العقل لان العاقل عيشه متكدر لعلمه بانقطاعه

وهو وان كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية فاجعل ما يقوله
بمنزلة ما يرويه الاثري الي قول العلماء الدليل عليه بيت الحماسة فيقتدعون
بذلك لوثوقهم بروايته واتقانه ومعنى قاموا وقفوا وثبتوا في مكانهم ومنه
قامت السوق اذا كسدت وقام الماء وجمد ومفعول شاء محذوف كان الجواب
يدل عليه والمعنى ولو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم لذهب بها ولقد كثر
هذا الحذف في شاء واراد لا يكادون يبرزون المفعول الا في النفي المستغرب كنحو قوله
فلو شئت ان ابكي دما لبكيته وقوله تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا ولو اراد الله ان يتخذ
ولدا واراد ولو شاء الله لذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق
وقراءة ابن ابي عبلة لاذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله ولا تلقوا بايديكم والشيء
ما صح ان يعلم ويخبر عنه قال سيبويه في بداية الباب المترجم بباب المجاري من الكلم
الكلم من العربية وانما خرج التانيث من التذكير الاثري ان الشيء يقع على كل ما اخبر
عنه من قبل ان يعلم اذكر هو ام انثى والشيء مذكر وهو اعم العام كما ان الله
اخص الخاص يجري على الجسم والعرض والقديم يقولك شيء لا كالاشياء اي معلوم لا
كسائر المعلومات وعلى المعدوم والمحال فان قلت كيف قيل على كل شيء قدير
من الاشياء ما لا تعلق به للقادر كالمستحيل وفعل قادر اخر قلت مشروط
بحد القادر ان لا يكون الفعل مستحيلا فالمستحيل مستثنى بقيده عند ذكر
القادر على الاشياء كلها فكانه قيل على كل شيء مستقيم قدير ونظيره ولان امير على
الناس اي على من ورد الامنهم ولم تدخل فيهم فقه وان كان من جملة الناس
واما الفعلين القادرين فمختلف فيه فان قلت لم اشتق القادر قلت
من التقدير لانه يوقع فعله على مقدار قوته واستطاعته وما يتميز به عن
العاجز لما عدد الله تعالى فرق المكلفين من المومنين والكفار والمنافقين
وذكر صفاتهم واحوالهم ومصارف امورهم وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها
وشقيها وبخطها عند الله تعالى ويردها اقبل عليهم بالخطاب وهو من الالتفات
المذكور عند قوله اياك نعبد واياك نستعين وهو فن من الكلام جزل فيه
هز وتحريك من السامع كما انك اذا قلت لصاحبك حاكيا عن ثالث الكما ان فلانا
من قصته كيت وكيت فقصصت عليه ما فرط منه ثم عدلت بخطابك الى الثالث
فقلت بافلان من حقك ان تلزم الطريقة الحميدة في مجاري امورك وتستوي
على جادة السداد في مصادرك وموارد ك تمثيلا بالتفاتك نحوه فضل تنبيه
واستدعيت اصغاءه الى ارشادك زيادة استدعاء واوجلته بالانتقال من

الغيبة

الغيبة الى المواجهة فان من طبعه لا يحدثه اذا استمرت على الفظ الغيبة وهكذا الافتنان
في الحديث والخروج فيه من صنف الى صنف يستفتح الاذان للاستماع ويستوشج الانفس
للقبول وبلغنا باسناد صحيح عن ابرهيم عن علقمة ان كل شيء نزل فيه يا ايها
الناس فهو مكي وايها الذين امنوا فهو مدني فقوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم خطاب
لمشركي مكة ويا حرف وضع في اصله لنداء البعيد صوت يهتف به الرجل من يناديه لواما
نداء القريب فله اي والهمزة ثم استعمل في نداء كل من سها وغفل وان قرب تنزيلا له منزلة
من بعد فاذا نودي به القريب المقاطن فذلك للتاكيد والموذن بان الخطاب الذي تلوه
معنى به جد فان قلت فما بال الداعي يقول في دعواته يا رب يا الله وهو اقرب اليه من
حبل الوريد واسمع به وابصر قلت هو استقصاد منه لنفسه واستبعاد لها من مظان
الزلفى ومايقربه الى رضوان الله ومنازل المقربين هضما لنفسه واقرارا على بالتقصير
في جنب الله مع فرط التاهل لما رجي من اجابة دعوته والاذن لنداءه وانتهاله واياي
وصلة الى نداء ما فيه الالف واللام كان ذو والذي وصلتان الى الوصف باسماء الاجناس
ووصف المعارف بالجمل وهو اسم مبهم تفتقر الى ما يوضحه ويزيل ابهامه فلا بد ان يردفه واسم
جنس او ما يجري مجراه ما يتصف به حتى يصح المقصود بالنداء فالذي يجعل فيه حرف
النداء هواي والاسم التابع له صفته كقولك يا زيد الظريف الا ان اياما لا تفارق ينفك
اسقال الزيد فلم يفارق الصفة وفي هذا التدريج من الابهام الى التوضيح ضرب من
التاكيد والتشديد وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لفايدتين معا ضمنه
حرف النداء وهواي والمنبه بتاكيد معناه ووقوعها عوضا تستحقه اي من الاضافة
فان قلت لم كثر في كتاب الله النداء بعباده الطريقة ما لم يكثر في غيره قلت
لاستقلاله باوجه من التاكيد واسباب من المبالغة لان كل ما نادي الله له عباده
من اوامره ونواهيه وعظاته وزواجره ووعده ووعيده واقتصاصه اخبار الامم
الدارجة عليهم وغير ذلك ما انطق به كتابه امور عظام وخطوب جسام ومعان
عليهم ان يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصايرهم اليها وهم عنها غافلون فاقتضت الحال
ان ينادوا ابلغ نداء بكل الابلغ فان قلت لا يخلوا الامر بالعبادة من ان يكون متوجها الى
المومنين والكافرين جميعا او الى كفار مكة خاصة على ما روي عن علقمة والحق فالمومنون
عابدون ربهم فكيف امروا بما هم ملتبسون به وهل هو الا كقول القايل فلو اني فعلت
كنت كمن تسئله وهو قايم ان يقوما واما الكفار فلا يعرفون الله ولا يقرون به
فكيف يعبدونه قلت المراد بعبادة المومنين ازديادهم منها واقبالهم وثباتهم عليها
واما عبادة الكفار فشروطها ما لابد لها منه وهو الاقرار كما يشترط على المامور بالصلاة

شرايطها من الوضوء والنية وغيرهما وما لابد للفعل منه فهو مندرج تحت الامر به وان لم يذكر حيث لم يتفعل الا به وكان من لوازمه على ان مشركي مكة كانوا يعرفون الله ويعترفون به ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فان قلت فقد جعلت قوله اعبدوا وامتثلوا لا شيئين معا الامر بالعبادة والامر بازديادها قلت الازدياد من العبادة عبادة وليس شيئا آخر فان قلت ربكم ما المراد به قلت كان المشركون معطلين ربوبيتين ربوبية الله وربوبية آلهتهم فان خصوا بالخطاب فالمراد به اسم يشترك فيه رب السموات والارض والالهة التي يسمونها آرباباً وكان قولهم الذي خلقكم صفة موضحة مميزة وان كان الخطاب للكفرة جميعا فالمراد به ربكم على الحقيقة والذي خلقكم صفة جرت عليه على طريق المدح والتعظيم ولا يمنع هذا الوجه في خطاب الكفرة خاصة الا ان الاول اوضح واصح والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالقياس وقرأ ابو عمرو خلقكم بالادغام وقرأ ابو السمال وخلق من قبلكم وهي قراءة مشكلة ووجهها على اشكالها ان يقال ان الموصول الثاني بين الاول وصلته تاكيدا كما افصح جرير في قوله يا تيم تيم عدي لا ابا لكم تيما الثاني بين الاول وما اضيف اليه وكما فصلوا بين المضاف والمضاف اليه في لا ابا لك ولعل للترجي او الاشفاق يقول لعل زيدا يكرمني ولعله يهينني وقال الله تعالى لعله يتذكر او يخشى لعل الساعة قريب الا ترى الى قول الذين امنوا مشفقون منها وقد جاءت على سبيل الاطماع في مواضع من القرآن ولكن لانه اطماع من كريم رحيم اذا اطمع فعل ما يطمع فيه لا محالة يجري اطماعه مجرى وعده المحتوم وفائدة به قال من قال ان لعل معنى كي ولعل لا يكون بمعنى كي ولكن الحقيقة ما ألفيت اليك وايضا ومن ذا يدين الملوك وما لهم عليه اوضاع امورهم ورسومهم ان يقتصروا في اعلامهم التي يواطئون انفسهم على الخازة ان يقولوا اعسى ولعل ونحوهما من الكلمات او يحيلوا الحالة او يظفر منهم بالزمرة اذا الابتسامة او النظرة الخلوة فاذا عثر على شيء من ذلك منهم لم يبق للطالب ما عندهم شدة في النجاح والفوز بالمطلوب فعلى مثله ورد كلام مالك الملوك ذي العز والكبرياء اقبحي على طريق الاطماع دون التحقيق ليتلافى العباد لقوله يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم فان قلت فلعل التي في الاية ما معناها وموقعها قلت ليست مما ذكرناه في شيء لان قوله خلقكم لعلكم يتقون لا يجوز ان يحمل على ارجاء الله تعالى لقولهم لان ارجاء لا يجوز على عالم الغيب والشهادة وحمله على ان تخلقهم راجين للتقوى ليس بسديد ايضا ولكن لعل واقعة في الاية موقع المجاز لا الحقيقة لان الله عز وجل خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف وركب فيهم العقول والشهوات واتاح العلة واقدارهم

وتمكينهم

وتمكينهم وهداهم النجدين ووضع في ايديهم زمام الاختيار وارادمنهم الخير والتقوى فهم في صورة المرجو منهم ان يتقوا ليترجح امرهم وهم تختارون بين الطاعة والعصيان كما ترجحت حال المرجى بين ان يفعل وان لا يفعل ومصداقه قوله عز وجل ليبلوكم ايكم احسن عملا وانما يبلو او يختبر من يخفى عليه العواقب ولكن شبه لهم بالاختبار بناء امرهم على الاختبار فان قلت كما خلق المخاطبين لعلهم يتقون فكذلك الذين من قبلهم لذلك فلم قصر عليهم دون من قبلهم قلت لم يقصر عليهم ولكن غلب المخاطبين على الغايبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا فان قلت فهلا قيل تعبدون لاجل اعبد واوثر نقو المكان تتقون لتجاوب طرفا النظم قلت ليتأتى التقوي غير العبادة حتى يودي ذلك الى تنافر النظم وانما التقوي قصارى امر العابد ومنتهي جهده فاذا قال اعبد وا ربكم الذي خلقكم للاستيلاء على اقصى غايات العباده كان ابعث على العبادة واشد الزاما لها واثبت لها في النفوس ونحوه ان تقول لعبدك احمل خريطة الكتب فما يلبث ان يقول لم احمل الا الثقال ولو قلت لحمل خرايط الكتب لم يقع من نفسه ذلك الموقع قلت سبحانه من موجبات عبادته وملزماتها حق الشكر له خلقهم احياء قادرين او لانه سابقة اصول النعم ومقدماتها والسبب في التمكن من العبادة والشكر وغيرهما ثم خلق الارض التي هي مكانهم ومستقرهم الذي لابد لهم منه وهي بمنزلة عرصة المسكن ومتقلبه ومفترشه ثم خلق السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار ثم ما سواه عز وجل من شئونه عقب النكاح بين المقلة والمظلة بانزال الماء منها عليها والاخراج به من بطنها اشباه النسل المنتشر من الحيوان من الوان الثمار رزقا لبني آدم ليكون ذلك لهم معتبرا ومتسلقا الى النظر الموصل الى التوحيد والاعتراف ونعمة نعم فوقها فيقابلونها بلا ازم الشكر ومقدورين في خلق انفسهم وخلق ما فوقهم وتحتهم وان شيئا من هذه المخلوقات كلها لا يقدر على احداث شيء منها فيتيقنوا عند ذلك ان لابد لها من خالق ليس كمثله حتى لا يجعلوا المخلوقات له اندادا وهم يعلمون انها لا تقدر على نحو ما هو عليه قادر والموصول مع صلته اما ان يكون في محل النصب وصفا كالذي خلقكم او على المدح والتعظيم واما ان يكون رفعا على الابتداء وفيه ما في النصب من المدح وقرأ يزيد الشامي بساطا ومهادا انهم يقعدون عليها وينامون ويتقلبون كما يتقلب اهل الخمل على مراشه وبساطه ومهاده فان قلت هل فيه دليل على ان الارض مسطحة وليست بكرية قلت ليس فيه الا ان الناس يفترشونها كما يفعلون بالمفارش سواء كانت

كانوا به

وقرأ زيد بن علي والذين من قبلكم

والمكان الذي يجوز فيه الجلوس يسمى مفعلا كالمكان والمقعد وجاز ان يكون المكان مصدرا بمعنى الجلوس

على شكل السطح او شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع لعظم حجمها واتساع جرمها
وتباعد اطرافها واذا كان متسهلا في الجبل وهو وتد من اوتاد الارض فهو في الارض
ذات الطول والعرض اسهل والبناء مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء
او طرافا وابنية العرب اخبيتهم ومنه بنى على امراته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا
عليها خباء جديدا فان قلت ما معنى اخراج الثمرات بالماء وانما خرجت بقدرته
ومشيته قلت المعنى انه جعل الماء سببا في خروجها ومادة لها كماء الفحل في خلق
الولد وهو قادر على ان ينشئ الاجناس كلها بلا اسباب ولا مواد كما انشأ نفوس
الاسباب والمواد ولكن له في انشاء الاشياء مدرجا لها من حال الى حال وناقلا من مرتبة
الى مرتبة حكما ودواعي تحدد فيها لملائكته والنظار بعيون الاستبصار من
عباده عبرا وافكارا صالحة وزيادة طمأنينة وسكون الى عظيم قدرته وغرابيب
حكمته ليس ذلك في انشائها بغتة من غير تدريج وترتيب ومن في من الثمرات
للتبعيض بشهادة قوله فاخرجنا به من كل الثمرات وقوله فاخرجنا به ثمرات
ولان المنكرين اعني ماء ورزقا يكتنفانه وقد قصد بتنكيرهما معنى البعضية
كانه قيل وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم
وهذا هو المطابق لصحة المعنى لانه لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر
جميع الثمرات ولا جعل الرزق كله في الثمرات ويجوز ان تكون للبيان كقولك انفقت من
الدراهم الفا فان قلت فبم انتصب رزقا قلت ان كانت من للتبعيض كان انتصابه
بانه مفعول له وان كانت مبينة كان مفعولا لاخرج فان قلت فالثمر المخرج بماء السماء
كثير جم فلم قيل الثمرات دون الثمر والثمار قلت فيه وجهان احدهما ان يقصد بالثمرات
جماعة الثمرة التي في قولك فلان ادركت ثمرة بستانه تريد ثماره ونظيره قولهم كلمة
الحويدرة لقصيدته وقولهم للقرية المدرة وانما هي مدر متلاحق والثاني ان
الجموع يتعاور بعضها موقع بعض لالتقائهما في الجمعية كقوله كم تركوا من جنات وثلثة
قروء ويعضد الوجه الاول قراءة محمد بن السميفع من الثمرة على التوحيد ولكم صفة
جارية على الرزق ان اريد به العين وان جعل اسما للمعنى فهو مفعول به كانه قيل
رزقا اياكم فان قلت بم تعلق فلا تجعلوا قلت فيه ثلاثة اوجه ان يتعلق بالامر
اي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له اندادا لان اصل العبادة واساسها التوحيد وان
لا تجعل لله ندا ولا شريكا او بلعل على ان ينتصب تجعلوا انتصاب فاطلع في قوله
عز وجل لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى في رواية حفص
عن عاصم اي خلقكم لكي تتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه او بالذي جعل لكم

اذا رفعته

اذا رفعته على الابتداء اي هو الذي حقكم بهذه الايات العظيمة والدلايل النيرة الشاهدة
بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء والند المثل ولا يقال الا للمثل المخالف المناوي
قال جرير اتيما تجعلون الي ندا وما تيم لذي حسب نديد وناددت الرجل خالفته
ونافرته من ند ندودا اذا نفر ومعنى قولهم ليس ند ولا ضد نفي ما يسد
مسده ونفي ما ينافيه فان قلت كانوا يسمون اصنامهم باسمه ويعظمونها
بما يعظم به من القرب وما كانوا يزعمون انها تخالف الله وتناويه قلت لما
تقربوا اليها وعظموها وسموها الهة اشبهت حالهم حال من يعتقد انها الهة مثله
قادرة على مخالفته ومضادته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم وكما تهكم بهم بلفظ الند
شنع عليهم واستفظع شانهم بان جعلوا اندادا كثيرة لمن لا يصح ان يكون له ند
قط وفي ذلك قال زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق دين قومه
اربا واحدا ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور وقرا محمد بن السميفع
فلا تجعلوا لله ندا فان قلت ما معنى وانتم تعلمون قلت معناه وحالكم
وصفتكم انكم من صحة تمييزكم بين الصحيح والفاسد والمعرفة بدقايق الامور
وغوامض الاحوال والاصابة في التدابير والدهاء والفطنة بمنزل لا تدفعون
عنه وهكذا كانت العرب خصوصا ساكنوا الحرم من قريش وكنانة لا
يصطلى بنارهم في استحكام المعرفة بالامور وحسن الاحاطة بها ومفعول
تعلمون متروك كانه قيل وانتم من اهل العلم والمعرفة والتوبيخ فيه اكد
اي انتم العرافون المميزون ثم انما انتم عليه من امر ديانتكم من جعل
الاصنام لله اندادا هو غاية الجهل ونهاية سخافة العقل ويجوز ان تقدر
وانتم تعلمون انه لا يفعل مثل افعاله كقوله هل من شركائكم من يفعل من
ذلكم من شيء لما احتج عليهم بما يثبت الوحدانية ويحققها ويبطل الاشراك
ويهدمه وعلم الطريق الى اثبات ذلك وتصحيحه وعرفهم ان من اشرك فقد
كابر عقله وغطى ما انعم عليه من معرفته وتمييزه عطف على ذلك ما هو الحجة
على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما يدحض الشبهة في كون القران معجزا
واراهم كيف يتعرفون اهو من عند الله كما يدعي ام هو من عند نفسه كما يدعون
بارشادهم الى ان يحرروا انفسهم ويذوقوا طباعهم وهم ابناء جنسه واهل
جلدته فان قلت لم قيل مما نزلنا على لفظ التنزيل دون الانزال قلت لان
المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه لمكان التحدي وذلك
انهم كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله مخالفا لما يكون من عند الناس

انه لا يماثل او انتم تعلمون بما بينه وبينها من التفاوت او انتم تعلمون صح

لم ينزل هكذا نجوما سورة بعد سورة وآيات عقب آيات على حسب النوازل وكفاء
الحوادث وعلى سنن ما يترى عليه اهل الخطابة والشعر من وجوه ما يوجد منهم
مفرقا فاحينا لحينا وشيئا وشيئا حسب ما يعن لهم من الاحوال المتجددة
والحاجات الناجمة لا يلقى لناظم ديوان شعره دفعة واحدة ولا يرمي الناثر
بمجموع خطبه او رسايله ضربة فلو انزله الله لا نزله على خلاف هذه العادة جملة واحدة
قال الله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة فقيل ان
ارتضيتم في هذا الذي وقع انزاله هكذا نجوما مفرقا وتدريجا فهاتوا انتم سورة
واحدة من نوعه وهلموا الجما فردا من جموعه سورة من اصغر السور وهو
ايات ستي مفتريات وهذه غاية التبكيت ومنتهى زاحة العلل وقرئ ما
نزلنا على عبادنا يريد رسول الله وامته والسورة الطايفة من القران المترجمة
التي اقلها ثلث ايات وواوها ان كانت اصلا فامّا ان تسمي سورة المدينة
وهي حايطها لانها طايفة من القران لحدودها محوزة على حيالها كالبلد المسوّر
او لانها محوية على فنون من العلم واجناس من الفوايد كاحتواء سور المدينة
على ما فيها واما ان تسمى بالسورة التي هي المرتبة قال النابغة ولرهط حراب وقد
وقصاد اورفعة شانا وجلالة محلها في الدين وان جعلت واوها منقلبة
عن همزة فلانها طعمة وطايفة من القران كالسورة التي هي البقية من الشي
والفضلة منه فان قلت ما فايدة تفصيل القران وتقطيعه سورا
قلت ليست الفايدة في ذلك واحدة ولا امرها امرا نزل الله التورية والانجيل والزبور
وسايرما اوحاه الى انبيايه على هذا المنهاج مسورة متوجمة السور وتوب
المصنفون في كل فن كتبهم ابوابا موشحة الصدور بالتراجم ومن فوايده
ان الجنس اذا انطوت تحته انواع واشتمل على اصناف كان احسن وابهل
والحكم من ان يكون بيانا واحدا ومنها ان القاري اذا ختم سورة اوبابا
من الكتاب ثم اخذ في اخر كان انشط له واهز لعطفه وابعث على الدرس
والتحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله ومثله المسافر اذا علم انه قطع ميلا
او طوى فرسخا او انتهى الى راس بريد نشّطه ذلك منه ونشّطه للسير ومن ثم
جزّاء القران اسباعا واجزاء وعشورا واخماسا ومنها ان الحافظ
اذا حذق السورة اعتقد انه اخذ من كتاب الله طايفة مستقلة بنفسها لها

قال ابو حيان في كتابه النهر والنيل وشط الوصف وغلبة الاضداد ما كان وما يكون وما لم يكن ان كان كيف يكون والوعد والوعيد والامر والنهي والقصص والحكم والامثال والصدق والتعديل فنه التحريف والتبديل

فاتحة وخاتمة فبعظم وعنايه ما حفظه وتجلّ في نفسه ويغتبط به ومنه حديث انس
رضي الله عنه كان الرجل اذا قرأ البقرة وال عمران جدّ فينا ومن ثم كانت القراءة
في الصلوة بسورة تامة افضل ومنها ان التفصيل سبب تلاحق الاشكال والنظاير
وملاءمة بعضها لبعض وبذلك تتلاحظ المعاني وتتجاوب النظم الى غير ذلك
من الفوايد والمنافع من مثله متعلق بسورة صفة لها اي بسورة كاينة من
مثله والضمير لما نزلنا او لعبدنا ويجوز ان يعلق بقوله فاتوا والضمير للعبد فان
قلت وما مثل حتى ياتوا بسورة من ذلك المثل قلت معناه فاتوا بسورة ما
هو على صفته في البيان الغريب وعلو الطبقة في حسن النظم او فاتوا ممن هو على
حاله من كونه بشرا عربيا اوامّيا لم يقرأ الكتب ولم ياخذ من العلماء ولا قصد الى
مثل ونظير هنا لك ولكنه كقول القعقاع بن شور للحجاج وقد قال له لاحملنك على الادهم
مثل الامير حمل على الادهم والاشهب اراد من كان على صفة الامير من الملك
والقدرة وسعة اليد ولم يقصد احدا فجعله مثلا للحجاج ورد الضمير الى
المنزّل او جحده لقوله تعالى فاتوا بسوره من مثله فاتوا بعشر سور مثله على ان
ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولان القران جدير بسلامة الترتيب
والوقوع على الاساليب والكلام سرد الضمير الى المنزّل احسن وترتيبا
وذلك ان الحديث يرد المنزّل لا يرد المنزّل عليه وهو مسوق اليه ومربوط به
فحقه ان لا يفكّ عنه برد الضمير الى غيره الا ترى ان المعنى وان ارتبتم في
ان القران منزّل من عند الله فماتوا انتم بنبذ امثاله وبحاشيته وقضية
الترتيب لو كان الضمير مردودا الى رسول الله ان يقال وان ارتبتم في ان تحدا
منزّل عليه فماتوا قرانا من مثله ولانه اذا خوطبوا جميعا وهم الجم الغفير وان
ياتوا بطايفة يسيرة من جنس اتي به واحد منهم كان ابلغ في التحدي من ان
يقال لهم ليات واحد اخر بنحو ما اتي به هذا الواحد ولان هذا التقدير
هو الملايم لقوله وادعوا شهداءكم والشهداء جمع شهيد
بمعنى الحاضر او القايم بالشهادة ومعنى دون ادنى مكان من الشي ومنه
الشي الدون وهو الدني الحقير ودوّن الكتب اذا جمعها لان جمع الاشياء
ادناء بعضها من بعض وقليل المسافة بينها يقال هذا دون ذاك اذا كان
احوط منه قليلا ودونك هذا اصله حدا من دونك اي من ادنى مكان والريب
مقلوب عن رءب دون عمرو في الشرف والعلم ومنه قول من قال لعلّ وعسى وقد راءه
بالشي عليه انا دون هذا وفوق ما يوثق واشيع فيه فاستعمل في كل مجاوز

منكر فاختصر واستعيذ بقاوت الاحوال

حد الى حد وتخطى حكم الى حكم قال الله تعالى لا يتخذ المومنون الكافرين اولياء من
دون المومنين اى لا يتجاوزوا ولاية المومنين الى ولاية الكافرين وقال
امية يا نفس ما لك دون الله من واق اى اذا تجاوزت وقاية الله ولم تتناليها
لم يقدر غيره ومن دون الله متعلق بادعوا او بشهدا ايكم فان علقته بشهد ايكم
فمعناه ادعوا الذين اتخذتموهم الهة من دون الله وزعمتم انهم يشهدون
لكم يوم القيامة انكم على الحق وادعوا الذين يشهدون لكم بين يدي الله
من قول الاعشى توبل القدي من دونها وهي دونه اى تربك القدي قدامها
وهي قدر ام القدي لدقتها وصفايها ويراد بها ان يسيطروه بالجاد الذي لا
تنطق في معارضة القران المعجز لفصاحته غاية التهكم بهم ويعول امرهم
اوادعوا شهداكم من دون الله اى من دون اوليائه من غير المومنين ليشهدوا
لكم انكم اتيتم بمثله وهذا من التهكم وارخاء العنان والاشعار بان شهدائهم
وهم مدارة القوم الذين هم وجوه الشاهد وفرسان المقاولة والمناقلة تاتي
عليهم الطباع وتجري بهم الانسانية والانفة ان يرضوا لانفسهم الشهادة
بصحة الفاسد البين عندهم ومن اراده واستقامة المحال الجلي بادعولهم
احالته وتعليقه بالدعاء وهذا الوجه جايز وان علقته بالدعاء فمعناه
وادعوا الشهداء من الناس الذين شهادتهم بلينة تصح بها الدعاوي عند
الحكام وهذا التعجيز لهم وبيان لانقطاعهم والخزالهم وان الحجة قد بهرتهم
ولم تبق لهم متشبثا غير قولهم الله يشهد انا صادقون وقولهم هذا تسجيل منهم
على انفسهم بتباهي الجد وسقوط القدرة وعن بعض العرب انه سئل عن
نسبه فقال قرشي والحمد لله فقيل له قولك الحمد لله في هذا المقام ريبة او
ادعوا من دون الله شهداكم يعني ان الله شاهدكم بانه اقرب اليكم من حبل الوريد
وهو بينكم وبين اعناق رواحلكم والجن والانس شاهدكم فادعوا كل من
يشهدكم واستظهروا به من الجن والانس الا الله تعالى لانه القادر وحده على
ان ياتي بمثله دون كل شاهد من شهدايكم فهو في معنى قوله قل لين اجتمعت الانس
والجن الاية فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي
وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين لما ارشدهم الى الجهة
التي منها يتعرفون امر النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به حتى يعترفوا به اعقبه بقوله وسيرته

والميزان

واسمار حقه من باطله قال لهم فاذا لم تعارضوه ولم يتسهل لكم ما تبغون وبان لكم انه معجوز عنه
فقد حرح الحق عن محضه ووجب التصديق فامنوا وخافوا العذاب المعد لمن كذب
وفيه دليلان على اثبات النبوة صحة كون المتحدى به معجزا والاخبار بانهم لن يفعلوا وهو
غيب لا يعلمه الا الله تعالى فان قلت انتفا اتيانهم بالسورة واجب فما الجي باذا
الذي للوجوب دون ان الذي للشرط قلت فيه وجهان احدهما ان يساق القول
معهم على حسب حسبانهم وطمعهم وان العجز عن المعارضة كان قبل التامل كالمشكوك
فيه لديهم لاشكالهم على فصاحتهم وافتدارهم على الكلام والثاني ان يتهكم بهم كما يقول
الموصوف بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يقاويه ان غلبتك لم ابق عليك
وهو يعلم انه غالبه ويتيقنه تهكما به فان قلت لم عبر عن الاتيان بالفعل واي
فايدة في تركه اليه قلت لانه فعل من الافعال يقول ابيت فلانا فيقال لك نعم ما نهاك
والفايدة فيه انه جاء بمجرى الكناية التي تعطيك اختصارا وجازة تغنيك عن
طول المكني عنه الا ترى ان الرجل يقول ضربت زيدا في موضع كذا على صفة
كذا وشتمته وتكلمت به وبعد كيفيات وافعالا فتقول له بئس ما فعلت
ولو ذكرت ما اتيته عنه لطال عليك وكذلك لو لم يعدل عن لفظ الاتيان الى
لفظ الفعل لاستطيل ان يقال ان لم ياتوا بسورة من مثله ولن
ياتوا بسورة من مثله فان قلت ولن لفعلوا اما محلها قلت لا محل لها
لانها جملة اعترضية فان قلت ما حقيقة لن في باب النفي قلت لا ولن مرفقان
في النفي المستقبل الا ان في لن توكيدا وتشديدا تقول لصاحبك لا اقيم غدا
فان انكر عليك قلت لن اقيم غدا كما تقول انا مقيم وابي مقيم وهي عندي الكليد
في احدى الراسين عنه اصلها لا ان وعند الفراء لا ابدلت الفا فونا وعند
سيبويه واحدى الراسين عن الخليل هي حرف مقتضب لتاكيد النفي المستقبل
فان قلت من اين لكم انه اخبار بالغيب مرتحل على ما هو به حتى يكون معجزا
قلت لانهم لو عارضوه بشيء لم يمتنع ان يتواصفه الناس ويتناقلوه
اذ خفاء مثله فيما عليه مبنى العادة محال لا سيما والطاعنون فيه الكثر
عدد من الذابين عنه فحين لم يقل علم انه اخبار بالغيب على ما هو به
فكان معجزا فان قلت ما معنى اشتراطه في اتقا النار اتقا ايتانهم بسورة
من مثله قلت انهم اذا لم ياتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة صح عندهم
صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا صح عندهم صدقه لزمهم العناد ولم يسقهم
ولم يشايعوا استوجبوا العقاب بالنار فقيل لهم ان استبنتم العجز فاتقوا

قوله ما معنى اشتراطه الخ اى اشتراط الله

قوله الكاشف الاسرار الخ اى اسرار القرآن

قوله ما معنى اشتراطه الخ اى اشتراط الله

قوله ما معنى اشتراطه الخ اى اشتراط الله

العناد فوضع فاتقوا النار موضعه لان اتقاء النار لصيقة وضميمة ترك العناد من
حيث انه من نتائجه لان من اتقى النار ترك المعاندة ونظيره ان يقول الملك لحشمه
ان اردتم الكرامة عندي فاخذوا سخطي يريد فاطيعوني واتبعوا امري وافعلوا
ما هو نتيجة حذر السخط وهو من باب الكناية التي هي شعبة من شعب البلاغة
وفايدته الايجاز الذي هو من حلية القران وتهويل شان العناد بانابة اتقاء
النار منابه وابرازه في صورته مشيعا ذلك بتهويل صفة النار وتفظيع امرها
والوقود ما ترفع به النار واما المصدر فمضموم وقد جاء فيه الفتح قال سيبويه
وسمعنا من العرب من يقول وقدت النار وقودا عاليا ثم قال والوقود اكثر
والوقود الحطب وقرا عيسى بن عمر الهمداني بالضم تسمية بالمصدر كما تقول فلان
فخر قومه وزين بلده ويجوز ان يكون مثل قولك حيوة المصباح السليط اي ليست حيوته
الا به فكان نفس السليط حيوته **فان قلت** صلة الذي والتي يجب ان تكون
قصة معلومة للمخاطب فكيف علم اولئك ان نار الاخرة توقد بالناس والحجارة
قلت لا يمتنع ان يتقدم لهم بذلك سماع من اهل الكتاب او سمعوه من رسول
الله صلى الله عليه وسلم او سمعوا قبل هذه الاية قوله تعالى في سورة التحريم نارا وقودها
الناس والحجارة **فان قلت** فلم جاءت النار الموصوف بهذه الجملة منكرة في سورة
التحريم وها هنا معرفة **قلت** تلك الاية نزلت بمكة فعرفوا منها نارا موصوفة بهذه
الصفة ثم نزلت هذه بالمدينة مشارا بها ما عرفوه اولا **فان قلت** ما معنى قوله
تعالى وقودها الناس والحجارة **قلت** معناه انها نار ممتازة عن غيرها من النيران
بانها لا تتقد الا بالناس والحجارة وبان غيرها ان اريد احراق الناس بها او احماء
الحجارة اوقدت اولا بوقود ثم طرح فيها ما يراد احراقه او احماؤه وتلك اعاذنا
الله منها برحمته الواسعة توقد بنفس ما تحرق وتحمى بالنار وبانها لافراط حرها
وشدة ذكائها اذا اتصلت بما لا يشتعل به نارا اشتعلت وارتفع لهبها **فان قلت**
انار الجحيم كلها موقدة بالناس والحجارة ام هي نيران شتى منها نار بهذه الصفة
قلت بل هي نيران شتى منها نار توقد بالناس والحجارة يدل على ذلك تنكيرها في قوله
تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا فانذرتكم نارا تلظى ولعل لكفار الجن وشياطينهم
نارا وقودها الشياطين كما ان لكفرة الانس نارا وقودها هم جزاء لكل جنس بما
يشاكله من العذاب **فان قلت** لم قرن الناس بالحجارة وجعلت الحجارة معهم
وقودا **قلت** لانهم قرنوا بها انفسهم في الدنيا حيث نحتوها اصناما وجعلوها
لله اندادا وعبدوها من دونه قال الله تعالى انكم وما تعبدون من دون

الله حصب جهنم وهذه الاية مفسرة لما نحن فيه فقوله انكم وما تعبدون من دون
الله في معنى الناس والحجارة وحصب جهنم في معنى وقودها ولما اعتقد الكفار
في حجارتهم المعبودة من دون الله انها الشفعاء والشهداء الذين يستشفعون
لهم ويستدفعون المضار عن انفسهم بمكانهم جعلها الله عذابهم فقرنهم بها محماة
في نار جهنم ابلاغا في ايلامهم واغراقا في تحيرهم ونحوه ما يفعله الكافرين الذين جعلوا
ذهبهم وفضتهم عدة وذخيرة فشحوا بها ومنعوها من الحقوق حيث يحمى عليها في
نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وقيل هي حجارة الكبريت وهو تخصيص
بغير دليل وذهاب عما هو المعنى الصحيح الواقع المشهود له بمعاني التنزيل ٥
اعدت هيئات لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرا عبد الله اعتدت من العتاد
بمعنى العدة ٥ وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها
الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به متشابها
ولهم فيها ازواج مطهرة وهم فيها خالدون ومن عادته عز وعلا في كتابه ان يذكر
الترغيب مع الترهيب ويشفع البشارة بالانذار ارادة التنشيط لاكتساب ما يزلف
والتنشيط عن اقتراف ما يتلف فلما ذكر الكفار واعمالهم واوعدهم بالعقاب قفاه
ببشارة عباده الذين جمعوا بين التصديق والاعمال الصالحة من فعل الطاعات
وترك المعاصي وحموها من الاحباط بالكفر والكبائر بالثواب **فان قلت**
من المامور بقوله وبشر **قلت** يجوز ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم وان يكون
كل احد كما قال عليه الصلاة والسلام بشر المشائين الى المساجد في الظلم بالنور التام
يوم القيامة لم يامر بذلك واحدا بعينه وانما كل احد مامور به وهذا الوجه
احسن واجزل لانه يؤذن بان الامر لعظمه وفخامة شانه محقوق بان يبشر
به كل من قدر على البشارة به **فان قلت** علام عطف هذا الامر ولم يسبق امر
و[illegible] يصح عطفه عليه **قلت** ليس الذي اعتمد بالعطف هو الامر حتى يطلب
له [illegible] من امر او نهي يعطف عليه انما المعتمد بالعطف هو جملة وصف
ثواب [illegible]ين فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول يريد
يعاقب بالقيد والازهاق وبشر عمرا بالعفو والاطلاق وذلك ان تقول هو
معطوف على قوله فاتقوا كما تقول يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر
يا فلان بني اسد باحساني اليهم وفي قراءة زيد بن علي رضي الله عنهما وبشر على
لفظ المبني للمفعول عطفا على اعدت والبشارة الاخبار بما يظهر سرور
المخبر به ومن ثم قال العلماء اذا قال لعبيده ايكم بشرني بقدوم فلان فهو حر

فبشروه فرادى عتق اولهم لانه هو الذي اظهر سروره لخبره دون الباقين ولو قال مكان
بشرني اخبرني عتقوا جميعا لانهم جميعا اخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير
الصبح ما ظهر من اوايل ضوئه واما فبشرهم بعذاب اليم فمن التعليس في الكلام
الذي يقصد به الاستهزاء الزايد في غيظ المستهزا به وتالمه واغتمامه كما يقول
الرجل لعدوه ابشر بقتل ذريتك ونهب مالك ومنه قوله فاعتبوا بالصيلم والمصيلم
نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم قال الحطيئة كيف الهجاء وما ينفك صالحه من آل لام بظهر
الغيب تاتيني والصالحات كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والكتاب والسنة
واللام للجنس فان قلت اي فرق بين لام الجنس داخلة على المفرد وبينها داخلة على
المجموع قلت اذا دخلت على المفرد كان صالحا لان يراد به الجنس الى ان يحاط به وان
يراد به بعضه الى الواحد منه واذا دخلت على المجموع صلح ان يراد به جميع الجنس
وان يراد به بعضه لا الى الواحد لان وزانه في تناوله الجمعية في الجنس وزان المفرد
في تناول الجنسية والجمعية في جمل الجنس لا في وحداته فان قلت فما المراد بهذا المجموع
مع اللام قلت الجملة من الاعمال الصحيحة المستقيمة في الدين على حسب حال المؤمن
في مواجب التكليف والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف
اغصانه قال زهير تسقي جنة سحقا اي نخلا طوالا والتركيب داير على معنى
الستر وكانها لتكاثفها وتظليلها سميت بالجنة التي هي المرة من مصدر جنه اذا ستره
كانها سترة واحدة لفرط التفافها وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان فان قلت
الجنة مخلوقة ام لا قلت قد اختلف في ذلك والذي يقول انها مخلوقة هو يستدل
بسكنى ادم وحوا الجنة ولمجيئها في القران على نهج الاسما الغالبة اللاحقة بالاعلام
كالنبي والرسول والكتاب ونحوها فان قلت ما معنى جمع الجنة وتنكيرها قلت
الجنة اسم لدار الثواب كلها وهي مشتملة على جنات كثيرة مرتبة مراتب على حسب استحقاق
العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان فان قلت اما يشترط في
استحقاق الثواب بالايمان والعمل الصالح ان لا يحبطهما المكلف بالكفر والاقدام
على الكبائر وان لا يندم على ما اوجده من فعل الطاعة وترك المعصية فهذا
شرط ذلك قلت لما جعل الثواب مستحقا بالايمان والعمل الصالح والبشارة
مختصة بمن يتولاهما وركز في العقل ان الاحسان انما يستحق فاعله عليه
المثوبة والثناء اذا لم يتعقبه بما يفسده ويذهب بحسنه وانه لا يبقى مع وجوده
مفسده احسانا واعلم بقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وهو اكرم الناس عليه
واعزهم لئن اشركت ليحبطن عملك وقال للمؤمنين ولا تجهروا له بالقول كجهر

بعضكم

كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم كان اشتراط خفضها من الاحباط والندم كالداخل تحت الذكر فان قلت كيف صورة
جري الانهار من تحتها قلت كما يرى الاشجار النابتة على شواطي انهار الجارية وعن مسروق ان انهار الجنة تجري
في غير اخدود وانزه البساتين واكرمها منظرا ما كانت اشجاره مظللة والانهار في خلالها مطردة واكرمها
ولو ان الماء الجاري من النعمة العظمى واللذة الكبرى وان الجنان والرياض وان كانت انق شي واحسنه لا تروق
النواظر ولا تبهج النفس ولا تجلب الاريحية والنشاط حتى يجري فيها الماء والا كان الانس الاعظم فايتا و
السرور الاوفر مفقودا وكانت كتماثيل لا ارواح فيها وصور لا حياة لها لما جا الله تعالى بذكر الجنات
الا مشفوعا بذكر الانهار الجارية من تحتها مستوفين على قران واحد كالشيئين لا بد لاحدهما من البحر يقال
لبردى نهر دمشق وللنيل نهر مصر واللغة العالية النهر بفتح الهاء ومدار التركيب على السعة واستناد
الجري الى الانهار من الاسناد المجازي كقولهم بنوا فلان تطاهم الطريق فان قلت لم نكرت الجنات و
عرفت الانهار قلت اما تنكير الجنات فقد ذكر واما تعريف الانهار فان يراد الجنس كما تقول لفلان
بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب والوان الفواكه تشير الى الاجناس التي في علم المخاطب او
يراد انهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الاضافة كقوله واشتعل الراس شيبا او يشار باللام الى
الانهار المذكورة في قوله فيها انهار من ماء غير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه الاية وقوله كلما رزقوا الا
من ان يكون صفة ثانية للجنات او خبر مبتدا محذوف او جملة مستانفة لانه لما قيل ان لهم جنات
لم يخلوا خلد السامع ان يقع فيه اثمار تلك الجنات اشياء ثمار جنات الدنيا ام اجناس اخر لاقتنائه
هذه الاجناس فقيل ان ثمارها اشباه ثمار الدنيا اي اجناسها اجناسها وان تفاوت الى غاية لا يعلمها
الا الله فان قلت ما موقع من ثمرة قلت هو كقولك كما اكلت من بستانك شيا حمدتك فموقع من
ثمرة موقع قولك من الرمان كانه قيل كلما رزقوا من الجنات من اي ثمرة كانت من الرمان من تفاحها او رمانها
او عنبها او غير ذلك رزقا قالوا ذلك فمن الاولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية لان الرزق
قد ابتدا من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدا من ثمرة وتنزيله تنزيل ان تقول رزقني فلان فيقال
لك من اين فيقول من بستانه فيقال من اي ثمرة رزقك من بستانه فيقول من الرمان فيقال و
تحريره ان رزقوا جعل مطلقا مبتديا من ضمير الجنات ثم جعل مقيدا بالابتداء من ضمير الجنات
مبتديا من ثمرة وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة والرمانة الفذة على هذا التفسير انما المراد
النوع من انواع الثمار ووجه اخر وهو ان يكون من ثمرة بيانا على منهاج قولك رايت منك اسدا تريد
انت اسد وعلى هذا يصح ان يراد بالثمرة النوع من الثمار والجنات الواحدة فان قلت كيف قيل
هذا الذي رزقنا من قبل وكيف يكون ذات الحاضر عندهم في الجنة هي ذات الذي رزقوا في
الدنيا قلت معناه هذا مثل الذي رزقنا من قبل وشبهه بدليل قوله واتوا به متشابها وهذا
كقولك ابو يوسف ابو حنيفة يريد انه لاستحكام الشبه كان ذاته ذاته فان قلت الام يرجع
الضمير في قوله واتوا به قلت الى المرزوق في الدنيا والاخرة جميعا لان قوله هذا الذي رزقنا

إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فأما الذين
آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا
فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به
إلا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله
من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل
ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون

من قبل انثوى تحته ذكر مارزقوم فى الدارين ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اى بجنس الغنى والفقير لدلالة قوله غنيا او فقيرا على الجنسين ولو رجع الضمير الى المتكلم به لقيل اولى به على التوحيد
فان قلت لاى غرض يتشابه ثمر الدنيا وثمر الاخرة وما بال ثمر الجنة لم يكن اجناسا اخر **قلت** لان الانسان بالمألوف انس والى المعهود امل واذا راى مالم يالفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه لانه اذا ظفر بشئ من جنس ما سلف له به عهد وتقدم له معه الف ورأى فيه مزية ظاهرة وفضيلة بينة وتفاوتا بينه وبين ما عهده بليغا افرط ابتهاجه واغتباطه وطال استبشاره واستغزابه وتبين كنه النعمة فيه وتحقق مقدار الغبطة فيه ولو كان جنسا لم يعهده وان كان فيه ما حسب ان ذلك الجنس لا يكون الا كذلك فلا يتبين موقع النعمة حق التبين فحين ابصروا الرمانة من رمان الدنيا وضبطها فى الحجم وان الكبرى لا تفصل عن حد البطيخة الصغيرة ثم يبصرون ان رمانة الجنة تشبع السكن والنبق من نبق الدنيا فى حجم الفلك ثم يرون نبق الجنة كقلال هجر كما رواظل الشجرة من شجر الدنيا وقد ارتاده ثم يرون الشجرة فى الجنة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعه كان ذلك لين للفضل واظهر للمزية واجلب للسرور وازيد فى التعجب من ان يفاجئوا ذلك الرمان وذلك النبق من غير عهد سابق بجنسهما وترديدهم هذا القول ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها دليل على الامر وتمادى الحال فى ظهور المزية وتمام الفضيلة وعلى ان ذلك التفاوت العظيم هو الذى يستملى عجبهم ويستدعى تعجبهم فى كل اوان عن مسروق نخل الجنة فضيد من اصلها الى فرعها وثمرها امثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها اخرى وانهارها تجرى فى غير اخدود والعنقود اثنا عشر ذراعا ويجوز ان يرجع الضمير فى اتوا به الى الرزق كما ان هذا اشارة ويكون المعنى ان ما يرزقونه من ثمرات الجنة يأتيهم متجانسا فى نفسه كما يحكى عن الحسن يؤتى احدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بالاخرى فيقول هذا الذى اتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وعنه عم والذى نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هى بواصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فاذا ابصروها والهيئة هيئة الاولى قالوا ذلك والتفسير الاول هو هو **فان قلت** كيف موقع قوله واتوا به متشابها فى نظم الكلام **قلت** هو كقولك فلان احسن بفلان ونعم ما فعل وراى من الراى كذا وكانا صوابا ومنه قوله تعالى وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون فما اشبه ذلك من الجمل التى تساق فى الكلام معترضة للتقدير والمراد بتطهير الازواج ان طهرت مما يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة ومما لا يختص بهن من الاقذار والادناس ويجوز لجنته مطلقا ان يدخل تحته الطهر من دنس الطباع وطبع الاخلاق الذى عليه نساء الدنيا مما يكتسبن بانفسهن ومما يأخذ به من اعراق السوء والمناصب الردية والمناشى المفسدة ومن سائر عيوبهن ومثالبهن وخبثهن وكيدهن **فان قلت** فهلا جاءت الصفة مجموعة كما الموصوف **قلت** هما لفتان فصيحتان يقال النساء فعلن وهن فاعلات وفواعل والنساء فعلت وهى فاعله ومنه بيت

الحماسى واذا الغدارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت ٥ والمعنى وجماعة ازواج مطهرة وقرأ زيد بن على مطهرات وقرأ عبيد بن عمير مطهره بمعنى متطهرة **فان قلت** هلا قيل طاهرة **قلت** فى مطهرة فخامة لصفتهن ليست فى طاهرة وهى للاشعار بان مطهرا طهرهن وليس ذاك الا الله عز وجل المريد بعباده الصالحين ان يخولهم كل مزية فيما اعد لهم والخلد الثبات الدائم والبقاء اللازم الذى لا ينقطع قال الله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون ٥ وقال امرؤ القيس

الا انعم صباحا ايها الطلل ٥ وهل ينعمن من كان فى العصر الخالى ٥ وهل يعمن الا سعيد مخلد قليل الهموم ما يبيت باوجال

سيقت هذه الاية لبيان ان ما استنكره الجهلة والتسفهاء واهل العناد والمراء من الكفار واستغربوه من ان يكون للحقيرات من الاشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع الاستنكار والاستغراب من قبل ان التمثيل انما يصار اليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب وادناء المتوهم من المشاهد فان كان الممتثل به مثله وان كان حقيرا كان الممتثل به كذلك فليس العظم والحقارة فى المضروب به المثل اذن الا مرا يستدعيه حال الممتثل له ويستجره الى نفسها فيعمل الضارب بالمثل على حسب تلك القضية الا ترى الى الحق لما كان واضحا جليا ابلج كيف تمثل له بالضياء والنور والى الباطل لما كان بضد صفته كيف تمثل له بالظلمة ولما كانت حال الالهة التى جعلها الكفار اندادا لله لا حال احقر منها واقل ولذلك جعل بيت العنكبوت فى الضعف والوهن وجعلت اقل الذباب واخس قدرا وضربت لها البعوض فالذى دونها مثلا لم يستنكره ولم يستدع ولم يقل للممتثل استحى من تمثيلها بالبعوضة لانه يصيب فى تمثيله محق فى قوله سابق للمثل على قضية مصرية محتذ على مثال ما يحتكمه ويستدعيه وليبان ان المؤمنين الذين عادتهم الانصاف والعمل على العدل والتسوية والنظر فى الامور بناظر العقل اذا سمعوا بمثل هذا التمثيل علموا انه الحق الذى لا مرا الشبهة بمساحته والضوء الذى لا يرتطم الخطاب حوله وان الكفار الذين غلبهم الجهل على عقولهم وغصبهم على بصائرهم فلا ينفطنون ولا يلقون اذهانهم عرفوا انه الحق الا ان حجبة الرياسة وهوى الالف والعادة لاتخليهم ان ينصفوا فاذا سمعوه عاندوا وكابروا وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالانكار وان ذلك سبب زيادة هدى المؤمنين فى ايمانهم الفاسقين فى غيهم وضلالهم والعجب منهم كيف انكروا ذلك وما زال الناس يضربون الامثال بالبهايم والطيور واجناس الارض والحشرات والهوام وهذه امثال العرب بين ايديهم مسيرة فى حواضرهم وبواديهم قد تمثلوا فيها باحقر الاشياء فقالوا الجم من ذرة واجرأ من الذباب واسمع من قراد واصرد من جراده واصعب من فراشه واكل من السوس وقالوا فى البعوضة اضعف من بعوضة واعز من مخ البعوض ولقد ضربت الامثال فى الانجيل بالاشياء المحقرة كالزوان والخلة له وحبة الخردل والحصاة والارضة والدود والدنانير والتمثل بهذه الاشياء وباحقر منها مما لا يعنى استقامته وصحته على من به ادنى مسكة ولكن ديدن المجوج المبهوت الذى لا يبتغى له متمسك بدليل ولا متشبث بامارة ولا اقناع ان يرمى لفرط الحيرة والعجز عن اعمال الحيلة بدفع الواضح وانكار المستقيم والتعويل على المكابرة والمغالطة اذا لم يجد سوى ذلك معولا وعن الحسن وقتادة لما ذكر الله الذباب والعنكبوت فى كتابه ضرب المشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فانزل الله هذه الاية والخبا التغير وانكسار يعترى

الانسان من تخوف ما يعاب به ويذم واشتقاقه من الحياة يقال حيي الرجل كما يقال نسي وحشي وشظي الفرس
اذا اعتلت هذه الاعضاء جعل الحي لما يعتريه من الانكار والتغير منتكس القوة متنقص الحياة كما قالوا فلان
هلك من كذا حياء ومات حياء ورايت الهلال في وجهه من شدة الحياء وذاب حياء وجمد في مكانه خجلا فان قلت
كيف جاز وصف القديم سبحانه به ولا يجوز عليه التغير والخوف والذم وذلك في حديث سلمان قال قال رسول الله ﷺ
ان الله حيي كريم يستحي اذا رفع العبد يديه ان يردهما اليه صفرا حتى يضع فيهما خيرا قلت هو جار على سبيل التمثيل مثل
تركه يخيب العبد ولا يرد يديه صفرا من عطائه لكرمه يترك من يتركه ورد المحتاج اليه حياء منه وكذلك معنى قوله
ان الله لا يستحي اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحي ان يتمثل بها لحقارتها ويجوز ان تقع هذه
العبارة في كلام الكفرة فقالوا ما يستحي رب محمد ان يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل
المقابلة واطباق الجواب على السؤال وهو فن من كلامهم بديع وطراز عجيب منه قول اي تمام من مبلغ
افناء يعرب كلها اي بنيت الجار قبل المنزل وشهد رجل عند شريح فقال انك لبسيط الشهادة فقال انها
لم تجعل عني فقال لله بلادك وقبل شهادته فالذي سوغ بناء الجار وتجعيد الشهادة هو مراعاة المشاكلة
ولولا بناء الدار لم يصح بناء الجار وسبوطة الشهادة لا تمنع تجعيدها ولله در امر التنزيل واحاطته
بفنون البلاغة وشعبها لا تكاد تستغرب منها فنا الا عثرت عليه فيثم على اقوم مناهجه واسد مدارجه وقد
استعير الحياء فما لا يصح فيه قال ٥ اذا ما استحيين الماء يعرض نفسه كرعن بست في اناء من الورد
وقرأ ابن كثير في رواية شبل يستحي بياء واحدة وفيه لغات التعدي بالجار والتعدي بنفسه يقولون
استحييت منه واستحييته وهما محتملتان هنا وضرب المثل اعتماده وصنعه من ضرب اللبن وضرب
الخاتم وفي الحديث اضطرب رسول الله ﷺ خاتما من ذهب وما هذه ابهامية وهي التي اذا اقبضت
باسم تكون ابهمته ابهاما وزادته اتساعا وعموما كقولك اعطني كتابا ما تريد اي كتاب كان او صلة
للتاكيد كالتي في قوله فبما نقضهم ميثاقهم كانه قيل لا يستحي ان يضرب مثلا حقا والبتة هذا اذا نصبت
بعوضة فان رفعتها فهي موصولة صلتها الجملة لان التقدير هو بعوضة فحذف صدر الجملة كما حذف في
تماما على الذي احسن ووجه اخر حسن جميل وهو ان يكون التي فيها معنى الاستفهام لما استكفوا من تمثيل
الله لاصابهم بالمحقرات قال ان الله لا يستحي ان يضرب لامداد ما شاء من الاشياء المحتقرة مثلا له البعوضة
فما فوقها كما يقال فلان لا يبالي بما ذهب ما دينار ودينار ان والمعنى ان يتمثل للانداد وحقارة شانها
بما لا شيء اصغر منه واقل كما لو تمثل بالجزء الذي لا يتجزى ومما لا يدرك لتناهيه في صغره الا هو وحده
بلطفه او بالمعدوم كما تقول العرب فلان اقل من شيء لا في العدد ولقد الم به قوله تعالى ان الله يعلم ما يدعون
من دونه من شيء وهذه الغراة تعزى الى رؤبة بن العجاج وهو امضع العرب للشيح والقيصوم المشهود له
بالفصاحة وكانوا يشبهون به الحسن وما اظنه ذهب في هذه القراة الا الى هذا الوجه وهو المطابق لفصاحته
وانتصب بعوضة بانها عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال عن النكرة مقدمة عليه وانتصبا
مفعولين بجرى ضرب مجرى جعل واشتقاق البعوض من البعض وهو القطع كالبضع والعضب يقال لبعضة البعوض

واشد

وانشد لنعم البيت بيت ابى دثار اذا ما خاف بعض القوم بعضا ومنه بعض الشيء لانه قطعة منه والبعوض
في اصله صفة على فعول كالقطوع فغلبت وكذلك الحموش فما فوقها في معنيان احدهما قابتجاوزها وزاد عليها
في المعنى الذي ضربت فيه مثلا وهو اللغة والحقارة نحو قولك لمن يقول فلان اسفل الناس وانذلهم هو فوق
ذاك يريد هو ابلغ واعرف فيما وصف به من السفالة سوء النذالة والثاني فما زاد عليها في الجرم قصد بذلك رد
ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت لانهما اكبر من البعوضة كما تقول لصاحبك وقد ذم من
عرفته بشح بادنى شيء فقال فلان بخل بالدرهم والدرهمين هو لا يبالي ان يبخل بنصف درهم فما فوقه يريد
بما فوقه ما بخل فيه وهو الدرهم والدرهمان كانك قلت فضلا عن الدرهم والدرهمين ونحوه في الاحتمالين
ما سمعناه في صحيح مسلم عن ابراهيم عن الاسود قال دخل شباب من قريش على عايشة وهي بمنا وهم
يضحكون فقالت ما يضحككم قالوا فلان خر على طنب فسطاط فكادت عنقه او عينه ان تذهب فقالت
لا تضحكوا اني سمعت رسول الله ﷺ قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت
عنه بها خطيئة يحتمل فما عدا الشوكة ويجاوزها في القلة وهي نخوة النملة في قوله عم ما اصاب المؤمن
من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة وهي عضتها ويحتمل ما هو اشد من الشوكة واوجع كالخرور
على طنب الفسطاط فان قلت كيف يضرب المثل بما دون البعوضة وهي النهاية في الصغر قلت ليس
كذلك فان جناح البعوضة اقل منها واصغر بدرجات وقد ضربه رسول الله مثلا للدنيا وفي خلق الله
حيوان اصغر منها ومن جناحها ربما رايت في تضاعيف الكتب العتيقة ذوبية لا يكاد يجليها للبصر الا
تحركها فاذا اسكنت فالتكوين يوازيها ثم اذا لوحت لها بيدك حادت عنها وتجتنب مضرتها فسبحان من
يدرك صورة تلك واعظاها الظاهرة والباطنة وتفاصيل خلقتها ويبصر بصرها ويطلع على ضميرها
ولعل في خلقة ما هو اصغر منها واصغر سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا
يعلمون وانشدت
يا من يرى مد البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الاليل ٥ ويرى عروق نياطها في نحرها والمخ في تلك العظام النحل
اغفر لعبد تاب من فرطاته ما كان منه في الزمان الاول ٥ واما حرف فيه معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء
وفائدته في الكلام ان يعطيه فضل توكيد تقول زيد ذاهب فاذا قصدت توكيد ذاك وانه لا محالة ذاهب
وانه بصدد الذهاب وانه منه عزيمة قلت اما زيد فذاهب وكذلك قال سيبويه في تفسيرهما يكن من شيء
فزيد ذاهب وهذا التفسير مدل بفائدتين بيان كونه توكيدا وانه في معنى الشرط فمن ثم يراد الجملتين معا
به وان لم يقل فالذين امنوا يعلمون والذين كفروا يقولون احماد عظيم لامر المؤمن واعتداد بعلمهم انه الحق و
نعي على الكافرين اعقالهم وعنادهم ورميهم بالكلمة الحمقاء والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يقال حق
الامر اذا ثبت وحقت كلمة ربك وثوب محقق بحكم النسج وما اذا فيه وجهان ان تكون ذا اسما موصولا بمعنى
الذي فيكون كلمتين وان تكون ذا مركبة مع ما بمعنى اي اسما واحدا فيكون كلمة واحدة فهو على الوجه الاول
مرفوع المحل على الابتداء وخبره ذا مع صلته وعلى الثاني منصوب المحل في حكم ما وجد لو قلت ما اراد الله و
الاصوب في جوابه ان يجيء على الاول مرفوعا وعلى الثاني منصوبا ليطابق الجواب السؤال وقد جوز واعكس ذلك

كما تقول في جواب من قال ما رايت خيرا اي المرئي خير وفي جواب ما الذي رايت خيرا اي رايت خيرا وقرئ قوله تعالى
ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو بالرفع والنصب على التقديرين والارادة نقيض الكراهة وهي مصدر اردت الشيء
اذا طلبته نفسك ومال اليه قلبك وفي حدود المتكلمين الارادة معنى موجب للحي حالا لاجلها يقع منه الفعل
على وجه دون وجه وقد اختلفوا في ارادة الله فبعضهم علم ان للباري مثل صفة المريد منا التي هي القصد
وهو امر زايد على كونه عالما غير ساه وبعضهم على ان معنى ارادته لافعاله هو انه فعلها وهو غير ساه و
لا مكره ومعنى ارادته لافعال غيره انه بها والضمير في انه الحق للمثل او لان يضرب وفي قولهم ماذا اراد
الله بهذا استرذال واستحقار كما قالت عايشة في عبد الله بن عمرو بن العاص عجبا لابن عمرو هذا ومثلا
نصب على التمييز كقولك لمن اجاب بجواب غث ماذا اردت بهذا جوابا ولمن حمل سلاحا رديا كيف ينتفع بهذا
سلاحا او على الحال كقوله هذه ناقة الله لكم اية وقوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جار مجرى التفسير و
البيان للجملتين المصدرتين تاما وان فريق العالمين بانه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف
بالكره وان العلم بكونه حقا من باب الهدى الذي ازداد به المؤمنون نورا الى نورهم وان الجهل بحسن مورده
من باب الضلالة التي زادت الجهلة خبطا في ظلماتهم **فان قلت** لم وصف المهديون بالكثرة والقلة صفتهم وقليل
من عبادي الشكور وقليل ما هم الناس كابل ماية لا تجد فيها راحلة وجدت الناس اخبر تقله **قلت** اهل الهدى
كثير في انفسهم وحين يوصفون بالقلة انما يوصفون بها بالقياس الى اهل الضلال وايضا فان القليل من المهديين
كثير في الحقيقة وان قلوا في الصورة فسموا ذهابا الى الحقيقة كثيرا ه ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم
قل وان كثروا ه الى الله تعالى اسناد الفعل الى السبب لانه لما ضرب المثل فضل به قوم واهتدا قوم تسبب اضلالهم
وهداهم وعن ملك بن دينار انه دخل على محبوس قد اخذ بمال عليه وقيد فقال يا ابا يحيى ما نحن فيه من القيود
فرفع مالك راسه فراى مسلة فقال لمن هذه السلة فقال لي فامر بها تنزل فاذا دجاج واخبصه فقال مالك هذه
وضعت القيود على رجلك وقرا زيد بن علي يضل به كثير وما يضل به الا الفاسقون والفسق الخروج عن القصد
قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا والفاسق في الشريعة الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة النازل بين
المنزلتين اي بين منزلة المؤمن والكافر وقالوا ان اول من حد هذا الحد ابو حذيفة واصل بن عطاء رضي الله عنه وعن
اشياعه وكونه بين بين ان حكمه حكم المؤمن في انه يناكح ويوارث ويغسل ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين وهو
كالكافر في الذم واللعن والبراة منه واعتقاد عداوته وان لا يقبل له شهادة ومذهب ملك بن انس والزيدية
ان الصلاة لا تجزي خلفه والخلفاء المردة من الكفار الفسقة وقد جا الاستعمالان في كتاب الله بئس الاسم
الفسوق بعد الايمان يريد اللمز والتنابز ان المنافقين هم الفاسقون النقض الفسخ وفك التركيب **فان قلت** من
اين ساغ استعمال النقض في ابطال العهد **قلت** من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات
الوصلة بين المتعاهدين ومنه قول ابن التيهان في بيعة العقبة يرسول الله ان بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها
فنخشى ان الله اعزك واظهرك ان ترجع الى قومك وهذا من اسرار البلاغة ولطايفها ان تسكتوا عن ذكر الشيء المستعار
ثم يرمزوا اليه بذكر شيء من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه ونحوه قولك شجاع مفترس اقرانه وعالم يعترف

منه

منه واذا تزوجت امراة فاستوثرها لم تقل هذا الا وقد نبهت على الشجاع والعالم بانهما اسد وبحر واعلى المراة بانها
فراش والعهد الموثق وعهد اليه في كذا اذا وصاه به ووثقه عليه واستعهد منه اذا اشترط عليه واستوثق منه و
المراد بهؤلاء المنافقين لعهد الله احبار اليهود المتعنتون او منافقوهم او الكفار جميعا **فان قلت** فما المراد بعهد
الله **قلت** ما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد كانه امر وصاهم به ووثقه عليهم وهو معنى قوله واشهدهم
على انفسهم الست بربكم قالوا بلى او اخذ الميثاق عليهم بانهم اذا بعث اليهم رسول فصدقه الله بمعجزاتهم صدقوه
واتبعوه ولم يكتموا ذكره فيما تقدمه من الكتب المنزلة عليهم كقوله اوفوا بعهدي اوف بعهدكم وقوله في الانجيل
لعيسى صلوات الله عليه سانزل عليك كتابا فيه نبا بني اسرائيل وما اريته اياهم من الايات وما انعمت عليهم
وما نقضوا من ميثاقهم الذي واثقهم به وما ضيعوا من عهده اليهم وكيف انزل باسه ونقمته بالذين غدروا و
نقضوا ميثاقه ولم يوفوا بعهده لان اليهود فعلوا باسم عيسى ما فعلوا باسم محمد صلوات الله عليهما من التحريف
والجحود وكفروا به كما كفروا به وقيل هو اخذ الله العهد عليهم ان لا يستفكوا دماءهم ولا يبغي بعضهم على بعض
ولا يقطعوا ارحامهم وقيل عهد الله الى خلقه ثلثة عهود العهد الاول الذي اخذه على جميع ذرية ادم الاقرار
بربوبيته وهو قوله واذ اخذ ربك وعهد خص به النبيين ان يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين وهو قوله واذ
اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه والضمير في ميثاقه للعهد وهو ما وثقوا
به عهد الله من قبوله والزامه انفسهم ويجوز ان يكون بمعنى فكما ان الميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة و
يجوز ان يرجع الضمير الى الله اي من بعد توثقه عليهم او من بعد ما وثق به عهده من اياته وكتبه وانذار رسله
ومعنى قطعهم ما امر الله به ان يوصل قطعهم الارحام وموالاة المؤمنين وقيل قطعهم ما بين الانبياء من
الوصلة والاتحاد والاجتماع على الحق في ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض **فان قلت** ما الامر **قلت** طلب
الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور لان الداعي الذي يدعوا اليه من يتولاه
شبه بامر يامره به فقيل له امر تسمية للمفعول به المصدر كانه مامور به كما قيل له شان والشان الطلب والقصد
يقال شانت شانه اي قصدت قصده هم الخاسرون لانهم استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد
بالصلاح وعقابها بثوابها معنى الهمزة التي في كيف مثله في قولك اتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر
ويدعوا الى الايمان وهو الانكار والتعجيب ونظيره قولك انظر بغير جناح وكيف نظر بغير جناح **فان
قلت** قولك انظر بغير جناح انكار للطيران لانه مستحيل بغير جناح واما الكفر فغير مستحيل مع ما ذكر
من الاماتة والاحياء **قلت** قد اخرج في صورة المستحيل لما قوي ومن المصارف عن الكفر والداعي الى الايمان
فان قلت فقد تبين امر الهمزة وانها لانكار الفعل والايذان باستحالته في نفسه او لقوة الصارف عنه فما تقول
في كيف حيث كان انكار للحال التي تقع عليها كفرهم **قلت** حال الشيء تابعة لذاته فاذا امتنع ثبوت الذات
تبعه امتناع ثبوت الحال فكان انكار حال الكفر لانها تتبع ذات الكفر ورديفها انكار الذات الكفر وثباتها
على طريق الكناية وذلك اقوى لانكار الكفر وابلغ وتحريره انه اذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها وقد
علم ان كل موجود لا ينفك عن حال وصفة عند وجوده ومحال ان يوجد بغير صفة من الصفات كان انكارا

لوجوده على الطريق البرهاني والواو في قوله وكنتم امواتا للحال فان قلت كيف صح ان يكون حالا وهو
ماض ولا يقال جئت وقام الامير ولكن وقد قام الا ان تضمر قد قلت لم تدخل الواو وعلى كنتم امواتا وحده
ولكن على جملة قوله كنتم امواتا الى ترجعون كانه قيل كيف تكفرون بالله وقصتكم هذه وحالكم انكم كنتم امواتا
نطفا في صلب اباءكم فجعلكم احياء بعد هذه الحياة ثم يحييكم بعد الموت ثم يحاسبكم فان قلت بعض القصة
ماض وبعض مستقبل والماضي والمستقبل كلاهما لا يصح ان يقع حالا حتى يكون فعلا حاضرا وقت وجود ما
حال عنه فما الحاضر الذي وقع هذا حالا قلت اذ هو العلم بالقصة كانه قيل كيف تكفرون وانتم عالمون
بهذه القصة وباولها واخرها فان قلت فقد آل المعنى الى قولك على اي حال تكفرون في حال علمكم بهذه
القصة فما وجه صحته قلت قد ذكرنا ان معنى الاستفهام في كيف للانكار وان انكار الحال متضمن لانكار
الذات على سبيل الكناية فكانه قيل ما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قلت ان اتصل علمهم بانهم كانوا
امواتا فاحياهم ثم يميتهم فلم يتصل باحياء الثاني والرجوع قلت قد تمكنوا من العلم بها بالدلائل الموصلة
اليه فكان ذلك بمنزلة حصول العلم وكثير منهم علموا ثم عاندوا والاموات جمع ميت كالاقوال في جمع قيل
فان قلت كيف قيل لهم اموات في كونهم جمادا وانما يقال لميت فيما تصح فيه الحياة قلت بل يقال لما عدم
الحياة كقوله بلدة ميتا واية لهم الارض الميتة اموات غير احياء ان يكون استعارة لاجتماعهما في ان لا روح
ولا احساس فان قلت ما المراد بالاحياء الثاني قلت يجوز ان يراد به الاحياء في القبر وبالرجوع
النشور وان يراد النشور وبالرجوع المصير الى الجزاء فان قلت لم كان العطف الاول بالفاء والاعقاب
بثم قلت لان الاحياء الاول قد يعقب الموت بغير صراخ واما الموت فقد تراخى من الاحياء والاحياء
الثاني كذلك متراخ عن الموت ان اريد به النشور تراخيا ظاهرا وان اريد به احياء القبر فمنه يكتسب بالعلم
بتراخيه والرجوع الى الجزاء ايضا متراخ عن النشور فان قلت من اين انكر اجتماع الكفر مع القصة التي
ذكرها لانها مشتملة على ايات بينات تصرفهم عن الكفر على نعم جسام حقها ان يشكر ولا يكفر قلت يحتمل الا
جميعا لان ما عدده ايات وهي مع كونها ايات من اعظم النعم لكم لاجلكم ولانتفاعكم به في دينكم ودنياكم
اما الانتفاع الديناري فظاهر واما انتفاع الدين فالنظر فيه وما فيه من عجايب الصنع الدالة على القادر
الحكيم وما فيه من التذكير بالاخرة وثوابها وعقابها لاشتماله على اسباب الانس واللذة من فنون
المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب والمناظر الحسنة البهية وعلى اسباب الوحشة والمشقة من
انواع المكاره كالثيران والصواعق والسباع والاجناس والسموم والمخاوف وقد استدل بقوله خلق لكم على
ان الاشياء التي يصح ان ينتفع بها ولم تجر مجرى المحظورات في العقل خلقت في الاصل مباحة مطلقا لكل احد
ان يتناولها ويستفيد بها فان قلت هل لقول من زعم ان المعنى خلق لكم الارض وما فيها وجه صحة قلت
ان اراد بالارض الجهات السفلية دون الغبراء كما تذكر السماء وتراد الجهات العلوية جاز ذلك فان
الغبراء وما فيها واقعة في الجهات السفلية وجميعا نصب على الحال من الموصول الثاني والاستواء الاعتدال
والاستقامة يقال استوى العود وغيره اذا قام واعتدل ثم قيل استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا

من

من غير ان يلوي شيئا ومنه استعير قوله ثم استوى الى السماء اي قصد اليها بارادته ومشيئته بعد خلق ما في الارض
من غير ان يريد شيئا بين ذلك خلق شيء اخر والمراد بالسماء جهات العلو كانه قيل ثم استوى الى فوق والضمير في فتوا
ضمير مبهم وسبع سموات تفسير له كقولهم ربه رجلا وقيل الضمير راجع الى السماء والسماء في معنى الجنس وقيل جمع
سماء والوجه العربي هو الاول ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه واخلاؤه من العوج والفطور واتمام
خلقهن وهو بكل شيء عليم فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما في الارض على حسب حاجات
اهلها ومنافعهم ومصالحهم فان قلت ما فسرت به معنى الاستواء الى السماء ينافضه ثم لاعطائه معنى التراخي
والمهلة قلت ثم هاهنا لما بين الخلقتين من التفاوت وفضل خلق السموات على خلق الارض لا للتراخي في الوقت
كقوله ثم كان من الذين امنوا على انه لو كان بمعنى التراخي في الوقت لم يلزم ما اعترضت به لان المعنى
انه حين قصد الى السماء لم يحدث فيما بين ذلك اي في تضاعيف القصد اليها خلقا اخر فان قلت اما ينافض
هذا قوله والارض بعد ذلك دحيها قلت لان جرم الارض بقدم خلقه خلق السماء واما دحوها فمتاخر
وعن الحسن خلق الله الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان
وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منه الارض فذلك قوله كانتا رتقا وهو الالتصاق واذ
نصب باضمار اذكر ويجوز ان ينتصب بقالوا والملايك جمع ملاك على الاصل كالشمال في جمع شمال والحاق التاء
لتانيث الجمع وجاعل من جعل الذي له مفعولان دخل على المبتدا والخبر وهما قولك في الارض خليفة فكانا مفعولي
ومعناه مصيرا في الارض خليفة والخليفة من يخلف غيره والمعنى خليفة منكم لانهم كانوا سكان الارض فخلفهم
فيها ادم ذريته فان قلت فهلا قيل خلايف او خلفا قلت اريد بالخليفة ادم واستغني بذكره عن ذكر بنيته في
كما يستغنى بذكر اي القبيلة في قولك مفروها شم او اريد من يخلفكم او خلقا يخلفكم فوحد ذلك وقرئ خليفة بالف
ويجوز ان يريد خليفة مني لان ادم كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي انا جعلناك خليفة في الارض فان
قلت لاي غرض اخبرهم بذلك قلت ليسالوا ذلك السؤال ويجابوا بما اجيبوا به فيفرغوا لحكمته في استخلافهم
قبل كونهم صيانة لهم عن اعتراض الشبهة في وقت استخلافهم وقيل ليعلم عباده المشاورة في امورهم قبل ان يقدموا
عليها وعرضها على ثقاتهم ونصحائهم وان كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن المشاورة اجعل فيها تعجب من ان يستخلف
مكان اهل الطاعة اهل المعصية وهو الحكيم الذي لا يفعل الا الخير ولا يريد الا الخير فان قلت من اين عرفوا
ذلك حتى تعجبوا منه وانما هو عبث قلت عرفوه باخبار من الله او من جهة اللوح او ثبت في علمهم ان الملائكة وحدهم
هم الخلق المعصومون وكل خلق سواهم ليسوا على صفتهم او قاسوا احد الثقلين على الاخر حيث اسكنوا الارض ففا
فسد وايفنا قبل سكنى الملائكة وقرئ ويسفك بضم الفاء ويسفك ويسفك من اسفك وسفك والواو في ونحن
للحال كما تقول احسن الي وانا احق منه بالاحسان والتسبيح بتعبد الله من السؤ وكذلك تقديسه من سبح في الارض
والماء اذا ذهب فيها وابعد ونخدك في موضع الحال اي نسبح حامدين لك وملتبسين بحمدك لانه لولا انعامك
علينا بالتوفيق واللطف لم يتمكن من عبادتك اعلم ما لا يعلمون اي اعلم من المصالح في ذلك ما هو خفي عليكم فان
قلت هلا بين لهم تلك المصالح قلت كفى العباد ان يعلموا ان افعال الله كلها حسنة وحكمة وان خفي عليهم وجه

للحسن والحكمة على انه قد بين لهم بعض ذلك فيما اتبعه من قوله وعلم ادم الاسماء كلها واشتقاقهم ادم من الادمة و
من اديم الارض نحو اشتقاقهم يعقوب من العقب وادريس من الدرس وابليس من الابلاس وما ادم الا اسم اعجمي
واقرب امره ان يكون على فاعل كازر وغازر وعابر وشالخ وفالغ واشباه ذلك الاسماء كلها اي اسماء المسميات
فحذف المضاف لكونه معلوما ما دل ولا عليه بذكر الاسماء لان الاسم لابد له من مسمى وعوض منه اللام كقوله
واشتعل الراس فان قلت هلا زعمت انه حذف المضاف واقيم المضاف مقامه وان الاصل وعلم ادم مسميات الاسماء
قلت لان المعلم يجب تعليقه بالاسماء لا بالمسميات لقوله انبئوني باسماء هؤلاء انبئهم باسمائهم فلما انباهم باسمائهم
فكما علق الانباء بالاسماء لا بالمسميات ولم يقل انبئوني بهؤلاء وانبئهم بهم وجب تعليق التعليم بها فان قلت فما معنى تعليمه
اسماء المسميات قلت اراه الاجناس التي خلقها وعلمه ان هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وعلمه احوالها
وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنياوية ثم عرضهم اي عرض المسميات وانما ذكر لان في المسميات العقلاء فغلبهم و
انما استنباهم وقد علم عجزهم عن الانباء على سبيل التبكيت ان كنتم صادقين يعني في زعمكم اني استخلف في الارض مفسدين
سفاكين للدماء ارادة الرد عليهم وان فيمن يستخلفه من الفوائت العلمية التي هي اصول الفوايد كلها ما يستاهلون
لاجله ان يستخلفوا فاراهم بذلك وبين لهم بعض ما الجمل من ذكر المصالح في استخلافهم في قوله اني اعلم ما لا تعلمون وقوله
الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض استحضارا لقوله اني اعلم ما لا تعلمون الا انه جاء به على وجه اسبط من ذلك
واشرح وقرئ وعلم ادم على البناء للمفعول وقرئ عبد الله ثم عرضهن وقرأ ابي ثم عرضها والمعنى عرض مسمياتهن او مسمياتها
لان العرض لا يصح في الاسماء وقرئ ابنيهم بقلب الهمزة ياء وابنئهم بحذفها والهاء مكسورة فيهما التجود لله تعالى على
سبيل العبادة والتعيين على وجه التكرمة كما سجدت الملائكة لادم وابو يوسف واخوانه له ويجوز ان يختلف الاحوال
والاوقات فيه وقرأ ابو جعفر للملائكة اسجدوا بضم التاء للاتباع ولا يجوز استهلاك الحركة الاعرابية بحركة
الاتباع الا في لغة ضعيفة كقولهم الحمد لله الا ابليس استثناء متصل لانه كان جنيا واحدا بين اظهر الالوف
من الملائكة مغمورا بينهم فغلبوا عليه في قوله فسجدوا ثم استثنى منهم استثناء واحدا منهم ويجوز ان يجعل
منقطعا ابى امتنع مما امر به واستكبر عنه وكان الكافرين من جنس كفرهم الجن وشياطينهم فلذلك ابى
واستكبر لقوله كان من الجن ففسق عن امر ربه السكنى من السكون لانها نوع من اللبث والاستقرار
وانت تاكيد للمستكن في اسكن ليصح العطف عليه ورغدا وصف للمصدر اي اكلا رغدا واسعا واراها وحيث
للمكان المبهم اي اي مكان من الجنة شئتما اطلق لهما الاكل من الجنة على وجه التوسعة البالغة المزيحة
للعلة حين لم يخطر عليهما بعض الاكل ولا بعض المواضع الجامعة الماكولات من الجنة حتى لا يبقى لهما عذر في
التناول من شجرة واحدة من بين اشجارها الفائنة للحصر وكانت الشجرة فيما قيل الحنطة او الكرمة او التينة وقرئ
ولا تقربا بكسر التاء وهذي والشجرة بكسر الشين والمشيرة بكسر الشين والياء وعن ابي عمرو انه كرهها وقال
يعز اليهما بربر مكة وسودانها من الظالمين من الذين ظلموا انفسهم بمعصية الله فتكون جزم عطف على تقربا
او نصب جواب للنهي لضمير في عنها للشجرة اي فحملهما الشيطان على الزلة بسببها وتحقيقه فاصدر الشيطان
زلتهما عنها وعن هذه مثلها في قوله وما فعلته عن امري وقوله ينهون عن اكل وشرب وقيل فازلهما من الجنة بمعنى

اذهبهما

اذهبهما عنها وابعدهما كما تقول زل عن مرتبته ونزل عن ذاك اذا ذهب عنه وزل من الشهر كذا وقرئ عبد الله
فوسوس لهما الشيطان عنها وهذا دليل على ان الضمير للشجرة لان المعنى صددت ووسوست عنها فان قلت كيف
توصل الى ازلالهما ووسوستهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم قلت يجوز ان يمنع دخولها على جهة التقرب
والتكرمة فدخول الملائكة ولا يمنع ان يدخل على جهة الوسوسة ابتلاء لحال ادم وحوى وقيل كان يدنو من
السماء فيكلمها وقيل قام عند الباب فنادى وروي انه اراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل في فم الحية حتى دخلت
وهم لا يشعرون قيل اهبطوا خطاب لادم وحوى وابليس وقيل والحية والصحيح انه لادم وحوى والمراد هما و
ذريتهما لانهما لما كانا اصل الانس ومتشعبهم جعلا كانهما الانس كلهم والدليل عليه قوله قال اهبطا منها
جميعا بعضكم لبعض عدو ويدل على ذلك قوله فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا
وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وما هو الا حكم وعلم الناس كلهم ومعنى بعضكم
لبعض عدو ما عليهم الناس من التعادي وتضليل بعضهم لبعض والهبوط النزول الى الارض مستقر موضع
استقرارا واستقرار ومتاع وتمتع بالعيش الى حين يريد الى يوم القيمة وقيل الى الموت معنى تلقى استقبلها
بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرئ بنصب ادم ورفع الكلمات على انها استقبلته بان بلغته واتصلت
به فان قلت ما هن قلت ربنا ظلمنا انفسنا الاية وعن ابن مسعود ان احب الكلام الى الله ما قاله
ابونا حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فا
غفر لي فغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح
من روحك قال بلى قال الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت
واصلحت ارجعي انت الى الجنة قال نعم والكتفي بذكر توبة ادم دون توبة حوى لانها كانت بتعاله كما طوى
ذكر النساء في اكثر القرآن والسنة وقد ذكرها في قوله قال ربنا ظلمنا انفسنا فتاب عليه فرجع عليه بالترجمة
والقبول فان قلت لم كرر قلنا اهبطوا قلت التاكيد ولما ينط به من زيادة قوله فاما ياتينكم مني هدى
فان قلت ما جواب الشرط الاول قلت الشرط الثاني مع جوابه كقولك ان جئتني فان قدرت احسنت اليك
والمعنى فاما ياتينكم برسول ابعثه اليكم وكتاب انزله عليكم بدليل قوله والذين كفروا وكذبوا بآياتنا في مقابلة
قوله فمن تبع هداي فان قلت فلم جئ بكلمة الشك وايتان الهدى كائن لا محال لوجوبه قلت للايذان بان
الايمان بالله والتوحيد ولا يشترط فيه بعثة الرسل وانزال الكتب وانه لم يبعث رسولا ولم ينزل كتابا كان
الايمان به وتوحيده واجبا لما ركب فيهم من العقول ونصب لهم من الادلة ومكنهم من النظر والاستدلال فان
قلت الخطيئة التي هبط بها ادم ان كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الانبياء وان كانت صغيرة فلم
جرى عليه ما جرى بسببها من نزع اللباس والاخراج من الجنة والاهباط من السماء كما فعل بابليس وشيعته
الى النهي والعصيان ونسيان العهد وعدم العزيمة والحاجة الى التوبة قلت ما كانت الا صغيرة معمورة باعمال
قلبه من الاخلاص والافكار الصالحة التي هي اجل الاعمال واعظم الطاعات وانما جرى عليه ما جرى
تعظيما للخطيئة وتقطعا لاشباهها وتهويلا ليكون ذلك لطفا له ولذريته كاجتناب الخطايا واتقاء المآثم و

التنبيه على انه اخرج من الجنة بخطيئة واحدة فكيف يدخلها ذروة خطايا جمة وقرئ فمن تبع هداي على لغة
هذيل فلا خوف بالفتح اسرائيل هو يعقوب عم لقب له معناه في لسانهم صفوة الله وقيل عبد الله وهو ابرهيم
واسمعيل غير منصرف مثلهما لوجود العلمية والعجمة وقرئ اسرائيل واسرال وذكرهم النعمة ان لا يخلوا بشكرها
ويعتدوا بها ويستعظموها ويطيعوا مانحها واراد بها ما انعم الله به على ابائهم مما عدد عليهم من الانجاء من
فرعون وعذابه ومن الغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل والتوبة عليهم وغير ذلك وما انعم به عليهم من
ادراك زمن محمد صم المبشر به في التورية والانجيل والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد جميعا يقال اوفيت
بعهدي اي ما عاهدت عليه كقوله ومن اوفا بعهده من الله واوفيت بعهدك اي ما عاهدتك عليه ومعنى
واوفوا بعهدي واوفوا بما عاهدتموني عليه من الايمان بي والطاعة لي كقوله ومن اوفى بما عاهد عليه الله
ومنهم من عاهد الله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه اوف بعهدكم بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب
على حسناتكم واياي فارهبون فلا تنقضوا عهدي وهو من ما كانت الا صغيرة مغمورة باعمال قلبه من الاخلاص
والافكار الصالحة التي هي اجل الاعمال واعظم الطاعات وانما جنى عليه ما جنى تعظيما للخطيئة وتقطيعا
لشانها وتهويلا ليكون ذلك لطفا له ولذريته في اجتناب الخطايا واتقاء الماء اثم والتنبيه على انه اخرج من الجنة
بخطيئة واحدة فكيف يدخلها ذو خطايا جمة وقرئ فمن تبع هدي على لغة هذيل فلا خوف بالفتح اسرائيل هو
يعقوب عم لقب له ومعناه في لسانهم صفوة الله وقيل عبد الله وهو بزنة ابراهيم واسماعيل غير منصرف مثلهما لوجود
العلمية والعجمة وقرئ اسرائل واسرال وذكرهم النعمة ان لا يخلوا بشكرها ويعتدوا بها ويستعظموها ويطيعوا مانحها
واراد بها ما انعم به على ابائهم ما عدد عليهم من الانجاء من فرعون وعذابه وامن الغرق وامن العفو عن اتخاذ العجل والتوبة
عليهم وغير ذلك وما انعم به عليهم من ادراك زمن محمد صم المبشر به في التورية والانجيل والعهد يضاف الى المعاهد و
المعاهد جميعا يقال اوفيت بعهدي الى ما عهدت عليه كقوله ومن اوفى بما عاهد من الله واوفيت بعهدك الى بما عاهد
عليه الله وامنهم من عاهد الله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه اوف بعهدكم بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم
واياي فارهبون فلا تنقضوا عهدي وهو من قولك زيدا رهبته وهو اوكد في افاد للاختصاص من اياك نعبد وقرئ
اوف بالتشديد اي ابالغ في الوفاء بعهدكم كقوله من جا بالحسنة فله خير منها ويجوز ان يريد بقوله واوفوا بعهدي
ما عاهدوا عليه ووعدوه من الايمان بنبي الرحمة والكتاب المعجز ويدل عليه قوله وامنوا بما انزلت مصدقا لما معكم
اول كافر به او اول فريق او فوج كافر به او ولا تكن كل واحد منكم اول كافر به كقوله كسانا حلة اي كل واحد منا وهذا
تعريض بانه كان يجب ان يكون اول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته ولانهم كانوا المبشرين من اوحي اليه والمستفتحين
على الذين كفروا به وكانوا يعدون اتباعه اول الناس كلهم فلما بعث كان امرهم على العكس كقوله لم يكن الذين كفروا من
اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة الى قوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاتهم البينة
فلما جاهم ما عرفوا كفروا به ويجوز ان يراد ولا تكونوا مثل اول كافر به يعني من اشرك به من اهل مكة اي ولا تكونوا وانتم
تعرفونه مذكورا في التورية موصوفا مثل من لم يعرفه وهو مشرك لا كتاب له وقيل الضمير في به لما معكم لانهم اذا كفروا
بما يصدقه فقد كفروا به وللاشتراء استعارة للاستبدال كقوله اشتروا الضلالة بالهدى وقوله كما اشترى المسلم اذ تنصرا

فاني شريت الحلم بعدك بالجهل يعني ولا تستبدلوا باياتي ثمنا والا فالثمن هو المشترى به والثمن القليل الرياسة التي كانت
لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو اصبحوا اتباعا لرسول الله فاستبدلوها وهي بدل قليل ومتاع يسير بايات الله وبالحق
الذي كل كثير اليه قليل وكل كبير اليه حقير فما بال العليل الحقير وقيل كانت عامتهم يعطون احبارهم من زروعهم وثمارهم ويهدون اليهم الهدايا
ويرشونهم الرشى على تحريفهم الكلمة وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرايع وكانوا ملكوهم يدرون عليهم الاموال ليكتموا ويخوفوا التاء
التي في الباطل ان كانت صلة مثلها في قولك لبست الشيء بالشيء وخلطته به كان المعنى ولا تكتبوا في التورية ما ليس منها فيختلط الحق
المنزل بالباطل الذي كتبتم حتى لا يميز بين حقها وباطلكم وان كانت بالاستعانة كالتي في قولك كتبت بالقلم كان المعنى ولا تجعلوا الحق
ملتبسا مشتبها بباطلكم الذي تكتبونه وتكتموا جزم داخل تحت حكم النهي بمعنى ولا تكتموا او منصوب باضمار ان والواو بمعنى الجمع
اي ولا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن فان قلت لبسهم وكتمانهم ليسا بفعلين متميزين
حتى ينهوا عن الجمع بينهما لانهم اذا لبسوا الحق بالباطل فقد كتموا الحق قلت بل هما متميزان لان لبس الحق بالباطل ما ذكرنا من كتبتهم
في التورية ما ليس منها وكتمانهم الحق ان يقولوا لا نجد في التورية صفة محمد او حكم كذا او يمحوا ذلك او يكتبوا على خلاف ما هو عليه
وفي مصحف عبد الله وتكتمون بمعنى كاتمين وانتم تعلمون في حال علمكم انكم لابسون كاتمون وهو اقبح لهم لان الجهل بالقبيح ربما عذر راكبه
واقيموا الصلاة يعني صلاة المسلمين وزكاتهم واركعوا مع الراكعين منهم لان اليهود لا ركوع في صلاتهم وقيل الركوع الخضوع
والانقياد لما يلزمهم في دين الله ويجوز ان يراد بالركوع الصلاة كما يعبر عنها بالسجود وان يكون امرا بان تصلين مع المصلين يعني في
الجماعة كانه قيل واقيموا الصلاة وصلوها مع المصلين لا منفردين اتامرون الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم والبر سعة الخير
والمعروف ومنه البر لسعته ويتناول كل خير ومنه قولهم صدقت وبررت وكان للاحبار يامرون من نصحن في السر من اقاربهم باتباع محمد
ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون واذا اتوا بصدقات ليفرقوها خانوا فيها وعن محمد بن واسع بلغني ان ناسا
من اهل الجنة اطلعوا على ناس من اهل النار فقالوا لهم قد كنتم تامروننا باشياء علمناها فدخلنا الجنة قالوا كنا نامركم بها ونخالف الى غيرها
وتنسون انفسكم وتتركونها من البر كالمنسيات وانتم تتلون الكتاب بتكيت مثل قوله وانتم تعلمون يعني تتلون التورية وفيها نعت محمد
وفيها الوعيد على الخيانة وترك البر ومخالفة القول العمل اولا تعقلون توبيخ عظيم بمعنى افلا تفطنون لقبح ما اقدمتم عليه حتى
يصدكم استقباحه عن ارتكابه وكانكم في ذلك مسلوبوا العقول لان المعقول تاباه وتدفعه ونحن اف لكم ولما تعبدون من دون
الله افلا تعقلون واستعينوا على حوايجكم الى الله بالصبر والصلاة اي بالجمع بينهما وان تصلوا صابرين على تكاليف الصلاة محتملين
لمشاقها وما يجب فيها من اخلاص القلب وحفظ النيات ودفع الوساوس ومراعاة الاداب والاحتراس من المكاره مع الخشية و
الخشوع واستحضار العلم بانه انتصاب بين جبار السموات لئلا فك الرقاب عن سخطه وعذابه وامنه قوله تعالى وامر اهلك بالصلاة و
اصطبر عليها او واستعينوا على البلايا والنوايب بالصبر عليها والالتجاء الى الصلاة عند وقوعها وكان رسول الله صم اذا حزبه امر فزع الى
الصلاة وعن ابن عباس انه نعي اليه اخوه قثم وهو في السفر فاسترجع وتنحى عن الطريق فصلى ركعتين اطال فيهما الجلوس ثم قام يمشي الى
راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلاة وقيل الصبر الصوم لانه حبس عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر ويجوز ان يراد
بالصلاة الدعاء وان يستعان على البلاء بالصبر والالتجاء الى الدعاء والابتهال الى الله في دفعه وانها الضمير للصلاة او الاستعانة و
يجوز ان يكون لجميع الامور التي امر بها بنو اسرائيل ونهوا عنها من قوله اذكروا نعمتي الى واستعينوا لكبيرة لشاقة ثقيلة من قولك كبر علي
هذا الامر كبر على المشركين ما تدعوهم اليه فان قلت ما لها لم تثقل على الخاشعين والخشوع في نفسه مما يثقل قلت لانهم يتوقعون ما
ادخر للصابرين على متاعبها فتهون عليهم الا ترى الى قوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم اي يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ما عنده و

فيه وفي مصحف عبد الله يعلمون ومعناه يعلمون ان لابد من لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك ولذلك فسر يظنون بيتقنون واما من لم
يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب كانت عليهم مشقة خالصة فثقلت عليه كالمنافقين والمرائين باعمالهم ومثاله من وعد على بعض الاعمال
والصنايع اجرة زائدة على مقدار عمله فتراه يداوله بنشاط وانشراح صدر ومضاحكة لحاضرة كانه يستلذ مزاولته بخلاف حال
يتخرم بعض الظلمة ومن ثم قال رسول الله ص وجعلت قرة عيني في الصلاة وكان يقول يا بلال ارحنا والخشوع للاجنات والمتطامن و
امنة الخشعة الرملة المتطامنة واما الخضوع فالليان والانقياد ومنه خضعت بقولها اذا لينتم والى فضلتكم نصب عطف على نعمتي اي
اذكروا نعمتي وتفضيلي على العالمين على الجم الغفير من الناس كقوله باركنا فيها للعالمين يقال رايت عالما من الناس يراد الكثرة يوما
يريد يوم القيمة لايجزى لاتقضى عنها شيئا من الحقوق ومنه الحديث في جذعة ابن نيار تجزى عنك ولا تجزى عن احد بعدك وشيئا منصوب
به ويجوز ان يكون في موضع مصدر اي قليلا من الجزاء كقوله ولا يظلمون شيئا ومن قرئ لا تجزى من اجزى عنه اذا اغنى عنه فلا يكون في قراءته
الا بمعنى شيئا من الاجزاء وقرأ ابو السوار الغنوي لا تجزى نفسه عن نفسه شيئا وهذه الجملة منصوبة المحل صفة ليوما فان قلت فاين
العايد منها الى الموصوف قلت هو محذوف تقديره لا تجزى فيه ونحوه ما انشده ابو علي تروحي اجدر ان تعيلي اي ما اجدر بان تعيلي
فيه ومنهم من ينزل فيقول اتسع فيه فاجرى مجرى المفعول به فحذف الجار ثم حذف الضمير كما حذف من قوله اوما اصطادوا و
معنى التنكير ان نفسا من الانفس لا تجزى عن نفس منها شيئا من الاشياء وهو الاقناط الكلي القطاع للطامع وكذلك قوله ولا تقبل
منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي فدية لانها معادلة للمفدين ومنه الحديث لا يقبل منه صرف ولا عدل اي توبة ولا فدية وقرئ
قتادة ولا يقبل منها شفاعة على بناء الفعل للفاعل وهو الله عز وجل ونصب الشفاعة وقيل كانت اليهود تزعم ان اباءهم الانبياء
يشفعون لهم فاويسوا فان قلت هل فيه دليل على ان الشفاعة لا تقبل للعصاة قلت نعم لانه نفى ان تقضى نفس عن نفس حقا اخلت
به من فعل او ترك ثم نفى ان تقبل منها شفاعة شفيع فعلم انه لا تقبل للعصاة فان قلت الضمير في ولا تقبل منها الى اي النفسين يرجع قلت
الى الثانية العاصية غير المجزي عنها وهي التي لا يؤخذ منها عدل ومعنى لا يقبل منها شفاعة انها جاءت بشفاعة شفيع لم تقبل منها ويجوز
ان يرجع الى النفس الاولى على انها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها كما لا تجزي عنها شيئا ولو اعطت عدلا عنها لم يؤخذ منها ولا هم ينصرون معنى
ما دلت عليهم المذكرة من النفوس الكثيرة والتذكير بمعنى العباد والاناسي كما تقول ثلثة انفس اصل السلسل ولذلك يصغر ياهيل
بدلت هاؤه الفا واخص استعماله باولي الحظر والشان كالملوك واشباههم ولا يقال للاسكاف والحجام وفرعون علم لمن ملك العمالقة كقيصر
لملك الروم وكسرى لملك الفرس ولعن الفراعنة اشتقوا الفرعنة من فلان اذا عتا وتجبر وفي ملح بعضهم قد جاءكم موسى الكليم فراد في اقصى تقرعنه
وفرط عرامه وقداى ابنائكم وتحييكم يسومونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما قال عمرو بن كلثوم اذا الملك سام الناس بينا ان يقر
الخسف فينا واصله من سام سلعة اذا طلبها كانه بمعنى يبغونكم سوء العذاب ويريدونكم عليه والسوء مصدر السئ يقال اعوذ بالله من
سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب كله سيئ اشره واقطعه كانه قبح بالاضافة الى سائره ويذبحون نيابة
لقوله يسومونكم ولذلك ترك العاطف كقوله يضاهون قول الذين كفروا وقرأ الزهري يذبحون بالتخفيف كقولك قطعتها ليثاب وقطعتها
وقرئ عبد الله يقتلون وانما فعلوا بهم ذلك لان الكهنة انذروا فرعون بانه يولد مولود يكون على يديه هلاكه كما انذر نمرود فلم يغن عنهما
اجتهادهما في التحفظ وكان ما شاء الله والبلاء المحنتان اشير بذلكم الى صنيع فرعون والنعمة ان اشير به الى الانجاء فرقنا فصلنا بينهم
بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم وقرئ فرقنا بمعنى فصلنا فرق بين الشيئين وفرق بين الاشياء لان المالك كانت اثنى عشر
على عدد الاسباط فان قلت ما معنى بكم قلت فيه اوجه يراد انهم كانوا يسلكونه وينفرق الماء عند ملوكهم فكانما فرق بهم كما يفرق
بين الشيئين بما يوسط بينهما وان يراد فرقناه بسببكم وبسبب انجائكم وان يكون في موضع الحال بمعنى فرقناه ملتبسا بكم كقولك
تردى بنا الجحاجح والتريا اي تدوسها ونحن راكبوها وروى ان بني اسرائيل قالوا لموسى اين اصحابنا الاغراق قال هم في البحر وافانهم على
طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم فقال اللهم اعني على اخلاقهم السيئة فاوحى الله اليها على الحيطان فصارت فيها كوى فنظروا واوقسا معوا

ان قال بعصاك هكذا فقال

كلامهم

ادلاهم ﴿ وانتم تنظرون ﴾ ذلك وتشاهدونه لا تشكون فيه لما دخل بنو اسرائيل
صر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب يلتجئون اليه وعد الله موسى ان ينزل عليه
التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشرا ذي الحجة وقيل اربعين ليلة لان
الشهور غرر بالليالي وقربي واعدنا ان اسند وعد الى نفسه ووعد الى الله تعالى
للميقات الى الطور ﴿ من بعده ﴾ من بعد مضيه الى الطور ﴿ وانتم ظالمون ﴾
باشراككم ﴿ ثم عفونا عنكم ﴾ حين تبتم ﴿ من بعد ذلك ﴾ من بعد اتخاذكم
الامر العظيم وهو اتخاذكم العجل ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ ارادة ان تشكروا النعمة
في العفو عنكم ﴿ الكتاب والفرقان ﴾ يعني الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق
بين الحق والباطل يعني التوراة كقولك رايت الغيث والليث تريد الرجل
الجامع بين الجود والشجاعة ونحوه قوله تعالى ولقد اتينا موسى وهرون
الفرقان وضياء وذكرا يعني الكتاب الجامع بين كونه فرقانا وضياء
وذكرا او التوراة والبرهان الفارق بين الكفر والايمان من العصا وآليده
وغيرهما من الايات او الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان
انفراق البحر وقيل النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله يوم الفرقان
يوم التقى الجمعان يوم بدر وحمل قوله فاقتلوا انفسكم على الظاهر وهو النجع وقيل معناه
قتل بعضهم بعضا وقيل الامر من لم يعبد العجل ان يقتلوا العبدة وروي
ان الرجل كان يبصر ولده ووالده وجاره وقريبه فلم يمكنهم المضي لامر
الله فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها واستلوا
ان يحتبوا بافنية بيوتهم ويأخذ الذين لم يعبدوا العجل سيوفهم وقيل
لهم اصبروا فلعزائم الله من مال طرفة او حل حبوة او القى بيده او رجل فيقولون
امين فصنعوا فجلوهم الى المساء حتى دعا موسى وهرون وقالا يا رب هلكت
بنو اسرائيل البقية البقية فكشفت السحابة وتولت التوبة فسقطت
الستائر عن ايديهم وكانت القتلى سبعين الفا فان قلت ما الفرق
بين الفاءات قلت الاولى للتسبيب لان الظلم سبب التوبة والثانية
للتعقيب لان الدعاء والاجابة فاقتلوا انفسكم من قبل ان
الله تعالى جعل توبتهم قتل انفسهم وجوز ان يكون القتل تمام التوبة
فيكون المعنى فتقبوا فاقتلوا وتبعوا التوبة القتل تمة
من خلقه مجاز وقرئ ولا تخلوا الا ان يبتظم في قتلوا موسى
الا فان جعلت تاب عليكم

من الله لهم على طريقة الالتفات فيكون التقدير ففعلتم ما امركم به موسى ۞ فتاب عليكم
بارئكم فان قلت من اين اختص هذا الموضع بذكر البارئ قلت البارئ
الذي خلق الخلق بريا من التفاوت ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ومتميز
بعضه من بعض بالاشكال المختلفة والصور المتباينة فكان فيه تفريع لما كان منهم
من ترك عبادة العالم الحكيم الذي براهم بلطف حكمته على الاشكال المختلفة ابريا
من التفاوت والتنافر الى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة والبلادة وفي
امثال العرب ابلد من ثور حتى عرضوا انفسهم لسخط الله وتزول امره بان
يفك ما ركبه من خلقهم وينثر ما نظم من صورهم واشكالهم حين لم يشكروا
النعمة في ذلك وغمطوها بعبادة من لا يقدر على شيء منها قيل القايلون السبعون
الذين صعقوا وقيل قاله عشرة الاف منهم جهرة عيانا وهي مصدر من
قولك جهر بالقراءة وبالدعاء كان الذي يرى بالعين جاهر بالروية والذي يرى
بالقلب مخافت بها وانتصابها على المصدر لانها نوع من الروية فنصبت بفعلها كما
تنصب القرفصاء بفعل الجلوس او على الحال بمعنى ذوي جهرة وقرئ جهرة
بفتح الهاء وهي اما مصدر كالغلبة واما جمع جاهر وفي هذا الكلام دليل على ان موسى
عليه السلام رادهم القول وعرفهم ان روية ما لا يجوز عليه ان يكون في جهرة محال وان
من استجاز على الله الروية فقد جعله من جملة الاجسام والاعراض فرادوه
بعد بيان الحجة ووضوح البرهان ولجوا فكانوا في الكفر كعبدة العجل فسلط الله
عليهم الصعقة كما سلط على اوليك القتل تسوية بين الكفرين ودلالة على
عظمها بعظم المحنة والصاعقة ما صعقهم اي اماتهم قيل نار وقعت من السماء
فاحرقتهم وقيل صيحة جات من السما وقيل ارسل الله جنودا سمعوا
بحسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وموسى عليه السلام لم تكن
صعقته موتا ولكن غشية بدليل قوله فلما افاق والظاهر انه اصابهم
ما ينظرون اليه لقوله وانتم تنظرون وقرا علي رضي الله عنه فاخذتكم
الصعقة لعلكم تشكرون نعمة البعث بعد الموت او نعمة الله بعد
ما كفرتموها اذا رايتم باس الله في رميكم بالصاعقة واذاقتكم الموت وظللنا
[illegible] وذلك في التيه سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم
[illegible]

السلوى وهي السماني فيذبح الرجل منها ما يكفيه ۞ كلوا على ارادة القول ۞ وما ظلمونا
يعني وظلموا بان كفروا هذه النعم وما ظلمونا فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وما ظلمونا
عليه ۞ القرية بيت المقدس وقيل اريحا من قرى الشام امروا بدخولها
بعد التيه ۞ والباب باب القرية وقيل هو باب القبة التي كانوا عليها يصلون
اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى امروا بالسجود عند الانتهاء الى
الباب شكرا لله وتواضعا وقيل السجود ان ينحنوا ويتطامنوا داخلين
ليكون دخولهم بخشوع واخبات وقيل طوطي لهم الباب ليخفضوا روسهم فلم
يخفضوها ودخلوا متزحفين على اوراكهم ۞ حطة فعلة من الحط كالجلسة
والركبة وهي خبر مبتدا محذوف اي مسلتنا حطة او امرك حطة والاصل
النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وانما رفعت لتعطي معنى الثبات كقوله
صبر جميل فكلانا مبتلى والاصل صبرا على اصبر صبرا وقرا ابن ابي عبلة
بالنصب على الاصل وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية
ونستقر فيها فان قلت هل يجوز ان تنصب حطة في قراءة من نصبها بقولوا
على معنى قولوا هذه الكلمة قلت لا يبعد والاجود ان تنصب باضمار فعلها
وينتصب محل ذلك المضمر بقولوا وقرئ يغفر لكم على البناء للمفعول بالياء
والتاء ۞ وسنزيد المحسنين اي من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا
في زيادة ثوابه ومن كان مسيئا كانت له توبة ومغفرة ۞ فبدل الذين ظلموا
اي وضعوا مكان حطة قولا غيرها يعني انهم امروا بقول معناه التوبة
والاستغفار فخالفوه الى قول ليس معناه معنى ما امروا به ولم يمتثلوا امر
الله وليس الغرض انهم امروا بلفظ بعينه وهو لفظ الحطة فجاوا بلفظ
اخر لانهم لو جاوا بلفظ اخر مستقل بمعنى ما امروا به لم يواخذوا به كما لو
قالوا مكان حطة نستغفرك ونتوب اليك او اللهم اعف عنا وما اشبه
ذلك وقيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا
اي حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند الله
الى طلب ما يشتهون من اعراض الدنيا وفي تكرير الذين ظلموا زيادة في
تقبيح امرهم وايذان بان انزال الرجز عليهم لظلمهم وقد جاء في سورة
الاعراف فارسلنا عليهم على الاضمار والرجز العذاب وقرئ بضم
الراء وروي انه مات منهم في ساعة بالطاعون اربعة وعشرون الفا وقيل
سبعون الفا عطشوا في التيه فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل له اضرب

بعصاك الحجر واللام اما للعهد والاشارة الى حجر معلوم فقد روي انه حجر طوري حمله
معه وكان حجرا مربعا له اربعة اوجه كانت تنبع من كل وجه ثلث اعين لكل سبط
عين تسيل في جدول الى السبط الذي امر ان يسقيهم وكانوا ستماية الف وسعة
المعسكر اثني عشر ميلا وقيل اهبطه ادم من الجنة فتوارثوه حتى وقع الى
شعيب فدفعه اليه مع العصا وقيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين
اغتسل اذ رموه بالادرة ففر به فقال له جبريل يقول لك الله تعالى ارفع هذا
الحجر فان فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله في مخلاته واما للجنس اي اضرب الشي
الذي يقال له الحجر وعن الحسن لم يامره ان يضرب حجرا بعينه قال وهذا اظهر
في الحجة وابين في القدرة وروي انهم قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض
ليست بها حجارة فحمل حجرا في مخلاته فحيثما نزلوا القاه وقيل كان يضربه
بعصاه فينفجر ويضربه بها فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا
فاوحي اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان
من رخام وكان ذراعا في ذراع وقيل مثل راس الانسان وقيل
كان من اس الجنة طوله عشرة اذرع على طول موسى وله شعبتان تتقدان
في الظلمة وكان يحمل على حمار فانفجرت الفا متعلقة بمحذوف اي فضرب فانفجرت
او فان ضربت فقد انفجرت كما ذكرنا في قوله فتاب عليكم وهي على هذا فاء فصيحة
لا تقع الا في كلام بليغ وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان كل
اناس كل سبط مشربهم عينهم التي يشربون منها كلوا على ارادة القول من
رزق الله مما رزقكم من الطعام وهو المن والسلوى ومن ماء العيون وقيل
الماء ينبت منه الزروع والثمار فهو رزق يوكل منه ويشرب والعثي اشد
الفساد فقيل لهم لا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم لانهم كانوا متمادين فيه
كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم فاجموا ما كانوا فيه من النعمة وطلبت انفسهم
الشقاء على طعام واحد ارادوا ما رزقوا في التيه من المن والسلوى فان
قلت هما طعامان فما لهم قالوا على طعام واحد قلت ارادوا بالواحد ما لا يختلف
وما لا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل الوان عدة يداوم عليها كل يوم لا
يبدلها قيل لا ياكل فلان الا طعاما واحدا يراد بالوحدة نفي التبدل والاختلاف
ويجوز ان يريدوا انهما ضرب واحد لانهما معا من طعام اهل التلذذ والتترف
ونحن قوم فلاحة اهل زراعات فما نريد الا ما الفناه وضربنا به من الاشياء
المتفاوتة كالبقول والحبوب ونحو ذلك ومعنى يخرج لنا يظهر لنا ويوجد

والبقل

والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايب البقول التي ياكلها الناس كالنعناع
والكرفس والكراث واشباهها وقرئ وقثائها بالضم والفوم الحنطة ومنه فوموا
لنا اي اخبزوا وقيل الثوم ويدل عليه قراءة ابن مسعود وثومها وهو
للعدس والبصل اوفق الذي هو ادنى الذي هو اقرب منزلة وادون مقدارا
والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار فيقال هو داني المحل وقريب المنزلة
كما يعبر بالبعد عن عكس ذلك فيقال بعيد المحل وبعيد الهمة يريدون الرفعة
والعلو وقرا زهير الفرقبي ادنا بالهمز من الدناة اهبطوا مصرا وقرئ
اهبطوا بالضم اي انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل
به وهبط منه اذا خرج وبلاد التيه ما بين بيت المقدس الى قنسرين
وهي اثنا عشر فرسخا في ثمانية فراسخ ويحتمل ان يريد العلم وانما صرفه مع
اجتماع السببين فيه وهما التعريف والتانيث لسكون وسطه كقوله ونوحا
ولوطا وفيهما العجمة والتعريف وان اريد به البلد فما فيه الا سبب واحد
وان يريد مصرا من الامصار وفي مصحف عبد الله وقرا به الاعمش اهبطوا
مصر بغير تنوين كقوله ادخلوا مصر وقيل هو مصر ابيم فعرب وضربت عليهم
الذلة جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون في القبة من
ضربت عليه او الصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على
الحائط فيلزمه فاليهود صاغرون اذلاء اهل مسكنة ومدقعة اما على
الحقيقة واما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة ان تضاعف عليهم الجزية
وباءوا بغضب من الله من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا ان يقتل به
لمساواته له ومكافاته اي صاروا احقاء بغضبه ذلك اشارة الى ما تقدم
من ضرب الذلة والمسكنة والخلاقة بالغضب اي ذلك بسبب كفرهم وقتلهم
الانبياء وقد قتلت اليهود لعنوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم فان قلت
قتل الانبياء لا يكون الا بغير الحق فما فايدة ذكره قلت معناه انهم قتلوهم بغير
الحق عندهم لانهم لم يقتلوا ولا افسدوا في الارض فيقتلوا وانما نصحوهم ودعوهم
الى ما ينفعهم فقتلوهم فلو سيلوا وانصفوا من انفسهم لم يذكروا وجها يستحقون
به القتل عندهم وقرا علي رضي الله عنه ويقتلون بالتشديد ذلك تكرار
للاشارة بما عصوا بسبب ارتكابهم انواع المعاصي واعتدائهم حدود
الله في كل شي مع كفرهم بايات الله وقتلهم الانبياء وقيل هو اعتداؤهم في
السبت ويجوز ان يشار بذلك الى الكفر وقتل الانبياء على معنى ان ذلك بسبب

الدقعاء التراب يقال دقع الرجل بكسر القاف اذا لصق بالتراب

عصيانهم واعتدائهم لانهم انهمكوا فيه وعلوا حتى قست قلوبهم فجسروا على عظائم
الآيات وقتل الانبياء وذلك الكفر والقتل مع ما عصوا ۞ ان الذين امنوا ۞
بالسنتهم من غير مواطاة القلوب وهم المنافقون ۞ والذين هادوا والذين تهودوا
يقال هاد يهود وتهود اذا دخل في اليهودية وهو هائد والجمع هود ۞ والنصارى
وهو جمع نصران يقال رجل نصران وامرأة نصرانة قال ۞ نصرانة لم تحنف
والياء في نصراني للمبالغة كالتي في احمري ۞ سموا بذلك لانهم نصروا المسيح ۞ والصابئين
وهو من صبأ اذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية
وعبدوا الملائكة ۞ من امن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل في ملة
الاسلام دخولا اصيلا ۞ وعمل صالحا فلهم اجرهم ۞ الذي يستوجبونه بايمانهم
وعملهم فان قلت ما محل من امن قلت الرفع ان جعلته مبتدأ خبره فلهم
اجرهم والنصب ان جعلته بدلا من اسم ان والمعطوف عليه فخبر ان في
الوجه الاول الجملة كما هي وفي الثاني فلهم والفاء لتضمن من معنى الشرط
۞ واذ اخذنا ميثاقكم بالعمل على ما في التوراة ۞ ورفعنا فوقكم الطور حتى
قبلتم واعطيتم الميثاق وذلك ان موسى عليه الصلاة والسلام جاءهم بالالواح فيها
ما فيها من الاصار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبريل
فقلع الطور من اصله ورفعه فظلله فوق رؤسهم وقال لهم موسى ان قبلتم والا ألقي
عليكم حتى قبلوا ۞ خذوا على ارادة القول ۞ ما اتيناكم من الكتاب ۞ بقوة بجد
وعزيمة ۞ واذكروا ما فيه واحفظوا ما في الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا
عنه ۞ لعلكم تتقون رجاء منكم ان تكونوا متقين او قلنا خذوا واذكروا ارادة
ان تتقوا ۞ ثم توليتم اعرضتم عن الميثاق والوفاء به ۞ فلولا فضل الله عليكم
بتوفيقكم للتوبة لخسرتم وقرئ خذوا ما اتيناكم واذكروا ما فيه ۞ لعلكم
سبت اليهود اذا عظمت يوم السبت وان ناسا منهم اعتدوا فيه اي جاوزوا ما
حد لهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه واشتغلوا بالصيد وذلك ان الله ابتلاهم
فما كان يبقى حوت الا اخرج خرطومه يوم السبت فاذا مضى تفرقت كما قال تأتيهم
حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بفسقهم واحتفروا حياضا
عند البحر وشرعوا اليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد
فذلك الجرس في الحياض هو اعتداؤهم ۞ قردة خاسئين خبر كان اي كونوا جامعين
بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد ۞ فجعلناها ۞ يعني المسخة ۞ نكالا
عبرة تنكل من اعتبر بها اي تمنعه ومنه النكال للقيد ۞ لما بين يديها لما قبلها

وما خلفها

۞ وما خلفها ۞ وما بعدها من الامم والقرون لان مسختهم ذكرت في كتب الاولين فاعتبروا
بها واعتبر بها من بلغتهم من الاخرين او اريد بما بين يديها ما حضرها من
القرى والامم وقيل نكالا عقوبة منكلة لما بين يديها لاجل ما تقدمها من ذنوبهم
وما تاخر منها ۞ وموعظة للمتقين ۞ للذين يهمهم امر الاعتداء من صالحي قومهم
او لكل متق سمعها كان في بني اسرائيل شيخ موسر فقتل ابنه بنو اخيه ليرثوه
وطرحوه على باب المدينة ثم جاءوا يطالبون بدمه فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه
ببعضها ليحيا فيخبرهم بقاتله ۞ قالوا اتتخذنا هزوا ۞ الحملون مكان هزء او اهل
هزء او مهزوا ۞ ابنا او الهزء لفظه لفرط الاستهزاء ۞ من الجاهلين ۞ لان الهزء
في مثل هذا من باب الجهل والسفه وقرئ هزءا بضمتين وهزءا بسكون الزاي نحو
كفوا وكفوا ۞ والعياذ اللياذ من واد واحد وقراءة عبد الله سل لنا ربك
ما هي ۞ سؤال عن حالها وصفتها وذلك انهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها
ميت فيحيا فسألوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشان الخارجة عما عليه البقر
۞ والفارض المسنة وقد فرضت فروضا قال حفاف بن ندبة ۞ لعمري لقد اعطيت
ضيفك فارضا تساق اليه ما تقوم على رجل وكانها سميت فارضا لانها فرضت سنها
اي قطعتها وبلغت اخرها ۞ والبكر الفتية ۞ والعوان النصف قال ۞ نواعم
بين ابكار وعون وقد عونت فان قلت بين يقتضي شيئين فصاعدا فمن اين جاز دخوله على لا قلت لانه في معنى شيئين حيث وقع جوابا لقوله اي ما ذكر
من الفارض والبكر فان قلت كيف جاز ان يشار به الى مونثين وانما هو
للاشارة الى واحد مذكر قلت جاز ذلك على تاويل ما ذكر وما يقدم الامر
في الكلام كما جعلوا فعل ناب عن افعال لجملة تذكر قبله تقول للرجل نعم ما
فعلت وقد ذكر لك افعالا كثيرة وقصة طويلة كما تقول له ما احسن ذاك وقد
يجري الضمير مجرى اسم الاشارة في هذا قال ابو عبيدة قلت لرؤبة في
قوله فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق ان اردت الخطوط
قلت كانها وان اردت السواد والبلق قلت كانها فقال اردت كان ذاك وبلك
والذي حسن منه ان اسم الاشارة تثنيها وجمعها وتانيثها ليست على الحقيقة
وكذلك الموصولات ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع ما تؤمرون اي ما
تومرونه بمعنى تومرون به من قولك ۞ امرتك الخير او امرتك بمعنى امرت بك
تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير ۞ الفقوع اشد ما يكون من الصفرة
وانصعه يقال في التوكيد اصفر فاقع وورس كما يقال اسود حالك وحانك

تم الجزء الاول من الكشاف ويليه الجزء الثاني وأوله قوله تعالى وإذ قال موسى لقومه

وابيض يقق وبهق واسمر قاني وذريحي واخضر ناضر ومدهام واورق خطباني
وارمك ردائي فان قلت فاقع هنا واقع خبرا عن اللون فلم يقع توكيدا لصفراء
قلت لم يقع خبرا عن اللون انما وقع توكيدا لصفراء الا انه ارتفع اللون به ارتفاع
الفاعل واللون من سببها وملتبس بها فلم يكن فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء
فاقع لونها فان قلت فهلا قيل صفراء فاقعة لونها واي فايدة في ذكر اللون قلت
الفايدة فيه التوكيد لان اللون اسم للهيئة وهي الصفرة فكانه قيل شديدة الصفرة
صفرتها فهو من قولك جد جده وجنونك مجنون وعن وهب اذا نظرت اليها خيل
اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها والسرور لذة في القلب عند حصول نفع
او توقعه وعن علي رضي الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه لقوله تسر الناظرين
وعن الحسن البصري صفراء فاقع لونها سود اشد بدة السواد ولعله مستعار
من صفة الابل لان سوادها يعلوه صفرة وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر وقال
الاعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبيب ما هي مرة
ثانية تكرير للسوال عن حالها وصفتها واستكشاف زايد ليزدادوا بيانا لوصفها
وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو اعترضوا ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد
الله عليهم والاستقصاء شوم وعن بعض الخلفا انه كتب الى عامله بان
يذهب الى قوم فيقطع اشجارهم ويهدم دورهم فكتب اليه بايهما ابدا فقال ان قلت
لك يقطع الشجر سالتني باي نوع منها ابدا وعن عمر بن عبد العزيز اذا امرتك
ان تعطي فلانا شاة سالتني اضاين ام ماعز فان بينت لك قلت اذكر ام
انثى فان اخبرتك قلت اسوداء ام بيضا فاذا امرتك بشي فلا تراجعني وفي
الحديث اعظم الناس جرما من سال عن شي لم يحرم فحرم لاجل مسلته ان
البقر تشابه علينا اي ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه
علينا ايها تذبح وقرئ تشابه بمعنى تتشابه بطرح التاء وادغامها في الشين
وتشابهت ومتشابهة ومتشابه وقرا محمد ذو الشامة ان البقر يشابه بالياء
والتشديد جا في الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد اي لو لم يقولوا ان
شا الله والمعنى انا لمهتدون الى البقرة المراد ذبحها او الى ما خفي علينا من
امر القاتل لا ذلول صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول يعني لم تذلل للكراب
واثارة الارض ولا هي من النواضح التي يسنى عليها لسقي الحروث ولا الاولى
للنفي والثانية مزيدة لتوكيد الاولى لان المعنى لا ذلول تثير وتسقي على
ان الفعلين صفتان لذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرا ابو عبد الرحمن

السلمي

السلمي لا ذلول بمعنى لا ذلول هناك اي حيث هي وهو نفي لذلها ولان توصف به فيقال هي ذلول
ونحوه قولك مررت بقوم لا بخيل ولا جبان اي فيهم او حيث هم وقرئ تسقي بضم التاء
من اسقى مسلمة سلمها الله من العيوب او معفاة من العمل سلمها اهلها منه كقوله
او معبرة الظهر ينبي عن وليته ما حج ربه في الدنيا ولا اعتمرا او مخلصة اللون
من سلم له كذا اذا خلص له لم تشب صفرتها شي من الالوان لا شية فيها
لا لمعة في ثقبتها من لون اخر سوى الصفرة فهي صفراء كلها حتى قرنها وظلفها وهي
في الاصل مصدر وشاة وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا اخر ومنه ثور موشي
القوايم الان جيت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة وما بقي اشكال في امرها
فذبحوها اي فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف كلها فذبحوها وقوله وما
كادوا يفعلون استثقال لاستقصايهم واستبطاء لهم وانهم لتطويلهم المفرط
وكثرة استكشافهم ما كادوا يذبحونها وما كادت تنتهي سوالاتهم وما كاد ينقطع خيط
اسهابهم فيها وتعمقهم وقيل وما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة
في ظهور القاتل وروي انه كان في بني اسرايل شيخ صالح له عجلة فاتى بها الغيضة
وقال اللهم اني استودعتكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فشبت وكانت من
احسن البقر واسمنه فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت
وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة اربعين سنة فان قلت
كانت البقرة التي تناولها الامر بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة
بلون وصفات فذبحوا المخصوصة فما فعل الامر الاول قلت رجع منسوخا لانتقال
الحكم الى البقرة المخصوصة والنسخ قبل الفعل جايز على ان الخطاب كان لابهامه
متناولا لهذه البقرة الموصوفة كما تناول غيرها ولو وقع الذبح عليها لحكم الخطاب قبل
التخصيص لكان امتثالا له فكذلك اذا وقع عليها بعد التخصيص واذ قتلتم نفسا
خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم فادارأتم فاختلفتم واختصمتم في شانها لان
المختصمين يدرأ بعضهم بعضا اي يدفعه ويزحمه او تدافعتم بمعنى طرح قتلها
بعضكم على بعض فدفع المطروح عليه الطارح او لان الطرح في نفسه دفع او دفع
بعضكم بعضا عن البراة واتهمه والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهر لا محالة ما
كتمتم من امر القتل لا يتركه مكتوما فان قلت كيف اعمل مخرج وهو في معنى المضي
قلت قد حكي ما كان مستقبلا في وقت التدارؤ كما حكي الحاضر
في قوله باسط ذراعيه وهذه الجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه
وهما ادارأتم فقلنا والضمير في اضربوه اما ان يرجع الى النفس والتذكير على

تاويل الشخص او الانسان واما الى القتيل لما دل عليه من قوله ما كنتم تكتمون ببعضها
ببعض البقرة واختلف في البعض الذي ضرب به فقيل لسانها وقيل فخذها اليمنى وقيل
عجبها وقيل العظم الذي يلي الغرضوف وهو اصل الاذن وقيل الاذن وقيل
البضعة بين الكتفين والمعنى فضربوه فحيي فحذف ذلك لدلالة قوله كذلك يحيي
الله الموتى روي انهم لما ضربوه قام باذن الله واوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان
وفلان لابني عمه ثم سقط ميتا فاخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك كذلك يحيي
الله الموتى يوم القيامة ويريكم اياته ودلائله على انه قادر على كل شيء لعلكم تعقلون
تعلمون على قضية عقولكم وان من قدر على احياء نفس واحدة قدر على احياء الانفس
كلها لعدم الاختصاص حتى لا ينكروا البعث واما ان يكون خطابا للمنكرين في زمن رسول
الله صلى الله عليه وسلم فان قلت هلا احياه ابتداء ولم شرط في احيائه ذبح البقرة وضربه
ببعضها قلت في الاسباب والشروط حكم وفوائد وانما شرط ذلك لما في ذبح البقرة من
التقرب واداء التكليف واكتساب الثواب والاشعار بحسن تقديم القربة على الطلب
وما في التشديد عليهم لتشديدهم من اللطف لهم ولآخرين في ترك التشديد والمسارعة
الى امتثال اوامر الله وارتسامها على الفور من غير تفتيش وتكثير سؤال ونفع اليتيم
بالتجارة الرابحة والدلالة على بركة البر بالابوين والشفقة على الاولاد وتجهيل الهازئ
بما لا يعلم كنهه ولا يطلع على حقيقته من كلام الحكماء وبيان ان من حق المتقرب الى ربه
ان يتنوق في اختيار ما يتقرب به وان يختاره فتي السن غير فحم ولا ضرع حسن
اللون بريا من العيوب يونق من ينظر اليه وان يغالي بثمنه كما يروى عن عمر رضي
الله عنه انه ضحى بنجيبة بثلثمائة دينار وان الزيادة في الخطاب نسخ له وان النسخ
قبل الفعل جائز وان لم يجز قبل وقت الفعل وامكانه لادائه الى البداء وليعلم
بما امر من مس الميت بالميت وحصول الحيوة عقيبه ان المؤثر هو المسبب لا الاسباب
لان الموتين الحاصلين في الجسمين لا يعقل ان يتولد منهما حيوة فان قلت فما للقصة
لم تقص على ترتيبها وكان حقها ان يقدم ذكر القتيل والضرب ببعض البقرة على الامر
بذبحها وان يقال واذ قتلتم نفسا فادارأتم فقلنا اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها قلت
كل ما قص من قصص بني اسرائيل انما قص تعديدا لما وجد منهم من الجنايات وتقريعا
لهم عليها ولما جدد فيهم من الايات العظام وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة
بنوع من التقريع وان كانتا متصلتين متحدتين فالاولى لتقريعهم على الاستهزاء
وترك المسارعة الى الامتثال وما يتبع ذلك والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة
وما يتبعه من الاية العظيمة وانما قدمت قصة الامر بذبح البقرة على ذكر القتيل لانه

اما ان يكون خطابا للذين حضروا احياء القتيل بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى صح

لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض في تثنية التقريع ولقد
روعيت نكتة بعد ما استؤنفت الثانية استيناف قصة برأسها
ان وصلت بالاولى دلالة على اتحادهما بضمير البقرة لا باسمها الصريح في
قوله اضربوه ببعضها حتى تبين انهما قصتان فيما يرجع الى التقريع وتثنيته
باخراج الثانية مخرج الاستيناف مع تاخيرها وانهما قصة واحدة بالضمير
الراجع الى البقرة معنى ثم قست قلوبكم استبعاد القسوة من بعد ما
ذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها ونحوه ثم انتم تمترون وصفة القلوب
بالقسوة والغلظ مثل لنبوها عن الاعتبار وان المواعظ لا تؤثر فيها
وذلك اشارة الى احياء القتيل او الى جميع ما تقدم من الايات المعدودة
فهي كالحجارة فهي في قسوتها مثل الحجارة او اشد قسوة منها واشد
معطوف على الكاف اما على معنى او مثل اشد قسوة فحذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة الاعمش بنصب الدال عطفا على الحجارة
واما على معنى او هي في انفسها اشد قسوة والمعنى ان من عرف حالها شبهها
بالحجارة او بجوهر اقسى منها وهو الحديد مثلا او من عرفها شبهها بالحجارة او
قال هي اقسى من الحجارة فان قلت لم قيل اشد قسوة وفعل القسوة
مما يخرج منه افعل التفضيل وفعل التعجب قلت لكونه ابين وادل
على فرط القسوة ووجه اخر وهو ان لا يقصد معنى الاقسى ولكن قصد
وصف القسوة بالشدة وقرئ قساوة وترك ضمير المفضل عليه لعدم
الالباس كقولك زيد كريم وعمرو اكرم وقوله وان من الحجارة بيان
لفضل قلوبهم على الحجارة في شدة القسوة وتقرير لقوله او اشد قسوة وقرئ
وان بالتخفيف وهي ان المخففة من الثقيلة التي تلزمها اللام الفارقة ومنها
قوله وان كل لما جميع والتفجر التفتح بالسعة والكثرة وقرا مالك بن دينار
ينفجر يتشقق وبه قرا الاعمش والمعنى ان من الحجارة ما فيه
خروق واسعة يتدفق منها الماء الكثير الغزير ومنها ما ينشق انشقاقا
بالطول او بالعرض فينبع منه الماء ايضا يهبط يتردى من اعلى الجبل
وقرئ بضم الياء والخشية مجاز عن انقيادها لامر الله وانها لا تمتنع على ما
يريد فيها وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تفعل ما امرت به وقرئ يعملون
بالياء والتاء وهو وعيد افتطمعون الخطاب لرسول الله والمؤمنين
ان يؤمنوا لكم ان يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله فامن له

كانه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم اشد قسوة فهي

لوط يعني اليهود ۞ وقد كان فريق منهم ۞ طايفة منهم ۞ يسمعون كلام الله ۞ وهو ما يتلونه
من التورية ۞ ثم يحرفونه ۞ كما حرفوا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم واية الرجم وقيل
كان قوم من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور وما امر به ونهى
ثم قالوا سمعنا الله يقول في اخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشيا فافعلوها وان
شيتم فلا تفعلوا فلا باس وقرئ كلم الله ۞ من بعد ما عقلوه ۞ من بعد ما فهموه ۞
وضبطوه بعقولهم ولم يبق لهم شبهة في صحته ۞ وهم يعلمون ۞ انهم كاذبون مفترون
والمعنى ان كفر هولاء وحرفوا التورية فلهم سابقة في ذلك ۞ واذا لقوا ۞ يعني اليهود
۞ قالوا ۞ قال منافقوهم ۞ امنا ۞ بانكم على الحق وان محمدا هو الرسول المبشر به ۞ واذا خلا
بعضهم ۞ الذين لم ينافقوا ۞ الى بعض ۞ الذين نافقوا ۞ قالوا ۞ عاتبين عليهم ۞ اتحدثونهم
بما فتح الله عليكم ۞ بما بين لكم في التورية من صفة محمد وقال المنافقون لاعقابهم يرونهم
التصلب في دينهم اتحدثونهم انكارا عليهم ان يفتحوا عليهم شيا في كتابهم فينافقون المومنين
وينافقون اليهود ۞ ليحاجوكم به عند ربكم ۞ ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا
محاجتهم به وقولهم هو في كتابكم هكذا محاجة عند الله الا تراك تقول هو في كتاب
الله هكذا وهو عند الله هكذا بمعنى واحد ۞ يعلم ۞ جميع ۞ ما يسرون وما يعلنون ۞ فمن
ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان ۞ ومنهم اميون ۞ لا يحسنون الكتب فيطالعوا التورية
ويتحققوا ما فيها ۞ لا يعلمون الكتاب ۞ التورية ۞ الا اماني ۞ الا ما هم عليه من امانيهم وان
الله يعفوا عنهم ويرحمهم ولا يواخذهم بخطاياهم وان اباهم الانبياء يشفعون لهم وما
يمنيهم اخبارهم من ان النار لا تمسهم الا اياما معدودة وقيل الا اكاذيب مختلقة
سمعوها من علمايهم فتقبلوها على التقليد قال اعرابي لابن داب في شي حدث به اهذا
شي رويته ام تمنيته اي اختلقته وقيل الا ما يقراون من قوله ۞ تمنى كتاب الله اول
ليلة ۞ والاشتقاق من منى اذا قدر لان المتمني يقدر في نفسه ويحزر ما يتمناه وكذلك
المختلق والقارئ يقدر ان كلمة كذا بعد كذا والاماني من الاستثنا المنقطع وقرئ
اماني بالتخفيف ذكر العلماء الذين عاندوا بالتحريف مع العلم والاستيقان ثم العوام
الذين قلدوهم ونبه على انهم في الضلال سواء لان العالم عليه ان يعمل بعلمه وعلى
العامي ان لا يرضى بالتقليد والظن وهو متمكن من العلم ۞ يكتبون الكتاب ۞ المحرف
۞ بايديهم ۞ تاكيد وهو من المجاز التاكيد كما تقول لمن ينكر معرفة ما كتبه يا هذا ما كتبته
بيمينك هذه ۞ مما يكسبون ۞ من الرشى ۞ اياما معدودة ۞ اربعين يوما عدد ايام عبادة
العجل وعن مجاهد كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب مكان
كل الف سنة يوما ۞ فلن يخلف الله ۞ متعلق بمحذوف تقديره ان اتخذتم عنده عهدا

فلن

فلن يخلف الله عهده ۞ وام اما ان تكون معادلة بمعنى اي الامرين كاين على سبيل
التقرير لان العلم واقع بكون اخرهما ويجوز ان تكون منقطعة ۞ بلى ۞ اثبات لما بعد حرف
النفي وهو قوله لن تمسنا النار اي بلى تمسكم ابدا بدليل قوله هم فيها خالدون
۞ من كسب سيية ۞ من السيات يعني كبيرة من الكباير ۞ واحاطت به خطيته ۞ تلك واستولت
عليه كما يحيط العدو ولم يتفص عنها بالتوبة وقرئ خطاياه وخطياته وقيل في الاحاطة
كان ذنبه اغلب من طاعته وسال رجل الحسن فقال سبحان الله الا اراك ذا لحية
وما تدري ما الخطية انظر في المصحف فكل اية نهى الله عنها واخبرك انه من عمل بها ادخله
النار فهي الخطية المحيطة ۞ لا تعبدون ۞ اخبار في معنى النهي كما تقول تذهب الى فلان
تقول له كذا تريد الامر وهو ابلغ من صريح الامر والنهي لانه كانه سورع الى الامتثال
والانتها فهو يخبر عنه وتنصره قراة عبد الله وابي لا تعبدوا ولا بد من ارادة القول
ويدل عليه ايضا قوله وقولوا وقوله ۞ وبالوالدين احسانا ۞ اما ان تقدر وتحسنون ۞
بالوالدين احسانا او واحسنوا وقيل هو جواب قوله اخذنا ميثاق بني اسرايل اجراء
له مجرى القسم كانه قيل واذ اقسمنا عليهم لا تعبدون وقيل معناه الا تعبدوا فلما
حذفت ان رفع كقوله ۞ الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ۞ ويدل عليه قراة عبد الله
ان لا تعبدوا ويحتمل ان لا تعبدوا ان تكون ان مفسرة فيه وان تكون ان مع الفعل بدلا
عن الميثاق كانه قيل اخذنا ميثاق بني اسرايل توحيدهم وقرئ بالتاء حكاية
لما خوطبوا وبالياء لانهم غيب ۞ حسنا ۞ قولا هو حسن الاشراط حسنه وقرئ حسنا
وحسنى على المصدر كبشرى ۞ ثم توليتم ۞ على طريقة الالتفات اي توليتم عن الميثاق
ورفضتموه ۞ الا قليلا ۞ منكم قيل هم الذين اسلموا منهم ۞ وانتم معرضون ۞ وانتم قوم
عادتكم الاعراض عن المواثيق والتولية ۞ لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم
من دياركم ۞ لا يفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به اصلا
او دينا وقيل اذا قتل غيره فكانما قتل نفسه لانه يقتص منه ۞ ثم اقررتم ۞ بالميثاق واعترفتم
على انفسكم بلزومه ۞ وانتم تشهدون ۞ عليها كقولك فلان مقر على نفسه بكذا شاهد
عليها وقيل وانتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق
۞ ثم انتم هولاء ۞ استبعاد لما اسند اليهم من القتل والاجلاء والعدوان بعد اخذ
الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم والمعنى ثم انتم بعد ذلك هولاء المشاهدون يعني
انكم قوم اخرون غير اوليك المقرين تنزيلا لتغير الصفة منزلة تغير الذات كما تقول
رجعت بغير الوجه الذي خرجت به وقوله ۞ تقتلون ۞ بيان لقوله ثم انتم هولاء وقيل
هولاء موصول بمعنى الذين وقرئ تظاهرون ۞ بحذف التا وادغامها وتتظاهرون

باثباتها وتظهرون بمعنى تتظاهرون اي تتعاونون عليهم وقرئ تفدوهم وتفادوهم وأسرى وأسارى
وهو ضمير الشان ويجوز ان يكون مبهما تفسيره اخراجهم افتؤمنون ببعض الكتاب
اي بالفداء وتكفرون ببعض اي بالقتال والاجلاء وذلك ان قريظة كانوا حلفاء
الاوس والنضير حلفاء الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه واذا غلبوا خربوا
ديارهم واخرجوهم واذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوا فعيرتهم
العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم علينا
قتالهم ولكنا نستحيي ان نذل حلفاءنا والخزي قتل بني قريظة واسرهم اجلاء
بني النضير وقيل الجزية وانما رد من فعل منهم ذلك الى اشد العذاب لان عصيانه
اشد وقرئ تردون وتعملون بالياء والتاء فلا يخفف عنهم عذاب الدنيا بنقصان الجزية ولا
ينصرهم احد بالدفع عنهم وكذلك عذاب الاخرة الكتاب التوراة اتاه اياها جملة واحدة
ويقال قفاه اذا اتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب وقفاه به اتبعه اياه يعني
وارسلنا على اثره الكثير من الرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى وهم يوشع واشمويل
وشمعون وداود وسليمان وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس
وزكريا ويحيى وغيرهم وقيل عيسى بالسريانية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وقيل المريم
بالعربية من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه
ووزن مريم عند النحويين مفعل لان فعيلا بفتح الفاء لم يثبت في الابنية كما ثبت
نحو عثير وعليب البينات المعجزات الواضحات والحجج كاحياء الموتى وابراء الاكمه
والابرص والاخبار بالمغيبات وقرئ وايدناه ومنه آجده بالجيم اذا قواه لقال
الحمد لله الذي اجدني بعد ضعف واوجدني بعد فقر بروح القدس بالروح
المقدسة كما تقول حاتم الجود ورجل صدق ووصفها بالقدس كما قال وروح
منه فوصفه بالاختصاص والتقريب للكرامة وقيل لانه لم تضمه الاصلاب ولا ارحام
الطوامث وقيل بجبريل وقيل بالانجيل كما قال في القران روحا من امرنا وقيل باسم الله
الاعظم الذي كان يحيي الموتى تذكره والمعنى ولقد اتينا يا بني اسرائيل انبياءكم
ما اتيناهم فكلما جاءكم رسول منهم بالحق استكبرتم عن الايمان به فوسط بين
الفاء وما تعلق به همزة التوبيخ والتعجيب من شانهم ويجوز ان يريد ولقد اتيناهم
ما اتيناهم ففعلتم ما فعلتم ثم وبخهم على ذلك ودخول الفاء لعطفه على المقدر
فان قلت هلا قيل وفريقا قتلتم قلت هو على وجهين ان يراد الحال الماضية
لان الامر فظيع فاريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب وان يراد
وفريقا تقتلونهم بعد لانكم حول قتل محمد لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه

وسممتم

وسممتم له الشاة وقال عليه السلام عند موته ما زالت اكلتي خيبر تعادني فهذا اوان قطعت
ابهري غلف جمع اغلف اي هي خلقة وجبلة مغشاة باغطية لا يتوصل اليها ما جاء به
محمد ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختن كقولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه
ثم رد الله ان تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق بان الله
لعنهم وخذلهم بسبب كفرهم فهم الذين غلفوا قلوبهم بما احدثوا من الكفر الزائغ عن الفطرة
وتسببوا بذلك لمنع الالطاف التي تكون للمتوقع ايمانهم وللمؤمنين فقليلا ما يؤمنون
فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب ويجوز ان تكون القلة بمعنى
العدم وقيل غلف تخفيف غلف جمع غلاف اي قلوبنا اوعية للعلم فنحن مستغنون
بما عندنا عن غيره وروي عن ابي عمرو قلوبنا غلف بضمتين كتاب من عند الله هو
القران مصدق لما معهم من كتاب لا يخالفه وقرئ مصدقا على الحال فان قلت
كيف جاز نصبها عن النكرة قلت اذا وصف النكرة تخصص فصح انتصاب الحال عنه
وقد وصف كتاب بقوله من عند الله وجواب لما محذوف وهو نحو كذبوا به واستهانوا
بمجيئه وما اشبه ذلك يستفتحون على الذين كفروا يستنصرون على المشركين اذا قاتلوهم
قالوا اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في اخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التورية يقولون
لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي نخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل
عاد وارم وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم قد
قرب اوانه والسين للمبالغة اي يسألون انفسهم الفتح عليهم كالسين في استعجب
واستسخر او يسأل بعضهم بعضا ان يفتح عليهم فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا
به بغيا وحسدا وحرصا على الرياسة على الكافرين اي عليهم وضعا للظاهر موضع
المضمر للدلالة على ان اللعنة لحقتهم لكفرهم واللام للعهد ويجوز ان تكون للجنس ويدخلوا
فيها دخولا اوليا ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس بمعنى بئس شيئا اشتروا به
انفسهم والمخصوص بالذم ان يكفروا واشتروا بمعنى باعوا بغيا حسدا وطلبا لما
ليس لهم وهو علة اشتروا ان ينزل لان ينزل او على ان ينزل اي حسدوه على ان
ينزل الله من فضله الذي هو الوحي على من يشاء ويقتضي حكمته ارساله فباءوا
بغضب على غضب فصاروا احقاء بغضب مترادف لانهم كفروا بنبي الحق وبغوا
عليه وقيل كفروا بمحمد بعد عيسى وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد
الله مغلولة وغير ذلك من انواع كفرهم بما انزل الله مطلق فيما انزل الله من
كل كتاب قالوا نؤمن بما انزل علينا مقيد بالتورية ويكفرون بما وراءه اي قالوا
ذلك والحال انهم يكفرون بما وراء التورية وهو الحق مصدقا لما معهم منها غير مخالف

له وفيه رد لمقالتهم لانهم اذا كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها ثم اعترض عليهم بقتلهم الانبياء مع ادعائهم الايمان بالتوراة والتوراة لا تسوغ قتل الانبياء ﴿ وانتم ظالمون، لجواز ان يكون حالا اي عدتم العجل وانتم واضعون العبادة غير موضعها وان يكون اعتراضا بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم وكرر رفع الطور لما نيط به من زيادة ليست مع الاولى مع ما فيه من التوكيد ﴿ واسمعوا، ما امرتم به في التوراة ﴿ قالوا سمعنا، قولك ﴿ وعصينا، امرك فان قلت فكيف طابق جوابهم قوله قلت طابقه من حيث انه قال لهم اسمعوا وليس مما علم سماع تقبل وطاعة فقالوا ولكن لا سماع طاعة ﴿ واشربوا في قلوبهم العجل، اي تداخلهم حبه والحوص على عبادته كما يتداخل الثوب الصبغ وقولهم في قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما يأكلون في بطونهم نارا تكفرهم اي بسبب كفرهم ﴿ قل بئسما يأمركم به ايمانكم، بالتوراة لانه ليس في التوراة عبادة العجل واضافة الامر الا ايمانهم تهكم كما قال قوم شعيب اصلواتك تأمرك وكذلك اضافة الايمان اليهم وقوله ﴿ ان كنتم مؤمنين، تشكيك في ايمانهم وقدح في صحة دعواهم له ﴿ خالصة، نصب على الحال من الدار الاخرة والمراد الجنة اي سالمة لكم خالصة بكم ليس لاحد سواكم فيها حق يعني ان صح قولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او الناس للجنس وقيل للعهد وهم المسلمون ﴿ فتمنوا الموت، لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاق اليها وتمنى سرعة الوصول الى النعيم والتخلص من الادرذات الشوايب كما روي عن المبشرين بالجنة ما روي ان عليا رضي الله عنه يطوف بين الصفين في غلالة فقال له ابنه الحسن رضي الله عنه ما هذا بزي المحاربين فقال يا بني لا يبالي ابوك على الموت سقط ام سقط الموت عليه وعن حذيفة انه كان يتمنى الموت فلما احتضر قال حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم يعني على التمني وقال عمار بصفين الآن ألاقي احبتي محمدا وحزبه وكان كل واحد من العشرة احب الموت وكن اليه وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الارض يهودي ﴿ بما قدمت ايديهم، بما اسلفوا من موجبات النار من الكفر بالحق وما جابه وتحريف كتاب الله وسائر انواع الكفر والعصيان وقوله ﴿ ولن يتمنوه ابدا، من المعجزات لانه اخبار بالغيب فكان كما اخبر به كقوله ولن تفعلوا فان قلت ما ادراك انهم لم يتمنوا قلت لانهم لو تمنوا لنقل ذلك كما نقل سائر الحوادث ولكان ناقلوه من اهل الكتاب وغيرهم من اولي المطاعن في الاسلام الكثير الذب والبين منهم احد لنقل ذلك فان قلت التمني من اعمال القلوب وهو سر لا يطلع عليه احد فمن اين علمت انهم

لم يتمنوا قلت ليس التمني من اعمال القلوب انما هو قول الانسان بلسانه ليت لي كذا اذا قال قالوا تمنى وليت كلمة التمني ومحال ان يقع التحدي بما هو في الضمائر والقلوب ولو كان التمني بالقلوب وتمنوا لقالوا قد تمنينا الموت في قلوبنا ولم ينقل انهم قالوا ذلك فان قلت لم يقولوه لانهم علموا انهم لا يصدقون قلت كم حكي عنهم من اشياء قالوها بألسنتهم من الافتراء على الله وتحريف كتابه وغير ذلك فما علموا انهم غير مصدقين فيه وما كان له الا الكذب البحت ولم يبالوا فكيف يمتنعون من ان يقولوا ان التمني من افعال القلوب وقد فعلناه مع احتمال ان يكونوا صادقين في قولهم واخبارهم عن ضمايرهم وكان الرجل يخبر عن نفسه بالايمان فيصدق مع احتمال ان يكون كاذبا لانه امر خاف لا سبيل الى الاطلاع عليه ﴿ والله عليم بالظالمين، تهديد لهم هو من وجد بمعنى علم المتعدي الى مفعولين في قولهم وجدت زيدا ذا الحفاظ ومفعولاه ﴿ هم احرص، فان قلت لم قال على حياة بالتنكير ﴿ قلت لانه اراد حياة مخصوصة وهي الحياة المتطاولة ولذلك كانت القراءة بها او قع من قراءة ابي على الحياة ﴿ ومن الذين اشركوا، محمول على المعنى لان معنى احرص الناس احوص من الناس فان قلت الم يدخل الذين اشركوا تحت الناس قلت بلى ولكنهم افردوا بالذكر لان حرصهم شديد ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف للدلالة احرص الناس عليه وفيه توبيخ عظيم لان الذين اشركوا لا يؤمنون بعاقبة وما يعرفون الا الحياة الدنيا فحرصهم عليها لا يستبعد لانها جنتهم فاذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا باعظم التوبيخ فان قلت لم زاد حرصهم على حرص المشركين قلت لانهم علموا لعلمهم بحالهم انهم صايرون الى النار لا محالة والمشركون لا يعلمون ذلك ﴿ وقيل اراد بالذين اشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون لملوكهم عش الف نيروز والف مهرجان وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو قول الاعاجم زي هزار سال وقيل ومن الذين اشركوا كلام مبتدا اي ومنهم ناس يود احدهم على حذف الموصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم والذين اشركوا اشارة الى اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله والضمير في وما هو لاحدهم وان يعمر فاعل بمزحزحه اي وما احدهم بمزحزحه من النار تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره وان يعمر بدل منه ويجوز ان يكون هو مبهما وان يعمر موضحه والزحزحة التبعيد والاحاءة فان قلت بود احدهم ما موقعه قلت هو بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف فان قلت كيف اتصل لو يعمر بود احدهم قلت هي حكاية لودادتهم

ولو في معنى التمني وكان القياس لو أعمر الا انه جرى على لفظ الغيبة لقوله يود احدهم
كقولك حلف بالله ليفعلن روي ان عبد الله بن صوريا من احبار فدك حاج رسول الله
صلى الله عليه وسلم وساله عمن يهبط عليه بالوحي فقال جبريل فقال ذاك عدونا ولو
كان غيره لامنا بك وقد عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس
سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل
وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه وان لم يكن اياه فعلى اي
حق تقتلونه وقيل امر الله ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا وروي انه كان لعمر
رضي الله عنه ارض باعلى المدينة وكان يمر على مدراس اليهود فكان يجلس اليهم
ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد اجبناك وانا لنطمع فيك فقال والله ما اجيئكم لحبكم
ولا اسالكم لاني شاك في ديني وانما ادخل فيكم لازداد بصيرة في امر محمد وارى
اثاره في كتابكم ثم سالوه عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا
وهو صاحب كل خسف وعذاب وان ميكائيل يجي بالخصب والسلم فقال لهم
وما منزلتهما من الله قالوا اقرب منزلة جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره
وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر لئن كان كما تقولون فما هما بعدوين ولانتم اكفر
من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما كان عدوا للاخر ومن كان عدوا لهما كان
عدوا لله ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لقد وافقك ربك يا عمر فقال عمر رضي الله عنه لقد رايتني في دين الله بعد ذلك
اصلب من الحجر وقرئ جبرئل بوزن قفشليل وجبرائل بخلاف اليا وجبريل
بخلاف الهمزة وجبريل بوزن قنديل وجبرائل بلام شديدة وجبرائيل
بوزن جبراعيل وجبرائل بوزن جبراعل ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة
وقيل معناه عبد الله الضمير في نزله للقران ونحو هذا الاضمار اعني اضمار ما
لم يسبق ذكره فيه فخامة لشان صاحبه حيث يجعل لفرط شهرته كانه يدل على
نفسه ويكتفي عن اسمه الصريح بذكر شي من صفاته على قلبك اي حفظه اياك
وفهمكه باذن الله بتيسيره وتسهيله فان قلت كان حق الكلام ان يقال على
قلبي قلت جات على حكاية كلام الله كما تكلم به كانه قيل قل ما تكلمت به من
قولي من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك فان قلت كيف استقام
قوله فانه نزله جزاء للشرط قلت فيه وجهان احدهما ان عادى جبريل
احد من اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين
يديه فلو انصفوا لاحبوه وشكروا له صنيعه في انزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل

عليهم

عليهم والثاني ان عاداه احد فالسبب في عداوته انه نزل عليك القران مصدقا لكتابهم
وموافقا له وهم كارهون للقران ولموافقته لكتابهم ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون
موافقته له كقولك ان عاداك فلان فقد اذيته واسات اليه افرد الملكان بالذكر
لفضلهما كانهما من جنس اخر وهو مما ذكر ان التغاير في الوصف ينزل منزلة التغاير
في الذات وقرئ ميكال بوزن قنطار وميكاييل كميكاعيل وميكايل كميكاعل
وميكئيل كميكعل وميكائيل كميكاعيل وميكئيل كميكعيل قال ابن جني
العرب اذا نطقت بالاعجمي خلطت فيه عدو للكافرين اراد عدو لهم فجا بالظاهر
ليدل على ان الله انما عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة كفر واذا كانت عداوة
الانبياء كفرا فما بال الملائكة وهم اشرف والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه
اشد العقاب الا الفاسقون الا المتمردون من الكفرة وعن الحسن اذا استعمل
الفسق في نوع من المعاصي وقع على اعظم ذلك النوع من كفر وغيره وعن ابن
عباس قال ابن صوريا للنبي صلى الله عليه وسلم ما جيتنا بشي نعرفه وما انزل عليك من
اية فنتبعك لها فنزلت واللام في الفاسقون للجنس والاحسن ان تكون اشارة
الى اهل الكتاب او كلما الواو للعطف على محذوف معناه اكفروا بالايات البينات
وكلما عاهدوا وقرا ابو السماك بسكون الواو على ان الفاسقون بمعنى الذين فسقوا
فكانه قيل وما يكفر بها الا الذين فسقوا او نقضوا عهد الله مرارا كثيرة
وقرئ عوهدوا وعهدوا واليهود موسومون بالغدر ونقض العهود وكم
اخذ الله الميثاق منهم ومن ابائهم فنقضوا وكم عاهدهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلم يفوا الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة والنبذ الرمي
بالذمام حتى ذمة ورفضه وقرا عبد الله نقضه فريق منهم وقال فريق منهم لان
منهم من لم ينقض بل اكثرهم لا يومنون بالتورية وليسوا من الذين في شي فلا يعدون
نقض المواثيق ذنبا ولا يبالون به كتاب الله يعني التوراة لانهم يكفرهم برسول الله
صلى الله عليه وسلم المصدق لما معهم كافرون بها نابذون لها وقيل كتاب الله القران
نبذوه بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول كانهم لا يعلمون انه كتاب الله لا يدخلهم
فيه شك يعني ان علمهم بذلك رصين ولكنهم كابروا وعاندوا ونبذوه وراء
ظهورهم مثل لتركهم واعراضهم عنه مثل بما يرمى به وراء الظهر استغناء عنه
وقلة التفات اليه وعن الشعبي هو بين ايديهم يقراونه ولكنهم نبذوا العمل
به وعن سفين ادرجوه في الديباج والحرير وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله
ولم يحرموا حرامه واتبعوا اي نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين
يعني واتبعوا كتب السحر والشعوذة التي كانت تقرؤها على ملك سليمان اي على

عهد ملكه وفي زمانه وذلك أن الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يضمون الى ما سمعوا اكاذيب
يلفقونها ويلقونها الى الكهنة وقد دونوا ذلك في كتب يقرونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك
في زمن سليمان حتى قالوا ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما
تم لسليمان ملكه الا بهذا العلم وبه تسخر الانس والجن والريح التي تجري بامره
وما كفر سليمان تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت به سليمان في اعتقاد
السحر والعمل به وسماه كفرا ولكن الشياطين هم الذين كفروا باستعمال السحر
وتدوينه يعلمون الناس السحر يقصدون به اغواءهم واضلالهم وما انزل
على الملكين عطف على السحر اي ويعلمونهم ما انزل على الملكين وقيل هو عطف على
ما تتلوا اي واتبعوا ما انزل وهاروت وماروت عطف بيان للملكين علمان
لها والذي انزل عليهما هو علم السحر بلاء من الله للناس من تعلمه منهم وعمل
به كان كافرا ومن تجنبه او تعلمه ليلا يعمل به ولكن ليتوقاه وليلا يغتر به كان
مومنا عرفت الشر لا للشر لكن لتتوقيه وفي لا يعرف الشر يقع فيه كما ابتلي قوم طالوت
بالنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني وقرا الحسن على الملكين بكسر اللام
على ان المنزل عليهما علم السحر كانا ملكين ببابل وما يعلم الملكان احدا حتى يقولا
ويقولا له انما نحن فتنة اي ابتلاء واختبار من الله فلا تكفر فلا تتعلم معتقدا انه
حق فتكفر فيتعلمون الضمير لما دل عليه من احد اي فيتعلم الناس من الملكين
ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي علم السحر الذي يكون سببا في التفريق بين الزوجين
من حيلة وتمويه كالنفث في العقد ونحو ذلك مما لحدث الله عنده التفريق والنشوز والخلاف
ابتلاء منه لان السحر له اثر في نفسه بدليل قوله وما هم بضارين به من احد
الا باذن الله لانه ربما احدث الله عنده فعلا من افعاله ولم يالف تحدث ويتعلمون
ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم يقصدون به الشر وفيه ان اجتنابه اصلح كتعلم الفلسفة
التي لا توصل الا الجر الى الغواية ولقد علم هولاء اليهود ان من اشتراه اي استبدل
ما تلوا الشياطين من كتاب الله ما له في الاخرة من خلاق من نصيب ولبئس ما
شروا به انفسهم اي باعوها وقرا الحسن الشياطون وعن بعض العرب بستان
فلان حوله بستانون وقد ذكر وجهه فيما بعد وقرا الزهري هاروت وماروت
بالرفع على هما هاروت وماروت وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف ولو كانا
الهة وامرين وهو الكفر كما زعم بعضهم لانصرفا وقرا طلحة وما يعلمان من اعلم
وقري بين المرء بضم الميم وكسرها مع الهمز والمرء بالتشديد على تقدير التخفيف
والوقف كقولهم فرج واجراء الوصل مجرى الوقف وقراء الاعمش وما هم بضاري بظرح

النون والاضافة الى احد والفصل بينهما بالظرف فان قلت كيف يضاف الى احد
وهو مجرور من قلت جعل الجار جزءا من المجرور فان قلت كيف اثبت لهم العلم
اولا في قوله ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمي ثم نفاه عنهم في قوله لو كانوا
يعلمون قلت معناه لو كانوا يعلمون بعلمهم حين لم يعملوا به كانهم مسلوخون
عنه ولو انهم امنوا برسول الله والقران واتقوا الله فتركوا ما هم عليه من
نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين لمثوبة من عند الله خير وقري لمثوبة
مثوبة ومشورة لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير لما هم فيه وقد علموا
لكنه جهلهم لتركهم العمل بالعلم فان قلت كيف اوثرت الجملة الاسمية على
الفعلية في جواب لو قلت لما في ذلك من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها
كما عدل عن النصب الى الرفع في سلام عليكم كذلك فان قلت فهلا قيل لمثوبة
الله خير قلت لان المعني لشيء من الثواب خير لهم ويجوز ان يكون قوله ولو
انهم امنوا تمييزا لابهامهم على سبيل المجاز عن ارادة الله ايمانهم واحتيارهم له كانه
قيل ولو تبين امنوا ثم ابتدي لمثوبة من عند الله خير كان المسلمون يقولون
لرسول الله اذا القي عليهم شيء من العلم راعنا يا رسول الله اي راقبنا وانظرنا
وتانّ بنا حتى نفهمه ونحفظه وكانت لليهود كلمة يتاعون بها عبرانية او سريانية
فلما سمعوا بقول المومنين راعنا اقتضوه وخاطبوا به الرسول
وهم يعنون به تلك المسبة فنهي المومنون عنها وامروا بما هو في معناها وهو انظرنا
من نظر اذا انتظر وقرا ابي انظرنا في النظرة اي امهلنا حتى نحفظ وقرا عبد الله
بن مسعود راعونا على انهم كانوا يخاطبونه بلفظ الجمع للتوقير وقراءة الحسن راعنّا
بالتنوين في الرعن وهو التوحش اي لا تقولوا قولا راعنا منسوبا الى الرعن
رعينا كدارع ولابن لانه لما اشبه قولهم راعينا وكان سببا في السب اتصف بالرعن
واسمعوا واحسنوا سماع ما يكلمكم به رسول الله وبلقى عليكم فلم لم يامروا
واعية واذهان حاضرة حتى لا احتاجوا الى الاستعادة وطلب الاعاده
او واسمعوا سماع قبول وطاعة ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا
وعصينا او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا توجعوا الى ما نهيتم عنه تاكيد اعليهم
في ترك تلك الكلمة روي ان سعد بن معاذ سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة الله
والذي نفسي بيده ليس سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن
عنقه فقالوا اوليستم تقولونها فنزلت والكافرين اللهود الذين نافوا
برسول الله وشبهوه عذاب اليم من الاولى للبيان لان الذين كفروا اجنس تحته

الضالين هو الكفر الامين

نوعان اهل الكتاب والمشركون كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين
والثانية مزيدة لاستغراق الخير والثالثة لابتدا الغاية ۞ والخير الوحي
وكذلك الرحمة كقوله اهم يقسمون رحمة ربك والمعنى انهم يرون انفسهم
احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم وما يحبون ان ينزل عليكم شي من الوحي ۞
والله يختص بالنبوة ۞ من يشاء ۞ ولا يشاء الا ما تقتضيه الحكمة
۞ والله ذو الفضل العظيم ۞ اشعار بان ايتاء النبوة من الفضل العظيم
كقوله ان فضله كان عليك عظيما كبيرا روي انهم طعنوا في النسخ فقالوا الا
ترون الى محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامرهم بخلافه ويقول اليوم
قولا ويرجع عنه غدا فنزلت وقرئ ما ننسخ من اية وما ننسخ بضم النون
من انسخ ۞ او ننساها ۞ وقرئ ننسها وننسها بالتشديد وننسها وننسها
على خطاب الرسول وقرا عبد الله ما ننسك من اية او ننسخها وقرا حذيفة
ما ننسخ من اية او ننسكها ونسخ الاية ازالتها بابدال الاخرى مكانها وانساخها
الامر بنسخها وهو ان يامر جبريل بان يجعلها منسوخة بالاعلام بنسخها ونسوها
تاخيرها واذهابها لا الى بدل وانساوها ان يذهب بحفظها عن القلوب
والمعنى ان كل اية نذهب بها على ما توجبه المصلحة من ازالة لفظها
وحكمها معا او من ازالة احدهما الى بدل او غير بدل نات باية خير منها
للعباد اي باية العمل بها اكثر للثواب ۞ او مثلها في ذلك على كل شي قدير
فهو يقدر على الخير وما هو خير منه وعلى مثله في الخير ۞ له ملك السموات
والارض اذ الذي معه خير فهو يملك اموركم ويدبرها ويجريها على حسب ما
يصلحكم وهو اعلم بما يتعبدكم به من ناسخ ومنسوخ لما بين لهم انه مالك
امورهم ومدبرها على حسب مصالحهم من نسخ الايات وغيره وقررهم على ذلك
بقوله الم تعلم اراد ان يوصيهم بالثقة به فيما هو اصلح لهم مما يتعبدهم به
وينزل عليهم وان لا يقترحوا على رسولهم ما اقترحته اباء اليهود على موسى
من الاشيا التي كانت عاقبتها وبالا عليهم كقولهم اجعل لنا الها ارنا الله
جهرة وغير ذلك ۞ ومن يتبدل الكفر بالايمان ۞ ومن ترك الثقة بالايات
المنزلة وشك فيها واقترح غيرها ۞ فقد ضل سوا السبيل ۞ روي ان فنحاص
بن عازورى وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار
بن ياسر بعد وقعة احد الم تروا الى ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم
فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار

كيف

كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني قد عاهدت ان لا اكفر بمحمد ما عشت ۞
فقالت اليهود اما هذا فقد صبا وقال حذيفة واما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد ۞
نبيا وبالاسلام دينا وبالقران اماما وبالكعبة قبلة وبالمومنين اخوانا ثم اتيا رسول ۞
الله صلى الله عليه وسلم واخبراه فقال اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت ۞ ود كثير من اهل الكتاب
لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم ۞ فان قلت بما تعلق قوله
من عند انفسهم قلت فيه وجهان احدهما ان يتعلق بود على معنى انهم تمنوا ۞
ان ترتدوا عن دينكم وتمنيهم ذلك من عند انفسهم ومن قبل شهوتهم لا من قبل ۞
التدين والميل مع الحق لانهم ودوا ذلك ۞ من بعد ما تبين لهم ۞ انكم على الحق فكيف ۞
يكون تمنيهم من قبل الحق واما ان يتعلق بحسدا اي حسدا متبالغا منبعثا من ۞
اصل نفوسهم ۞ فاعفوا واصفحوا ۞ فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من ۞
الجهل والعداوة ۞ حتى ياتي الله بامره ۞ الذي هو قتل بني قريظة واجلا بني النضير ۞
واذلالهم بضرب الجزية عليهم ۞ ان الله على كل شي قدير ۞ فهو يقدر على الانتقام منهم ۞ من
خير ۞ من حسنة من صلوة او صدقة او غيرهما ۞ تجدوه عند الله ۞ تجدوا ثوابه عنده
۞ ان الله بما تعملون بصير ۞ عالم لا يضيع عنده عمل عامل الضمير في وقالوا لاهل الكتاب
من اليهود والنصارى والمعنى وقالت اليهود ۞ لن يدخل الجنة الا من كان هودا ۞ او
والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فلف من القولين ثقة بان السامع يرد الى
كل فريق قوله وامنا من الالباس لما علم من التعادي بين الفريقين وتضليل كل واحد
منهما لصاحبه ونحو قوله وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا والهود جمع هائد كعائذ
وعوذ وبازل وبزل ۞ فان قلت كيف قيل كان هودا على توحيد الاسم وجمع الخبر قلت
حملا الاسم على لفظ من والخبر على معناه كقراءة الحسن الا من هو صالوا الجحيم وقوله
فان له نار جهنم خالدين وقرا ابي بن كعب الا من كان يهوديا او نصرانيا ۞ فان قلت
لم قيل تلك امانيهم ۞ وقولهم لن يدخل الجنة امنية واحدة قلت اشير بها الى الاماني
المذكورة وهي امنيتهم ان لا ينزل على المومنين خير من ربهم وامنيتهم ان يردوهم
كفارا وامنيتهم ان لا يدخل الجنة غيرهم اي تلك الاماني الباطلة امانيهم وقوله
۞ قل هاتوا برهانكم ۞ متصل بقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وتلك
امانيهم اعتراض او اريد امثال تلك الامنية امانيهم على حذف المضاف واقامة
المضاف اليه مقامه يريد ان امانيهم جميعا في البطلان مثل امنيتهم هذه والامنية
افعولة من التمني مثل الاضحوكة والاعجوبة ۞ هاتوا برهانكم ۞ هلموا حجتكم على اختصاصكم
بدخول الجنة ۞ ان كنتم صادقين ۞ في دعواكم وهذا اهدم شي لمذهب المقلدين وان

كل قول لا دليل عليه هو باطل وهات صوت بمنزلة ها في معنى احضر ۞ بلى ۞ اثبات لما يفوت من دخول
غيرهم الجنة ۞ من اسلم وجهه لله ۞ من اخلص نفسه له لا يشرك به غيره ۞ وهو محسن ۞ في عمله ۞ فله
اجره ۞ الذي استوجبه فان قلت من اسلم وجهه كيف موقعه قلت يجوز ان يكون
بلى ردا لقولهم ثم يقع من اسلم كلاما مبتدا ويكون من متضمنا لمعنى الشرط وجوابه
فله اجره وان يكون من اسلم فاعلا لفعل محذوف اي بلى يدخلها من اسلم على شي
على شي يصح ويعتد به وهذه مبالغة عظيمة لان المج والمعدوم يقع عليهما اسم الشي فاذا نفي
اطلاق اسم الشي عليه فقد بولغ في ترك الاعتداد به الى ما ليس بعده وهذا كقولهم
اقل من لا شي ۞ وهم يتلون الكتاب ۞ الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وحالهم
انهم من اهل العلم والتلاوة للكتب وحق من حمل التورية او الانجيل او غيرهما
من كتب الله وامن به ان لا يكفر بالباقي لان كل واحد من الكتابين مصدق للثاني
شاهد بصحته وكذلك كتب الله جميعا متواردة في تصديق بعضها بعضا ۞ كذلك ۞ اي
مثل ذلك الذي سمعت به على ذلك المنهاج قال الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة
الاصنام والمعطلة ونحوهم قالوا لكل اهل دين ليسوا على شي وهذا توبيخ عظيم لهم
حيث نظموا انفسهم في سلك من لا يعلم وروي ان وفد نجران لما قدموا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتاهم احبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود
وما انتم على شي من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لهم نحوه وكفروا
بموسى والتورية ۞ فالله يحكم ۞ بين اليهود والنصارى يوم القيامة بما يقسم لكل فريق
منهم من العقاب الذي استحقه وعن الحسن حكم الله بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار
۞ ان يذكر ۞ ثاني مفعولي منع لانك تقول منعته كذا ومثله وما منعنا ان نرسل وما منع
الناس ان يومنوا ويجوز ان يحذف حرف الجر مع ان ولك ان تنصبه مفعولا له
بمعنى منعها كراهة ان يذكر وهو حكم عام لجنس مساجد الله وان مانعها من ذكر
الله مفرط في الظلم والسبب فيه ان النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس
الاذى ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وان الروم غزوا فيه اهله فخربوه واحرقوا
التورية وقتلوا وسبوه وقيل منع المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل
المسجد الحرام عام الحديبية فان قلت فكيف قيل مساجد الله وانما وقع المنع
والتخريب على مسجد واحد وهو بيت المقدس او المسجد الحرام قلت لا باس ان
يجي الحكم عاما وان كان السبب خاصا كما تقول لمن اذى صالحا واحدا ومن اظلم ممن
اذى الصالحين وكما قال الله عز وجل ويل لكل همزة لمزة والمنزول فيه الاخنس
بن شريق ۞ وسعى في خرابها ۞ بانقطاع الذكر او بتخريب البنيان وينبغي ان يراد من

منع

منع العموم كما اريد بمساجد الله ولا يراد الذين منعوا باعيانهم من اوليك النصارى او المشركين
۞ اوليك المانعون ۞ ما كان لهم ان يدخلوها ۞ اي ما كان ينبغي لهم ان يدخلوا مساجد الله ۞
الا خايفين ۞ على حال التهيب وارتعاد الفرايص من المومنين ان يبطشوا بهم فضلا
ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المومنين منها والمعنى ما كان الحق والواجب الا ذلك
لولا ظلم الكفرة وعتوهم وقيل ما كان لهم في حكم الله يعني ان الله قد حكم وكتب في اللوح
انه ينصر المومنين ويقويهم حتى لا يدخلوها الا خايفين روي انه لا يدخل بيت المقدس
احد من النصارى الا متنكرا مسارقة وقال قتادة لا يوجد نصراني في بيت المقدس
الا انهك ضربا وابلغ اليه في العقوبة وقيل نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا يحجن
بعد هذا العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان وقرا عبد الله الا خيفا وهو مثل
صيم وقد اختلف الفقها في دخول الكافر المسجد فجوزه ابو حنيفة ولم يجوزه مالك
وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول
والتخلية بينهم وبينه كقوله وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ۞ خزي ۞ قتل وسبي او
ذلة بضرب الجزية وقيل فتح مداينهم قسطنطينية ورومية وعمورية ۞ ولله المشرق
والمغرب ۞ اي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها لله هو مالكها ومتوليها ۞ فاينما تولوا ۞
ففي اي مكان فعلتم التولية يعني تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله تعالى فول
وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ۞ فثم وجه الله ۞ اي
جهته التي امر بها ورضيها والمعنى انكم ان منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او في بيت
المقدس فقد جعلت لكم الارض مسجدا فصلوا في اي بقعة شيتم من بقاعها وافعلوا
التولية فيها فان التولية ممكنة في كل مكان لا تختص امكانها في مسجد دون مسجد ولا في
مكان دون مكان ۞ ان الله واسع ۞ الرحمة يريد التوسعة على عباده والتيسير عليهم
۞ عليم ۞ بمصالحهم وعن ابن عمر نزلت في صلوة المسافر على الراحلة اينما توجهت وعن
عطا عميت القبلة على قوم فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاهم فعذروا
وقيل معناه فاينما تولوا للدعاء والذكر ولم يرد الصلوة وقرا الحسن فاينما تولوا
بفتح التاء والذكر من التولي يريد فاينما توجهوا القبلة ۞ وقالوا ۞ وقرى بغير واو
يريد الذين قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله والملايكة بنات الله ۞ سبحانه ۞
تنزيه له عن ذلك وتبعيد ۞ بل له ما في السموات والارض ۞ هو خالقه ومالكه ومن جملته الملايكة
وعزير والمسيح ۞ كل له قانتون ۞ منقادون لا يمتنع شي منهم على تكوينه وتقديره ومشيته
ومن كان بهذه الصفة لم يجانس ومن حق الولد ان يكون من جنس الوالد والتنوين في كل
عوض من المضاف اليه اي كل ما في السموات والارض ويجوز ان يراد كل من جعلوه لله

ولداله قانتون مطيعون عابدون مقرون بالربوبية منكرون لما اضافوا فان قلت كيف جاء
بما الذي لغير اولي العلم مع قوله قانتون قلت هو كقوله سبحان ما سخركن لنا وكانه جا بما دون
من تحقيرا لهم وتصغيرا لشانهم كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا يقال بدع الشي فهو
بديع كقولك بزع الرجل فهو بزيع وبديع السموات من اضافة الصفة المشبهة الي فاعلها
اي بديع سمواته وارضه وقيل البديع بمعني المبدع كما ان السميع في قول عمرو
امن ريحانة الداعي السميع بمعني المسمع وفيه نظر كن فيكون من كان التامة اي احدث
فيحدث وهذا مجاز من الكلام وتمثيل ولا قول ثم كما لا قول في قوله اذ قالت الانساع للبطن الحق
وانما المعني انما قضاه من الامور واراد كونه فانما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع
ولا توقف كما ان المامور المطيع الذي يومر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يكون منه
الاباء اكد بهذا استبعاد الولادة لان من كان بهذه الصفة من القدرة كانت
حاله مباينة لاحوال الاجسام في توالدها وقري بديع السموات مجرورا علي انه بدل
من الضمير في له وقرا المنصور بالنصب علي المدح وقال الذين لا يعلمون وقال
الجهلة من المشركين وقيل من اهل الكتاب ونفي عنهم العلم لانه لم يعملوا به لولا
يكلمنا الله كما يكلم الملايكة وكلم موسي استكبارا منهم وعتوا او تاتينا اية جحودا لان
يكون ما اتيهم من ايات الله ايات واستهانة بها تشابهت قلوبهم اي قلوب هولاء
ومن قبلهم في العمي كقوله اتواصوا به قد بينا الايات لقوم يوقنون انما ايات يجب
الاعتراف بها والاذعان لها والاكتفا بها عن غيرها انا ارسلناك لان تبشر وتنذر
لا لتخبر عن الايمان وهذه تسلية لرسول الله صلي الله عليه وسلم وتسرية عنه لانه كان
يغتم ويضيق صدره لاصرارهم وتصميمهم علي الكفر ولا تسال عن اصحاب الجحيم
ما لهم لم يومنوا بعد ان بلغت وبلغت جهدك في دعوتهم كقوله وانما عليك البلاغ
وعلينا الحساب وقري ولا تسال علي النهي روي انه قال ليت شعري ما فعل ابواي
فنهي عن السوال عن احوال الكفرة والاهتمام باعدا الله وقيل معناه تعظيم
ما وقع فيه الكفار من العذاب كما تقول كيف فلان سايلا عن الواقع في بلية فيقال
لك لا تسال عنه ووجه التعظيم ان المستخبر يجزع ان يجري علي لسانه ما هو فيه لفظاعته
فلا تسال ولا تكلفه ما يضجره او انت يا مستخبر لا تقدر علي استماع خبره ولا تحاشه السامع
واضجاره فلا تسال ويعضد القراة الاولي قراة عبد الله ولن تسال وقراة ابي
وما تسال كانهم قالوا لن نرضي عنك وان ابلغت في طلب رضانا حتي تتبع ملتنا
اقناطا منهم لرسول الله عن دخولهم في الاسلام فحكي الله تعالي كلامهم ولذلك قال قل ان هدي
الله هو الهدي علي طريقة اجابتهم عن قولهم يعني ان هدي الله الذي هو الاسلام هو

الهدي

الهدي بالحق والذي يصح ان يسمي هدي وهو الهدي كله ليس وراه هدي وما تدعون الي اتباعه ما
هو بهدي انما هو هوي الا تري الي قوله ولين اتبعت اهواهم اي اقوالهم التي هي
اهوا وبدع بعد الذي جاك من العلم اي من الدين المعلوم صحته بالبراهين الصحيحة
الذين اتيناهم الكتاب هم مومنوا اهل الكتاب يتلونه حق تلاوته لا يحرفونه ولا
يغيرون ما فيه من نعت رسول الله اوليك يومنون به بكتابهم دون المحرفين ومن
يكفر به من المحرفين فاوليك هم الخاسرون حيث اشتروا الضلالة بالهدي ابتلي ابرهيم
ربه بكلمات اختبره باوامره ونواه واختبار الله عبده مجاز عن تمكينه من اختيار
احد الامرين ما يريد الله وما يشتهيه العبد كانه يمتحنه ما يكون منه حتي يجازيه علي
حسب ذلك وقرا ابو حنيفة رحمه الله تعالي وهي قراة ابن عباس ابرهيم ربه رفع ابرهيم
ونصب ربه والمعني انه دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه اليهن ام لا فان
قلت الفاعل في القراة المشهورة يلي الفعل في التقدير فتعليق الضمير اضمار قبل الذكر قلت
الاضمار قبل الذكر ان يقال ابتلي ربه ابرهيم فاما ابتلي ابرهيم ربه او ابتلي ربه ابرهيم فليس
واحد منهما باضمار قبل الذكر اما الاول فقد ذكر فيه صاحب الضمير قبل الضمير ذكرا ظاهرا
واما الثاني فابرهيم فيه مقدم في المعني وليس كذلك ابتلي ربه ابرهيم فان الضمير فيه
قد تقدم لفظا ومعني فلا سبيل الي صحته والمستكن في فاتمهن في احد القراتين لابرهيم
بمعني فقام بهن حق القيام واداهن احسن التادية من غير تفريط وتوان ونحوه هم
وابراهيم الذي وفي وفي الاخرة لله تعالي بمعني فاعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيا ويعضده
ما روي عن مقاتل انه فسر الكلمات بما سال ابرهيم ربه في قوله رب اجعل هذا بلدا امنا واجعلنا
مسلمين لك وابعث فيهم رسولا منهم ربنا تقبل منا فان قلت ما العامل في اذ قلت اما
مضمر نحو واذكر اذ ابتلي او واذ كان كيت وكيت واما قال اني جاعلك فان قلت فما موقع
قال قلت هو علي الاول استيناف كانه قيل فماذا قال له ربه حين اتم الكلمات فقيل
قال اني جاعلك للناس اماما وعلي الثاني جملة معطوفة علي ما قبلها ويجوز ان يكون بيانا
لقوله ابتلي وتفسيرا له فيراد بالكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده
والاسلام قبل ذلك في قوله اذ قال له ربه اسلم وقيل في الكلمات هن خمس في الراس الفرق وقص
الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق وخمس في البدن الختان والاستحداد
والاستنجاء وتقليم الاظفار ونتف الابط وقيل ابتلاه من شرايع الاسلام بثلثين
سهما عشر في براة التايبون العابدون وعشر في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات
وعشر في المومنين وسال سايل الي قوله والذين هم علي صلوتهم يحافظون وقيل
هي مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي والاحرام والتعريف وغيرهن وقيل ابتلاه

اي الوقوف بعرفة

اي ففعل مع فعلا كذلك فعل المختبر

وهو ما بني اسرايل عطف قصته علي قصته

الجوهري رجل افرق الذي ناصيته كانها مفروقة بين الفرق

بالكوكب والقمر والشمس والختان وذبح ابنه والنار والهجرة ۞ والامام ۞ اسم من يوتم به على زنة
الاله كالازار لما يوتزر به اي ياتمون بك في دينهم ۞ ومن ذريتي ۞ عطف على الكاف كانه
قال وجاعل بعض ذريتي كما يقال لك ما كرمك فتقول وزيدا ۞ لا ينال عهدي الظالمين
وقري الظالمون اي من كان ظالما من ذريتك لا يناله استخلافي وعهدي اليه بالامامة وانما
ينال من كان عادلا بريا من الظلم وقالوا في هذا دليل على ان الفاسق لا يصلح للامامة وكيف
يصلح لها من لا يجوز حكمه وشهادته ولا يجب طاعته ولا يقبل خبره ولا يقدم للصلاة وكان
ابو حنيفة رحمه الله يفتي سرا بوجوب نصرة زيد بن علي رضي الله عنه وحمل المال اليه والخروج
معه على اللص المستغلب المتسمي بالامام والخليفة كالدوانيقي واشباهه وقالت له امراة اشرت
على ابني بالخروج مع ابرهيم ومحمد ابني عبد الله بن الحسن حتى قتل فقال ليتني مكان ابنك
وكان يقول في المنصور واشياعه لو ارادوا بنا مسجد وارادوني على عد اجره لما فعلت
وعن ابن عيينة لا يكون الظالم اماما قط وكيف يجوز نصب الظالم للامامة والامام انما
هو لكف الظلمة فاذا نصب من كان ظالما في نفسه فقد جا المثل السائر من استرعى
الذيب ظلم ۞ والبيت ۞ اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا ۞ مثابة للناس ۞ مثابة ومرجعا
للحجاج والعمار يتفرقون عنه ثم يثوبون اليه اي يثوب اليه اعيان الذين يزورونه او
امثالهم ۞ وامنا ۞ وموضع امن كقوله حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم ولان الجاني ياوي
اليه فلا يتعرض له حتى يخرج وقري مثابات لانه مثابة لكل من الناس لا يختص به واحد منهم سوا
العاكف فيه والباد ۞ واتخذوا ۞ على ارادة القول اي وقلنا اتخذوا منه موضع صلوة تصلون
فيه وهو على وجه الاختيار والاستحباب دون الوجوب وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه اخذ
بيد عمر فقال هذا مقام ابرهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى يريد افلا نوثره لفضله بالصلوة
فيه تبركا به وتيمنا بموطن قدم ابرهيم فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وعن
جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استلم الحجر ورمل ثلاثة اشواط ومشى اربعة
حتى اذا فرغ عمد الى مقام ابرهيم فصلى خلفه ركعتين وقرا واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى
وقيل مصلى مدعى ومقام ابرهيم الحجر الذي فيه اثر قدميه والموضع الذي كان فيه الحجر
حين وضع عليه قدميه وهو الموضع الذي يسمى مقام ابرهيم وعن عمر رضي الله عنه انه سال
المطلب بن ابي وداعة هل تدري اين كان موضعه الاول قال نعم فاراه موضعه اليوم
وعن عطاء مقام ابرهيم عرفة والمزدلفة والجمار لانه قام في هذه المواضع ودعا فيها وعن
النخعي الحرم كله مقام ابرهيم وقري واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ
الناس من مكان ابرهيم الذي رسم به لاهتمامه واسكان ذريته عنده قبلة يصلون
اليها ۞ عهدنا ۞ امرناهما ۞ ان طهرا بيتي ۞ اي بان طهرا او اي طهرا والمعنى طهراه من الاوثان
والانجاس وطواف الجنب والحايض والخبايث كلها او اخلصاه لهولاء لا يغشه غيرهم
۞ والعاكفين ۞ المجاورين الذين عكفوا عنده اي اقاموا لا يبرحون او المعتكفين ويجوز
ان يريد العاكفين الموافقين يعني القايمين في الصلوة كما قال للطايفين والقايمين

والركع

والركع السجود والمعنى للطايفين والمصلين لان القيام والركوع والسجود هيات المصلي اي اجعل
هذا البلد او هذا المكان بلدا امنا ۞ ذا امن كقوله عيشة راضية او امنا من فيه كقولك ليل نايم
۞ ومن امن منهم ۞ بدل من اهله يعني وارزق المومنين من اهله خاصة ۞ ومن كفر ۞ عطف
على من امن كما عطف ومن ذريتي على الكاف في جاعلك فان قلت لم خص ابرهيم صلوات
الله عليه المومنين حتى يرد عليه قلت قاس الرزق على الامامة فعرف الفرق بينهما لان الاستخلاف
استرعا يختص بمن ينصح للمرعي وابعد الناس عن النصيحة الظالم بخلاف الرزق فانه قد يكون استدراجا
للمرزوق والزاما للحجة له والمعنى وارزق من كفر فامتعه ويجوز ان يكون ومن كفر مبتدا
متضمنا معنى الشرط وقوله فامتعه جوابا للشرط اي ومن كفر فانا امتعه وقري فامتعه
۞ فاضطره ۞ فالزه ۞ الى عذاب النار ۞ لز المضطر الذي لا يملك الامتناع مما اضطر اليه وقرا
ابي فنمتعه قليلا ثم نضطره وقرا يحيى بن وثاب فاصطره بكسر الهمزة وقرا ابن عباس
فامتعه قليلا ثم اضطره على لفظ الامر والمراد الدعا من ابرهيم دعا ربه بذلك
فان قلت فكيف تقدير الكلام على هذه القراة قلت في قال ضمير ابرهيم اي قال ابرهيم
بعد مسئلة اختصاص المومنين بالرزق ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره وقرا ابن
محيصن فاطره بادغام الضاد في الطاء كما قالوا طجع وهي لغة مرذولة لان الضاد من
الحروف الخمسة التي يدغم فيها ما جاورها ولا تدغم هي فيما جاورها وهي حروف ضم شفر
يرفع حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس والاصل لما فوقه وهي صفة
غالبة ومعناها الثابتة ومنه قعدك الله اي اسال الله ان يقعدك اي يثبتك
ورفع الاساس البنا عليها لانها اذا بني عليها نقلت عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع
وتطاولت بعد التقاصر ويجوز ان يكون المراد بها ساقات البنا لان كل ساق قاعدة
للذي يبنى عليه ويوضع فوقه ومعنى رفع القواعد رفعها بالبنا لانه اذا وضع
سافا فوق ساف فقد رفع السافات ويجوز ان يكون المعنى واذ يرفع ابرهيم ما قعد
من البيت اي استوطا يعني جعل هيئة القاعدة المستوطية مرتفعة عالية بالبناء
وروي انه كان موسسا قبل ابرهيم فبني على الاساس وروي ان الله تعالى انزل
البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لادم اهبطت
لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه ادم من ارض الهند اليه ماشيا وبلغته
الملايكة فقالوا بر حجك يا ادم لقد حججنا البيت قبلك بالفي عام وحج ادم اربعين حجة من
ارض الهند الى مكة على رجليه وكان على ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان الى
السماء الرابعة فهو البيت المعمور ثم ان الله امر ابرهيم ببنايه وعرفه جبريل مكانه
وقيل بعث الله سحابة اظلته ونودي ان ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل بناه

بذباب عين اجب الظهر ليس له سنام وقيل معناه سفه في نفسه فحذف الجار كقولهم زيد ظني
مقيم اي ظني والوجه هو الاول وكفى شاهدا له ما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق
وتغمص الناس وذلك انه رغب عما لا يرغب عنه عاقل قط فقد بلغ في اذاله نفسه وتعجيزها
حيث خالف بها كل نفس عاقلة ولقد اصطفيناه بيان لخطاء راي من رغب عن ملته
لان مرجع الكرامة عند الله في الدارين بان يكون صفوته وخيرته في الدنيا وكان مشهودا
له بالاستقامة على الخير في الاخرة لم يزل احاله اولى بالرغبة في طريقته صنه اذ قال
ظرف لاصطفيناه اي اخترناه في ذلك الوقت او انتصب باضمار اذكر استشهادا باحد الامرين
حاله كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن ملة مثله
ومعنى قال له اسلم اخطر بباله النظر في الدلايل المؤدية الى المعرفة والاسلام فقال
اسلمت اي فنظر وعرف وقيل اسلم اي اذعن واطع وروي ان عبد الله بن سلام لما سمع
دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله قال في التورية اني
باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه محمد واحمد فمن امن به فقد اهتدى ورشد ومن لم
يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر ان يسلم فنزلت قريظة واوصى وهي في
مصاحف اهل الحجاز والشام والضمير راجع لقوله اسلمت لرب العالمين على تاويل الكلمة
والجملة ونحو رجوع الضمير وقوله وجعل كلمة باقية الى قوله انني برآء مما تعبدون
الا الذي وقوله باقية دليل على التانيث على تاويل الكلمة ويعقوب عطف على ابرهيم
داخل في حكمه والمعنى ووصى بها يعقوب بنيه ايضا وقرئ ويعقوب بالنصب
عطفا على بنيه ومعناه ووصى بها ابرهيم بنيه ونافلة يعقوب يا بني على
اضمار القول عند البصريين وعند الكوفيين بتعلق بوصى لانه في معنى القول
ونحو قول القايل رجلان من ضبة اخبرانا انا رايناه رجلا عريانا بكسر الهمزة فهو
بتقدير القول عندنا وعندهم يتعلق بفعل الاخبار وقرئ بفتح الهمزة على ابدال واحد من اثنين
ان يا بني اصطفى لكم الدين اي اعطاكم الدين الذي هو صفوة الاديان
وهو دين الاسلام ووفقكم للاخذ به فلا تموتن معناه ولا تكونن على
حال كونكم ثابتين على الاسلام قالنهي في الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الاسلام
اذا ماتوا كقولك لا تصل الا وانت خاشع فلا ينهاه عن الصلوة ولكن عن ترك
الخشوع في حال صلاته فان قلت فاي نكتة في ادخال حرف النهي على
الصلاة وليس منهي عنها قلت النكتة فيه اظهار ان الصلوة التي لا خشوع
فيها كلا صلاة فكانه قال انهاك عنها اذا لم تصلها على هذه الحال الا ترى الى قوله
عليه الصلاة والسلام لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد وسد المعنى الاية

حجة اجبل طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودي واسسه من حرا وجاجه بل ما بحر الاسود
من السما وقيل تحض ابو قبيس فانشق عنه وقد جبي فيه في ايام الطوفان وكان ياقوتة
بيضا من الجنة فلما مسته الحيض في الجاهلية اسود وقيل كان ابرهيم يبني وسماعيل
يناوله الحجارة ربنا اي يقولان ربنا وهذا الفعل في محل النصب على الحال وقد
اظهر عند الله في قراته ومعنا ما يرفعانه قايلين ربنا انك انت السميع العليم
لدعايا العليم بضمايرنا ونياتنا فان قلت هلا قيل قواعد البيت واي فرق بين
العبارتين قلت في ابهام القواعد وتبيينها بعد الابهام ما ليس في اضافتها الى البيت
بعد الابهام من تفخيم الشان المبين مسلمين لك مخلصين لك او جمعنا من قوله اسلم وجهه
لله او مستسلمين يقال اسلم له وسلم واستسلم اذا خضع واذعن والمعنى زدنا اخلاصا
واذعانا لك وقرئ مسلمين على الجمع كانهما اراد انفسهما وما جرا او اجرا لتثنية على حكم
الجمع كانا منه ومن ذريتنا واجعل من ذريتنا امة مسلمة لك ومن للتبعيض او للتبيين
كقوله وعد الله الذين امنوا منكم فان قلت لم خصا ذريتهما بالدعا قلت لانهم احق بالشفقة
والنصيحة قوا انفسكم واهليكم نارا ولان اولادا الانبيا اذا اصلحوا اصلح بهم غيرهم وشاهد
على الخبر الاتي ان المقدمين من العلما والكبرا اذا كانوا على السداد كيف يتهيون لاداء
مفروضاتهم وقيل الرادا امة محمد حال منه على ما سلم وارنا منقول من راي بمعنى ابصر
او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين اي ابصرنا متعبداتنا او عرفناها وقيل قد اتى عنا
وقرئ وارنا بسكون الراء قياسا على فخذ في فخذ وقد اتبعت في دلت لان الكسرة منقولة من
الهمزة الناقلة دليل عليها واسقاطها اجحاف وقرا ابو عمرو باشمام الكسر وقرا عبد الله
وارهم مناسكهم وتب علينا ما فرط منا من الصغاير او استتابا لذريتهما وابعث فيهم
في الامة المسلمة رسولا منهم من انفسهم روي انه قيل له قد استجيب لك وهو في اخر
الزمان فبعث الله فيهم محمدا صلى الله عليه وسلم قال عليه السلام انا دعوة ابرهيم وبشرى عيسى
ورويا امي يتلوا عليهم اياتك يقرا عليهم فيبلغهم ما توحي اليه من دلايل وحلا نيتك
وصدق انبيايك ويعلمهم الكتاب القران والحكمة الشريعة وبيان الاحكام وتزكيهم
ويطهرهم من الشرك وسايز الارجاس كقوله ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبايث
انك انت العزيز الذي لا يرغب عن نصرة من يريده الحكيم الذي لا يرغب عن الحق الواضح
ومن يرغب انكار واستبعاد لان يكون في العقلا من يرغب عن الحق الواضح الذي
هو ملة ابرهيم ومن سفه في محل الرفع على البدل من المضمر في يرغب وهي البدل لان
من يرغب غير موجب كقولك هل جاءك احد الا زيد سفه نفسه امتهنها واستخف بها واصل
السفه الخفة ومنه زمان سفيه وقيل انتصاب النفس على التمييز كقوله غبن رايه والمراد سفه
ويجوز ان يكون في شذوذ تعريف المميز كقوله ولا بغزارة الشعر الرقيبا ويا خذ بعد

اظهار أن موتهم لا على حال الثبات على الاسلام موت لا خير فيه وانه ليس بموت السعداء أو أن من حق
هذا الموت ان لا يجل فيهم ومعنى لا تموتن اي لا تكونن فيكم الموت وكذلك اذا قلت مات
فلان معناه حله الموت ويقول له الا ان تصادفك وانت شهيد وليس مراد كل الامر بالموت
ولكن بالكون على صفة الشهداء اذا مات وانما امرتم بالموت اعتبارا لما ينافيه ولظهار الفضل
لفضلها على غيرها وانما حقيقة بان يحث عليها ام كنتم شهداء امي ام المنقطعة فيها الانكار
والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر اي لكنتم حاضرين يعقوب عليه السلام اذ حضره الموت
اي حين احتضر فالخطاب للمؤمنين بمعنى ما شاهدتم ذلك وانما حصل لكم العلم به من طريق
الوحي وقيل الخطاب لليهود لانهم كانوا يقولون ما مات نبي الا على اليهودية الا انهم لو شهدوه
وسمعوا ما قاله لبنيه وما قالوه لظهر لهم حرصه على ملة الاسلام ولما ادعوا عليه اليهودية
فالاية منافية لقولهم فكيف تقال لهم ام كنتم شهداء ولكن الوجه ان تكون ام متصلة على ان يقدر
قبلها محذوف كانه قيل اتدعون على الانبياء اليهودية ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت يعني
ان اوائلكم من بني اسرائيل كانوا على هذين له اذ اراد بنيه على التوحيد وملة الاسلام
وقل علمتم ذلك فما لكم تدعون على الانبياء ما هم منه برآء وقرئ حضر بكسر الضاد وهي لغة
ما تعبدون اي شيء تعبدون وما عام في كل شيء فاذا علم فرق بالعاقل وبمن وكفاك دليلا
قول العلماء من لما يعقل ولو قيل فيمن يعقل ولم يعم الاولى العلم وحدهم ويجوز ان يقال
ما تعبدون سؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد افقيه ام طبيب ام غير ذلك من
الصفات وابرهيم واسمعيل واسحق عطف بيان لابائك وجعل اسمعيل وهو عمه
من جملة ابائه لان العم اب والخال ام لاخراطهما في سلك واحد وهو الاخوة لا تفاوت
بينهما ومنه قوله عليه السلام عم الرجل صنو ابيه اي لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت
بين صنوي النخلة وقال ابن العباس هذا بقية اباي وقال رددوا على ابي فاني
اخشى ان يفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود وقرأ ابي واله ابرهيم
بطرح الباء وقرئ ابيك وفيه وجهان ان يكون واحدا وابرهيم وحده عطف بيان
له وان يكون جمعا بالواو والنون قال وقد يكنى بالابن يا الها واحدا بدل من
اله ابائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة او على الاختصاص اي نريد باله ابائك الها
واحدا ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او من مفعوله راجع الى اليه يقال
ويجوز ان يكون جملة معطوفة على نعبد وان يكون جملة اعتراضية موكدة اي ومن حالنا
انا له مسلمون مخلصون التوحيد اي مذعنون لملكه اشارة الى الامة المذكورة التي
هي ابرهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون والمعنى ان احدا لا سفعه كتب غيره منقذا
كان او متاخرا فكما ان اولئك لا سفعهم الا ما اكتسبوا فكذلك انتم لا سفعكم الا ما اكتسبتم

وذلك

وذلك انهم افتخروا باوائلهم وخوفوا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني هاشم لا ياتيني الناس
باعمالهم وتاتوني بانسابكم ولا تسألون عما كانوا يعملون ولا تواخذون بسيئاتهم كما لا
ينفعكم حسناتهم بل ملة ابرهيم بل نكون ملة ابرهيم اي اهل ملته كقول عدي بن حاتم
اني من دين ليس من اهل دين وقيل بل نتبع ملة ابرهيم وقرئ ملة ابرهيم بالرفع
اي ملته ملتنا او امرنا ملته او لحن ملته بمعنى اهل ملته وحنيفا حال من المضاف
اليه كقولك رايت وجه هند قائمة والحنيف المايل عن كل دين باطل الى دين الحق
والحنف الميل في جانب القدمين وتحنف اذا مال واسلم
ولكنا خلقنا اذ خلقنا حنيفا دينا عن كل دين وما كان من المشركين تعريض
باهل الكتاب وغيرهم لان كلا منهم يدعي اتباع ابرهيم وهو على الشرك قولوا
خطاب للمؤمنين ويجوز ان يكون خطابا للكافرين اي قولوا لتكونوا على الحق ولا
فانتم على الباطل وكذلك قوله بل ملة ابرهيم يجوز ان يكون على قل اتبعوا انتم ملة او
كونوا اهل ملته والسبط الحافد وكان الحسن والحسين رضي الله عنهما سبطي رسول
الله صلى الله عليه وسلم والاسباط حفدة يعقوب ذراري ابنائه الاثني عشر لا
نفرق بين احد منهم لا نومن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى واحد
في معنى الجماعة ولذلك صح دخول بين عليه بمثل ما امنتم به من باب التبكيت
لان دين الحق واحد لا مثل له وهو دين الاسلام وفي بمعنى غير الاسلام فلن يقبل منه
ولا يوجد اذن دين اخر مماثل دين الاسلام بكونه حقا حتى ان امنوا بذلك الذي
المماثل له كانوا مهتدين وقيل فان امنوا بكلمة الشك على سبيل الفرض والتقدير
اي فان حصلوا دينا اخر مثل دينكم ويا له في الصحة والسداد فقد
اهتدوا وفيه ان دينهم الذي هم عليه وكل دين سواه مغاير له غير مماثل لانه
حق وهدى وما سواه باطل وضلال ونحو هذا قولك للرجل الذي تشير عليه
هذا هو الراي الصواب فان كان عندك راي اصوب منه فاعمل به وقل
علمت ان لا اصوب من رايك ولكنك تريد تبكيت صاحبك وتوقيفه على ان
ما رايت لا راي ورآه ويجوز ان لا تكون الباء صلة وتكون بالاستعانة كقولك
كتبت بالقلم وعملت بالقدوم اي فان دخلوا في الايمان بشهادة مثل شهادتكم التي
امنتم بها وقرا ابن مسعود وابن عباس بما امنتم به وقرا ابي بالذي امنتم به وان تولوا
عما يقولون لهم ولم يصفوا فما هم الا في شقاق اي في مناواة ومعاندة لا غير وليسوا
من طلب الحق في شيء او وان تولوا عن الشهادة والدخول في الايمان بها فسيكفيكهم
الله ضمان من الله لاظهار رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم وقد انجز وعده بقتل

قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير ومعنى السين ان ذلك كاين لا محالة وان تاخر وهو السميع
العليم وعيد لهم اي يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرون من الحسد والغل وهو معاقبهم عليه
او وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى يسمع ما تدعونه ويعلم نيتك وما تريده من اظهار دين
الحق وهو مستجيب لك وموصلك الى مرادك صبغة الله مصدر موكد منتصب على
قوله امنا بالله كما انتصب كما انتصب وعد الله عما تقدمه وهي فعلة من صبغ كالجلسة
من جلس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر النفوس
والاصل فيه ان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية
ويقولون هو تطهير لهم واذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال الان صار نصرانيا
حقا فامر المسلمون بان يقولوا لهم قولوا امنا وصبغنا الله بالايمان صبغة لا
مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيرنا او يقول المسلمون صبغنا الله بالايمان
صبغته ولم يصبغ صبغتكم وانما جيء بلفظ الصبغة على طريقة المشاكلة كما يقول
لمن يغرس الاشجار اغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرام ومن احسن
من الله صبغة يعني انه يصبغ عباده بالايمان ويطهرهم به من اوضار الكفر فلا
صبغة احسن من صبغته ونحن له عابدون عطف على امنا بالله وهذا العطف يرد
قول من يزعم ان صبغة الله بدل من ملة ابرهيم او نصب على الاغراء بمعنى عليكم
صبغة الله لما فيه من فك النظم واخراج الكلام عن التيامه واتساقه وانتصابها
على انها مصدر موكد هو الذي ذكره سيبويه والقول ما قالت حذام قرا زيد بن ثابت
اتحاجوننا بادغام النون والمعنى اتجادلوننا في شان الله واصطفايه النبي من العرب
دونكم وتقولون لو انزل الله على احد لانزل علينا وترونكم احق بالنبوة منا وهو
ربنا وربكم نشترك جميعا في اننا عباده وهو ربنا وهو يصيب برحمته وكرامته من يشا
من عباده هم فوضى في ذلك لا يختص به عجمي دون عربي اذا كان اهلا للكرامة
لنا اعمالنا ولكم اعمالكم يعني ان العمل هو اساس الامر وبه العبرة وكما ان لكم اعمالا
يعتبرها الله في اعطا الكرامة ومنعها فنحن كذلك ثم قال ونحن له مخلصون فجا بما
هو سبب الكرامة اي نحن له موحدون مخلصة بالايمان فلا تستبعدوا ان يؤهل اهل
في اخلاصه لكرامته بالنبوة وكانوا يقولون نحن احق بان تكون النبوة فينا لانا اهل
الكتاب والعرب عبدة اوثان ام يقولون يحتمل فيمن قرا بالتاء ان تكون ام معادلة
للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي الامرين تاتون المحاجة في دين الله ام ادعا اليهودية
والنصرانية على الانبيا والمراد بالاستفهام عنهما انكارهما معا وان تكون منقطعة
بمعنى بل اتقولون والهمزة للانكار ايضا وفيمن قرا باليا لا تكون الا منقطعة قل

انتم

انتم اعلم ام الله يعني ان الله شهد لهم بملة الاسلام في قوله ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا
ولكن كان حنيفا مسلما ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله اي كتم شهادة الله
التي عنده انه شهد بها وهي شهادته لابرهيم بالحنيفية ويحتمل معنيين احدهما ان اهل
الكتاب لا احد اظلم منهم لانهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها والثاني انا لو كتمنا هذه
الشهادة لم يكن احد اظلم منا فلا نكتمها وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة في كتبهم
وساير شهاداته ومن في قوله شهادة عنده من الله مثلها في قولك هذه شهادة مني لفلان اذا
شهدت له ومثله براة من الله ورسوله سيقول السفها الخفاف الاحلام وهم اليهود لكراهتهم
التوجه الى الكعبة وانهم لا يرون النسخ وقيل المنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزا وقيل
المشركون قالوا رغب عن قبلة ابايه ثم رجع اليها والله ليرجعن الى دينهم فان قلت اي فايدة
في الاخبار بقولهم قبل وقوعه قلت فايدته ان مفاجاة المكروه اشد والعلم به قبل وقوعه
ابعد من الاضطراب اذا وقع لما يتقدمه من توطين النفس وان الجواب العتيد قبل الحاجة
اليه اقطع للخصم وارد لشغبه وقيل الرمي براس السهم ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم
وهي بيت المقدس لله المشرق والمغرب اي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها يهدي
من يشا من اهلها الى صراط مستقيم وهو ما توجبه الحكمة والمصلحة من توجيههم تارة
الى بيت المقدس واخرى الى الكعبة وكذلك جعلناكم امة وسطا خيارا وهي صفة
بالاسم الذي هو وسط الشي ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث ونحوه
قوله عليه الصلاة والسلام واانطوا الثبجة يريد الوسيطة بين السمينة والعجفا وصفا
بالثبج الذي هو وسط الظهر الا انه الحق التانيث مراعاة لحق الوصف وقيل للخيار وسط
لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والاعوار والاوساط محمية محوطة ومنه قول الطاي
كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى اصبحت طرفا وقد اكتريت بمكة جمل اعرابي
للحج فقال اعطني من سطاتهن اراد من خيار الدنانير او عدولا لان الوسط عدل بين
الاطراف ليس الى بعضها اقرب من بعض لتكونوا شهدا على الناس روي ان الامم
يجحدون يوم القيامة تبليغ الانبيا فيطالب الله الانبيا بالبينة على انهم قد بلغوا وهو
اعلم فيوتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون
علمنا ذلك باخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيوتى بمحمد صلى الله
عليه وسلم فيسال عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله فكيف اذا
جينا من كل امة بشهيد وجينا بك على هولا شهيدا فان قلت هلا قيل لكم
شهيدا وشهادته لهم لا عليهم قلت لما كان الشهيد كالرقيب والمهيمن على المشهود
له جي بكلمة الاستعلا ومنه قوله تعالى والله على كل شي شهيد كنت انت الرقيب

عليهم وانت على كل شيء شهيد وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يعلم الا بشهادة العدول
الاخيار ويكون الرسول عليكم شهيدا يزكيكم ويعلم بعد التكلم **فان قلت** لم اخرت صلة
الشهادة او لا وقدمت اخرا **قلت** لان الغرض في الاول اثبات شهادتهم على الامم وفي
الاخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم **التي** كنت عليها **ليست** بصفة للقبلة انما
هي ثاني مفعولي جعل يريد وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة لان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي بمكة الى الكعبة ثم امر بالصلوة الى صخرة بيت المقدس
بعد الهجرة تالفا لليهود ثم حول الى الكعبة **فقول** وما جعلنا القبلة التي كنت
تستقبلها الجهة التي كنت عليها او بمكة يعني وما رددناك اليها الا امتحانا للناس والتلاء
لنعلم الثابت على الاسلام الصادق فيه ممن هو على حرف **ينقلب** على عقبيه لقلقه
في تلقوله وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الاية **ويجوز** ان يكون بيانا للحكمة
في جعل بيت المقدس قبلة بعني ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وان استقبالك
بيت المقدس كان امرا عارضيا لغرض وانا جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها قبل
وقتك هذا وهي بيت المقدس **لنمتحن** الناس وسطر من يتبع الرسول منهم ومن
لا يتبعه وسفر عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت قبلته مكة بيت المقدس
الا انه كان لجعل الكعبة قبلته وبينه **فان قلت** كيف قال لنعلم ولم يزل عالما
بل كل **قلت** معناه لنعلمه علما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلمه موجودا
حاصلا ونحوه ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وقيل
ليعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنون وانما اسند علمهم الى ذاته
لانهم خواصه والاهل الزلفى عنده وقيل معناه لنميز التابع من الناكص
كما قال ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز لان العلم به
يقع التمييز **وان كانت** لكبيرة هي ان المخففة التي يلزمها اللام الفارقة
والضمير كانت لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الردة
او التحويلة او الجعلة **ويجوز** ان يكون للقبلة لكبيرة لثقيلة شاقة **الا على** الذين
هدي الله الاعلى الثابتين الصادقين في اتباع الرسول الذين لطف
الله بهم وكانوا اهلا للطفه **وما كان** الله ليضيع ايمانكم اي ثباتكم
على الايمان وانكم لم تزلوا او لم تزتابوا بل شكر صنيعكم واعد لكم الثواب
العظيم **ويجوز** ان يراد وما كان الله ليتركك تحويلكم لعله ان تركه مفسدة
واضاعة لايمانكم وقيل وكان صلى الى بيت المقدس قبل التحويل وصلوته
غير ضايعة عن ابن عباس لما وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة

قالوا

قالوا كيف بمن مات قبل التحويل من اخواننا فنزلت **الرؤف** رحيم **لا يضيع** اجورهم ولا يترك
ما يصلحهم وحكى عن الحجاج انه قال للحسن رايتك في ابي تراب وقرا قوله الا على الذين
هدي الله ثم قال وعلي منهم وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه على ابنته
واقرب الناس اليه واجهم وقرئ الا ليعلم على البناء للمفعول ومعنى العلم المعرفة ويجوز
ان يكون متضمنا لمعنى الاستفهام معلقا عنها العلم كقولك علمت ايهم في الدار ام
عمرو وقرا ابن ابي اسحق على عقبيه بسكون القاف وقرا البزيدي للكبيرة بالرفع ووجهها
ان تكون كان مزيدة كما في قوله وجيران لنا كانوا كرام الاصل وان هي للكبيرة كقولك
ان زيدا لمنطلق ثم وان كانت للكبيرة وقرا البضيع بالتشديد **قد نرى** ربما نرى
ومعناه كثرة الرؤية كقوله قد نرى الفرن مصفرا انامله **فقلب وجهك** تردد
وجهك وتصرف نظرك في جهة السماء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوقع من
ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابراهيم ابيه واذ هي للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم
ودارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود فكان يراعي نزول جبريل عليه السلام والوحي
بالتحويل **فلنولينك** فلنعطينك ولنمكنك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا
جعلته والياله او فلنجعلنك تلي سمتها دون سمت بيت المقدس **ترضاها** تحبها وتميل
اليها لاغراضك الصحيحة التي اضمرتها ووافقت حكمة الله ومشيته **شطر المسجد الحرام**
نحوه قال **واطعن** بالقوم شطر الملوك وقرا ابي تلقا المسجد الحرام عن البراء بن
عازب قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا
ثم وجه الى الكعبة وقيل كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر
بشهرين ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلى بامحابه ركعتين
من صلوة الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء
والنساء مكان الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين **وشطر المسجد** نصب على
الظرف اي اجعل تولية الوجه تلقا المسجد اي جهته وسمته لان القبلة
فيه حرج عظيم على البعيد وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على ان
الواجب على اهل الجهة دون العين **ليعلمون** انه الحق ان التحويل الى الكعبة
هو الحق لانه كان في بشارة انبيائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم انه يصلي
الى القبلتين يعلمون قرئ بالياء والتاء **ما تبعوا** جواب القسم المحذوف
سد مسد جواب الشرط **بكل اية** برهان قاطع ان التوجه الى الكعبة هو الحق
ما تبعوا قبلتك لان تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بايراد الحجة انما هو
عن مكابرة وعناد مع علمهم بما في كتبهم في نعتك انك على الحق **وما انت تابع**

قوله وان كانت لكبيرة هي ان المخففة الخ
اي ان ذهب بالقبلة او نزول القبلة فيه
نعت الدين او نزول القبلة فيه نعت الصلوة
قوله ان الله بالناس لرؤف رحيم
قوله وما كان الله ليضيع ايمانكم

قبلتهم ۞ حسدا لاطماعهم اذ كانوا ماجوا في ذلك وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجوا ان
يكون صاحبنا الذي ننتظره وطمعوا في رجوعه الى قبلتهم وقري يتابع قبلتهم على
الاضافة ۞ وما بعضهم يتابع قبلة بعض ۞ يعني انهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون
في شان القبلة لا يرجي لتفاقهم كما لا يرجي موافقتهم لك وذلك ان اليهود تستقبل صخرة
المقدس والنصاري مطلع الشمس اخبر عز وعلا عن تصلب كل حزب فيما هو فيه
وشبهه عليه فالمحق منهم لا يزل عن مذهبه لتمسكه بالبرهان والمبطل لا يقلع عن
باطله لشدة شكيمته في عناده وقوله ۞ ولئن اتبعت اهواءهم ۞ بعد الافصاح
عن حقيقة حاله المعلومة عنده في قوله وما انت بتابع قبلتهم كلام ورد على سبيل
الفرض والتقدير لمعنى ولئن اتبعتهم مثلا بعد وضوح البرهان والاحاطة ۞
بحقيقة الامر انك اذا لمن المرتكبين الظلم الفاحش وفي ذلك لطف للثابتين
وزيادة تحذير واستقطاع لحال من يترك الدليل بعد انارته ويتبع الهوي
وتهييج وايهاب للثبات على الحق فان قلت كيف قال وما انت بتابع قبلتهم
ولهم قبلتان لليهود قبلة وللنصاري قبلة قلت كلتا القبلتين باطلة فني الاولي
لقبلة الحق فكانت بحكم الاتحاد في البطلان قبلة واحدة ۞ يعرفونه ۞ يعرفون
رسول الله صلي الله عليه وسلم معرفة جلية ۞ مميزون بينه وبين غيره بالوصف
المعين المشخص ۞ كما يعرفون ابناءهم ۞ لا يشتبه عليهم ابناؤهم وابناء غيرهم وعن
عمر رضي الله عنه انه سال عبد الله بن سلام عن رسول الله صلي الله عليه وسلم
فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي
فلعل والدته خانت فقبل عمر راسه وجاز الاضمار وان لم يسبق له ذكر لان الكلام
يدل عليه ولا يلتبس على السامع ومثل هذا الاضمار في فخم واشعارا بانه ۞
لشهرته ولكونه علما معلوم بغير علم وقيل الضمير للعلم او القران او لتحويل القبلة
وقوله كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول وينصر الحديث عن عبد الله بن سلام فان
قلت لم اختص الابناء ولم يقل الاولاد قلت لان المذكور اشهر واعرف في
الصحبة الآباء والزم ويقلوبهم الصق ۞ وان فريقا منهم ۞ استئناف من منهم
اولجاهلهم الذين قال فيهم ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب ۞ الحق من ربك ۞ يحتمل ان
يكون الحق خبر مبتدا محذوف اي هو الحق او مبتدا خبره من ربك وفيه وجهان
ان يكون اللام للعهد والاشارة الى الحق الذي عليه رسول الله صلي الله عليه وسلم
او الي الحق الذي في قوله ليكتمون الحق اي هذا الذي يكتمونه هو الحق من ربك
وان يكون للجنس وعلي معني الحق من الله لا من غيره يعني ان الحق ما ثبت انه من

الله كالذي انت عليه وما لم يثبت انه من الله كالذي عليه اهل الكتاب فهو الباطل فان
قلت اذا جعلت الحق خبر مبتدا فما محل من ربك قلت يجوز ان يكون خبرا بعد خبر
وان يكون حالا وقرا علي رضي الله عنه الحق من ربك على الابد الامن الاول اي تكتمون الحق
الحق من ربك ۞ فلا تكونن من الممترين ۞ الشاكين فيه كما نهم الحق مع علمهم او فيه انه من
ربك ۞ ولكل ۞ من اهل الاديان المختلفة ۞ وجهة ۞ قبلة وفي قراءة ابي ولكل قبلة
۞ هو موليها ۞ وجهة محذوف احد المفعولين وقيل هو لله تعالي اي الله موليها اياه وقري
ولكل وجهتي على الاضافة والمعني في كل وجهة الله موليها فريدت اللام لتقدم
المفعول كهو لزيد ضربت ولزيد ابوه ضاربه وقراءة ابن عامر هو مولاها اي
هو موتي ذلك الجهة قد وليها والمعني لكل امة قبلة يتوجه اليها سلكم وغيركم ۞
فاستبقوا الخيرات ۞ واسبقوا اليها غيركم في امر القبلة وغيره ومعني آخر وهو ان
يراد ولكل منكم يا امة محمد وجهة اي جهة يصلي اليها جنوبية او شمالية او شرقية
او غربية فاستبقوا الخيرات ۞ اينما تكونوا ايات بكم الله جميعا ۞ للجزاء من موافق
لا تعجزونه ويجوز ان يكون المعني فاستبقوا الفاضلات من الجهات وهي الجهات
المامورة للكعبة وان اختلفت اينما تكونوا فان الجهات المختلفة ايات بكم الله جميعا
يجمعكم ويجعل صلواتكم كانها الي جهة واحدة وكانكم تصلون حاضري المسجد الحرام
۞ ومن حيث خرجت ۞ اي ومن اي بلد خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام
اذا صليت ۞ وانه ۞ هذا الامر به وقري يعملون بالياء والتاء وهذا التكرير لتاكيد امر
القبلة ونسخه لان النسخ من مظان الفتنة والشبهة وتسويل الشيطان والحاجة
الي التفصيلة بينه وبين البدء اقدر عليهم ليثبتوا ويعزموا ويجدوا ولانه نيط بكل واحد
لم ينط بالاخر فاختلفت فوايدها ۞ الا الذين ظلموا ۞ استثنا من الناس ومعناه لئلا
يكون حجة من احد من اليهود الا المعاندين منهم القائلين ما توكد قبلتنا الي الكعبة الا ميلا الي دين
قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء فان قلت اي حجة كانت تكون
للمنصفين منهم لو لم يحول حتي احتز من تلك الحجة ولم يبال بحجة المعاندين قلت
كانوا يقولون ماله لا يحول الي قبلة ابيه ابرهيم كما هو مذكور في نعته في التورية
فان قلت كيف اطلق اسم الحجة على قول المعاندين قلت لانهم يسوقونه مساق
الحجة ويجوز ان يكون المعني ليلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض في ترككم التوجه الي
الكعبة التي هي قبلة ابرهيم واسمعيل ابي العرب لان الذين ظلموا منهم وهم اهل
مكة حين يقولون بدا له فرجع الي قبلة اباءه ويوشك ان يرجع الي دينهم وقرا زيد
بن علي رضي الله عنهما الا الذين ظلموا منهم على ان الا للتنبيه ووقف على حده ثم استانف

منها فلا تخشوهم فلا تخافوا مطاعنهم في قبلتكم فانهم لا يضرونكم واخشوني فلا تخالفوا امري
وما رايته مصلحة لكم ومتعلق اللام محذوف معناه ولاتمامي النعمة عليكم وارادتي اهتداكم
امرتكم بذلك او تعطف على علة مقدرة كانه قيل واخشوني لاوفقكم ولاتم نعمتي عليكم وقيل
هو معطوف على لئلا يكون وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي الله عنه
تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم اما ان يتعلق بما قبله اي ولاتم نعمتي عليكم
في الاخرة بالثواب كما اتممتها عليكم في الدنيا بارسال الرسول او بما بعده اي كما ذكرتكم بارسال
الرسول فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لي ما انعمت به عليكم ولا
تكفرون ولا تجحدوا نعماي اموات بل احيا هم اموات بل هم احيا ولكن لا تشعرون
كيف حالهم في حياتهم وعن الحسن ان الشهدا احيا عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم
فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح ال فرعون غدوة وعشيا فيصل
اليهم الوجع وعن مجاهد يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها وقالوا يجوز ان
يجمع الله من اجزا الشهدا جملة فيحييها ويوصل اليهم النعيم وان كانت في حجم الذرة
وقيل نزلت في شهدا بدر وكانوا اربعة عشر ولنبلونكم ولنصيبنكم بذلك اصابة
تشبه فعل المختبر لاحوالكم هل تصبرون وتثبتون على ما انتم عليه من الطاعة وتسلمون
لامر الله وحكمه ام لا بشي بقليل من كل واحد من هذه البلايا وطرف منه وبشر الصابرين
المسترجعين عند البلا لان الاسترجاع تسليم واذعان وعن النبي صلى الله عليه
وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا
صالحا يرضاه وروي انه طفي سراج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا لله وانا
اليه راجعون فقيل امصيبة هي قال نعم كل شي يوذي المومن فهو له مصيبة وانما
قلل في قوله بشي ليوذن ان كل بلا اصاب الانسان وان جل ففوقه ما يقل اليه وليخفف
عليهم وليريهم ان رحمته معهم في كل حال لا تزايلهم وانما وعدهم ذلك قبل كونه ليوطنوا
عليه نفوسهم ونقص عطف على شي او على الخوف بمعنى وشي من نقص الاموال
والخطاب في وبشر لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يتاتى منه البشارة وعن
الشافعي رحمه الله تعالى الخوف خوف الله والجوع صيام شهر رمضان والنقص من الاموال
الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد
وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملايكة اقبضتم
ولد عبدي فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة فواده فيقولون نعم فيقول الله
تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله تعالى ابنوا
لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد والصلوة الحنو والتعطف فوضعت موضع

الرافة

الرافة وجمع بينها وبين الرحمة كقوله تعالى رافة ورحمة رؤف رحيم والمعنى عليهم رافة بعد رافة
ورحمة اي رحمة واوليك هم المهتدون لطريق الصواب حيث استرجعوا وسلموا لامر
الله الصفا والمروة علمان للجبلين كالصمان والمقطم والشعاير جمع شعيرة
وهي العلامة اي من اعلام مناسكه ومتعبداته والحج القصد والاعتمار الزيارة
فغلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين وهما في المعاني كالنجم والبيت
في الاعيان واصل يطوف يتطوف فادغم وقري ان يطوف من طاف فان قلت
كيف قيل انهما من شعاير الله ثم قيل لا جناح عليه ان يطوف بهما قلت كان على الصفا
اساف وعلى المروة نايلة وهما صنمان يروى انهما كانا رجلا وامراة زنيا في الكعبة
فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله فكان
اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جا الاسلام وكسرت الاوثان كره المسلمون الطواف
بينهما لاجل فعل الجاهلية فان لا يكون عليهم جناح في ذلك فرفع عنهم الجناح واختلف في
السعي فمن قايل هو تطوع بدليل رفع الجناح وما فيه من التخيير بين الفعل والترك
كقوله فلا جناح عليهما ان يتراجعا وغير ذلك وكقوله ومن تطوع خيرا فهو خير له ويروى
ذلك عن انس وابن عباس وابن الزبير وينصره قراة بن مسعود فلا جناح عليه ان
لا يطوف بهما وعن ابي حنيفة انه واجب وليس بركن وعلى تاركه دم وعند الاولين لا
شي عليه وعند مالك والشافعي هو ركن لقوله عليه الصلاة والسلام اسعوا فان الله تعالى
كتب عليكم السعي وقري ومن يطوع بمعنى ومن يتطوع فادغم وفي قراة عبد الله
ومن يتطوع تخير ان الذين يكتمون من احبار اليهود ما انزلنا في التورية من البينات
من الايات الشاهدة على امر محمد صلى الله عليه وسلم والهدى والهداية بوصفه الى اتباعه
والايمان به من بعد ما بيناه ولخصناه للناس في الكتاب في التورية لم ندع فيه
موضع اشكال ولا اشتباه على احد منهم فعمدوا الى ذلك المبين الملخص فكتموه
ولبسوا على الناس اوليك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الذين يتاتى منهم
اللعن عليهم وهم الملايكة والمومنون من الثقلين واصلحوا ما افسدوا من احوالهم
وتداركوا ما فرط منهم وبينوا ما بينه الله في كتابهم فكتبوه او بينوا للناس ما احدثوه
من توبتهم ليمحوا سمة الكفر عنهم ويعرفوا بضد ما كانوا يعرفون به ويقتدى بهم غيرهم
من المفسدين ان الذين كفروا يعني الذين ماتوا من هولاء الكاتمين ولم يتوبوا
ذكر لعنتهم احيا ثم لعنتهم امواتا وقرا الحسن والملايكة والناس اجمعون عطفا
على محل اسم الله لانه فاعل في التقدير كقولك عجبت من ضرب زيد وعمرو تريد من
ان ضرب زيد وعمرو كانه قيل اوليك عليهم ان لعنهم الله والملايكة فان قلت

ما معنى قوله والناس اجمعين وفي الناس المسلم والكافر قلت اراد بالناس من يعتد بلعنه
وهم المومنون وقيل يوم القيامة يلعن بعضهم بعضا خالدين فيها في اللعنة
وقيل في النار الا انها اضمرت تفخيما لشانها وتهويلا ولا هم ينظرون من الانظار اي لا
يمهلون ولا يوجلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة اله واحد
فرد في الالهية لا شريك له فيها ولا يصح ان يسمى غيره الها ولا اله الا هو تقرير للوحدانية
بنفي غيره واثباته الرحمن الرحيم المولي لجميع النعم اصولها وفروعها ولا شي سواه بهذه
الصفة فان كل ما سواه اما نعمة واما منعم عليه وقيل كان للمشركين حول الكعبة ثلثمائة وستين
صنما فلما سمعوا بهذه الاية تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فات باية نعرف بها صدقك فنزلت
ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار واعتقابهما لان كل واحد منهما
يعقب الاخر كقوله جعل الليل والنهار خلفة بما ينفع الناس بالذي ينفعهم مما يحمل فيها او ينفع
الناس فان قلت قوله وبث فيها عطف على انزل ام احيا قلت الظاهر انه عطف على
انزل داخل تحت حكم الصلة لان قوله فاحيا به الارض عطف على انزل فاتصل به
وصارا جميعا كالشي الواحد فكانه قيل وما انزل في الارض من ماء وبث فيها من كل
دابة ويجوز عطفه على احيا على معنى فاحيا بالمطر الارض وبث فيها من كل دابة به
لانهم ينمون بالخصب ويعيشون بالحياء وتصريف الرياح في مهابها قبولا ودبورا وجنوبا
وشمالا وفي احوالها حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقما ولواقح وقيل تارة
بالرحمة وتارة بالعذاب والسحاب المسخر سخر للرياح تقلبه في الجو بمشية الله
يمطر حيث شا لايات لقوم يعقلون ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون لانها دلايل
على عظيم القدرة وباهر الحكمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرا هذه الاية فمج
بها اي لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها وقري والفلك بضمتين وتصريف الريح على الافراد
اندادا امثالا من الاصنام وقيل من الروساء الذين كانوا يتبعونهم ويطيعونهم
وينزلون على اوامرهم ونواهيهم واستدل بقوله اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين
اتبعوا ومعنى يحبونهم يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحب كحب الله كتعظيم
الله والخضوع له اي كما يحب الله على انه مصدر من المبني للمفعول وانما استغني عن
ذكر من يحبه لانه غير ملبس وقيل كحبهم الله اي يسوون بينه وبينهم في محبتهم لانهم
كانوا يقرون بالله ويتقربون اليه فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له
الدين اشد حبا لله لانهم لا يعدلون عنه الى غيره بخلاف المشركين فانهم يعدلون
عن اندادهم الى الله عند الشدايد فيفزعون اليه ويخضعون له ويجعلونهم
وسايط بينهم وبينه فيقولون هولا شفعاونا عند الله ويعبدون الصنم زمانا

ثم

ثم يرفضونه الى غيره او ياكلونه كما اكلت باهلة الاهها من جيس عام الذين ظلموا اشارة
الى متخذي الانداد اي ولو يعلم هولا الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم ان القدرة كلها
لله على كل شي من العقاب والثواب دون اندادهم ويعلمون شدة عقابه للظالمين اذا
عاينوا العذاب يوم القيامة لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع
العلم بظلمهم وضلالهم فحذف الجواب كما في قوله ولو ترى اذ وقفوا وقولهم لو رايت
فلانا والسياط تاخذه وقري ولو ترى على خطاب الرسول او كل مخاطب اي ولو ترى
ذلك لرايت امرا عظيما وقري اذ يرون على البناء للمفعول واذ في المستقبل كقولك ونادى
اصحاب الجنة اذ تبرا بدل من اذ يرون العذاب اي تبرا المتبعون وهم الروساء
من الاتباع وقرا مجاهد الاول على البنا للفاعل والثاني على البنا للمفعول اي تبرا الاتباع
من الروساء وراوا العذاب الواو للحال اي تبروا في حال رويتهم العذاب وتقطعت
عطف على تبرا والاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن
الانساب والمحاب والاتباع والاستتباع كقوله لقد تقطع بينكم لو في معنى التمني
ولذلك اجيب بالفاء الذي يجاب به التمني كانه قيل ليت لنا كرة فنتبرا منهم كذلك
مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم اي ندامات وحسرات
ثالث مفاعيل يري ومعناه ان اعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون الا حسرات
مكان اعمالهم وما هم بخارجين هم بمنزلته في قوله هم يفرشون اللبد كل طرة في
دلالته على قوة امرهم فيما اسند اليهم لا على الاختصاص حلالا مفعول كلوا او حال من
ما في الارض طيبا طاهرا من كل شبهة ولا تتبعوا خطوات الشيطان فتدخلوا
في حرام او شبهة او تحريم حلال او تحليل حرام ومن للتبعيض لان كل ما في الارض
ليس باكول وقري خطوات بضمتين وخطوات بضمة وسكون وخطوات بضمتين وهمزة
جعلت الضمة على الطا كانها على الواو وخطوات بفتحتين وخطوات بفتحة وسكون
والخطوة المرة من الخطو والخطوة ما بين قدمي الخاطي وهما كالغرفة والغرفة
والقبصة والقبصة يقال اتبع خطواته ووطي على عقبه اذا اقتدى به واستن
بسنته مبين ظاهر العداوة لا خفا به انما يامركم بيان لوجوب الانتهاء
عن اتباعه وظهور عداوته اي لا يامركم بخير قط انما يامركم بالسوء بالقبيح
والفحشاء ما يتجاوز الحد في القبح من العظايم وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء
ما يجب فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون وهو قولهم هذا حلال وهذا
حرام بغير علم ويدخل فيه كل ما يضاف الى الله مما لا يجوز عليه فان قلت
كيف كان الشيطان امرا مع قوله ليس لك عليهم سلطان قلت شبه تزيينه وبعثه

على الزمام الآمر كما تقول امر تني نفسي بكذا او تخيته ونهتكم منه منزلة المامورين لطاعتكم له وقبولكم وشاورته ولذلك قال ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام ولامرنهم فليغيرن خلق الله وقال الله تعالى ان النفس لامارة بالسوء لما كان الانسان يطيع فيطيع ما استهت به الضمير للناس وعدل بالخطاب عنهم على طريقة الالتفات للتدل على اضلالهم لانه لا ضلال اضل من المقلد كانه يقول للعقلاء انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون قبلهم المشركون وقبلهم طائفة من اليهود قالوا هم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا فانهم كانوا خيرا منا واعلم والفينا بمعنى وجدنا بدليل قوله بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا ولو كان آباؤهم الواو للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجيب معناه ايتبعونهم ولو كان اباؤهم لا يعقلون شيأ من الدين ولا يهتدون للصواب لا بد من حذف وتقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق او مثل الذين كفروا كهائم الذي ينعق والمعنى ومثل داعيهم الى الايمان انهم لا يسمعون من الدعاء الا جرس النغمة وذكر الصوت من غير ان يفقهوا المعنى كمثل الناعق بالبهائم التي لا تسمع الا دعاء الناعق ونداءه الذي هو صوت بها وزجرا لها ولا تفقه شيأ آخر ولا تعي كما يفهم العقلاء ويجوز ان يراد بالاصم الاصم الاصلي الذي لا يسمع من كلام الا رفع صوته بكلامه الا النداء والتصويت لا غير من غير فهم للحروف وقيل معناه وسلكهم في اتباعهم اياهم وتقليدهم لهم كمثل البهائم التي لا تسمع الا ظاهر الصوت ولا تفهم ما تحته فكذلك هؤلاء ينقادون لظاهر حالهم ولا يتفقهون امر الحق او الباطل وقيل معناه ومثلهم في دعائهم الاصنام كمثل الناعق بالابكم الا ان قوله الا دعاء وندا لا يشاعد عليه لان الاصنام لا تسمع شيأ والنعق التصويت يقال نعق المؤذن ونعق الراعي بالضان قال الاخطل فانعق بضانك يا جرير فانما منتك نفسك في الخلا ضلالا والنعق الغراب بالغين المعجمة صم بكم عمي هو رفع على الذم فهم لا يسمعون ما ينفعهم فكذلك هم لا يعقلون ما ينفعهم في امر دينهم كلوا من طيبات ما رزقناكم في استلذاذاته لان كل ما رزقه الله لا يكون الا حلالا واشكروا لله الذي رزقكموها ان كنتم اياه تعبدون ان صح انكم تخصونه بالعبادة وتقرون انه مولى النعم وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اني والجن والانس في نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري قرئ حرم على البنا للفاعل وحرم على البنا للمفعول وحرم بوزن كرم اهل به لغير الله اي رفع به الصوت للصنم وذلك قول اهل الجاهلية باسم اللات والعزى غير باغ على مضطر اخرا لاستثناء عليه ولا عاد سد الجوعة فان قلت في الميتات ما يحل وهو السمك والجراد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احلت لنا ميتتان ودمان قلت قصد ما سفاهه الناس وتعارفونه في العادة الا ترى ان القائل

اذا قال اكل فلان ميتة لم يسبق الوهم الى السمك والجراد كما لو قال اكل دما لم يسبق الى الكبد والطحال لاعتبار العادة والتعارف فالوا من حلف لا يأكل لحما فاكل سمكا لم يحنث وان اكل لحم الخنزير الحقيقة قال الله تعالى لتأكلوا منه لحما طريا وشبهوه بمن حلف لا يركب دابة فركب كافر الم يحنث وان سماه الله تعالى دابة بقوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فان قلت فما له ذكر لحم الخنزير دون شحمه قلت لان الشحم داخل في حكم اللحم للكونه تابعا له وصفة فيه بل ليدل قوله لحم سمين بريدون انه شحم في بطونهم بل بطونهم يقال اكل فلان في بطنه واكل في بعض بطنه الا النار لانه اذا اكل ما يلتبس بالنار لكونه عقوبة عليه فكانه اكل النار ومنه قولهم اكل فلان الدم اذا اكل الدية التي هي بدل منه اكلت دما ان لم اثأرك بضرة وقال يا كل كل ليلة اكافا اراد ثمن الاكاف فسماه اكافا لتلبسه بكونه ثمنه ولا يكلمهم الله تعريض بحرمانهم حال اهل الجنة في كرامة الله اياهم كلامه وتكليمهم بالثناء عليهم وقيل نفي الكلام عبارة عن غضبه عليهم كما غضب على صاحبه فهجره وقطع كلامه وقيل لا يكلمهم بما يحبون ولكن بنحو قوله اخسؤا فيها ولا تكلمون فما اصبرهم على النار يعجب من حالهم في التناسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم كما يقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان ما اصبرك على القيد والسجن تريد انه لا يتعرض لذلك الا من هو شديد الصبر على العذاب وقيل فما اصبرهم فاي شيء صبرهم يقال اصبره على كذا وصبره بمعنى وهذا اصل معنى فعل التعجب والذي روي عن الكسائي انه قال قال لي قاضي اليمن مكة اختصم الي رجلان من العرب فحلف احدهما على حق صاحبه فقال له ما اصبرك على الله فمعناه فما اصبرك على عذاب الله ذلك بان الله نزل اي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل ما نزل من الكتب بالحق وان الذين اختلفوا في كتب الله فقالوا ببعضها حق وببعضها باطل وهم اهل الكتاب لفي شقاق بعيد عن الحق والكتاب للجنس او كفروا ذلك بسبب ان الله نزل القرآن بالحق كما يعلمون وان الذين اختلفوا فيه من المشركين فقال بعضهم سحر وبعضهم شعر وبعضهم اساطير لفي شقاق بعيد لعني ان اولئك لو لم يختلفوا ولم يبتدعوا ما جسروا على ان يكفروا البر اسم للخير ولكل فعل مرضي ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الخطاب لاهل الكتاب لان اليهود تصلي قبل المغرب الى بيت المقدس والنصارى قبل المشرق وذلك انهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة وزعم كل واحد من الفريقين ان البر التوجه الى قبلته وردّ عليهم وقيل ليس البر فيما انتم عليه فانه منسوخ خارج من البر ولكن البر ما تبينه وقيل كثر خوض المسلمين واهل الكتاب في امر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذي يجب ان

تذهلوا بشانه عن ساير صنوف البر امر القبلة ولكن البر الذي يجب الاهتمام به وصرف الهمة
اليه بر من امن بالله وقام بهذه الاعمال وقرئ ليس البر بالنصب على انه خبر مقدم
وقرا عبد الله بان تولوا على ادخال الباء على الخبر للتاكيد كقولك ليس المنطلق بزيد
ولكن البر من امن بالله على تاويل حذف المضاف اي بر من امن او يتاول البر بمعنى
ذي البر او كما قالت فانما هي اقبال وادبار وعن المبرد لو كنت ممن يقرا القران لقرات
ولكن البر بفتح البا وقرئ ولكن البار وقرا ابن عامر ونافع ولكن البر بالتخفيف
والكتاب جنس كتب الله او القران على حبه مع حب المال والشح به كما قال ابن
مسعود رضي الله عنه ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تامل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى
اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل على حب الله وقيل على حب
الايتا يريد ان يعطيه وهو طيب النفس باعطايه وقدم ذوي القربى لانهم
احق قال عليه الصلاة والسلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك اثنتان
لانها صدقة وصلة وقال افضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح واطلق ذوي القربى
واليتامى والمراد الفقرا منهم لعدم الالباس والمسكين الدايم السكون الى الناس
لانه لا شي له كالمسكين الدايم السكر وابن السبيل المسافر المنقطع وجعل ابنا
للسبيل لملازمته له كما يقال للص القاطع ابن الطريق وقيل هو الضيف لان السبيل
ترعف به والسايلين المستطعمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للسايل حق
وان جا على ظهر فرسه وفي الرقاب وفي معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم
وقيل في ابتياع الرقاب واعتاقها وقيل في فك الاسارى فان قلت قد ذكر ايتاء
المال في هذه الوجوه ثم قفاه بايتا الزكوة فهل دل ذلك على ان في المال حقا سوى الزكوة
قلت يحتمل ذلك وعن الشعبي ان في المال حقا سوى الزكوة وتلا هذه الاية ويحتمل
ان يكون ذلك بيان مصارف الزكوة او يكون حثا على نوافل الصدقات والمبار
وفي الحديث نسخت الزكوة كل صدقة يعني وجوبها وروي ليس في المال حق سوى
الزكوة والموفون عطف على من امن واخرج الصابرين منصوبا على الاختصاص
والمدح اظهارا لفضل الصبر في الشدايد ومواطن القتال على ساير الاعمال وقرئ
والصابرون وقرئ والموفين والصابرين والباساء الفقر والشدة والضراء
المرض والزمانة صدقوا كانوا صادقين جادين في الدين عن عمر بن عبد
العزيز والحسن البصري وعطا وعكرمة وهو مذهب مالك والشافعي ان الحر
لا يقتل بالعبد والذكر لا يقتل بالانثى اخذا بهذه الاية ويقولون هي مفسرة
لما ابهم في قوله النفس بالنفس ولان تلك واردة لحكاية ما كتب في التورية

على

على اهلها وهذه خوطب بها المسلمون وكتب عليهم ما فيها وعن سعيد بن المسيب والشعبي
رضي الله عنهما والنخعي وقتادة والثوري وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه رضي الله
عنهم انها منسوخة بقوله النفس بالنفس والقصاص ثابت بين العبد والحر
والذكر والانثى ويستدلون بقوله عليه الصلاة والسلام المسلمون تتكافو دماوهم وبان التفاضل
غير معتبر في الانفس بدليل ان جماعة لو قتلوا واحدا قتلوا به وروي انه كان
بين حيين من احيا العرب دماء في الجاهلية وكان لاحدهما طول على الاخر فاقسموا
لنقتلن الحر منكم بالعبد منا والذكر بالانثى والاثنين بالواحد فتحاكموا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جا الله بالاسلام فنزلت وامرهم ان
يتباووا فمن عفي له من اخيه شي معناه من عفي له من جهة اخيه شي من العفو
على انه كقولك سير بزيد بعض السير وطايفة من السير ولا يصح ان يكون شي في معنى
المفعول به لان عفا لا يتعدى الى مفعول به الا بواسطة واخوه هو ولي المقتول
وقيل له اخوه لانه لابسه من قبل انه ولي الدم ومطالبه به كما تقول للرجل قل
لصاحبك كذا لمن بينه وبينه ادنى ملابسة او ذكره بلفظ الاخوة ليعطف احدهما على
صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من الجنسية والاسلام فان قلت ان عفا يتعدى
بعن لا باللام فما وجه قوله فمن عفي له قلت يتعدى بعن الى الجاني والى الذنب
فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها
فاذا تعدى الى الذنب قيل عفوت لفلان عما جنى كما تقول غفرت له ذنبه وتجاوزت
له عنه وعلى هذا ما في الاية كانه قيل فمن عفي له عن جنايته فاستغنى عن ذكر الجناية
فان قلت هلا فسرت عفي بترك حتى يكون شي في معنى المفعول به قلت لان عفي
الشي بمعنى تركه ليس بثبت ولكن اعفاه ومنه قوله عليه الصلاة والسلام اعفوا اللحى
فان قلت فقد ثبت قولهم عفا اثره اذا محاه وازاله فهلا جعلت معناه فمن محي
له من اخيه شي قلت عبارة قلقة في مكانها والعفو في باب الجنايات عبارة متداولة
مشهورة في الكتاب والسنة واستعمال الناس فلا يعدل عنها الى اخرى قلقة
نابية عن مكانها وترى كثيرا ممن يتعاطى هذا العلم يجترئ اذا اعضل عليه تخريج
وجه المشكل من كلام الله على اختراع لغة وادعاء على العرب ما لا تعرفه وهذه
جراة يستعاذ بالله منها فان قلت لم قيل شي من العفو قلت للاشعار بانه
اذا عفي له طرف من العفو وبعض منه بان يعفى عن بعض الدم او عفا عنه بعض
الورثة تم العفو وسقط القصاص ولم يجب الا الدية فاتباع بالمعروف فليكن
اتباع او فالامر اتباع وهذه توصية للمعفو عنه والعافي جميعا يعني فليتبع

من البوا وهو المساواة

الولي للقاتل المعروف بان لا يعنف به ولا يطالبه الا مطالبة جميلة وليود اليه القاتل بدل الدم
اداء باحسان بان لا يمطله ولا يبخسه ذلك الحكم المذكور من العفو والدية تخفيف من ربكم
ورحمة كان اهل التورية كتب عليهم القصاص لبته وحرم العفو واخذ الدية
وعلى اهل الانجيل العفو وحرم القصاص والدية وخيرت هذه الامة بين الثلاث
القصاص والدية والعفو توسعة عليهم وتيسيرا فمن اعتدى بعد ذلك التخفيف
فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل او القتل بعد اخذ الدية فقد كان الولي في
الجاهلية يقتل القاتل بقبوله الدية ثم يظفر به فيقتله فله عذاب اليم
نوع من العذاب شديد الالم في الاخرة وعن قتادة العذاب الاليم ان يقتل
لا محالة ولا يقبل منه دية لقوله عليه الصلاة والسلام لا اعافي احدا قتل بعد اخذه
الدية ولكم في القصاص حيوة كلام فصيح لما فيه من الغرابة وهو ان القصاص
قتل ونفويت للحيوة وقد جعل مكانا وظرفا للحيوة ومن اصابة مخز البلاغة تعريف
القصاص وتنكير الحيوة لان المعنى ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص
حيوة عظيمة وذلك انهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة وكم قتلوا بواحد
كليب حتى كاد يفني بكرين وائل وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويقع
بينهم التناحر فلما جاء الاسلام وشرع القصاص كانت فيه حيوة اي حيوة او نوع من
الحيوة وهي الحيوة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من
القاتل لانه اذا هم بالقتل فعلم انه يقتص منه فارتدع سلم صاحبه من القتل وسلم
هو من القود فكان القصاص سببا لحيوة نفسين وقرا ابو الجوزاء ولكم في
القصص حيوة اي فيما قص عليكم من حكم القتل والقصاص وقيل القصص
القرآن اي لكم في القرآن حيوة للقلوب كقوله روحا امرنا ولحيي من حي عن
بينة لعلكم تتقون اي ارتيكم ما في القصاص من الاسترقاق للارواح وحفظ
النفوس لعلكم تتقون تعملون عمل اهل التقوى في المحافظة على القصاص والحكم به
وهو خطاب له فضل اختصاص بالائمة اذا احضر احدكم الموت اذا دنا منه
وظهرت اماراته خيرا مالا كثيرا عن عايشة رضي الله عنها ان رجلا اراد الوصية
وله عيال واربعمائة دينار فقالت ما اري فيه فضلا واراد اخوان يوصي فقالت
لكم مالك فقال ثلاثة الاف قالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله ان
تترك خيرا وان هذا شيء يسير فاتركه لعيالك وعن علي رضي الله عنه ان مولى
له اراد ان يوصي وله سبعمائة فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير
هو المال وليس بقليل والوصية فاعل كتب وذكر فعلها للفاصل ولانها بمعنى

ان يوصي ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله بعد ما سمعه والوصية للوارث كانت في
بدء الاسلام فنسخت بآية المواريث وبقوله عليه الصلاة والسلام ان الله اعطى كل ذي
حق حقه الا لا وصية لوارث وتلقي الامة اياه بالقبول حتى لحق بالمتواتر وان كان
من الاحاد لانهم لا يتلقون بالقبول الا الثبت الذي صحت روايته وقيل لم تنسخ والوارث
يجمع له بين الوصية والميراث لحكم الايتين وقيل ما هي مخالفة لآية المواريث ومعناها
كتب عليكم ما اوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين من قوله تعالى يوصيكم الله
في اولادكم او كتب على المحتضر ان يوصي للوالدين والاقربين بتوفير ما اوصى به الله لهم عليهم
وان لا ينقص من انصبائهم بالمعروف بالعدل وهو ان لا يوصي للغني ويدع الفقير
ولا يتجاوز الثلث حقا مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا فمن بدله من غيرة
الايصاء عن وجهه ان كان موافقا للشرع من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه
وتحققه فانما اثمه على الذين يبدلونه فان اثم الايصاء المغير او التبديل الاعلى
سبد ليه دون غيرهم من الموصي والموصى له لانهما بريئان من الجنف ان الله سميع
عليم وعيد للمبدل فمن خاف اي فمن توقع وعلم وهذا على كلامهم شايع يقولون
اخاف ان تؤسل السماء يريدون التوقع والظن الغالب الجاري مجرى العلم حنفا
ميلا عن الحق بالخطاء في الوصية او اثما او تعمد الحيف فاصلح بينهم بين الموصي
لهم وهم الوالدان والاقربون باجرائهم على طريق الشرع فلا اثم عليه حينئذ لان
تبديله تبديل الباطل الى حق ذكر من يبدل الباطل ثم من يبدل بالحق ليعلم ان
كل تبديل لا يورث اثما كتب على الذين من قبلكم على الانبياء والامم من لدن ادم
الى عهدكم قال علي رضي الله عنه اولهم ادم يعني ان الصوم عبادة قديمة اصلية
ما اخلى الله امة من افتراضها عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم لعلكم تتقون
عليها وتعظيما لاصالتها وقدمها او لعلكم تتقون المعاصي لان الصائم اظلف لنفسه
وادرع لها من مواقعة السوء قال عليه الصلاة والسلام فعليه بالصوم فانه وجاء
او لعلكم تلتظمون في زمرة المتقين لان الصوم شعارهم وقيل معناه انه
كصومهم في عدد الايام وهو شهر رمضان كتب على اهل الانجيل فاصابهم موتان
فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده فجعلوه خمسين يوما وقيل كان وقوعه في اشد
التبديل والحر الشديد فشق عليهم في اسفارهم ومعايشهم فجعلوه بين الشتاء
والربيع وزادوا عشرين يوما كفارة لتحويله عن وقته وقيل الايام المعدودات
عاشورا وثلثة ايام من كل شهر كتب على رسول الله صلى الله عليه وسلم صيامها
حين هاجر ثم نسخت بشهر رمضان وقيل كتب عليكم كما كتب عليهم ان يتقوا الفطر

بعد ان يصلوا العشاء وبعد ان يناموا ثم نسخ ذلك بقوله احل لكم ليلة الصيام الاية ومعنى
معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل كقوله دراهم معدودة واصله ان المال
القليل يقدر بالعدد ويحقر فيه والكثير يهال هيلا ويحثى حثيا وانتصاب اياما بالصيام
كقولك نويت الخروج يوم الجمعة او علي السفر او اركب سفر فعدة فعليه عدة
وقرئ بالنصب بمعنى فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل لكتب عليهما ان
يفطرا ويصوما عدة في ايام اخر واختلف في المرض المبيح للافطار فقيل كل مرض
لان الله لم يخص مرضا دون مرض كما لم يخص سفرا دون سفر فكما ان لكل سفر فان يفطر
فكذلك كل مرض وعن ابن سيرين انه دخل عليه رمضان وهو يأكل فاعتل بوجع
اصبعه وسيل لكك عن الرجل يصيبه الريح الشديد او الصداع المضر وليس
به مرض يضجعه فقال انه رخصة فالافطار وقيل هو المرض الذي يعتريه مع
الصوم ويزيد فيه لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر وعن الشافعي لا يفطر حتى يحمله
الجهد غير المحتمل واختلف في القضاء فعامة العلماء على التخيير وعن ابي عبيدة
بن الجراح رضي الله عنه ان الله لم يرخص لكم في فطر وهو يريد ان يشق عليكم
في قضايه ان شئت فواتر وان شئت ففرق وعن علي وابن عمر والشعبي وغيرهم انه
يقضي كما فات متتابعا ويروى في قراءة ابي فعدة من ايام اخر متتابعات فان قلت كيف قيل
فعدة على التنكير ولم يقل فعدتها او فعدة الايام المعدودات قلت لما قيل فعدة
والعدة بمعنى المعدود فاريد ان يصوم اياما معدودة مكانا علم انه لا يوثر
عددا على عدد فاغنى ذلك عن التعريف بالاضافة وعلى الذين يطيقونه
وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر لهم ان افطروا فدية طعام مسكين
نصف صاع من بر او صاع من غيره عند اهل العراق وعند اهل الحجاز مد وكان
ذلك في بدء الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص لهم في
الافطار والفدية وقرأ ابن عباس يطوقونه تفعيل من الطوق اما بمعنى
الطاقة او القلادة اي يكلفونه او يقلدونه ويقال لهم صوموا وعنه يتطوقونه
بمعنى يتكلفونه او يقلدونه ويطيقونه بمعنى يتطيقونه واصلها يتطيوقونه
وستطيوقونه على انها فيعل وتفيعل من الطوق فادغمت الياء في الواو بعد قلبها
ياء كقولهم تديرت المكان وما بها ديار وفيه وجهان احدهما نحو معنى يطيقونه
والثاني يكلفونه او يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز وحكم
هؤلاء الافطار والفدية وهو على هذا الوجه ثابت غير منسوخ ويجوز ان يكون
هذا معنى يطيقونه اي يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم فمن تطوع خيرا

فزاد

قرأ ابن عباس وابن الزبير وابن ابي عبلة وابن كثير وابن عامر وابن محيصن وحميد ويعقوب وحفص وابو بكر وابو حيوة وابو عمرو في رواية عنه وابن ابي اسحاق والاعمش وابو جعفر وشيبة ونافع

للشهر يريد الله ان ييسر عليكم ولا يعسر وقد نفى عنكم الحرج في الدين وامركم بالحنيفية
السمحة التي لا اصر فيها ومن جملة ذلك ما رخص لكم فيه من اباحة الفطر في السفر والمرض ومن
الناس من فرض الفطر على المريض والمسافر حتى زعم ان من صام منهما فعليه الاعادة
وقرئ اليسر والعسر بضمتين الفعل المعلل محذوف مدلول عليه بما سبق تقديره
ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هديكم ولعلكم تشكرون شرع ذلك يعني جملة
ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر وامر المرخص له بمراعاة عدة ما افطر فيه ومن
الترخيص في اباحة الفطر فقوله لتكملوا علة الامر بمراعات العدة ولتكبروا علة
ما علم من كيفية القضا والخروج عن عهدة الفطر ولعلكم تشكرون علة الترخيص
والتيسير وهذا نوع من اللف لطيف المسلك لا يكاد يهتدي الى تبيينه الا المنقاب
المحدث من علما البيان وانما عدي فعل التكبير بحرف الاستعلا لكونه مضمنا معنى
الحمد كانه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هديكم ومعنى لعلكم تشكرون وارادة
ان تشكروا وقرئ ولتكملوا بالتشديد فان قلت هل يصح ان يكون ولتكملوا العدة معطوفا
على علة مقدرة كانه قيل لتعلموا ما تعملون ولتكملوا العدة او على اليسر كانه قيل يريد الله
بكم اليسر ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا قلت لا يبعد ذلك والاول اوجه
فان قلت ما المراد بالتكبير قلت تعظيم الله تعالى والثناء عليه وقيل هو تكبير
يوم الفطر وقيل هو التكبير عند الاهلال فاني قريب تمثيل لحاله في سهولة
اجابته لمن دعاه وسرعة انجاحه حاجة من ساله بحال من قرب مكانه فاذا
دعي اسرعت تلبيته ونحوه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقوله عليه السلام هو
بينكم وبين اعناق رواحلكم وروي ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب
ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة
كما اني اجيبهم اذا دعوني لحوائجهم وقرئ يرشدون ويرشدون بفتح الشين وكسرها
كان الرجل اذا امسى حل له الاكل والشرب والجماع الى ان يصلي العشا الاخرة او يرقد
فاذا صلاها او رقد ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب والنساء الى القابلة ثم
ان عمر رضي الله عنه واقع اهله بعد صلوة العشا الاخرة فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم
نفسه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم قال يرسول الله اني اعتذر الى الله واليك من
نفسي هذه الخاطئة فاخبره بما فعل فقال عليه الصلاة والسلام ما كنت جديرا بذلك يا عمر
فقام رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشا فنزلت وقرئ احل لكم ليلة الصيام
الرفث الى نسائكم اي احل الله لكم وقرا عبد الله الرفوث وهو الافصاح بما يجب
ان يكنى عنه كلفظ النيك وقد ارفث الرجل وعن ابن عباس انه انشد وهو محرم

وهن

وهن يمشين بنا هميسا ان تصدق ننك لميسا فقيل له ارفثت فقال انما الرفث ما كان عند
النسا وقال الله تعالى فلا رفث ولا فسوق فكنى به عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من شي
من ذلك فان قلت لم كنى عنه هاهنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح بخلاف قوله وقد
افضى بعضكم الى بعض فلما تغشاها باشروهن او لمستم النسا دخلتم بهن فاتوا حرثكم
من قبل ان تمسوهن فما استمتعتم به منهن قلت استهجانا لما وجد منهم قبل الاباحة كما سماه
اختيانا لانفسهم فان قلت لم عدي الرفث بالى قلت لتضمينه معنى الافضاء لما كان
الرجل والمراة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقه شبه باللباس المشتمل
عليه قال الجعدي اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا فان قلت ما موقع قوله
هن لباس لكم قلت هو استيناف كالبيان لسبب الاحلال وهو انه اذا كانت بينكم وبينهن
مثل هذه المخالطة والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذلك رخص لكم في مباشرتهن
تختانون انفسكم تظلمونها وتنقصونها حظها من الخير والاختيان من الخيانة كالاكتساب
من الكسب فيه زيادة وشدة فتاب عليكم حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور وابتغوا
ما كتب الله لكم واطلبوا ما قسم الله لكم واثبت في اللوح المحفوظ من الولد بالمباشرة اي لا
تباشروا لقضا الشهوة وحدها ولكن لابتغا ما وضع الله له النكاح من التناسل وقيل
هو نهي عن العزل لانه في الحراير وقيل وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وحلله دون
ما يكتب لكم من المحرم وعن قتادة وابتغوا ما كتب الله لكم من الاباحة بعد الحظر وقرا ابن
عباس واتبعوا وقرا الاعمش واتوا وقيل معناه واطلبوا ليلة القدر وما كتب الله لكم من
الثواب ان اصبتموها وقمتموها وهو قريب من بدع التفاسير الخيط الابيض اول ما
يبدو من الفجر المعترض في الافق كالخيط الممدود والخيط الاسود ما يمتد معه من غلس
الليل شبها بخيطين ابيض واسود قال ابو داود فلما اضات لنا سدفة ولاح من الصبح
خيط انارا وقوله من الفجر بيان للخيط الابيض واكتفى به عن بيان الخيط الاسود لان
بيان احدهما بيان للثاني ويجوز ان يكون من للتبعيض لانه بعض الفجر واوله فان قلت
اهذا من باب الاستعارة ام من باب التشبيه قلت قوله من الفجر اخرجه من باب الاستعارة
كما ان قولك رايت اسدا مجاز فاذا زدت من فلان رجع تشبيها وهلا اقتصر به على الاستعارة
التي هي ابلغ من التشبيه وادخل في الفصاحة قلت لان من شرط المستعار ان يدل
عليه الحال او الكلام ولو لم يذكر من الفجر لم يعلم ان الخيطين مستعاران فزيد من الفجر
فكان تشبيها بليغا وخرج من ان يكون استعارة فان قلت فكيف التبس على عدي
بن حاتم مع هذا البيان حتى قال عمدت الى عقالين ابيض واسود فجعلتهما تحت
وسادي فكنت اقوم من الليل فانظر اليهما فلا يتبين لي الابيض من الاسود فلما اصبحت

غدوت الي رسول الله صلي الله عليه وسلم فاخبرته فضحك وقال ان كان وسادك لعريضا
وروي انك لعريض القفا انما ذلك بياض النهار وسواد الليل **قلت** غفل عن البيان ولذلك
عرض رسول الله صلي الله عليه وسلم قفاه لانه مبادئ تأمل به عما بلاهذا الرجل وقلة فطنته
واشد بي بعض البدويات بدوي لقفا مبين انه في شماله قد الخص من حسب
القرار يطاشا به **فان قلت** فما تقول فيما روي عن سهل بن سعد انما نزلت
ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا اراد الصوم ربط احدهم في رجله الخيط الابيض
والخيط الاسود فلا يزال ياكل ويشرب حتي يتبين له فرأي بعد ذلك من الفجر فعلم انه
انما يعني ذلك الليل والنهار وكيف جاز تاخير البيان وهو بشبه العيث حيث
لا يفهم منه المراد ليس باستعارة لفقد الدلالة ولا بتشبيه قبل ذكر الفجر ولا
يفهم سند اذ ليس الا الحقيقة وهي غير مرادة **قلت** اما من لا يجوز تاخير البيان
وهو اكثر الفقهاء والمتكلمين وهو مذهب ابي علي وابي هاشم فلم يصح عندهم هذا
الحديث واما من يجوزه فيقول ليس بعيث لان المخاطب بتقييد منه وجوب
الخطاب ويعزم علي فعله اذا استوضح المراد به **ثم** انموا الصيام الي الليل
قالوا فيه دليل علي جواز النية بالنهار في صوم رمضان وعلي جواز تاخير الفعل الي
الفجر وعلي نفي صوم الوصال **عاكفون** في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف ان
يحبس نفسه في المسجد يتعبد فيه والمراد بالمباشرة الجماع لما تقدم من قوله احل لكم ليلة
الصيام الرفث الي نسائكم فالان باشروهن وقيل معناه لا تواصلوهن بشهوة والجماع
يفسد الاعتكاف وكذلك اذا لمس او قبل فانزل وعن قتادة كان الرجل اذا اه
اعتكف خرج فباشر امراته ثم رجع الي المسجد فنهاهم الله تعالي عن ذلك وقالوا فيه
دليل علي ان الاعتكاف لا يكون الا في المسجد وانه لا يختص به مسجد دون مسجد وقيل
لا يجوز الا في مسجد نبي وهو احد المساجد الثلاثة وقيل في مسجد جامع والعامة
علي انه في مسجد جماعة وقرأ مجاهد في المسجد **تلك** الاحكام التي ذكرت حدود
الله فلا تقربوها فلا تعتشوها **فان قلت** كيف قيل فلا تقربوها مع قوله فلا تعتدوها
ومن يتعد حدود الله **قلت** من كان في طاعة الله والعمل شرايعه فهو متصرف في
حيز الحق فنهي ان يتعداه لان من تعداه وقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك
فنهي ان يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل ليلا يدب الي الباطل
وان يكون في الواسطة مشاعا عن الطرف فضلا ان يتخطاه كما قال رسول الله
صلي الله عليه وسلم ان لكل ملك حمي وحمي الله محارمه فمن رتع حول الحمي يوشك ان
يقع فيه فالرتع حول الحمي وقربان حيزه واجب ويجوز ان يريد بتحدود الله

محارمه

محارمه ومناهيه خصوصا لقوله ولا تباشروهن وهي حدود لا تقرب ولا يأكل بعضكم
مال بعض **بالباطل** الوجه الذي لم يجعله الله ولم يشرعه **ولا تدلوا بها** ولا
تلقوا امرها والخصومة فيها الي الحكام **لتأكلوا** بالتحاكم **فريقا** طائفة **من**
اموال الناس بالاثم بشهادة الزور واليمين الكاذبة او بالصلح مع العلم بان
المقضي له ظالم وعن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال للخصمين انما انا بشر
وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فاقضي له علي نحو ما
اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فلا ياخذن منه شيئا فانما اقضي له
قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا ثم
استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه وقيل وتدلوا بها وتلقوا بعضها الي حكام
السوء علي وجه الرشوة وتدلوا بمجزوم داخل في حكم النهي او منصوب باضمار ان
كقوله وتكتموا الحق **وانتم تعلمون** انكم علي الباطل وارتكاب المعصية مع العلم
بقبحها اقبح وصاحبه احق بالتوبيخ روي ان معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم
الانصاري قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتي يمتلئ
ويستوي ثم لا يزال ينقص حتي يعود كما بدا لا يكون علي حالة واحدة فنزلت **مواقيت**
معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدد
نسائهم وايام حيضهن ومدد حملهن وغير ذلك ومعالم للحج يعرف بها وقته كان ناس
من الانصار اذا احرموا لم يدخل احدهم حايطا ولا دارا ولا استظل اما من باب فان
كان من اهل المدر نقب لقبايلة في ظهر بيته منه يدخل ومنه يخرج او تخذ سلما يصعد
فيه وان كان من اهل الوبر خرج من خلف الخباء فقيل لهم **ليس البر** بتحريم حلال من دخول
الباب **ولكن البر** بر من اتقي ما حرم الله **فان قلت** ما وجه اتصاله بما قبله **قلت**
كانه قيل لهم عند سؤالهم عن الاهلة وعن الحكمة في تقصانها وتمامها معلوم ان كل ما
يفعله الله عز وجل لا يكون الا حكمة بالغة ومصلحة لعباده فدع السؤال عنه وانظروا
في واجب تفعلونه انتم مما ليس من البر في شيء وانتم تحسبونه برا وجوز ان يجري ذلك
علي طريق الاستطراد لما ذكر انها مواقيت للحج لانه كان من افعالهم في الحج وكان هذا
مثلا لتعكيسهم في سؤالهم وان مثلهم فيه كمثل من يترك باب البيت ويدخل من
ظهره والمعني ليس البر وما ينبغي ان تكونوا عليه ان تعكسوا في امركم ولكن البر بر من
اتقي ذلك واجتنبه ولم يجسر علي مثله ثم قال **وأتوا البيوت** من ابوابها اي وباشروا
الامور من وجوهها التي يجب ان تباشر عليها ولا تعكسوا او المراد وجوب توطين
النفوس وربط القلوب علي ان جميع افعال الله حكمة وصواب من غير اختلاج شبهة

ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يسال عنه لما في السوال من الابهام بمفارقة الشك
لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون المقاتلة في سبيل الله هو الجهاد لاعلاء كلمة الله
واعزاز الدين الذين يقاتلونكم الذين يناجزونكم القتال دون المحاجزين
وعلى هذا يكون منسوخا بقوله وقاتلوا المشركين كافة وعن الربيع بن انس
هي اول اية نزلت في القتال بالمدينة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل
من قاتل ويكف عمن كف او الذين يناصبونكم القتال دون من ليس من
اهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان والنسا او الكفرة كلهم لانهم جميعا
مضادون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم فهم في حكم المقاتلة قاتلوا او لم يقاتلوا وقيل
لما صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع
من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة ايام فرجع لعمرة القضا خاف المسلمون ان لا تفي لهم قريش
ويصدوهم ويقاتلوهم في الحرم وفي الشهر الحرام وكرهوا ذلك نزلت واطلق لهم قتال
الذين يقاتلونهم منهم في الحرم والشهر الحرام ورفع عنهم الجناح في ذلك ولا
تعتدوا بابتدا القتال او بقتال من نهيتم عن قتاله من النسا والشيوخ والصبيان
والذين بينكم وبينهم عهد او بالمثلة وبالمفاجاة من غير دعوة حيث ثقفتموهم
حيث وجدتموهم في حل او حرم والثقف وجود على وجه الاخذ والغلبة ومنه رجل
ثقف سريع الاخذ لاقرانه قال فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف فليس الى خلود
من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن لم يسلم
منهم يوم الفتح والفتنة اشد من القتل اي المحنة والبلاء الذي ينزل بالانسان
فيعذب به اشد عليه من القتل وقيل لبعض الحكما ما اشد من الموت قال
الذي يتمنى فيه الموت جعل الاخراج من الوطن من الفتن والمحن التي يتمنى
عندها الموت ومنه قول القايل لقتل بحد السيف اهون موقعا على النفس
من قتل بحد فراق وقيل الفتنة عذاب الاخرة ذوقوا فتنتكم وقيل الشرك
اعظم من القتل في الحرم وذلك انهم كانوا يستعظمون القتل في الحرم ويعيبون
به المسلمين فقيل والشرك الذي هم عليه اشد واعظم مما يستعظمونه ويجوز
ان يراد وفتنتهم اياكم بصدكم عن المسجد الحرام اشد من قتلكم اياهم
في الحرم او من قتلهم اياكم ان قتلوكم فلا تبالوا بقتالهم وقرى ولا تقتلوهم
فان قتلوكم جعل وقوع القتل في بعضهم كوقوعه فيهم يقال قتلنا
بنو فلان وقال فان تقتلونا نقتلكم فان انتهوا عن الشرك والقتال
كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف حتى لا تكون فتنة اي شرك ويكون

الدين

الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان الا على
الظالمين فلا تعدوا على المنتهين لان مقاتلة المنتهين عدوان وظلم فوضع قوله الا
على الظالمين موضع على المنتهين اي فلا تظلموا الا الظالمين غير المنتهين سمي جزا
الظالمين ظلما للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او اريد انكم ان تعرضتم
لهم بعد الانتها كنتم ظالمين فيسلط عليكم من يعدوا عليكم قاتلهم المشركون عام الحديبية
في الشهر الحرام وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضا وكراهتهم القتال
وذاك في ذي القعدة الشهر الحرام بالشهر الحرام اي هذا الشهر بذاك الشهر
وهتكه بهتكه يعني تهتكون حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم والحرمات
قصاص اي وكل حرمة يجري فيها القصاص من هتك حرمة اي حرمة كانت
اقتص منه بان تهتك له حرمة فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك ولا
تبالوا واكد ذلك بقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم
واتقوا الله في حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم فلا تعدوا الى ما لا يحل لكم البا
في قوله بايديكم مزيدة مثلها في اعطى بيده للمنقاد والمعنى ولا تقبضوا التهلكة ايديكم اي
لا تجعلوها اخذة بايديكم مالكة لكم وقيل بايديكم بانفسكم وقيل تقديره ولا تلقوا انفسكم بايديكم
كما يقال اهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب لهلاكها والمعنى النهي عن ترك الانفاق في سبيل
الله لانه سبب الهلاك او عن الاسراف في النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع عياله
او عن الاستقتال والاخطار بالنفس او عن ترك الغزو الذي هو تقوية للعدو
روي ان رجلا من المهاجرين حمل على صف العدو فصاح به الناس القى بيده الى التهلكة
فقال ابو ايوب الانصاري نحن اعلم بهذه الاية وانما انزلت فينا صحبنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنصرناه وشهدنا معه المشاهد واثرناه على اهالينا واموالنا
واولادنا فلما فشا الاسلام وكثر اهله ووضعت الحرب اوزارها رجعنا الى اهالينا
واولادنا واموالنا نصلحها ونقيم فيها فكانت التهلكة الاقامة في الاهل والمال
وترك الجهاد وحكى ابو علي في الحلبيات عن ابي عبيدة التهلكة والهلاك والهلك
واحد قال فدل هذا من قول ابي عبيدة على ان التهلكة مصدر ومثله ما حكاه
سيبويه من قولهم التضرة والتسرة ونحوها في الاعيان التنضبة والتنفلة ويجوز
ان يقال اصلها التهلكة كالتجربة والتبصرة ونحوهما على انه مصدر من هلك فابدلت من
الكسرة ضمة كما جا الجوار في الجوار واتموا الحج والعمرة لله ايتوا بهما تامين كاملين
بمناسكهما وشرايطهما لوجه الله من غير توان ولا نقصان يقع منكم فيهما قال وتمام الحج
ان تقف المطايا على خرقا واضعة اللثام جعل الوقوف عليها كبعض مناسك الحج الذي

لا يتم الا به وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك روي ذلك عن علي وابن عباس وابن
مسعود رضي الله عنهم وقيل ان تفرد لكل واحد منهما سفرا كما قال محمد حجة كوفية
وعمرة كوفية افضل وقيل ان تكون النفقة حلالا وقيل ان تخلصوهما للعبادة
ولا تشوبوهما بشي من التجارة والاغراض الدنيوية فان قلت هل فيه دليل
على وجوب العمرة قلت ما هو الا امر باتمامها ولا دليل في ذلك على كونهما واجبين او
تطوعين فقد يؤمر باتمام الواجب والتطوع جميعا الا ان يقول الامر باتمامهما امر
بادايهما بدليل قراة من قرا واقيموا الحج والعمرة والامر للوجوب في اصله الا ان يدل
دليل على خلاف الوجوب كما دل في قوله فاصطادوا فانتشروا ونحو ذلك فيقال لك فقد
دل الدليل على نفي الوجوب وهو ما روي انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل
الحج قال لا ولكن ان تعتمر خير لك وعنه الحج جهاد والعمرة تطوع فان قلت فقد روي
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ان العمرة لقرينة الحج وعن عمر رضي الله عنه
ان رجلا قال له اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت
لسنة نبيك وقد نظمت مع الحج في الامر بالاتمام فكانت واجبة مثل الحج قلت كونهما قرينة
للحج ان القارن يقرن بينهما وانهما يقترنان في الذكر فيقال حج فلان واعتمر والحجاج
والعمار ولانها الحج الاصغر ولا دليل في ذلك على كونهما قرينة له في الوجوب واما
حديث عمر رضي الله عنه فقد فسر الرجل كونهما مكتوبين عليه بقوله اهللت بهما
واذا اهل بالعمرة وجبت عليه كما اذا كبر بالتطوع من الصلوة والدليل الذي
ذكرنا اخرج العمرة من صفة الوجوب فبقي الحج وحده فيها فهما بمنزلة قولك صم شهر
رمضان وستة من شوال في انك تامره بفرض وتطوع وقرا علي وابن مسعود
والشعبي والعمرة لله بالرفع كانهم قصدوا بذلك اخراجها عن حكم الحج وهو
الوجوب فان احصرتم يقال احصر فلان اذا منعه امر من خوف او مرض
او عجز قال الله تعالى الذين احصروا في سبيل الله وقال ابن ميادة
وما هجر ليلى ان تكون تباعدت عليك ولا ان احصرتك شغول
وحصر اذا حبسه عدو عن المضي او سجن ومنه قيل للمحبس الحصير وللملك الحصير
لانه محجوب هذا هو الاكثر في كلامهم وهما بمعنى المنع في كل شي مثل صده واصده وكذلك
قال الفرا وابو عمرو الشيباني وعليه قول ابي حنيفة كل منع عنده من عدو
كان او مرض او غيرهما معتبر في اثبات حكم الاحصار وعند مالك والشافعي
منع العدو وحده وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كسر او عرج فقد حل وعليه
الحج من قابل فما استيسر من الهدي فما تيسر منه يقال يسر الامر واستيسر كما

يقال

يقال صعب واستصعب والهدي جمع هدية كما يقال جدية السرج جدي وقرئ من الهدي
بالتشديد جمع هدية كمطية ومطي يعني فان منعتم من المضي الى البيت وانتم محرمون
بحج او عمرة فعليكم اذا اردتم التحلل ما استيسر من الهدي بعير او بقرة او شاة فان قلت
اين ومتى ينحر هدي المحصر قلت ان كان حاجا فبالحرم متى شا عند ابي حنيفة يبعث
به ويجعل للمبعوث على يده يوم امارة وعندهما في ايام النحر وان كان معتمرا فبالحرم في كل
وقت عندهم جميعا ما استيسر رفع بالابتدا اي فعليه ما استيسر او نصب على فاهدوا ما استيسر
ولا تحلقوا رؤسكم الخطاب للمحصرين اي لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي الذي بعثتموه
الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب نحره فيه ومحل الدين وقت وجوب قضايه وهو
ظاهر على مذهب ابي حنيفة رحمه الله فان قلت فان النبي صلى الله عليه وسلم نحر هديه
حيث احصر قلت كان محصره طرف الحديبية الى اسفل مكة وهو من الحرم وعن
الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر هديه في الحرم وقال الواقدي الحديبية
هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة فمن كان منكم مريضا فمن كان به مرض يحوجه
الى الحلق او به اذى من راسه وهو القمل او الجراحة فعليه اذا احتلق فدية من
صيام ثلاثة ايام او صدقة على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر او نسك
وهو شاة وعن كعب بن عجرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لعلك اذاك
هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق راسك وصم ثلاثة ايام او اطعم ستة مساكين
او انسك شاة وكان كعب يقول في لما نزلت هذه الاية وروي انه مر به وقد قرح راسه
فقال كفى بهذا اذى وامره ان يحلق ويطعم او يصوم والنسك مصدر وقيل جمع
نسيكة وقرا الحسن او نسك بالتخفيف فاذا امنتم الاحصار يعني فاذا لم
تحصروا وكنتم في حال امن وسعة فمن تمتع اي استمتع بالعمرة الى الحج واستمتاعه
بالعمرة الى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها الى الله قبل الانتفاع بتقربه بالحج وقيل اذا
حل من عمرته انتفع باستباحة ما كان محرما عليه الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدي
هو هدي المتعة وهو نسك عند ابي حنيفة ويأكل منه وعند الشافعي يجري مجرى
الجنايات ولا يأكل منه ويذبحه يوم النحر عندنا وعنده يجوز ذبحه اذا احرم بحجته فمن لم
يجد الهدي فعليه صيام ثلاثة ايام في الحج اي في وقته وهو اشهره ما بين الاحرامين
احرام العمرة واحرام الحج وهو مذهب ابي حنيفة والافضل ان يصوم يوم التروية وعرفة
ويوما قبلهما وان مضى هذا الوقت لم يجزه الا الدم وعند الشافعي لا يصام الا
بعد الاحرام بالحج تمسكا بظاهر قوله في الحج وسبعة اذا رجعتم بمعنى اذا نفرتم وفرغتم
من افعال الحج عند ابي حنيفة وعند الشافعي هو الرجوع الى اهاليهم وقرا ابن ابي

عبلة وسبعة اذا رجعتم بالنصب عطفا على محل ثلاثة ايام كانه قيل فصيام ثلاثة ايام
كقوله او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما فان قلت ما فايدة الفذلكة قلت الواو
قد تجي للاباحة في نحو قولك جالس الحسن وابن سيرين الا ترى انه لو جالسهما جميعا
او واحدا منهما كان ممتثلا ففذلكت نفيا لتوهم الاباحة وايضا ففايدة الفذلكة في كل
حساب ان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا ليحاط به من جهتين فيتاكد العلم
وفي امثال العرب علمان خير من علم وكذلك كاملة تاكيد اخر وفيه زيادة تاكيد توصية
بصيامها وان لا يتهاون بها ولا ينقص من عددها كما تقول للرجل اذا كان لك اهتمام
بامر تامره به وكان منك بمنزلة الله الله لا تقصر وقيل كاملة في وقوعها بدلا من
الهدي وفي قراة ابي فصيام ثلاثة ايام متتابعات ذلك اشارة الى المتمتع عند
ابي حنيفة واصحابه لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عندهم ومن تمتع منهم
او قرن كان عليه دم وهو دم جناية لا ياكل منه واما القارن والمتمتع من اهل
الافاق فدمهما دم نسك ياكلان منه وعند الشافعي اشارة الى الحكم الذي هو
وجوب الهدي والصيام ولم يوجب عليهم شيا وحاضروا المسجد الحرام اهل
المواقيت فمن دونها الى مكة عند ابي حنيفة وعنده اهل الحرم ومن كان من الحرم
على مسافة لا تقصر فيها الصلوة واتقوا الله في المحافظة على حدوده وما امركم به
ونهاكم عنه في الحج وغيره واعلموا ان الله شديد العقاب لمن خالف ليكون علمكم
بشدة عقابه لطفا لكم في التقوى اي وقت الحج اشهر كقولك البرد شهران والاشهر
المعلومات شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة عند ابي حنيفة وعند الشافعي
تسع ذي الحجة وليلة يوم النحر وعند مالك ذو الحجة كله فان قلت ما فايدة توقيت
الحج بهذه الاشهر قلت فايدته ان شيا من افعال الحج لا يصح والاحرام بالحج لا ينعقد
ايضا عند الشافعي في غيرها وعند ابي حنيفة ينعقد الا انه مكروه فان قلت فكيف
كان الشهران وبعض الثالث اشهرا قلت اسم الجمع يشترك فيه ما ورا الواحد بدليل
قوله تعالى فقد صغت قلوبكما فلا سوال فيه اذن وانما كان يكون موضعا للسوال
لو قيل ثلاثة اشهر معلومات وقيل نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رايتك سنة
كذا او على عهد فلان ولعل العهد عشرون سنة او اكثر وانما راه في ساعة منها
فان قلت ما وجه مذهب مالك وهو مروي عن عروة بن الزبير قلت قالوا
وجهه ان العمرة غير مستحبة فيها عند عمر وابن عمر فكانها مخلصة للحج لا مجال فيها للعمرة
وعن عمر انه كان يخفق الناس بالدرة وينهاهم عن الاعتمار فيهن وعن ابن عمر
انه قال لرجل ان اطعتني انتظرت حتى اذا اهللت المحرم خرجت الى ذات عرق

فاهللت

فاهللت منها بعمرة وقالوا لعل من مذهب عروة جواز تاخير طواف الزيارة الى اخر الشهر
معلومات معروفات عند الناس لا تشكل عليهم وفيه ان الشرع لم يات على
خلاف ما عرفوه وانما جا مقررا له فمن فرض فيهن الحج فمن الزمه نفسه بالتلبية
او بتقليد الهدي وسوقه عند ابي حنيفة وعند الشافعي بالنية فلا رفث
فلا جماع لانه يفسده او فلا فحش من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن
حدود الشريعة وقيل هو السباب والتنابز بالالقاب ولا جدال ولا
مراء مع الرفقاء والخدم والمكارين وانما امر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب
في كل حال لانه مع الحج اسمج كلبس الحرير في الصلاة والتطريب في قراة القران والمراد
بالنفي وجوب انتفايها وانها حقيقة بان لا تكون وقرئ المنفيات الثلاث بالنصب
والرفع وقرا ابو عمرو وابن كثير الاولين بالرفع والاخر بالنصب لانهما حملا الاولين
على معنى النهي كانه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق والثالثة على معنى الاخبار بانتفاء
الجدال كانه قيل ولا شك ولا خلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف ساير العرب
فتقف بالمشعر الحرام وساير العرب يقفون بعرفة وكانوا يقدمون الحج سنة ويوخرونه
سنة وهو النسي فرد الى وقت واحد ورد الوقوف الى عرفة فاخبر الله انه
قد ارتفع الخلاف في الحج واستدل على ان المنهي عنه هو الرفث والفسوق
دون الجدال بقوله عليه الصلاة والسلام من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيئته
يوم ولدته امه وانه لم يذكر الجدال وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث
على الخير عقيب النهي عن الشر وان تستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن
ومكان الفسق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة او
جعل فعل الخير عبارة عن ضبط انفسهم حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه وينصره
قوله وتزودوا فان خير الزاد التقوى اي اجعلوا زادكم الى الاخرة اتقاء
القبايح فان خير الزاد اتقاؤها وقيل كان اهل اليمن لا يتزودون ويقولون
نحن متوكلون ونحن نحج بيت الله افلا يطعمنا فيكونون كلا على الناس فنزلت
فيهم ومعناه وتزودوا واتقوا الاستطعام وابرام الناس والتثقيل عليهم
فان خير الزاد التقوى واتقوني وخافوا عقابي يا اولي الالباب يعني
ان قضية اللب تقوى الله ومن لم يتقه من الالباء فكانه لا لب له فضلا
من ربكم عطاء منه وتفضلا وهو النفع والربح بالتجارة وكان ناس من العرب
يتاثمون ان يتجروا ايام الحج فاذا دخل العشر كفوا عن البيع والشرا فلم تقم لهم
سوق ويسمون من يخرج بالتجارة الداج ويقولون هولاء الداج وليسوا بالحاج

وقيل كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها في ايام الموسم
وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا فرفع عنهم الجناح في ذلك وابيح لهم وانما
يباح ما لم يشتغل عن العبادة وعن ابن عمر ان رجلا قال له انا قوم نكري في هذا الوجه
وان قوما يزعمون ان لا حج لنا فقال سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما
سألت عنه فلم يرد عليه حتى نزل ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم
فدعاه فقال انتم حجاج وعن عمر رضي الله عنه انه قيل له هل كنتم تكرهون التجارة
في الحج فقال وهل كانت معايشنا الا في التجارة في الحج وقرأ ابن عباس فضلا
من ربكم في مواسم الحج ان تبتغوا فيه افضتم دفعتم بكثرة وهو من
افاضة الماء وهو صبه بكثرة واصله افضتم انفسكم فترك ذكر المفعول كما
تزل في دعواهم موضع كذا وضعوا وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه صبت في
قرآن وهو تحريش بعيرك لمحمد وتقال افاضوا في الحديث وهضبوا فيه وعرفات
علم للموقف سمي بجمع كأذرعات فان قلت هلا منعت الصرف وفيها
السببان التعريف والتانيث قلت لا يخلوا التانيث اما ان يكون بالتاء التي
في لفظها واما بتاء مقدرة كما في سعاد فالتي في لفظها ليست للتانيث وانما هي
مع الالف التي قبلها علامة جمع المونث ولا يصح تقدير التاء فيها لان هذه التاء
لاختصاصها بجمع المونث مانعة من تقديرها كما لا تقدر تاء التانيث في
بنت لان التاء التي هي بدل من الواو لاختصاصها بالمونث كنا التانيث فاثبت
تقديرها وقالوا سميت بذلك لانها وصفت لابرهيم عليه الصلاة والسلام فلما
ابصرها عرفها وقيل ان جبريل حين كان يدور به المشاعر اراه اياها
فقال عرفت وقيل التقى فيها ادم وحوا فتعارفا وقيل لان الناس يتعارفون
فيها والله اعلم بحقيقة ذلك وهي من الاسماء المرتجلة لان العرفة لا تعرف اما الاحسان
الا ان يكون جمع عارف وقيل فيه دليل على وجوب الوقوف بعرفة لان الافاضة لا تكون
الا بعده وعن النبي صلى الله عليه وسلم الحج عرفة فمن ادرك عرفة فقد ادرك الحج فاذكروا
الله بالتلبية والتهليل والتكبير والثنا والدعوات وقيل بصلوة المغرب والعشاء
والمشعر الحرام قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الامام وعليه الميقدة وقيل
المشعر الحرام ما بين جبلي المزدلفة من مأزمي عرفة الى وادي محسر وليس المازمان
ولا وادي محسر من المشعر الحرام والصحيح انه الجبل لما روي جابر ان النبي صلى الله
عليه وسلم لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا
وكبره وهلله ولم يزل واقفا حتى اسفر وقوله تعالى عند المشعر الحرام معناه عما يلي

المشعر

وجعلت معطوفا على قوله اسمعنا وما بيني
الشعر الحرام وعند الشعر سعول

المشعر الحرام قريبا منه وذلك للقرب من جبل الرحمة والا فالمزدلفة كلها موقف الا
وادي محسر وجعلت اعقاب المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة به عند المشعر
والمشعر المعلم لانه معلم لعبادة ووصف بالحرام لحرمته وعن ابن عباس رضي الله
عنهما انه نظر الى الناس في الملتجمع فقال لقد ادركت الناس في هذه الليلة لا يناموون وقيل
سميت المزدلفة وجمعا لان ادم اجتمع فيها مع حوا وازدلف اليها اي دنا منها
وعن قتادة لانه يجمع فيها بين الصلوتين ويجوز ان يقال وصفت بفعل اهلها
لانهم يزدلفون الى الله بالوقوف فيها كما هداكم ما مصدرية او كافة
والمعنى اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة او اذكروه كما علمكم كيف
تذكرونه لا تعدلوا عنه وان كنتم من قبله من قبل الهدى لمن الضالين
الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي
الفارقة ثم افيضوا ثم لتبتدئ افاضتكم من حيث افاض الناس ولا تكن من المزدلفة
وذلك لما كان عليه الحمس من الترفع على الناس والتعالي عليهم وتعظمهم عن ان
يساووهم في الموقف وقولهم نحن اهل الله وقطان حرمه فلا نخرج منه فيقفون
بجمع وسائر الناس بعرفات فان قلت فكيف موقع ثم قلت لحكم موقعها في قولك احسن
الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم فاتى بثم لتفاوت ما بين الاحسان الى الكرام والاحسان
الى غيرهم وبعد ما بينهما فكذلك حين امرهم بالذكر عند الافاضة من عرفات قال ثم
افيضوا لتفاوت ما بين الافاضتين وان احديهما صواب والثانية خطاء
وقيل ثم افيضوا من حيث افاض الناس وهم الحمس اي من المزدلفة الى مني بعد الافاضة
من عرفات وقرئ من حيث افاض الناس بكسر الزاين اي الناسي وهو ادم من قوله ولقد
عهدنا الى ادم من قبل فنسي يعني ان الافاضة من عرفات شرع قديم فلا تخالفوا عنه
واستغفروا الله من مخالفتكم في الموقف وغير ذلك من جاهليتكم فاذا قضيتم
مناسككم فاذا فرغتم من عباداتكم الحجية ونفرتم فاذكروا الله كذكركم اباءكم
فاكثروا ذكر الله وبالغوا فيه كما يفعلون بذكر اباءهم ومفاخرهم واياهم كانوا اذا قضوا
مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل فيعدون فضايل اباءهم ويذكرون محامد
اباءهم او اشد ذكرا في موضع جر عطف على ما اضيف اليه الذكر في قوله كذكركم اباءكم
تقول كذكر قريش اباهم او قوم اشد ذكرا او في موضع نصب عطف على اباءكم يعني
او اشد ذكرا من اباءكم على ان ذكرا من فعل المذكور فمن الناس من يقول معناه
اكثروا ذكر الله ودعاءه فان الناس من بين مقل اي لا يطلب بذكر الله الا اغراض
الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين فكونوا من المكثرين اتنا في الدنيا اجعل ايتنا

قال رضي الله عنه المصدر ياتي من فعل كما ياتي من فعل
كقولهم تكلمت كلاما وتكلمت تكلما ويجوز ان يكون المعنى بعد
ان ذكر الله ذكرا مثل ذكركم اباءكم او اشد ذكرا على ان يكون
المصدر مضافا الى المفعول الاول وذكر المعروف

اي اعطانا في الدنيا خاصة ۞ وماله في الاخرة من خلاق ۞ اي من طلب خلاق وهو النصيب
او ما لهذا الداعي في الاخرة من نصيب لان همه مقصور على الدنيا والحسنتان ما هو
طلبة الصالحين في الدنيا من الصحة والكفاف والتوفيق في الخير وطلبتهم في
الاخرة من الثواب وعن علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المراة الصالحة
وفي الاخرة الحور وعذاب النار امراة السوء ۞ اولئك ۞ الداعون بالحسنتين
۞ لهم نصيب مما كسبوا ۞ اي نصيب من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة وهو الثواب الذي
هو المنافع الحسنة او من اجل ما كسبوا كقوله من مما خطيئاتهم اغرقوا او لهم نصيب
مما دعوا به يعطيهم منه ما يستوجبونه بحسب مصالحهم في الدنيا واستحقاقهم في الاخرة
وسمي الدعا كسبا لانه من الاعمال والاعمال موصوفة بالكسب بما كسبت ايديكم ويجوز
ان يكون اولئك للفريقين جميعا وان لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوه ۞ والله
سريع الحساب ۞ يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب العباد فبادروا اكثار الذكر
وطلب الاخرة او وصف نفسه بسرعة حساب الخلايق على كثرة عددهم وكثرة اعمالهم
ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر منه روي انه يحاسب الخلق في قدر حلب شاة
وروي في مقدار فواق ناقة وروي في مقدار لمحة ۞ الايام المعدودات ۞ ايام التشريق
وذكر الله فيها التكبير في ادبار الصلوات وعند الجمار وعن عمر رضي الله عنه
انه كان يكبر في فسطاطه بمنى فيكبر من حوله حتى يكبر الناس في الطريق وفي الطواف
۞ فمن تعجل ۞ فمن عجل في النفر او استعجل النفر وتعجل واستعجل يجيئان مطاوعين
بمعنى عجل يقال تعجل في الامر واستعجل بمعنى ومتعديين يقال تعجل الذهاب واستعجله
والمطاوعة اوفق لقوله ومن تاخر كما هي كذلك في قوله ۞ قد يدرك المتاني بعض
حاجته وقد يكون من المستعجل الزلل ۞ لاجل المتاني ۞ في يومين ۞ بعد يوم النحر
يوم القر وهو الذي يسميه اهل مكة يوم الرؤس واليوم بعده ينفر اذا فرغ من
رمي الجمار كما يفعل الناس اليوم وهو مذهب الشافعي ويروى عن قتادة وعند
ابي حنيفة واصحابه ينفر قبل طلوع الفجر ۞ ومن تاخر ۞ حتى رمى في اليوم الثالث
والرمي في اليوم الثالث يجوز تقديمه على الزوال عند ابي حنيفة وعند الشافعي
لا يجوز فان قلت كيف قال فلا اثم عليه عند التعجل والتاخر جميعا قلت
دلالة على ان التعجل والتاخر مخير فيهما كانه قيل فتعجلوا وتاخروا فان قلت
اليس التاخر بافضل قلت بلى ويجوز ان يقع التخيير بين الفاضل والافضل
كما خير المسافر بين الصوم والافطار وان كان الصوم افضل وقيل ان
اهل الجاهلية كانوا فريقين منهم من جعل المتعجل اثما ومنهم من جعل المتاخر

اثما

اثما فورد القران بنفي الماثم عنهما جميعا ۞ لمن اتقى ۞ اي ذلك التخيير ونفي الاثم عن المتعجل
والمتاخر لاجل الحاج المتقي لئلا يتخالج في قلبه شي منهما فيحسب ان احدهما يرهق
صاحبه اثام في الاقدام عليه لان ذي التقوى حذر متحرز من كل ما يريبه ولانه هو
الحاج على الحقيقة عند الله ثم قال واتقوا الله ليعبا بكم ويجوز ان يراد ذلك
الذي مر ذكره من احكام الحج وغيره لمن اتقى لانه هو المنتفع به دون من سواه
كقوله ذلك خير للذين يريدون وجه الله ۞ من يعجبك قوله ۞ اي يروقك ويعظم
في قلبك ومنه الشي العجيب الذي يعظم في النفس وهو الاخنس بن شريق كان رجلا
حلو المنطق اذا لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم الان له القول وادعى انه
يحبه وانه مسلم وقال يعلم الله اني صادق وقيل هو عام في المنافقين كانت
تحلو لي السنتهم وقلوبهم امر من الصبر فان قلت بم يتعلق قوله في الحيوة
الدنيا قلت بالقول اي يعجبك ما يقوله في معنى الدنيا لان ادعاه المحبة بالباطل
يطلب به حظا في حظوظ الدنيا ولا يريد به الاخرة كما يراد بالايمان الحقيقي
والمحبة الصادقة للرسول فكلامه اذن في الدنيا لا في الاخرة ويجوز ان يتعلق
بيعجبك اي قوله حلو فصيح في الدنيا فهو يعجبك ولا يعجبك في الاخرة لما يرهقه
في الموقف من الحبسة او اللكنة او لانه لا يوذن له في الكلام فلا يتكلم حتى
يعجبك كلامه ۞ ويشهد الله على ما في قلبه ۞ اي يحلف ويقول الله شاهد على
ما في قلبي من محبتك ومن الاسلام وقرئ ويشهد الله وفي مصحف ابي ويستشهد
الله ۞ وهو الد الخصام ۞ وهو شديد الجدال والعداوة للمسلمين وقيل كان
بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا واهلك مواشيهم واحرق زروعهم
والخصام المخاصمة واضافة الالد بمعنى في كقولهم ثبت الغدر او جعل الخصام
الد على المبالغة وقيل الخصام جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى وهو اشد الخصوم
خصومة ۞ واذا تولى ۞ واذا تولى عنك ذهب بعداء لانه القول واخلاء
المنطق ۞ سعى في الارض ليفسد فيها ۞ كما فعل بثقيف وقيل اذا تولى واذا كان
واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد في الارض باهلاك الحرث والنسل وقيل
يظهر الظلم حتى يمنع الله بشوم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل وقرئ ويهلك
الحرث والنسل على ان الفعل للحرث والنسل والرفع للعطف على سعى وقرا
الحسن بفتح اللام وهي لغة نحو ابى يابى وروي عنه ويهلك على البنا للمفعول
۞ اخذته العزة بالاثم ۞ من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته
اياه اي حملته العزة التي فيه وحمية الجاهلية على الاثم الذي نهي عنه والزمته

المنفكرين ٥ في كتاب الله تعالى وبدل الهمزة الثانية ٥ ما لم يكونوا تحتسبون ٥ وقضى الامر ٥ وأتم امر اهلاكهم وتدميرهم وقرئ وقراءة معاذ بن جبل رضي الله عنه وقضاء الامر على المصدر المرفوع عطفا على الملايكة وقرئ ترجع وترجع على البناء للفاعل والمفعول بالتانيث والتذكير فيهما ٥ سل ٥ امر للرسول او لكل احد وهذا السوال سوال تقريع كما يسال الكفرة يوم القيامة ٥ كم اتيناهم من اية بينة ٥ على ايدي انبيائهم وهي معجزاتهم او من اية في الكتب شاهدة على صحة دين الاسلام ٥ ونعمة الله ٥ اياته وهي اجل نعمة من الله لانها اسباب الهدى والنجاة من الضلالة وبدلوا اياها ان الله اظهرها لتكون اسباب هداهم فجعلوها اسباب ضلالتهم كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم وحرفوا ايات الكتب الدالة على دين محمد صلى الله عليه وسلم **فان قلت** كم استفهامية او خبرية **قلت** تحتمل الامرين ومعنى الاستفهام فيها للتقرير **فان قلت** ما معنى من بعد ما جاءته **قلت** معناه من بعد ما تمكن من معرفتها او عرفها كقولهم لحروفه من بعد ما عقلوه لانه اذا لم يتمكن من معرفتها ولم يعرفوها فكانها غايبة عنه وقرئ ومن يبدل بالتخفيف ٥ المزين ٥ هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها في اعينهم بوسوسته وحببها اليهم حتى لهم حتى استحسنوها واحبوها او جعل اعمال المزين ترسنا ويدل عليه قراءة من قرا زين للذين كفروا الحيوة الدنيا على البناء للفاعل ٥ ويسخرون من الذين امنوا كان الكفرة يسخرون من المومنين الذين لاحظ لهم من الدنيا كابن مسعود وعمار وصهيب وغيرهم اي لا يريدون غيرها وهم يسخرون ممن لا حظ له فيها او ممن يطلب غيرها ٥ والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة لانهم في عليين من السماء وهم في سجين من الارض او حالهم عالية لحالهم لانهم في كرامة وهم في هوان او هم عالون عليهم مترفعون يضحكون منهم كما يتفاول هولاء عليهم في الدنيا ويرون الفضل لهم عليهم فالذين امنوا من الكفار يضحكون منهم ٥ والله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير يعني انه يوسع على من توجب الحكمة التوسعة عليه كما وسع على قارون وغيره فيهلك التوسعة عليهم من حيث لا يفهمون الحكمة وهو استدراج لهم بالنعمة ولو كانت كرامة لكان اولياوه المومنون احق بها منهم **فان قلت** ثم قال من الذين امنوا ثم قال والذين اتقوا **قلت** ليريك انه لا سعادة عند الله الا للمومن المتقي وليكون بعثا للمومنين على التقوى لاداء سعوا ذلك ٥ كان الناس امة واحدة ٥ متفقين على دين الاسلام ٥ فبعث الله النبيين ٥ يبشرون فاختلفوا فبعث الله وانما حذف للدلالة قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ٥ عليه وفي قراءة عبد الله كان الناس امة واحدة فاختلفوا فبعث الله والدليل عليه قوله عز وعلا وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا وقيل كان ٥

ارتكابه لان لا تخلي عنه ضرارا وكجاجا على ٥ او هم ٥ يقول الواعظ ٥ يشري نفسه ٥ يبيعها اي يبذلها في الجهاد وقيل يامر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل وقيل نزلت في صهيب بن سنان اراده المشركون على ترك الاسلام وعذبوه فقال لهم انا شيخ كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي ففعلوا منه ماله فاتى المدينة ٥ والله رؤف بالعباد ٥ حيث كلفهم الجهاد فعرضهم لثواب الشهداء ٥ السلم بكسر السين وفتحها وقرا الاعمش بفتحهما وهما لغتان كالسلم واللام وهو الاستسلام والطاعة اي استسلموا لله واطيعوه ٥ كافة ٥ لا يخرج احد منكم يده عن طاعته وقيل هو الاسلام والخطاب لاهل الكتاب لانهم امنوا بنبيهم وكتابهم او للمنافقين لانهم امنوا بالسنتهم ويجوز ان يكون كافة حالا من السلم لانها تونث كما تونث الحرب قال ٥ السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع ٥ على ان المومنين امروا بان يدخلوا في الطاعات كلها وان لا يدخلوا في طاعة دون طاعة او شعب الاسلام وشرايعه كلها وان لا يخلوا منها وعن عبد الله بن سلام انه استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقيم على السبت وان يقرا من التوراة في صلوته من الليل وكافة من الكف كانهم كفوا ان يخرج منهم احد ما جاءهم ٥ فان زللتم ٥ عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات ٥ اي الحجج والشواهد على ان ما دعيتم اليه الى الدخول فيه هو الحق ٥ فاعلموا ان الله عزيز ٥ غالب لا يعجزه الانتقام منكم حكيم ٥ لا يسقط الا بحق وروي ان قارئا قرا غفور رحيم فسمعه اعرابي فانكره ولم يقرا القران وقال ان كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لانه اغرا عليه وقرا ابو السماك زللتم بكسر اللام وهما لغتان نحو ضللت وضللت ٥ اتيان الله اتيان امره وباسه كقوله او ياتي امر ربك فجاءهم باسنا ويجوز ان يكون الماتي به محذوفا بمعنى ان ياتيهم الله باسه او بنقمته للدلالة عليه بقوله فان الله عزيز ٥ في ظلل ٥ جمع ظلة وهي ما اظلك وقرئ ظلال وهي جمع ظله كقلة وقلال او جمع ظل وقرئ والملايكة بالرفع كقوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الملايكة وبالجر عطفا على الظلل او على الغمام **فان قلت** لم ياتيهم العذاب في الغمام **قلت** لان الغمام مظنة الرحمة فاذا نزل منه العذاب كان الامر اقطع واهول لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اعم كما ان الخير اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اسر فكيف اذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير ولذلك كانت الصاعقة من العذاب المستقطع لجيئها من حيث يتوقع الغيث ومن ثم اشتد على

امة واحدة كفارا فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والاول اوجه فان قلت متى كان الناس
امة واحدة متفقين على الحق قلت عن ابن عباس انه كان بين ادم وبين نوح عشرة قرون
على شريعة من الحق فاختلفوا وقيل هم نوح ومن كان معه في السفينة وانزل معهم
الكتاب يريد الجنس او مع كل واحد منهم كتابه ليحكم الله او الكتاب او النبي
المنزل عليه فيما اختلفوا فيه في الحق ودين الاسلام الذي اختلفوا فيه بعد
الاتفاق وما اختلف فيه في الحق الا الذين اوتوه الا الذين اوتوا الكتاب
المنزل لازالة الاختلاف اي ازدادوا الاختلاف لما انزل عليهم الكتاب وجعلوا
نزول الكتاب سببا في شدة الاختلاف واستحكامه بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما
لحرصهم على الدنيا وقلة انصاف منهم ومن الحق بيان لما اختلفوا فيه اي فهدى
الله الذين امنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف ام منقطعة ومعنى الهمزة
فيها للتقرير وانكار الحسبان واستبعاده لما ذكر ما كانت عليه الامم من الاختلاف على
النبيين بعد مجي البينات تشجيعا لرسول الله والمومنين على الثبات والصبر مع
الذين اختلفوا عليه من المشركين واهل الكتاب وانكارهم لاياته وعداوتهم له قال لهم على
طريقة الالتفات التي هي ابلغ ام حسبتم ولما فيها معنى التوقع وهي في النفي نظيرة قد
في الاثبات والمعنى ان اتيان ذلك المتوقع منتظر مثل الذين خلوا حالهم التي هي مثل
في الشدة ومستهم بيان للمثل وهو استيناف كان قايلا قال كيف كان ذلك المثل
فقيل مستهم الباسا وزلزلوا وازعجوا ازعاجا شديدا شبيها بالزلزلة بما اصابهم
من الاهوال والافزاع حتى يقول الرسول الى الغاية التي قال الرسول ومن معه
فيها متى نصر الله اي بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك ومعناه طلب النصر
وتمنيه واستطالة زمان الشدة وفي هذه الغاية دليل على تناهي الامر في الشدة
وتماديه في العظم لان الرسل لا يقادر قدر ثباتهم واصطبارهم وضبطهم لانفسهم فاذا
لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك الغاية في الشدة التي لا مطمح وراها الا ان نصر
الله قريب على ارادة القول يعني فقيل لهم ذلك اجابة لهم الى طلبتهم من عاجل
النصر وقرئ حتى يقول الرسول بالنصب على اضمار ان ومعنى الاستقبال لان ان
علم له وبالرفع على معنى انه في معنى الحال كقوله شربت الابل حتى يجي البعير
يجر بطنه الا انها حال ماضية محكية فان قلت كيف طابق الجواب السوال
في قوله قل ما انفقتم وهم قد سالوا عن بيان ما ينفقون واجيبوا ببيان المصرف قلت
قد تضمن قوله ما انفقتم من خير بيان المصرف لان النفقة لا يعتد بها الا ان تقع
موقعها ان الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع وعن ابن

عباس

عباس انه جا عمرو بن الجموح وهو شيخ هم وله مال عظيم فقال ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها
فنزلت وعن السدي هي منسوخة بفرض الزكوة وعن الحسن هي في التطوع وهو كره
لكم من الكراهة بدليل قوله وعسى ان تكرهوا شيا ثم اما ان يكون بمعنى الكراهة
على وضع المصدر موضع الوصف مبالغة كقولها فانما هي اقبال وادبار كانه في نفسه
كراهة لفرط كراهتهم له واما ان يكون فعلا بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز اي
وهو مكروه لكم وقرا السلمي بالفتح على ان يكون بمعنى المضموم كالضعف والضعف
ويجوز ان يكون بمعنى الاكراه على سبيل المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدة كراهتهم له
ومشقته عليهم ومنه قوله تعالى حملته امه كرها ووضعته كرها وعلى قوله وعسى
ان تكرهوا شيا جمع ما كلفوه فان النفوس تكرهه وتنفر عنه وتحب خلافه والله يعلم
ما يصلحكم وما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله
بن جحش على سرية في جمادى الاخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصدوا عيرا لقريش فيها
عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير
وفيها من تجارة الطايف وكان ذلك اول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الاخرة
فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخايف ويتذعر فيه الناس
الى معايشهم فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم العير وعظم ذلك على اصحاب
السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم العير
والاسارى وعن ابن عباس لما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة
والمعنى يسالك الكفار او المسلمون عن القتال في الشهر الحرام وقتال فيه بدل اشتمال
من الشهر وفي قراة عبد الله عن قتال فيه على تكرير العامل للذين استضعفوا
لمن امن منهم وقرا عكرمة قتل فيه قل قتل فيه كبير اي اثم كبير وعن عطاء
انه سيل عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا
في الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه وما نسخت واكثر الاقاويل على انها منسوخة بقوله
فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وصد عن سبيل الله مبتدا واكبر خبره
يعني وكباير قريش من صدهم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وكفرهم بايات الله
واخراج اهل المسجد الحرام وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنون اكبر
عند الله مما فعلته السرية من القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطا والبناء
على الظن والفتنة الاخراج او الشرك والمسجد الحرام عطف على سبيل الله
فان قلت كيف صح العطف قبل الفراغ من المعطوف عليه وقد منعوا من ذلك
قلت وكفر به بمعنى الصد عن سبيل الله فاتحادهما هو الذي سوغ ذلك كانه

وحد شربه مادون السكر اذا لم يقصد شربه للهو والطرب عند ابي حنيفة وعن بعض اصحابه لان اقول مرارا هو حلال احب الي من ان اقول مرة هو حرام ولان اخر من السماء فاتقطع قطعا احب الي من ان اتناول منه قطرة وعند اكثر الفقها هو حرام كالخمر وكذلك كل مسكر من كل شراب وسميت خمرا لتغطيتها العقل والتمييز كما سميت سترا لانها تسترها اي تخمرهما فكانها سميت بالمصدر من خمره خمرا اذا ستره للمبالغة والميسر القمار مصدر من يسر كالموعد والمرجع من فعلها يقال يسرته اذا قمرته واشتقاقه من اليسر لانه اخذ مال الرجل بيسر وسهولة من غير كد ولا تعب او من اليسار لانه سلب يساره وعن ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يخاطر على اهله وماله قال اقول لهم بالشعب اذ يسرتني اي يعلون بي بالفعل الياسر وهو الميسور فان قلت كيف صفة الميسر قلت كانت لهم عشرة اقداح وهي الازلام والاقلام القدح والنوم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل واحد منها نصيب معلوم من جزور يجزونها ويقسمونها عشرة اجزاء وقيل ثمانية وعشرين على الاثلثة وهي المنيح والسفيح والوغد ولبعضهم في الدنيا سهام ليس فيها نصيب وغد وسفيح ومنيح للقدح سهم وللتوم سهمان وللرقيب ثلاثة وللحلس اربعة وللناقس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة تجعلونها في الربابة وهي خريطة وتصعونها على يدي عدل ثم يجثيها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا منها فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب الموسوم به وذلك القدح ومن خرج له قدح مما لا نصيب له لم ياخذ شيا وغرم ثمن الجزور كله فكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا ياكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه البرم وفي حكم الميسر انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرها وعن النبي صلى الله عليه وسلم اياكم وهاتين الكعبتين المشومتين فانهما من ميسر العجم وعن علي رضي الله عنه ان النرد والشطرنج من الميسر وعن ابن سيرين كل شي فيه خطر فهو من الميسر والمعنى يسئلونك عن تعاطيها بدليل قوله فيهما اثم كبير واثمهما وعقاب الاثم في تعاطيها اكبر من نفعهما وهو اللذة اذ في شرب الخمر والقمار والطرب فيهما والتوصل بهما الى مصادقات الفتيان ومعاشراتهم والنيل من مطاعمهم ومشاربهم واعطيا تهم وسلب الاموال القمار والافتخار على الابرام وقرئ اثم كثير بالثاء وفي قراءة ابي واثمهما اقرب ومعنى الكثرة ان اصحاب الشرب والقمار يقترفون فيها الاثام من وجوه كثيرة العفو نقيض الجهد وهو ان ينفق ما لا يبلغ انفاقه منه الجهد واستفراغ الوسع قال خذي العفو مني الخ تستدني مودتي ويقال للارض السهلة العفو وقرئ بالرفع والنصب وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا اتاه بهيئة سيئة من ذهب اصابها في بعض المغازي فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه من الجانب الايمن

افضل وكانه قيل وصدعن سبيل الله والمسجد الحرام وجه اخر وهو ان موضع قوله وكفر به عقيب قوله والمسجد الحرام الا انه قدم لفرط العناية عليه كما في قوله ولم يكن له كفوا احد كان من حق الكلام ان يقدم ولم يكن احد كفوا له الا انه قيل ولم يكن له فقدم له لفرط العناية فكذلك ههنا ولا يجوز ان يعطف على الهاء به ولا يزالون يقاتلونكم اخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وانهم لا يصلحون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى معناها التعليل كقولك فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة اي يقاتلونكم كي يردوكم وان استطاعوا استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بي فلا تبق علي وهو واثق بانه لا يظفر به ومن يرتدد منكم ومن يرجع عن دينه الى دينهم وبطاوعهم على ارادته اليه فيمت على ردته فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة لما يفوتهم باحداث الردة من الثواب في الدنيا من ثمرات الاسلام وامتداد الموت عليها من ثواب الاخرة وبها احتج الشافعي رضي الله عنه على ان الردة لا تحبط الاعمال حتى يموت عليها وعند ابي حنيفة رحمه الله انها تحبطها وان رجع ثم ان الذين امنوا والذين هاجروا روي ان عبد الله بن جحش واصحابه حين قتلوا الحضرمي ظن قوم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر فنزلت اولئك يرجون رحمة الله عن قتادة هو لاخيار هذه الامة ثم جعلهم الله اهل رجاء كما تسمعون فانه من رجا طلب ومن خاف هرب نزلت في الخمر اربع ايات فنزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا وكان المسلمون يشربونها وهي حلال ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة قالوا يا رسول الله افتنا في الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت فيهما اثم كبير ومنافع للناس فشربها قوم وتركها اخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فامّ بعضهم فقرا قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فقل من شربها ثم دعا عتبان بن مالك قوما فيهم سعد بن ابي وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا واحتى انشد سعد شعرا فيه هجا الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه موضحة فشكا الى رسول الله فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب وعن علي رضي الله عنه لو وقعت قطرة في بير فبنيت مكانها منارة لم اوذن عليها ولو وقعت

حل

قوله عن الاسلام والاعلام كالجنس لهذه العشرة
قوله والتوم الكاف والميم المشددة وهو الذي لا يخرج الا قدحا واحدا بخلاف الرقيب
قوله والرقيب الذي يحرس القوم والكاتب ومن والى الامر كالمشير
قوله والحلس الذي لا يخرج الا قدحين
قوله والناقس الذي لا يخرج الا ثلاثة
قوله والمسبل الذي لا يخرج الا اربعة
قوله والمعلى الذي لا يخرج الا خمسة
قوله والمنيح الذي لا يخرج الا ستة
قوله والسفيح الذي لا يخرج الا سبعة
قوله والوغد الذي لا يخرج الا ثمانية

فقال مسئله فاعرض عنه ثم اتاه من الجانب الايسر فاعرض عنه فقال ما تما مغضبا فاخذ ما فحذفه
بها حذر فالوا صابه لشجه او عقره ثم قال يجي احدكم بماله كله فيتصدق به ويجلس
يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غني في الدنيا والاخرة اما ان يتعلق بتفكرون
فيكون المعني لعلكم تفكرون فيما يتعلق بالدارين فتاخذون بما هو اصلح لكم كما بينت
لكم ان العفو اصلح من الجهد في الصدقة او تفكرون في الدارين فتوثرون ايقاها
واكثرها منافع ويجوز ان يكون اشارة الى قوله واثمهما اكبر من نفعهما لتتفكروا
في عقاب الاثم في الاخرة والنفع في الدنيا حتى لا تختاروا النفع العاجل على النجاة
من العقاب العظيم واما ان يتعلق ببين على معنى مثل لكم الايات في امر الدارين
وفيما يتعلق بهما لعلكم تفكرون لما نزلت ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما
اعتزلوا اليتامى وتحاشوهم وتركوا مخالطتهم والقيام باموالهم والاهتمام بمصالحهم
مشق ذلك عليهم وكاد يوقعهم في الحرج فقيل اصلاح لهم خير اي مداخلتهم على وجه الاصلاح
لهم ولاموالهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم وتعاشروهم ولم تجانبوهم فهم اخوانكم
في الدين ومن حق الاخ ان يخالط اخاه وقد حملت المخالطة على المصاهرة والله يعلم
المفسد من المصلح اي لا يخفى عليه من داخلهم بافساد واصلاح فيجازيه على
حسب مداخلته فاحذروه ولا تتحروا غير الاصلاح ولو شاء الله لاعنتكم لحملكم
على العنت وهو المشقة واحرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم وقرئ لاعنتكم بطرح الهمزة والقاء
حركتها على اللام كذلك فلا اثم عليه ان الله عزيز غالب يقدر على ان يعنت عباده
ويحرجهم ولكنه حليم لا يكلف الا ما يتسع فيه طاقتهم ولا تنكحوا وقرئ بضم التاء
اي لا تزوجوهن اولا تزوجوهن والمشركات الحربيات والاية ثابتة وقيل
المشركات الحربيات والكتابيات جميعا لان اهل الكتاب من اهل الشرك لقوله تعالى
وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه
عما يشركون وهي منسوخة بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وسورة
المائدة كلها ثابتة لم ينسخ منها شيء قط وهو قول ابن عباس والاوزاعي وروي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعث مرثد ابن ابي مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها ناسا
من المسلمين وكان بمكة امراة في الجاهلية اسمها عناق فاتته وقالت الا تخلوا
فقال ويحك ان الاسلام حال بيننا فقالت فهل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن
ارجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستامره فنزلت ولامة مؤمنة
حرة كانت او مملوكة وكل لكم ولعبد مؤمن لان الناس كلهم عبيد الله واماؤه

ولو اعجبتكم

ولو اعجبتكم ولو كان الحال ان المشركة تعجبكم وتحبونها فان المومنة خير منها مع ذلك
اولئك اشارة الى المشركات والمشركين اي يدعون الى الكفر فحقهم ان لا يوالوا ولا
يصاهروا ولا يكون بينهم وبين المومنين الا المناصبة والقتال والله يدعو الى
الجنة يعني اولياء الله وهم المومنون يدعون الى الجنة والمغفرة وما يوصل اليهما فهم
الذين احبوا لاجلهم ومصاهرتهم وان لا يورثوا اعداء عبيدهم باذنه بتيسير الله وتوفيقه
للعمل الذي تستحق به الجنة والمغفرة وقرا الحسن والمغفرة باذنه بالرفع اي والمغفرة
حاصلة بتيسيره المحيض مصدر يقال حاضت تحيض كقولك جاء يجيء وبات
يبيت قل هو اذى اي الحيض شيء يستقذر ويوذي من يقربه نفرة منه وكراهة
له فاعتزلوا النساء فاجتنبوهن يعني فاحسبوا مجامعتهن وروي ان اهل الجاهلية
كانوا اذا حاضت المراة لم ياكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فراش ولم يبيتوا معها
في بيت كفعل اليهود والمجوس فلما نزلت اخذ المسلمون بظاهر اعتزالهن فاخرجوهن
من بيوتهن فقال ناس من الاعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة فان
اثرنا هن بالثياب هلك سائر اهل البيت وان استاثرنا بها هلكت الحيض فقال عليه
الصلاة والسلام انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من
البيوت كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى كانوا مجامعونهن ولا يبالون بالحيض
واليهود كانوا يعتزلونهن في كل شيء فامر الله بالاقتصاد بين الامرين وبين الفقهاء
خلاف في الاعتزال فابو حنيفة وابو يوسف يوجبان اعتزال ما اشتمل عليه
الازار ومحمد والحسن لا يوجب الا اعتزال الفرج وروي محمد بن الحسن حديث
عايشة رضي الله عنها ان عبد الله بن عمر سالها هل يباشر الرجل امراته وهي حايض فقالت
تشد ازارها على سفلتها ثم ليباشرها ان شاء وما روي يزيد ابن اسلم ان رجلا سال
النبي صلى الله عليه وسلم ما يحل لي من امراتي وهي حايض قال لتشد عليها ازارها ثم
شانك بما علا منها قال ابو محمد بن الحسن وهذا قول ابي حنيفة وقد جاء ما هو ارخص
من هذا عن عايشة انما قالت تحتجب شعار الدم وله ما سوى ذلك وقرئ يطهرن
بالتشديد اي يتطهرن بدليل قوله فاذا تطهرن قراءة عبد الله حتى يتطهرن ويطهرن بالتخفيف والتطهر الاغتسال والطهر انقطاع دم الحيض وكلتا القراءتين مما يجب العمل به فذهب
ابو حنيفة الى ان له ان يقربها في اكثر الحيض بعد انقطاع الدم وان لم تغتسل وفي اقل
الحيض لا يقربها حتى تغتسل او يمضي عليها وقت صلاة وذهب الشافعي الى انه لا
يقربها حتى تطهر وتتطهر وتجمع بين الامرين وهو قول واضح ويعضده قوله
فاذا تطهرن فاتوهن من حيث امركم الله من المأتي الذي امركم الله به وحلله

التفاف الفخذ والدبر والتفاف قوابل البعير

اي استتمتم بما فوق فرجها فانه غير ضيق عليك وبناءك منصوب باضمار فعل ويجوز رفع على الابتداء ان اريد بالشعار الثوب وهو الازار فهو مجاز لان اريد به العلامة وهو الكشف فهو مجاز محض

ومعنى الاية على الاول ان الرجل كان يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم او اصلاح ذات بين
او احسان الى عيال او عبادة ثم يقول اخاف الله ان احنث في يميني فيترك البر ارادة
البر في يمينه فقيل لهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اي حاجزا لما حلفتم عليه وسمي المحلوف
عليه يمينا لتلبسه باليمين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سمرة فاذا حلفت
على يمين فرايت غيرها خيرا منها فات الذي هو خير وكفر عن يمينك اي عن شيء مما حلف عليه
وقوله ان تبروا وتتقوا وتصلحوا عطف بيان لايمانكم اي للامور المحلوف عليها
التي هي البر والتقوى والاصلاح بين الناس فان قلت بم تعلقت اللام في لايمانكم
قلت بالفعل اي فلا تجعلوا الله لايمانكم برزخا ومجازا ويجوز ان تتعلق بعرضة لما
فيها من معنى الاعتراض كانه قيل لا تجعلوه شيئا يعترض البر من اعترضني كذا ويجوز
ان تكون اللام للتعليل وتتعلق ان تبروا بالفعل او بالعرضة اي ولا تجعلوا الله لاجل ايمانكم
به عرضة لان تبروا ومعنا كما على الاخوي ولا تجعلوا الله معرضا لايمانكم فيتبذل لوا بكثرة
الحلف به ولذلك ذم من ابتذل فيه ولا تطع كل حلاف مهين باشنع المذام وجعل الحلاف
مقدمتها وان تبروا علة النهي اي ارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا الا ترى الحلاف مجترئ على
الله غير معظم له فلا يكون برا متقيا ولا يثق به الناس فلا يدخلونه في رسا لاتهم واصلاح
ذات بينهم اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولذلك قيل لما لا يعتد
به في الدية من اولاد الابل لغو واللغو من اليمين الساقط الذي لا يعتد به في الايمان
وهو الذي لا عقد معه والدليل عليه ولكن يواخذكم بما عقدتم الايمان بما كسبت قلوبكم
واختلف الفقهاء فيه عند ابي حنيفة واصحابه هو ان يحلف على الشيء يظنه على ما حلف
عليه ثم يظهر خلافه وعند الشافعي هو قول العرب لا والله وبلى والله مما يوكدون به
كلامهم فلا يخطر ببالهم الحلف ولو قيل لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف في المسجد الحرام
لانكر ذلك ولعله قال لا والله الف مرة وفيه معنيان احدهما لا يواخذكم اي لا يعاقبكم
بلغو اليمين الذي حلفه احدكم بالظن ولكن يعاقبكم بما كسبت قلوبكم اي اقترفته
من اثم القصد الى الكذب في اليمين وهو ان يحلف على ما يعلم انه خلاف ما يقوله
وهي اليمين الغموس والثاني لا يواخذكم اي لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين
الذي لا قصد معه ولكن يلزمكم الكفارة بما كسبت قلوبكم اي ما نوت قلوبكم وقصدت
من الايمان ولم يذكر كسب اللسان وحده والله غفور حليم حيث لم يواخذكم
باللغو ايمانكم وقراءة عبد الله من نسايهم وقرا ابن عباس يقسمون من نسايهم
فان قلت كيف عدي بمن وهو معدى بعلى قلت قد ضمن هذا القسم
المخصوص معنى البعد فكانه قيل يبعدون من نسايهم مولين او مقسمين ويجوز

لكم وهو القبيل ان الله يحب التوابين مما عسى بندر منهم من ارتكاب ما نهوا عنه فرد ذلك
ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش وان الله يحب التوابين الذين يطهرون
انفسهم بطهرة التوبة من كل ذنب ويحب المتطهرين من جميع الاقذار كمجامعة الحايض
والكافر قبل الغسل واتيان ما ليس بمباح وغير ذلك حرث لكم مواضع حرث لكم
وهذا مجاز شبههن بالمحارث لشبه ما يلقى في ارحامهن من النطف التي منها النسل
بالبذور وقوله فاتوا حرثكم اني شئتم تمثيل اي فاتوهن كما تاتون اراضيكم التي تزرعون
ان تحرثوها من اي جهة شئتم لا تحظر عليكم جهة دون جهة والمعنى جامعوهن
من اي شق اردتم بعد ان يكون المأتي واحدا وهو موضع الحرث وقوله هو اذى
فاعتزلوا النساء من حيث امركم الله فاتوا حرثكم اني شئتم من الكنايات اللطيفة
والتعريضات المستحسنة وهذه واشباهها مما في كلام الله اذا بحث عنه المومنين ان
يتعلموا ويتاديبوا بها ويتكلفوا امثالها في محاوراتهم ومكاتباتهم وروي ان اليهود كانوا
يقولون من جامع امراته وهي مجخية من دبرها في قبلها كان ولدها احول فذكر
ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال كذبت اليهود ونزلت وقدموا لانفسكم ما يجب
تقديمه من الاعمال الصالحة وما هو خلاف ما نهيتم عنه وقيل هو طلب الولد
وقيل التسمية على الوطء واتقوا الله فلا تجتريوا على المناهي واعلموا انكم
ملاقوه فتزودوا لما لا بد منه وبشر المومنين المستوجبين للمدح
والتعظيم بترك القبايح وفعل الحسنات فان قلت ما موقع قوله نساؤكم
حرث لكم مما قبله قلت موقعه موقع البيان والتوضيح لقوله فاتوهن من حيث
امركم الله يعني ان المأتي الذي امركم الله به هو مكان الحرث توجهة له ونفيا
وازالة للشبهة ودلالة على ان الغرض الاصلي في الاتيان هو طلب النسل
لا قضاء الشهوة فلا تاتوهن الا من المأتي الذي يتعلق به هذا الغرض
فان قلت ما بال يسالونك جا بغير واو وثلث مرات ثم مع الواو وثلثا قلت
كان سوالهم عن تلك الحوادث الاول وقع في احوال متفرقة فلم يوت بحرف
العطف لان كل واحد من السوالات سوال مبتدا وسالوا عن الحوادث
الاخر في وقت واحد فجي بحرف الجمع كذلك كانه قيل يجمعون لك بين السوال عن
الخمر والميسر والسوال عن الانفاق والسوال عن كذا وعن كذا العرضة فعلة
بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة وهي اسم ما تعرضه دون الشيء من عرض
العود على الاناء فيعترض دونه ويصير حاجزا وما نعا منه يقول فلان عرضة دون
دون الخير والعرضة ايضا المعرض للامر قال فلا تجعلوني عرضة للوايم

ان يراد لهم من نسائهم تربص اربعة اشهر كقولك لي عندك كذا والا ايلاء من المراة ان تقول والله لا اقربك اربعة اشهر فصاعدا ايقاعا التقييد بالاشهر اولا اقربك على الاطلاق ولا يكون فيما دون اربعة اشهر الا ما حكي عن ابرهيم النخعي وحكم ذلك انه اذا فاء اليها في المدة بالوطء ان امكنه او بالقول ان عجز عن الوطء وصحت وثبتت كفارة اليمين ولا كفارة على الفاجور ان مضت الاربعة بائنة بتطليقة عند ابي حنيفة وعند الشافعي لا يصح الايلاء الا اذا زاد على اربعة اشهر ثم يوقف المولي فاما ان يفي واما ان يطلق وان ابى طلق عليه الحاكم ومعنى فوله فان فاءوا في الاشهر بدليل قراءة عبد الله فان فاءوا فيهن فان الله غفور رحيم يغفر للمولين ما عسى يقدمون عليه من طلب ضرار النساء بالايلاء وهو الغالب وان كان يجوز ان يكون على ارضى منهن اشفاقا منهن على الولد من الغيل او لبعض الاسباب لاجل الفيئة التي هي مثل التوبة وان عزموا الطلاق فتربصوا الي مضي المدة فان الله سميع عليم وعيد على اصرارهم وتركهم الفيئة وعلى قول الشافعي معناه فان فاءوا وان عزموا بعد مضي المدة فان قلت كيف موقع الفاء اذا كانت الفيئة قبل اتمام مدة التربص قلت موقع صحيح لان قوله فان فاءوا وان عزموا تفصيل لقوله للذين يولون من نسائهم والتفصيل يعقب المفصل كما تقول انا نتربص بكم هذا الشهر فان اجمل تكم اقمت عندكم الي اخره وا لا لم اقم الا ربعا فان قلت ما تقول في قوله فان الله سميع عليم وعن بهم الطلاق ما يعلم ولا يسمع قلت الغالب ان العازم للطلاق وترك الفيئة والضرار لا يخلو من مقاولة ودمدمة ولا بد له من ان يحدث نفسه ويناجيها بذلك وذلك حديث لا يسمعه الا الله كما يسمع وسوسة الشيطان والمطلقات ارادة المدخول بهن من ذوات الاقراء فان قلت كيف جازت ارادتهن خاصة واللفظ يقتضي العموم قلت بل اللفظ مطلق في تناول الجنس صالح للكل وبعضه وجاز ان يحمل على احد ما يصلح له كالاسم المشترك فان قلت فما معني اخبار عنهن بالتربص قلت هو خبر في معني الامر واصل الكلام وليتربص المطلقات واخراج الامر في صورة الخبر تاكيد للامر واشعار بانه مما يجب ان يبتدر اليه ويعنى بامتثاله فكانهن امتثلن الامر بالتربص فهو يخبر عنه موجودا ونحوه قولهم في الدعاء رحمك الله اخرج بذلك في صورة الخبر ثقة بالاستجابة كانما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها ويناديه على المبتدا فان قلت هلا زاده ايضا فصلا تاكيدا ولو قيل يتربص المطلقات لم يكن تلك الوكادة فان قلت قد ذكر الانفس قيل يتربص ثلاثة قروء كما قيل تربص اربعة اشهر وما معنى ذكر الانفس قلت هو تهييج لهن على التربص وزيادة بعث لان فيه ما يستنكف منه فيحملهن على ان يتربصن وذلك ان انفس النساء طوامح الى الرجال فامرن ان يقمعن انفسهن ويغلبنها على الطموح وبجبرنها على التربص والقروء جمع قرء او قرء وهو الحيض بدليل قوله على الطلاق لعدتهن

وفي الصلوة ايام اقرائك وقوله طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان ولم يقل طهران وقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم فعدتهن ثلثة اشهر فاقام الاشهر مقام الحيض دون الاطهار ولان الغرض الاصيل في العدة استبراء الرحم والحيض هو الذي يستبرا به الارحام دون الطهر ولذلك كان الاستبراء من الامة بالحيضة ويقال اقرأت المراة اذا حاضت وامراة مقرئ وقال ابو عمرو بن العلاء دفع فلان جاريته الي فلانة يقرئها اي ليستبرئها عندها حتى تحيض للاستبراء فان قلت فما تقول في قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن والطلاق الشرعي انما هو في الطهر قلت معناه مستقبلات لعدتهن كما يقول لقيته لثلاث بقين من الشهر تريد مستقبلا لثلاث وعدتهن الحيض الثلاث فان قلت فما تقول في قول الاعشى

ولما ضاع فيما بين يوم وليلة ... نوار ولم تقرأ جنينا ولا دما

قلت اراد لما ضاع فيما بين ايام عدة نسائه لشهرة القروء عندهم في الاعتداد بهن اي من مدة طويلة كالمدة التي تعتد فيها النساء واستطال مدة غيبته عن اهله كل عام لاقتحامه في الحروب والغارات وانه مع ذلك لم يطأ نساءه مدة كمدة العدة ضايعة لا يضاجعن فيها اوارادمن اوقات نسائه فان القروء والقاري جاءت في معني الوقت ولم يرد الحيض والطهر فان قلت فعلام انتصب ثلاثة قروء قلت على انها مفعول به كقولك المحتكر يتربص الغلاء اي تتربص مضي ثلاثة قروء او على انه ظرف اي يتربصن مدة ثلاثة قروء فان قلت لم جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الاقراء قلت يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان الاخر لاشتراكهما في الجمعية الا ترى الي قوله بانفسهن وما هي الا نفوس كثيرة ولعل القروء كانت اكثر استعمالا في جمع قرء من الاقراء فاوثر عليه تنزيلا لقليل الاستعمال منزلة المهمل فيكون مثل قولهم ثلاثة شسوع وقرا الزهري ثلاثة قرء وبغير هاء ما خلق الله في ارحامهن من الولد اوردع الحيض وذلك اذا ارادت المراة فراق زوجها تكتمت حملها ليلا ينتظر طلاقها ان تضع وليلا يشفق على الولد فيتركها تسترضعها او كتمت حيضها وقالت وهي حايض قد طهرت استعجالا للطلاق ويجوز ان يراد اللاتي يبغين اسقاط ما في بطونهن من الاجنة فلا يعترف به ويجحده لذلك فجعل كتمان ما في ارحامهن كناية عن اسقاطه ان كن يومن بالله واليوم الاخر تعظيم للفعلين فان من امن بالله ويعقابه لا يجتري على مثله من العظايم والبعول جمع بعل والتاء لحقته لتانيث الجمع كما في الحزونة والسهولة ويجوز ان يراد بالبعولة المصدر من قولك بعل حسن البعولة يعني واهل بعولتهن احق بردهن برجعتهن في قراءة ابي بردتهن وذلك في مدة ذلك التربص فان قلت كيف جعلوا احق بالرجعة كان للنساء حقا فيها قلت المعني ان الرجل اذا اراد الرجعة وابتها المراة وجب ايثار قوله على

يقيما حدود الله وان قلت للائمة والحكام فهو آكد ليأخذوا منهن ولا يؤتينهن قلت
يجوز الامران جميعا ان يكون اول الخطاب للازواج واخره للائمة والحكام ويحتمل
غير ذلك غير ذلك في القرآن وغيره وان يكون الخطاب كله للائمة والحكام لانهم الذين
يأمرون بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم فكانهم الآخذون والموتون ما
اتيتموهن ما اعطيتموهن من الصدقات الا ان يخافا الا يقيما حدود
الله الا ان يخاف الزوجان ترك اقامة حدود الله فيما يلزم كلا من مواجب
الزوجية لما يحدث من نشوز المرأة وسوء خلقها فلا جناح عليهما فلا جناح
على الرجل فيما اخذ ولا عليها فيما اعطت فيما افتدت به فيما افتدت به نفسها
وهو جائز في الحكم وروي ان امرأة نشزت على زوجها فرفعت الى عمر رضي
الله عنه فامر بأن يأتيها في بيتها ثلاث ليال ثم دعاها فقال كيف وجدت بيتك
قالت ما بت منذ كنت عنده اقر لعيني منهن قال ارجعها اخلعها ولو بقرطها قال
قتادة يعني بالهما كله هذا اذا كان النشوز منها فان كان منه كره له ان يأخذ منها شيئا
وقرئ الا ان يخافا على البناء للمفعول وابدال الا يقيما من الف الضمير وهو بدل
الاشتمال كقولك خيف زيد تركه اقامة حدود الله ونحوه وحقه وامروا الانجيل الذين طلوا
ولعضده قراءة عبد الله الا ان يخافوا وفي قراءة ابي الا ان يظنا وجوز ان يكون
الخوف بمعنى الظن يقولون اخاف ان يكون كذا وافرق ان يكون كذا ابريدون
الظن فان طلقها الطلاق المذكور الموصوف بالكرة والمرة قوله الطلاق مرتان
واستوى فيه ابو حنيفة وصاحباه او فابت طلقة مرة ثالثة بعد المرتين فلا تحل له من بعد
من بعد ذلك التطليق حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح يسند
الى المرأة كما يسند الى الرجل كما التزوج يقال فلانة ناكح بني فلان وقد يطلق
ويقتصر على العقد والتحليل ظاهره وهو سعيد بن المسيب والذي عليه الجمهور
انه لا بد من الاصابة لما روى عروة عن عائشة رضي الله عنها ان امرأة رفاعة
جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالت ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان
عبد الرحمن بن الزبير تزوجني انما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق
عسيلتك وروي انها لبثت ما شاء الله ثم رجعت فقالت انه قد كان مني فقال
لها كذبت في قولك الاول فلن اصدقك في الآخر فلبثت حتى قبض رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاتت ابا بكر رضي الله عنه فقالت ارجع الى زوجي الاول فقال قد عهدت

قوله الا ان يخافا اي يعلم ذلك منهما او الولاة بدليل قوله فان خفتم

قولا وكان هو احق منها الا ان لها حقا في الرجعة ان اراد واصلاحا لما بينهم وبينهن واجبا
اليمين ولم يريد وامضارتهن ولهن مثل الذي عليهن وجب لهن من الحق على الرجال مثل
الذي وجب لهم عليهن بالمعروف بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات الناس فلا يكلفهن
ما ليس لهن ولا يكلفونهن ما ليس لهم ولا يعنف احد الزوجين صاحبه والمراد بالمماثلة
مماثلة الواجب في كونه حسنة لا في جنس الفعل فلا يجب عليه اذا غلت ثيابه او خبزت
له ان يفعل لخبزه كلما ولكن يقابله بما يليق بالرجال درجة زيادة في الحق وفضيلة
فيه قيل المراة تنال من اللذة مثل ما ينال الرجل وله الفضيلة بقيامه عليها وانفاقه
في مصالحها الطلاق مرتان معنى التطليق كان الاصل معنى التسريح اي التطليق الشرعي
تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين
التثنية ولكن التكرير كقوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة لا المرتين اثنتين
وخولف بذلك من التثاني التي يراد بها التكرير قولهم لبيك وسعديك وحنانيك وهذا ذيك
ودواليك وقوله فاما ان يمسك معروف او تسريح باحسان تخيير لهم بعد ان علمهم كيف يطلقون
بين ان يمسكوا النساء بحسن العشرة والقيام بمواجبهن وبين ان يسرحوهن السراح الجميل
الذي علمهم وقيل معناه الطلاق الرجعي مرتان لانه لا رجعة بعد الثلاث فامساك معروف
اي برجعة او تسريح باحسان اي بان لا يراجعها حتى تبين بالعدة او بان لا يراجعها
مراجعة يريد بها تطويل العدة عليها وضرارها وقيل ان يطلقها الثالثة في الطهر الثالث وروي
ان نايلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم اين الثالثة فقال عليه الصلاة والسلام او تسريح
باحسان وعند ابي حنيفة واصحابه الجمع بين الطلقتين والثلاث بدعة والسنة ان
لا يوقع عليها الا واحدة في طهر لم يجامعها فيه لما روي في حديث ابن عمر ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال له انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا فتطلقها لكل قرء
تطليقة وعند الشافعي لا باس بارسال الثلاث لحديث العجلاني الذي لاعن امراته
فطلقها ثلاثا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينكر عليه وروي ان
جميلة بنت عبد الله بن ابي كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت بغضة
وهو يحبها فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله لا انا ولا ثابت
لا اجمع رأسي ورأسه في شيء والله ما اعيب عليه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر
في الاسلام ما اطيقه بغضا اتي رفعت جانب الخباء فرأيته اقبل في عدة فاذا هو
اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت وكان قد اصدقها حديقة
فاختلعت منه بها وهو اول خلع كان في الاسلام فان قلت لم الخطاب في قوله
ولا يحل لكم ان تأخذوا ان قلت للازواج لم يطابقه قوله فان خفتم ان لا

رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما فعل ابو بكر
قالت مثله لعمر فقال ان اتيتيني بعد مرتك هذه لارجمنك فمنعها **فان قلت** فما تقول في
النكاح المعقود بشرط التحليل **قلت** ذهب سفين والاوزاعي وابو عبيد ومالك
وغيرهم الى انه غير جايز وهو جايز عند ابي حنيفة مع الكراهة وعنه انهما ان
اضمرا التحليل ولم يشرطاه فلا كراهة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه لعن المحلل
والمحلل له وعن عمر رضي الله عنه لا اوتي بمحلل ولا محلل له الا رجمتها وعن عثمان
رضي الله عنه لا آمر الا بنكاح رغبة غير مدلس فيه **فان طلقها** الزوج الثاني ان يتراجعا
ان يرجع كل واحد منهما الى صاحبه بالزواج **ان ظنا** ان كان في ظنهما انهما يقيمان
حقوق الزوجية ولم يقل ان علما انهما يقيمان لان اليقين مغيب عنهما لا يعلمه الا
الله ومن فسر الظن ههنا بالعلم فقد وهم في طريق اللفظ والمعنى لانك لا تقول
علمت ان يقوم زيد ولكن علمت انه يقوم ولان الانسان لا يعلم ما في الغد وانما يظن
ظنا **فبلغن اجلهن** اي آخر عدتهن وشارفن منتهاها والاجل يقع على المدة كلها
وعلى اخرها يقال لعمر الانسان اجل وللموت الذي ينتهي به اجل وكذلك الغاية والانتهاء
يقول النحويون من الابتداء الى الغاية والى لانتهاء الغاية وقال كل حي مستكمل مدة العمر
وموت اذا انتهى امده ويتسع في البلوغ ايضا فيقال بلغ البلد اذا شارفه ودانا منه ويقال
قد وصلت ولم يصل وانا شارف ولانه قد علم ان الانسان بعد قضي الاجل لا يوجد
له لانها بعد تقضيه غير زوجة له وفي غير عدة منه فلا سبيل له عليها **فان** كان المعروف
فاما ان يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة **او تسرح** باحسان **واما** ان يخليها حتى
تقضي عدتها وتبين من غير ضرار **ولا تمسكوهن ضرارا** كان الرجل يطلق المراة
ويتركها حتى يقرب انقضاء عدتها ثم يراجعها لا عن حاجة ولكن ليطول عدتها عليها
العدة فهو الامساك ضرارا **لتعتدوا** لتظلموهن وقيل لتلجيوهن الى الافتداء
فقد ظلم نفسه بتعريضها لعقاب الله **ولا تتخذوا** ايات الله هزوا اي جدا واي في الاخذ
بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها والا فقد اتخذتموها هزوا ولعبا ويقال لمن لم
يجد في الامر انما انت لاعب وهازئ ويقال كن يهوديا خالصا والا فلا تلعب بالتوراة
وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا وعن النبي صلى الله عليه وسلم
ثلث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة **واذكروا** نعمة الله عليكم
بالاسلام وبنبوة محمد عليه الصلاة والسلام **وما انزل عليكم** من الكتاب والحكمة
والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها **يعظكم به** بما انزل عليكم **فبلغن اجلهن**
فلا تعضلوهن اما ان تخاطب به الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدة

ظلما وضرارا والحمية الجاهلية لانه كونهن يتزوجن من شئ من الازواج والمعنى ان ينكحن ازواجهن
الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن واما ان تخاطب به الاولياء **عضلهن** ان يرجعن الى
ازواجهن روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته ان ترجع الى الزوج
الاول وقيل في جابر بن عبد الله حين عضل بنت عم له والوجه ان يكون خطابا للناس
اي لا يوجد فيما بينكم عضل لانه اذا وجد بينهم ولهم راضون كانوا في حكم العاضلين
والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الداجاجة اذا نشب سفاها فلم يخرج **والعضيل**
والشث لابن هرمة **وان قصابي لكن** فاصطنعني عقابل قد عضلن عن النكاح **وبلوغ الاجل**
على الحقيقة لا على المشارفة كما في الاية الاولى وعن الشافعي رحمه الله اي احتى
الكلامين على افتراق البلوغين **اذا تراضوا** اذا تراضى الخطاب والنساء **بالمعروف**
بما يحسن في الدين والمروة من الشرايط وقيل بمهر المثل ومن ذهب الى حنيفة انما اذا
زوجت نفسها بأقل من مهر مثلها فللاولياء ان يعترضوا **فان قلت** لمن الخطاب في
قوله ذلك يوعظ به **قلت** يجوز ان يكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل احد وتحوه
ذلكم خير لكم واطهر **ذلكم** ازكى لكم واطهر من ادناس الاثام وقيل ازكى واطهر افضل
واطيب **والله يعلم** ما في ذلك من الزكاء والطهرة **وانتم لا تعلمون** او والله يعلم ما
تشتملون به من الاحكام والشرايع وانتم تجهلونه **يوعظ** به **مثل** بترصن في انه
خبر ومعنى الامر المؤكد **كاملين** توكيد كقوله ثلثة عشرة كاملة لانه مما يتسامح
فيه يقول اقمت عند فلان حولين ولم يستكملها وقرا ابن عباس ان يكمل الرضاعة
وقرئ الرضاعة بكسر الراء والرضعة وان تتم الرضاعة وان تتم الرضاعة برفع
الفعل تشبيها لان بما لنا حينما في التاويل اي في المصدرية **فان قلت** كيف اتصل قوله
لمن اراد بما قبله **قلت** هو بيان لمن توجه اليه الحكم كقوله هيت لك لك بيان للمهيت
به اي هذا الحكم لمن اراد اتمام الرضاعة عن قتادة حولين كاملين ثم انزل
الله اليسر والتخفيف فقال لمن اراد ان يتم الرضاعة اراد انه لجوز النقصان
وعن الحسن ليس ذلك بوقت لا ينقص منه بعد ان لا يكون في الفطام ضرر
وقيل اللام متعلقة بيرضعن يعني الوالدات كما يقول ارضعت فلانة لفلان ولده اي يرضعن
حولين لمن اراد ان يتم الرضاعة من الآباء لان الاب يحب عليه ارضاع الولد دون
الام وعليه ان يستاجر له ظئرا الا اذا تطوعت الام بارضاعه وهي مندوبة الى
ذلك ولا يجب عليه ولا يجوز استيجار الام عند ابي حنيفة ما دامت زوجة او معتدة
من نكاح وعند الشافعي يجوز فاذا انقضت عدتها جاز بالاتفاق **فان قلت** فما
بال الوالدات مامورات بان يرضعن اولادهن **قلت** اما ان يكون امرا على وجه الندب

واما على وجه الوجوب اذا لم يقبل الصبي الا ثدي امه او لم يوجد له ظئر وكان الاب عاجزا عن
الاستيجار وقيل اراد الوالدات المطلقات وايجاب النفقة والكسوة لاجل الرضاع
وعلى المولود له وعلى الذي يولد له وهو الوالد وله في محل الرفع على الفاعلية نحو
عليهم في المغضوب عليهم فان قلت لم قيل المولود له دون الوالد قلت ليعلم
ان الوالدات انما ولدن لهم لان الاولاد للاباء ولذلك ينسبون اليهم لا الى الامهات
وانشد للمامون بن الرشيد فانما امهات الناس اوعية مستودعات وللابناء اباء
فكان عليهم ان يرزقوهن ويكسوهن اذا ارضعن ولدهم كالاظآر الا ترى انه ذكر باسم
الوالد حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده
ولا مولود هو جاز عن والده شيئا بالمعروف تفسيره ما يعقبه وهو ان لا يكلف
واحد منهما ما ليس في وسعه ولا يتضارا وقرئ لا تكلف بفتح التاء ولا تكلف
بالنون وقرئ لا تضار بالرفع على الاخبار وهو يحتمل البناء للفاعل والمفعول وان
يكون الاصل تضارر بكسر الراء او تضارر بفتحها وقرأ لا تضار بالفتح اكثر
القراء وقرأ الحسن بالكسر على النهي وهو محتمل للبنائين ايضا ويبين ذلك
انه قرئ ولا تضارر ولا تضارر بالجزم وفتح الراء الاولى وكسرها وقرأ ابو جعفر لا
تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وعن الاعرج لا تضار بالسكون مع
التشديد على نية الوقف والتخفيف وهو من ضاره يضيره ونوى الوقف كما
نواه ابو جعفر او اختلس الضمة فظنه الراوي سكونا وعن كاتب عمر بن الخطاب
لا تضرر والمعنى لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو ان تعنف به
وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وان تشغل قلبه بالتفريط
في شان الولد وان تقول بعد ما الف الصبي اطلب له ظئرا وما اشبه ذلك
ولا يضار مولود له امراته بسبب ولده بان يمنعها شيئا مما وجب عليه من رزقها
وكسوتها ولا ياخذه منها وهي تريد ارضاعه ولا يكرهها على الارضاع وكذلك اذا
كان مبنيا للمفعول فهو نهي عن ان يلحق بها الضرار من قبل الزوج وعن ان
يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد ويجوز ان يكون تضار بمعنى تضر وان
تكون الباء من صلته اي لا تضر والدة بولدها فلا تسيء غذاءه وتعهده ولا
تفرط فيما ينبغي له ولا تدفعه الى الاب بعد ما الفها ولا يضر الوالد به بان
ينتزعه من يدها او يقصر في حقها فتقصر هي في حق الولد فان قلت كيف
قيل بولدها وبولده قلت لما نهيت المراة عن المضارة اضيف اليها الولد
استعطافا عليه وانه ليس باجنبي منها فمن حقها ان تشفق عليه وكذلك الوا

وعلى

وعلى الوارث عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تفسير للمعروف
معترض بين المعطوف والمعطوف عليه فكان المعنى وعلى وارث المولود له مثل ما
وجب عليه من الرزق والكسوة اي ان مات المولود له لزم من يرثه ان يقوم مقامه
في ان يرزقها ويكسوها بالشريطة التي ذكرت من المعروف وتجنب الضرار وقيل
هو وارث الصبي الذي لو مات الصبي ورثه واختلفوا فعند ابن ابي ليلى كل
من ورثه وعند ابي حنيفة من كان ذا رحم محرم منه وعند الشافعي لا نفقة
فيما عدا الولاد وقيل من ورثه من عصبته مثل الجد والاخ وابن الاخ والعم
وابن العم وقيل المراد وارث الاب وهو الصبي نفسه وانه ان مات ابوه
وورثه وجبت عليه اجرة ارضاعه في ماله ان كان له مال فان لم يكن له مال
اجبرت الام على ارضاعها وقيل على الوارث على الباقي من الابوين من قوله
واجعله الوارث منا فان ارادا فصالا صادرا عن تراض منهما وتشاور
فلا جناح عليهما في ذلك زادا على الحولين او نقصا وهذه توسعة بعد
التحديد وقيل هو في الحولين لا يتجاوز وانما اعتبر تراضيهما في الفصال وتشاورهما
اما الاب فلا كلام فيه واما الام فلانها احق بالتربية وهي اعلم بحال الصبي وقرئ فان
اراد استرضع منقول من ارضع يقال ارضعت المراة الصبي واسترضعتها الصبي
فتعديه الى مفعولين كما تقول انجح الحاجة واستنجحته الحاجة والمعنى ان تسترضعوا
المراضع اولادكم فحذف احد المفعولين للاستغناء عنه كما تقول استنجحت الحاجة
ولا تذكر من استنجحته وكذلك حكم كل مفعولين لم يكن احدهما عبارة عن
الاول اذا سلمتم الى المراضع ما اتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى
الصلوة وقرئ ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله ومنه قوله تعالى
انه كان وعده ماتيا اي مفعولا وروى شيبان عن عاصم ما اوتيتم اي ما اتاكم
الله واقدركم عليه من الاجرة ونحوه وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه
وليس التسليم بشرط للجواز والصحة وانما هو ندب الى الاولى ويجوز ان يكون
بعثا على ان يكون الشيء الذي تعطاه المرضع من اهناء ما يكون لتكون طيبة
النفس راضية فيعود ذلك اصلاحا لشان الصبي واحتياطا في امره فامر
بايتائه ناجزا يدا بيد كانه قيل اذا اديتم اليهن يدا بيد ما اعطيتموهن
بالمعروف متعلق بسلمتم امروا ان يكونوا عند تسليم الاجرة مستبشري الوجوه
ناطقين بالقول الجميل مطيبين لانفس المراضع بما امكن حتى يؤمن تفريطهن
بقطع معاذيرهن والذين يتوفون منكم على تقدير حذف المضاف اراد

وازواج الذين يتوفون منكم يتربصن وقيل معناه يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم
وقرئ يتوفون بفتح الياء يستوفون اجالهم وهي قراءة علي رضي الله عنه والذي تحكى ان
ابا الاسود الدؤلي كان يمشي خلف جنازة فقال له رجل من المتوفي بكسر الفاء فقال الله
وكان احد الاسباب الباعثة لعلي رضي الله عنه على ان امره بان يضع كتابا في
النحو ما قضته هذه القراءة يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا يعتددن هذه
المدة وهي اربعة اشهر وعشرة ايام وقيل عشرا ذهابا الى الليالي والايام داخلة معها
ولاتزاهم قط تستعملون التذكير فيه ذاهبين الى الايام تقول صمت عشرا ولو ذكرت
خرجت من كلامهم ومن البينة فيه قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما
فاذا بلغن اجلهن فاذا انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الامة وجماعة
المسلمين فيما فعلن في انفسهن من التعرض للخطاب بالمعروف بالوجه الذي لا
ينكره الشرع والمعنى انهن لو فعلن ما هو منكر كان على الامة ان يكفوهن وان
قرطوا كان عليهم الجناح فيما عرضتم به هو ان يقول لها انك لجميلة او صالحة
او ناقفة ومن عرضي ان اتزوج وعسى الله ان ييسر لي امراة صالحة ونحو ذلك
من الكلام الموهم انه يريد نكاحها حتى يحبس نفسه عليه ان رغبت فيه ولا
يصح لها بالنكاح فلا يقول اني اريد ان انكحك او اتزوجك او احطبك وروي
ابن المبارك عن عبد الحميد بن سليمان عن خالته قالت دخل علينا ابو جعفر محمد
بن علي وانا في عدتي فقال قد علمت قرابتي من رسول الله وحق جدي علي وقدمي
في الاسلام فقلت غفر الله لك الخطبي في عدتي وانت يوخذ عنك فقال او قد
فعلت انا اخبرك بقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعي قد دخل رسول
الله صلى الله عليه وسلم على ام سلمة وكانت عند ابن عما ابي سلمة فتوفي عنها فلم نزل نذكر
لها من الله وهو متحامل على يده حتى اثر الحصير في يده من شدة تحامله
عليها فما كانت تلك خطبة فان قلت اي فرق بين الكناية والتعريض قلت
ان تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له والتعريض ان تذكر شيئا يدل به على شيء لم تذكره
كما يقول المحتاج للمحتاج اليه جيئك لاسلم عليك ولانظر الى وجهك الكريم والقرائن
قالوا وحبك بالتسليم مني تغاضيا فكانه اماله الكلام الى غرض يدل
الغرض ويسمى الملوح لانه يلوح منه ما تريده او اكننتم في انفسكم اضمرتم
واضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بالتنتم لا معرضين ولا مصرحين علم الله انكم
ستذكرونهن لا محالة ولا سفلون عن النطق برغبتكم فيهن ولا تصبرون
عنه وفيه طرف من التوبيخ كقوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فان كلا

ابن المستذكر بقوله ولكن لا تواعدوهن قلت هو محذوف لدلالة ستذكرونهن عليه
تقديره علم الله انكم ستذكرونهن فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا او التزوج
كناية عن النكاح الذي هو الوطء لانه مما يستر قال الاعشى
ولا تقربن جارة ان سرها عليك حرام فانكحن او تابلا
عبر به عن النكاح الذي هو العقد لانه سبب فيه كما فعل بالنكاح الا ان
يقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا فان قلت بم يتعلق حرف
الاستثنا قلت بلا تواعدوهن الا بان تقولوا اي لا تواعدوهن الا بالتعريض ولا
يجوز ان يكون استثنا منقطعا من سرا لا اداه الى قولك لا تواعدوهن الا
التعريض وقيل معناه لا تواعدوهن جماعا وهو ان يقول لها ان نكحتك
كان كيت وكيت بريد ما يجري بينهما تحت اللحاف الا ان تقولوا قولا معروفا
يعني من غير رفث والحاش في الكلام وقيل لا تواعدوهن سرا على ان المواعدة
في السر عبارة عن المواعدة مما يستهجن لان مواعدتهن في الغالب مما يستحيا
من المجاهرة به وعن ابن عباس الا ان تقولوا قولا معروفا هو ان يتواثقا
ان لا تتزوج غيره ولا تعزموا عقدة النكاح من عقد النكاح في العدة
وذكر العزم مبالغة في النهي عن عقد النكاح في العدة لان العزم على الفعل
يتقدمه فاذا نهي عنه كان عن الفعل انهي ومعناه ولا تعزموا عقد عقدة
النكاح وقيل معناه ولا تقطعوا عقدة النكاح وحقيقة العزم القطع بدليل
قوله عليه الصلاة والسلام لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروي لمن
لم يبيت الصيام حتى يبلغ النكاح اجله يعني ما كتب وفرض من العدة
يعلم ما في انفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموا عقدة
حليم لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة عليكم من الجناب مهرا ان
طلقتم النسا ما لم تمسوهن ما لم تجامعوهن او تفرضوا لهن فريضة الا ان
تفرضوا لهن فريضة او حتى تفرضوا وفرض الفريضة تسمية المهر وذلك ان المطلقة
غير المدخول بها ان سمي لها مهر فلها نصف المسمى وان لم يسم لها فليس لها نصف مهر
المثل ولكن المتعة والدليل على ان الجناح تبعة المهر قوله وان طلقتموهن الا قوله
فنصف ما فرضتم اثبات للجناح المنفي ثمة والمتعة درع وملحفة وخمار على
حسب الحال عند ابي حنيفة الا ان يكون مهر مثلها اقل من ذلك فلها الاقل من
نصف مهر المثل ومن المتعة ولا ينقص من خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة
دراهم فلا سقص من نصفها والموسع الذي له سعة والمقتر الضيق الحال

وقدره مقداره الذي يطيقه لان ما يطيقه هو الذي يختص به وقرئ بفتح الدال والقدر والقدر
لغتان وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لرجل من الانصار تزوج امراة ولم تسم لها
مهرا ثم طلقها قبل ان تمسها امتعتها قال لم يكن عندي شيء قال متعها بقلنسوتك وعند
اصحابنا رحمهم الله لا تجب المتعة الا لمن لم يسم لها المطلقات ولا تحد متاعا
تاكيد لمتعوهن معنى تمتيعا بالمعروف بالوجه الذي يحسن في الشرع والمروءة حقا صفة
لمتاعا اي متاعا واجبا عليهم او حق ذلك حقا على المحسنين على الذين يحسنون الى
المطلقات بالتمتيع وسماهم قبل الفعل محسنين كما قال عليه الصلاة والسلام من قتل قتيلا
فله سلبه الا ان يعفون يريد المطلقات فان قلت فاي فرق بين قولك الرجال
يعفون والنساء يعفون قلت الواو في الاول ضمير هم والنون علم الرفع والواو في الثاني
لام الفعل والنون ضمير هن والفعل مبني لا اثر في لفظه للعامل وهو في محل النصب
ويعفو عطف على محله والذي بيده عقدة النكاح الولي يعني الا ان تعفو المطلقات
عن ازواجهن ولا يطالبنهم بنصف المهر وتقول المراة ما رآني ولا خدمته ولا
استمتع بي فكيف اخذ منه شيا او يعفو الولي الذي بيده عقدة النكاح وهو مذهب
الشافعي وقيل هو الزوج وعفوه ان يسوق اليها المهر كاملا وهو مذهب ابي حنيفة
والاول ظاهر الصحة وتسمية الزيادة على الحق عفوا فيها نظر الا ان يقال كان الغالب
عندهم ان يسوق اليها المهر عند التزوج فاذا طلقها استحق ان يطالبها بنصف ما ساق
اليها فاذا ترك المطالبة فقد عفا عنها او سماه عفوا على طريق المشاكلة وعن جبير بن
مطعم انه تزوج امراة وطلقها قبل ان يدخل بها فاكمل لها الصداق وقال انا احق
بالعفو وعنه انه دخل على سعد ابن ابي وقاص فعرض عليه بنته له فتزوجها
فلما خرج طلقها وبعث اليها بالصداق كملا فقيل له لم تزوجتها قال عرضها علي فكرهت
رده قيل فلم بعثت بالصداق قال فاين الفضل والفضل التفضل اي ولا تنسوا
ان يتفضل بعضكم على بعض وتتمة قوله لا تستقصوا وقرا الحسن او يعفو الذي
بسكون الواو واسكان الواو والياء موضع النصب لشبيه لها بالالف لانها
اختاها وقرا ابو نهيك وان يعفوا باليا وقرئ ولا تنسوا الفضل بكسر الواو
والصلوة الوسطى اي الوسطى بين الصلوات او الفضلى من قولهم للافضل
الاوسط وانما افردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وهي صلوة
العصر وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يوم الاحزاب شغلونا عن صلوة
الوسطى صلوة العصر ملا الله بيوتهم نارا وقال عليه الصلاة والسلام انها الصلوة
التي شغل عنها سليمان بن داود حتى توارت بالحجاب وعن حفصة انها قالت

لمن

عن توارى الملك والحجاب بحجاب مجاز عن غروب الشمس

لمن كتب لها المصحف اذا بلغت هذه الاية فلا تكتبها حتى املي عليك كما سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقرئها فاملت عليه والصلاة الوسطى صلاة العصر وروي عن عايشة وابن عباس
والصلوة الوسطى وصلوة العصر بالواو وعلى هذه القراة يكون التخصيص لصلوتين احداهما
الصلوة الوسطى اما الظهر واما الفجر واما المغرب على اختلاف الروايات فيها والثانية
العصر وقيل وضلها لما في وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم ومعايشهم وعن بن
عمر رضي الله عنهما هي صلوة الظهر لانها في وسط النهار وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يصليها بالهاجرة ولم تكن صلوة اشد على اصحابه منها وعن مجاهد هي الفجر لانها بين
صلاتي النهار وصلوتي الليل عن قبيصة بن ذويب هي المغرب لانها وتر النهار ولا
تقصر في السفر من ثلث وقرا عبد الله وعلى الصلوة الوسطى وقرات عايشة رضي الله
عنها والصلوة الوسطى بالنصب على المدح والاختصاص وقرا نافع الوسطى وقويها
لله في الصلوة قانتين ذاكرين الله في قيامكم والقنوت ان تذكر الله قائما وعن عكرمة
كانوا يتكلمون في الصلوة فنهوا وعن مجاهد هو الركود وكف الايدي والبصر وروي
انهم كانوا اذا قام احدهم الى الصلوة كاب الرجل ان يمد بصره او يلتفت او يقلب
الحصى او يحدث نفسه بشيء من امور الدنيا فان خفتم فان كان بكم خوف من عدو
او غيره فرجالا فصلوا راجلين وهو جمع راجل كقايم وقيام او رجل يقال رجل
رجل اي راجل وقرئ فرجالا بضم الراء وفرجالا بالتشديد ورجالا وعند ابي حنيفة
لا يصلون في حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف وعند الشافعي يصلون في كل
حال والاكبر يومي ويسقط عنه التوجه الى القبلة فاذا امنتم فاذا زال الخوف فكملوا
فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون من صلوة الامن او فاذا امنتم فاشكروا
الله على الامن واذكروه بالعبادة كما احسن اليكم بما علمكم من الشرايع وكيف تصلون في
حال الخوف وفي حال الامن بتقديره فيمن قرا وصية بالرفع ووصية الذين يتوفون
او حكم الذين يتوفون وصية لازواجهم او والذين يتوفون اهل وصية لازواجهم
وفيمن قرا وصية بالنصب والذين يتوفون يوصون وصية كقولك انا انت عبيرة
البريد باضمار تسير او والزم الذين يتوفون وصية ويدل عليه قراة عبد الله
كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكان قوله والذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول وقراة ابي متاع لازواجهم متاعا وروي عنه
متاع لازواجهم ومتاعا نصب بالوصية الا اذا اضمرت يوصون فانه نصب
بالفعل وعلى قراة ابي متاعا نصب متاع لانه في معنى التمتيع كقولك اكرمك اكراما
واعجبني ضربك زيدا احرباشديدا وغير اخراج مصدر هو كد كقولك هذا القول

ذهب البرد انه يجعل المصدر اعم من الفعل
ويجيء لا يجعله ولكن يضمر فعلا
مثل هذه المواضع

هذه الزيادة يجوز ان تكون صلوة عن
انكار القرآن والقراة شاذة
النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم سهل البيان بخيت

وهي شاذة اعني بالصاد والواو والكاف والشين
الكوع يسكون الواو وبكسر الكاف وفتح الواو
عند الاستواء واستقبال القبلة

غير ما تقول او بدل من متاعا او حال من الازواج اي غير مخرجات والمعنى ان حق الذين يتوفون
عن ازواجهم ان يوصوا قبل ان يحتضروا بان يمتع ازواجهم بعدهم حولا كاملا اي يسوق عليهن
من تركته ولا يخرجن من مساكنهن وكان ذلك في اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة
اشهر وعشرا وقيل نسخ منه ما زاد منه على هذا المقدار ونسخت النفقة بالارث الذي هو الربع
والثمن واختلف في السكنى فعند ابي حنيفة واصحابه لا سكنى لهن فيما تعلن في انفسهن
من التزين والتعرض للخطاب من معروف مما ليس بمنكر شرعا فان قلت كيف نسخت
الاية المتقدمة المتاخرة قلت قد تكون الاية مقدمة في التلاوة وهي متاخرة في
التنزيل كقوله تعالى سيقول السفها مع قوله قد نرى تقلب وجهك في السماء والمطلقات
متاع عم المطلقات بايجاب المتعة لهن بعد ما لواحدة منهن وهي المطلقة غير المدخول
بها وقال حقا على المتقين كما قال ثمة حقا على المحسنين وعن سعيد بن جبير وابي
العالية والزهري انها واجبة لكل مطلقة وقيل قد تناولت التمتيع الواجب والمستحب
جميعا وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة الم تر تقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب
واخبار الاولين وتعجيب من شانهم ويجوز ان يخاطب به من لم ير ولم يسمع لان هذا الكلام
جرى مجرى المثل في معنى روي ان اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون
فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا انه لا مفر من حكم الله وقضايه
وقيل مر عليهم خلق قيل بعدهم بزمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالها
فلوى شدقه تعجبا مما راى فاوحى الله اليه نادفيهم ان قوموا باذن الله فنادى بنط
اليهم قياما يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وقيل هم قوم من بني اسرايل
وعدهم ملكهم الجهاد فهربوا حذرا من الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم وهم
الوف فيه دليل على الالوف الكثيرة واختلف في ذلك فقيل عشرة وقيل ثلثون وقيل
سبعون ومن بدع التفاسير الوف متالفون جمع الف كقاعد وقعود فان
قلت ما معنى قوله فقال لهم الله موتوا قلت معناه فاماتهم الله وانما جيء به
على هذه العبارة للدلالة على انهم ماتوا ميتة رجل واحد بامر الله ومشيته وتلك
هيئة خارجة عن العادة كانهم امروا بشي فامتثلوه امتثالا من غير اباء ولا توقف
كقوله انما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون وهذا تشجيع للمسلمين على الجهاد
والتعرض للشهادة وان الموت اذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه مفر فاولى ان يكون في سبيل
الله لذ وفضل على الناس حيث يبصرهم ما يعتبرون وتستصرون كما بصركم اولئك
وكابصركم باقتصاص خبرهم اولذو فضل على الناس حيث احيا اولئك ليعتبروا
فيفوزوا ولو شا لتركهم موتى الى يوم البعث والدليل على انه ساق هذه القصة بعثا

على الجهاد ما اتبعه من الامر بالقتال في سبيل الله واعلموا ان الله سميع يسمع ما يقوله
المتخلفون والسابقون عليم بما تضمرونه وهو من وراء الجزاء اقراض الله
مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه والقرض الحسن اما المجاهد في سبيل الله او النفقة
في سبيل الله اضعافا كثيرة قيل الواحد بسبع مائة وعن السدي كثيرة لا يعلم
كنهها الا الله والله يقبض ويبسط يوسع على عباده ويقتر فلا تبخلوا عليه بما
وسع عليكم لا يبدل لكم الضيعة بالسعة واليه ترجعون فيجازيكم على ما
قدمتم لنبي لهم هو يوشع او شمعون او اشمويل ابعث لنا ملكا انهض للقتال
معنا اميرا نصدر عن رايه وننتهي الى امره طلبوا من نبيهم ذلك كما كان
يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من التامير على الجيوش التي كان يجهزها
ومن امرهم بطاعته وامتثال اوامره وروي انه امر الناس اذا سافروا ان يجعلوا
احدهم اميرا عليهم نقاتل قرئ بالنون والجزم على الجواب وبالنون والرفع
على انه حال اي لبعثه لنا مقدرين القتال او استيناف كانه قال لهم ما تصنعون
بالملك فقالوا نقاتل وقرئ يقاتل بالياء والجزم على الجواب وبالرفع على انه صفة
للملك وخبر عسيتم ان لا تقاتلوا والشرط فاصل بينهما والمعنى هل قاربتم ان لا
تقاتلوا يعني هل الامر كما اتوقعه انكم لا تقاتلون اراد ان يقول عسيتم ان لا
تقاتلوا بمعنى اتوقع جبنكم عن القتال فادخل هل تحقيقا كما هو متوقع عنده ومظنون
واراد بالاستفهام التقرير وتثبيت ان للتوقع كاين وانه صايب في توقعه كقوله تعالى
هل اتى على الانسان معناه التقرير وقرئ عسيتم بكسر السين وهي ضعيفة ومالنا ان
لا نقاتل واي داع لنا الى ترك القتال واي عرض لنا فيه وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا
وذلك ان قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فاستولوا
من ابنا ملوكهم اربعماية واربعين الا قليلا منهم قيل كان القليل منهم ثلثمايه وثلثة عشر
على عدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في القعود عن القتال
وترك الجهاد طالوت اسم اعجمي كجالوت وداود وانما امتنع الصرف لتعريفه وعجمته
وزعموا انه من الطول لما وصف به من البسطة في الجسم ووزنه ان كان من الطول فعلوت
فعلوت منه اصله طولوت الا ان استثاع صرفه يدفع ان يكون منه الا ان يقال هو
اسم عبراني وافق عربيا كما وافق حنطة وشمالا رخما رحيما بسم الله الرحمن
الرحيم فهو من الطول كما لو كان عربيا وكان احق بسببية العجمة لكونه عبرانيا
اني كيف ومن اين وهو انكار لتملكه عليهم واستبعاد له فان قلت ما الفرق بين
الواوين في وهن احق ولم يوت قلت الاولى للحال والثانية لعطف جملة على جملة

الواقعة حالا قد انتظمتهما معا في حكم واو الحال والمعنى كيف يتملك علينا والحال انه لا يستحق التملك
لوجود من هو احق منه وانه فقير ولا بد للملك من مال يعتضد به وانما قالوا ذلك لان النبوة
كانت في سبط لاوي بن يعقوب والملك في سبط يهوذا ولم يكن طالوت من احد السبطين
ولانه كان رجلا سقاء او دباغا فقيرا وروي ان نبيهم دعا الله حين طلبوا منه ملكا
فاتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قال ان الله اصطفاه
عليكم يريد ان الله هو الذي اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض
على حكم الله ثم ذكر مصلحتين انفع مما ذكروا من النسب والمال وهما العلم المبسوط
والجسامة والظاهر ان المراد بالعلم المعرفة بما طلبوه لاجله من امر الحرب ويجوز ان
يكون عالما بالديانات وبغيرها وقيل قد اوحي اليه ونبي وذلك ان الملك لا بد ان
يكون من اهل العلم فان الجاهل من درى غير منتفع به وان يكون جسيما يملا العين
جهارة لانه اعظم في النفوس واهيب في القلوب والبسطة السعة والامتداد وروي ان
الرجل القايم كان يمد يده فينال راسه يوتي ملكه من يشاء اي الملك له غير
منازع فيه فهو يوتيه من يشا من يستصلحه للملك والله واسع الفضل والعطا
يوسع على من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر عليم بمن يصطفيه للملك
والتابوت صندوق التوريه وكان موسى عليه الصلاة والسلام اذا قاتل قدمه
فكانت تسكن نفوس بني اسرايل ولا يفرون والسكينة السكون والطمانينة وقيل
هي صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها راس كراس الهر وذنب كذنبه
وجناحان فتان فيزف التابوت نحو العدو وهم يمضون معه فاذا استقر
ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي رضي الله عنه كان لها وجه كوجه الانسان وفيها
ريح هفافة وبقية هي رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وشي من التورية
وكان رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملايكة تحمله وهم ينظرون اليه فكان ذلك اية
لاصطفا الله طالوت وقيل كان مع موسى ومع انبيا بني اسرايل بعده يستفتحون به
فلما غيرت بنو اسرايل غلبهم عليه الكفار فكان في ارض جالوت فلما اراد ان يملك
طالوت اصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مداين فقالوا هذا بسبب التابوت
بين اظهرنا فوضعوه على ثورين فساقتهما الملايكة الى طالوت وقيل كان من خشب
الشمشار مموها بالذهب نحوا من ثلاثة اذرع في ذراعين وقرا ابي وزيد بن ثابت
التابوه بالها وهي لغة الانصار فان قلت ما وزن التابوت قلت لا يخلوا من
ان يكون فعلوتا او فاعولا فلا يكون فاعولا لقلة نحو سلس وقلق ولانه تركيب غير
معروف ولا يجوز ترك المعروف اليه فهو اذن فعلوت من التوب وهو الرجوع لانه

ظرف

ظرف توضع فيه الاشياء وتودعه فلا يزال يرجع اليه ما كان يخرج منه وصاحبه يرجع اليه
فيما يحتاج اليه من مودعاته واما من قرا بالهاء فهو فاعول عنده الا فيمن جعل هاءه بدلا
من التا لاجتماعهما في الهمس وانهما من حروف الزيادة ولذلك ابدلت من تا التانيث وقرا
ابو السماك سكينة بفتح السين والتشديد وهو غريب وقرئ يحمله بالياء فان قلت
من آل موسى وآل هرون قلت الانبياء من بني يعقوب بعدهما لان عمران هو
ابن قاهث بن لاوي بن يعقوب فكان اولاد يعقوب آلهما ويجوز ان يراد
مما تركه موسى وهرون والال مفخم لتفخيم شانهما كقول الواحد المطاع امرنا او نهينا
فصل عن موضع كذا اذا انفصل عنه وجاوزه واصله فصل نفسه ثم كثر
محذوف المفعول حتى صار في حكم غير المتعدي كانفصل وقيل وفصل عن
البلد فصولا ويجوز ان يكون فصله فصلا وفصل فصولا كوقف وصد ونحوهما والمعنى
انفصل عن بلده بالجنود روي انه قال لقومه لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ
منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامراة لم يبن عليها ولا ابتغي الا الشاب
النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختار ثمانون الفا وكان الوقت قيظا وسلكوا
مفازة فسالوا ان يجري الله لهم نهرا فقال ان الله مبتليكم بنهر بما اقترحتموه
من النهر فمن شرب منه فمن ابتدا بشربه من النهر بان كرع فيه فليس مني فليس
بمتصل بي ومتحد معي من قولهم فلان مني كانه بعضه لاختلاطهما واتحادهما
ويجوز ان يراد فليس من جملتي واشياعي ومن لم يطعمه ومن لم يذقه من
طعم الشي اذا ذاقه ومنه طعم الشي لمذاقه قال وان شيت لم اطعم نقاخا ولا بردا
الا ترى كيف عطف عليه البرد وهو النوم ويقال ما ذقت غماضا ونحوه من الابتلا
ما ابتلي به اهل ايلة من ترك الصيد مع اتيان الحيتان شرعا بل هو اشد منه
واصعب وانما عرف ذلك طالوت باخبار من النبي وان كان نبيا كما يروى عن
بعضهم فبالوحي وقرئ بنهر بالسكون فان قلت مم استثنى قوله الا من اغترف
غرفة قلت من قوله فمن شرب منه فليس مني والجملة الثانية في حكم المتاخرة الا
انها قدمت للعناية كما قدم والصابيون في قوله ان الذين امنوا والذين هادوا
والصابيون ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والدليل عليه
قوله فشربوا منه اي فكرعوا فيه الا قليلا منهم وقرئ غرفة بالفتح بمعنى المصدر
وبالضم بمعنى المغروف وقرا ابي والاعمش الا قليل بالرفع وهذا من ميلهم مع
المعنى والاعراض عن اللفظ جانبا وهو باب جليل من علم العربية فلما كان معنى
فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه حمل عليه كانه قيل فلم يطيعوه الا قليل منهم ونحوه

قول الفرزدق لم يدع من المال الا مسحت او مجلف كانه قال لم يبق من المال الا مسحت
او مجلف وقيل لم يبق مع طالوت الا ثلثماية وثلثة عشر رجلا والذين امنوا يعني
القليل قال الذين يظنون يعني الخلص منهم الذين نصبوا بين اعينهم لقا الله
وايقنوه او الذين تيقنوا انهم يستشهدون عما قريب ويلقون الله والمومنون
مختلفون في قوة اليقين وخلوص البصيرة وقيل الضمير في قالوا لا طاقة لنا
للكثير الذين انخزلوا والذين يظنون انهم هم القليل الذين ثبتوا معه كانهم تقاولوا
بذلك والنهر بينهما يظهر اولئك عذرهم في الانخزال ويرد عليهم هولا ما يعتذرون
به وروي ان الغرفة كان تكفي الرجل لشربه ولدوابه والذين شربوا منه القليل اسودت شفاههم
وغلبهم العطش وجالوت جبار من العمالقة من اولاد عمليق بن عاد وكانت
بيضته فيها ثلثماية رطل وثبت اقل امنا وهب لنا ما نثبت به في مداحض الحرب
من قوة القلوب والقاء الرعب في قلب العدو ونحو ذلك من الاسباب كان
ايشى ابو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وهو
صغير يرعى الغنم فاوحى الى اشمويل ان داود بن ايشى هو الذي يقتل جالوت
فطلبه من ابيه فجا وقد مر في طريقه بثلثة احجار دعاه كل واحد منها ان يحمله وقالت
له انك تقتل جالوت فحملها في مخلاته ورمى بها جالوت فقتله وزوجه طالوت
بنته وروي انه حسده واراد قتله ثم تاب واتاه الله الملك في مشارق
الارض المقدسة ومغاربها وما اجتمعت بنو اسرايل على ملك قط قبل داود
والحكمة والنبوة وعلمه مما يشا من صنعة الدروع وكلام الطير والدواب
وغير ذلك ولولا دفع الله الناس ولولا ان الله يدفع بعض الناس ببعض
ويكف بهم فسادهم لغلب المفسدون وفسدت الارض بطلت منافعها
وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الارض وقيل ولولا ان
الله ينصر المسلمين على الكفار لفسدت الارض بعيث الكفار فيها وقتل المسلمين
او لولم يدفعهم بهم لعم الكفر ونزلت السخطة فاستوصل اهل الارض تلك
ايات الله يعني القصص التي اقتصها من حديث الالوف واماتتهم واحيايهم
وتمليك طالوت واظهاره بالاية التي هي نزول التابوت من السما وغلبة الجبابرة
على يد صبي بالحق باليقين الذي لا شك فيه اهل الكتاب لانه في كتبهم كذلك
وانك لمن المرسلين حيث تخبر بها من غير ان تعرف بقراة كتاب ولا سماع
اخبار تلك الرسل اشارة الى جماعة الرسل التي ذكرت قصصها في السورة
او التي ثبت علمها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا بعضهم على بعض

لما

لما اوجب ذلك من تفاضلهم في الحسنات منهم من كلم الله منهم من فضله الله بان كلمه من غير
سفير وهو موسى عليه السلام وقرى كلم الله بالنصب قرا اليماني كالم الله من المكالمة
ويدل عليه قولهم موسى كليم الله يعني مكالمه ورفع بعضهم فوق بعض درجات اي ومنهم
من رفعه على ساير الانبيا فكان بعد تفاوتهم في الفضل افضل منهم بدرجات كثيرة والظاهر
انه اراد محمدا صلى الله عليه وسلم لانه هو المفضل عليهم حيث اوتي ما لم يوته احد من الايات المتكاثرة
المرتقية الى الف اية او اكثر ولو لم يوت الا القران وحده لكفى به فضلا منيفا على ساير ما
اوتي الانبيا لانه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون ساير المعجزات وفي هذا الابهام
من تفخيم فضله واعلا قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على انه العلم الذي لا يشتبه
والمتميز الذي لا يلتبس ويقال للرجل من فعل هذا فيقول احدكم او بعضكم يريد به الذي
تعورف واشتهر بنحوه من الافعال فيكون افخم من التصريح وانوه بصاحبه وسئل
الحطيئة عن اشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة قال ولو شئت لذكرت الثالث
اراد نفسه ولو قال ولو شئت لذكرت نفسي لم يفخم امره ويجوز ان يريد ابرهيم
ومحمدا او غيرهما من اولي العزم من الرسل وعن ابن عباس كنا في المسجد نتذاكر
افضل الانبيا فذكرنا نوحا بطول عبادته وابرهيم بخلته وموسى بتكليم الله اياه وعيسى
برفعه الى السما وقلنا رسول الله افضل منهم بعث الى الناس كافة وغفر له ما تقدم
من ذنبه وما تاخر وهو خاتم الانبيا فدخل فقال فيم انتم فذكرنا له فقال لا ينبغي لاحد
ان يكون خيرا من يحيى بن زكريا فذكر انه لم يعمل سيئة قط ولم يهم بها فان قلت فلم
خص موسى وعيسى من بين الانبيا بالذكر قلت لما اوتيا من الايات العظيمة والمعجزات
الباهرة ولقد بين الله وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو اية من
الايات فلما كان هذان النبيان قد اوتيا ما اوتيا من عظام الايات خصا بالذكر
في باب التفضيل وهذا دليل بين ان من زيد تفضيلا بالايات منهم فقد فضل
على غيره ولما كان نبينا صلى الله عليه وسلم هو الذي اوتي منها ما لم يوت احد في كثرتها
وعظمها كان هو المشهود له باحراز قصبات الفضل غير مدافع اللهم ارزقنا شفاعته
يوم الدين ولو شا الله مشية الجاء وقسر ما اقتتل الذين من بعد الرسل لاختلافهم
في الدين وتشعب مذاهبهم وتكفير بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من امن
لالتزامه دين الانبياء ومنهم من كفر لاعراضه عنه ولو شا الله ما اقتتلوا كرره
للتاكيد ولكن الله يفعل ما يريد من الخذلان والعصمة انفقوا مما رزقناكم
اراد الانفاق الواجب لاتصال الوعيد به من قبل ان ياتي يوم لا تقدرون فيه على
تدارك ما فاتكم من الانفاق لانه لا بيع فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه ولا خلة حتى يسامحكم

اخلاء وكم به وان اردتم ان يحط عنكم ما في ذمتكم من الواجب لم تجدوا شفيعا يشفع لكم في
حط الواجبات لان الشفاعة ثم في زيادة الفضل لا غير والكافرون هم الظالمون اراد
والتاركون الزكوة هم الظالمون فقال والكافرون للتغليظ كما قال في اخر اية الحج ومن كفر مكان
ومن لم يحج ولانه جعل ترك الزكوة من صفات الكفار في قوله وويل للمشركين الذين لا يوتون
الزكوة وقرئ لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالرفع الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للفناء
وهو على اصطلاح المتكلمين الذي يصح ان يعلم ويقدر القيوم الدايم القيام بتدبير الخلق
في حفظه وقرئ القيام والقيم والسنة ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى النعاس
قال ابن الرقاع العاملي وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه اي لا ياخذه النعاس
ولا نوم وهو تاكيد للقيوم لان من جاز عليه ذلك استحال ان يكون قيوما ومنه حديث
موسى انه سال الملايكة وكان ذلك من قومه كطلب الروية اينام ربنا فاوحى الله اليهم
ان يوقظوه ثلاثا ولا يتركوه ينام ثم قال خذ بيدك قارورتين مملوتين فاخذهما والقى الله
على النعاس فضرب احداهما على الاخرى فانكسرتا ثم اوحى اليه قل لهولاء اني امسك السموات
والارض بقدرتي فلو اخذني نوم او نعاس لزالتا من ذا الذي يشفع عنده بيان
لملكوته وكبريايه وان احدا لا يتمالك ان يتكلم يوم القيامة الا من اذن له في الكلام كقوله الا
من اذن الرحمن يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم والضمير لما
في السموات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا من الملايكة والانبياء من
علمه من معلوماته الا بما شاء الا بما علم الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد
وفي قوله وسع كرسيه السموات اربعة اوجه احدها ان كرسيه لم يضق عن السموات والارض
لبسطته وسعته وما هو الا تصوير لعظمته وتخييل فقط ولا كرسي ثم ولا قعود ولا قاعد
كقوله وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات
بيمينه من غير تصور قبضة وطي ويمين وانما هو تخييل لعظمة شانه وتمثيل حسي الا ترى
الى قوله وما قدروا الله حق قدره والثاني وسع علمه وسمي العلم كرسيا تسمية بمكانه الذي هو
كرسي العالم والثالث وسع ملكه تسمية بمكانه الذي هو كرسي الملك والرابع ما روي انه خلق كرسيا هو
بين يدي العرش دونه السموات والارض وهو الى العرش كاصغر شيء وعن الحسن الكرسي
هو العرش ولا يوده ولا يثقله ولا يشق عليه حفظهما حفظ السموات والارض
وهو العلي الشان العظيم الملك والقدرة فان قلت كيف ترتيب الجمل في اية الكرسي
من غير حرف عطف قلت ما منها جملة الا وهي واردة على سبيل البيان لما ترتبت عليه
والبيان متحد بالمبين فلو توسط بينهما عاطف لكان كما تقول العرب بين العصا ولحائها
فالاولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه والثانية لكونه مالكا لما

يدبره والثالثة لكبريائه شانه والرابعة لاحاطته باحوال الخلق وعلمه بالمرتضى منهم المستوجب
للشفاعة وغير المرتضى والخامسة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها او لجلاله وعظم قدره
فان قلت لم فضلت هذه الاية حتى ورد في فضلها ما ورد منه قوله عليه الصلاة والسلام
ما قرئت هذه الاية في دار الا اهتجرتها الشياطين ثلثين يوما ولا يدخلها ساحر
ولا ساحرة اربعين ليلة يا علي علمها ولدك واهلك وجيرانك فما نزلت اية اعظم منها
وعن علي رضي الله عنه سمعت نبيكم على اعواد المنبر وهو يقول من قرا اية
الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب
عليها الا صديق او عابد ومن قراها اذا اخذ مضجعه امنه الله على نفسه
وجاره وجار جاره والابيات حوله وتذاكر الصحابة افضل ما في القران فقال لهم
علي اين انتم عن اية الكرسي ثم قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي
سيد البشر ادم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفريقين سلمان وسيد الروم
صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال طور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد
الكلام القران وسيد القران البقرة وسيد البقرة اية الكرسي قلت لما فضلت
له سورة الاخلاص من اشتمالها على توحيد الله وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى
ولا مذكور اعظم من رب العزة فما كان ذكرا له كان افضل من ساير الاذكار وبهذا
يعلم ان اشرف العلوم واعلاها منزلة عند الله علم اهل العدل والتوحيد
ولا يغرنك عنه كثرة اعدايه ان العرانين تلقاها محسدة لا اكراه في الدين
اي لم يجر الله امر الايمان على الاجبار والقسر ولكن على التمكين والاختيار ونحوه قوله
ولو شاء الله ربك لامن من في الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مومنين
اي لو شاء لقسرهم على الايمان ولكنه لم يفعل وبنى الامر على الاختيار قد تبين الرشد
من الغي قد تميز الايمان من الكفر بالدلايل الواضحة فمن يكفر بالطاغوت فمن
اختار الكفر بالشيطان او الاصنام والايمان بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى
من الحبل الوثيق المحكم المامون انفصامها اي انقطاعها وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر
والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع كانه ينظر اليه بعينه فيحكم
اعتقاده والتيقن به وقيل هو اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين ثم قال
بعضهم هو منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل هو في اهل
الكتاب خاصة لانهم حصنوا انفسهم باداء الجزية وروي انه كان لانصاري من بني
سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل ان يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قدما
المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول

الله صلى الله عليه وسلم فقال الانصاري يا رسول الله ايدخل بعضي في النار وانا انظر
فنزلت فخلاها الله ولي الذين امنوا اي ارادوا ان يومنوا يلطف بهم حتى يخرجهم
بلطفه وتاييده من الكفر الى الايمان والذين كفروا اي صمموا على الكفر امرهم على
العكس ذلك اوالله ولي المومنين يخرجهم من الشبه في الدين ان وقعت لهم ما
بعد بهم ويوفقهم له من حلها حتى يخرجوا منها الى نور اليقين والذين كفروا اولياؤهم
الشياطين يخرجونهم من نور البينات التي يظهر لهم الى ظلمات الشك والشبه الم
تر تعجيب من محاجة نمروذ في الله وكفره به ان اتاه الله الملك متعلق بحاج على
وجهين احدهما حاج لان اتاه الله الملك على معنى ان اتيانه الملك حمله على
الكبر والعتو فحاج لذلك اوعلى انه وضع المحاجة في ربه موضع ما وجب عليه
من الشكر على ان اتاه الله الملك فكان المحاجة كانت لذلك كما تقول عاداني فلان
لاني احسنت اليه تريد انه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لاجل الاحسان
ونحوه قوله تعالى وتجعلون رزقكم اي شكر رزقكم انكم تكذبون والثاني حاج
وقت ان اتاه الله الملك فان قلت كيف جاز ان يوتي الله الملك الكافر قلت
فيه قولان اتاه ما يغلب به ويتسلط من المال والخدم والاتباع واما التغلب والتسلط
فلا وقيل ملكه امتحانا للعباد واذ قال نصب بحاج او بدل من اتاه الله اذا
جعل معنى الوقت انا احيي واميت يريد اعفي عن القتل واقتل وكان الاعتراض
عنيد اولكن ابرهيم صلوات الله عليه لما سمع جوابه الاحمق لم يحاجه فيه ولكن انتقل
الى ما لا يقدر فيه على مثل ذلك الجواب ليبهته اول شبهي وهذا دليل على جواز
الانتقال للمجادل من حجة الى حجة وقرئ فبهت الذي كفر اي فغلب ابرهيم الكافر
وقرا ابو حيوة فبهت بوزن قرب وقيل كانت هذه المحاجة حين كسر الاصنام
وسجنه نمروذ ثم اخرجه من السجن ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعوا اليه
فقال الذي يحيي ويميت او كالذي معناه اوارايت مثل الذي فحذف لدلالة الم تر عليه كان
كلتيهما كلمة تعجيب ويجوز ان يحمل على المعنى دون اللفظ كانه قيل ارايت كالذي حاج
ابرهيم او كالذي مر على قرية والمار كان كافرا بالبعث وهو الظاهر لانتظامه مع
نمروذ في سلكه ولكلمة الاستبعاد التي هي اني يحيي وقيل هو عزير او الخضر اراد
ان يعاين احياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلب ابرهيم وقوله اني يحيي اعتراف
بالعجز عن معرفة طريقه الاحياء واستعظام لقدرة المحيي والقرية بيت المقدس حين خربه بخت نصر وقيل هي التي خرج منها الالوف وهي خاوية على عروشها
سقف بيوتها اذا سقطت سقوفها فسقطت الحيطان عليها بعد ما سقطت عليها السقوف
بعد خرابها بيوما او بعض يوم بناء على الظن روي انه مات ضحى وبعث بعد

وقال وفرع يصير الجيد وحف كانه على الليت قنوان الكروم الدوالح وقرا ابن
عباس فصرهن بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صره يصره ويصره اذا
جمعه نحو ضره يضره ويضره وعنه فصرهن من التصرية وهي الجمع ايضا ثم اجعل
على كل جبل منهن جزءا يريد ثم جزيهن وفرق اجزاءهن على الجبال والمعنى
على كل جبل من الجبال التي بحضرتك وفي ارضك قيل كانت اربعة اجبل وعن
السدي سبعة ثم ادعهن وقل لهن تعالين باذن الله ياتينك سعيا
ساعيات مسرعات في طيرانهن او في مشيهن على ارجلهن فان قلت ما معنى
امره بضمها الى نفسه بعد ان ياخذها قلت ليتاملها ويعرف اشكالها وهيآتها
وحلاها ليلا تلتبس عليه بعد الاحياء ولا يتوهم انها غير تلك ولذلك قال ياتينك
سعيا وروي انه امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط ريشها
ودماءها ولحومها وان يمسك رؤوسها ثم امر بان يجعل اجزاءها على الجبال على كل جبل
ربعا من كل طاير ثم يصيح بها تعالين باذن الله فجعل كل جزء يطير الى الاخر
حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤوسهن كل جثة الى راسها وقرئ
جزءا بضمتين وجزا بالتشديد ووجهه انه خفف بطرح همزته ثم شدد
كما يشدد في الوقف اجزاء للوصل مجرى الوقف مثل الذين ينفقون
لا بد من حذف مضاف اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة والمنبت
هو الله ولكن الحبة لما كانت سببا اسند اليها الانبات كما يسند الى الارض والى
الماء ومعنى انباتها سبع سنابل ان تخرج ساقا يتشعب منها سبع شعب لكل
واحدة سنبلة وهذا التمثيل تصوير للاضعاف كانها ماثلة بين عيني الناظر
فان قلت كيف صح هذا التمثيل والممثل غير موجود قلت بل هو موجود في
الدخن والذرة وغيرهما وربما فرخت ساق البرة في الاراضي القوية المغلة فيبلغ
حبها هذا المبلغ ولو لم يوجد لكان صحيحا على سبيل الفرض والتقدير فان قلت
هلا قيل سبع سنبلات على حقه من التمييز بجمع القلة كما قال وسبع سنبلات
خضر قلت هذا كما قدمت عند قوله تعالى ثلاثة قروء من وقوع امثلة الجمع
متعاورة مواقعها والله يضاعف لمن يشاء اي يضاعف تلك المضاعفة
لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت احوال المنفقين او يضاعف سبع المائة ويزيد
عليها اضعافها لمن يستوجب ذلك المن ان يعتد على من احسن اليه باحسانه
ويريه انه اصطنعه واوجب عليه حقا له وكانوا يقولون اذا صنعتم صنيعة
فانسوها ولبعضهم وان امرءا اسدى الي صنيعة وذكرنيها مرة لبخيل

وفي

وفي نوابغ الكلم صنوان من منح سايله ومن ومن منع نايله وضن وفيها طعم الالاء من المن وهي
امر من الالاء مع المن والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما ازل اليه ومعنى ثم اظهار التفاوت
بين الانفاق وترك المن والاذى وان تركهما خير من نفس الانفاق كما جعل الاستقامة
على الايمان خيرا من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا فان قلت اي فرق بين قوله لهم
اجرهم وقوله فيما بعد فلهم اجرهم قلت الموصول لم يضمن ها هنا معنى الشرط وضمنه
ثمه والفرق بينهما من جهة المعنى ان الفاء فيها دلالة على ان الانفاق به استحق الاجر
وطرحها عار عن تلك الدلالة قول معروف رد جميل ومغفرة وعفو عن السايل اذا
وجد منه ما يثقل على المسول او نيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل او وعفو من جهة
السايل لانه اذا رده ردا جميلا عذره خير من صدقة يتبعها اذى وصح الاخبار عن المبتدا
النكرة لاختصاصه بالصفة والله غني لا حاجة به الى منفق يمن ويوذي حليم عن
معاجلته بالعقوبة وهذا سخط منه ووعيد له ثم بالغ في ذلك بما اتبعه كالذي ينفق ماله
اي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كابطال المنافق الذي ينفق ماله رياء الناس لا يريد
بانفاقه رضا الله ولا ثواب الاخرة فمثله كمثل صفوان مثله ونفقته التي لا ينتفع بها
البتة بصفوان بحجر املس عليه تراب وقرا سعيد بن المسيب صفوان بوزن كروان
فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا اجرد نقيا من التراب الذي كان عليه
ومنه صلد جبين الاصلع اذا برق لا يقدرون على شيء مما كسبوا كقوله فجعلناه هباء
منثورا ويجوز ان يكون الكاف في محل النصب على الحال اي لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذي
ينفق فان قلت كيف قال لا يقدرون بعد قوله كالذي ينفق قلت اراد بالذي ينفق
الجنس او تفريق الذي ينفق ولان من والذي يتعاقبان فكانه قيل كمن ينفق وتثبيتا
من انفسهم وليثبتوا منها ببذل المال الذي هو شقيق الروح وبذله اشق شيء على النفس
على ساير العبادات الشاقة وعلى الايمان لان النفس اذا ريضت بالتحامل عليها
وتكليفها يصعب عليها ذلت خاضعة لصاحبها وقل طمعها في اتباعه لشهواتها وبالعكس
فكان انفاق المال تثبيتا لها على الايمان واليقين ويجوز ان يراد وتصديقا للاسلام
وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم لانه اذا انفق المسلم ماله في سبيل الله علم ان تصديقه
وايمانه بالثواب من اصل نفسه ومن اخلاص قلبه ومن على التفسير الاول للتبعيض
مثلها في قوله هز من عطفه وحرك من نشاطه وعلى الثاني لابتداء الغاية كقوله
تعالى حسدا من عند انفسهم ويحتمل ان يكون المعنى وتثبيتا من انفسهم عند المؤمنين
انها صادقة الايمان مخلصة فيه ويعضده قراءة مجاهد وتثبيتا من انفسهم
فان قلت فما معنى التبعيض قلت معناه ان من بذل ماله لوجه الله فقد

ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه معا فهو الذي ثبتها كلها وتجاهدون في سبيل الله
باموالكم وانفسكم والمعنى ومثل نفقة هولاء في زكايها عند الله كمثل جنة وهي
البستان بربوة بمكان مرتفع وخصها لان الشجر فيها ازكى واحسن ثمرا اصابها
وابل مطر عظيم القطر فاتت اكلها ثمرتها ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل
فان لم يصبها وابل فطل فمطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها او مثل حالهم عند الله
بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل وكما ان كل واحد من المطرين
يضعف اكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت او قليلة بعد ان يطلب بها وجه الله
ويبذل فيها الوسع زاكية عند الله زايدة في زلفاهم وحسن حالهم عنده وقرئ
كمثل حبة وبربوة بالحركات الثلث واكلها بضمتين الهمزة في ايود للانكار وقرئ
له جنات وذرية ضعاف والاعصار الريح التي تستدير في الارض ثم تسطع نحو
السماء كالعمود وهذا مثل لمن يعمل الاعمال الحسنة لا يبتغي بها وجه الله فاذا كان يوم
القيامة وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة من ابهى الجنان
واجمعها للثمار فبلغ الكبر وله اولاد ضعاف والجنة معاشهم ومنتعشهم فهلكت بالصاعقة
وعن عمر رضي الله عنه انه سال عنها الصحابة فقالوا الله اعلم فغضب وقال قولوا نعلم
او لا نعلم فقال ابن عباس في نفسي منها شي يا امير المومنين قال قل يا ابن اخي ولا تحقر
نفسك قال ضرب مثلا لعمل قال لاي عمل قال لرجل غني يعمل الحسنات ثم بعث الله
الشيطان فعمل بالمعاصي حتى اغرق اعماله كلها وعن الحسن هذا مثل قل والله
من يعقل من الناس شيخ كبير ضعف جسمه وكثر صبيانه افقر ما كان الى جنته وان
احدكم والله افقر ما يكون الى عمله اذا انقطعت عنه الدنيا فان قلت كيف قال جنة من
نخيل واعناب ثم قال له فيها من كل الثمرات قلت النخيل والاعناب لما كانا اكرم
الشجر واكثرها منافع خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وان كانت محتوية على ساير
الاشجار تغليبا على غيرهما ثم اردفهما ذكر كل الثمرات ويجوز ان يريد بالثمرات المنافع
التي كانت تحصل له فيها كقوله وكان له ثمر بعد قوله جنتين من اعناب وحففناهما
بنخل فان قلت علام عطف قوله واصابه الكبر قلت الواو للحال لا للعطف
ومعناه ان تكون له جنة وقد اصابه الكبر وقيل يقال وددت ان يكون كذا او وددت
لو كان كذا فحمل العطف على المعنى كانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه
الكبر من طيبات ما كسبتم من خيار مكسوباتكم ومما اخرجنا لكم من الحب والثمر
والمعادن وغيرها فان قلت هلا قيل وما اخرجنا لكم عطفا على ما كسبتم حتى يشتمل
الطيب على المكسوب والمخرج من الارض قلت معناه من طيبات ما اخرجنا لكم

الا انه

الا انه حذف لذكر الطيبات ولا تيمموا الخبيث ولا تقصدوا المال الردي منه تنفقون
تخصونه بالانفاق وهو في محل الحال وقرا عبد الله ولا تامموا وقرا ابن عباس ولا تيمموا
بضم التاء وتممه وتيممه وتاممه سوا في معنى قصده ولستم باخذيه وحالكم انكم
لا تاخذونه في حقوقكم الا ان تغمضوا فيه الا بان تتسامحوا في اخذه وتترخصوا فيه
من قولك اغمض فلان عن بعض حقه اذا غض بصره ويقال للبايع اغمض اي لا تستقص
كانك لا تبصر وقال الطرماح لم يفتنا بالوتر قوم وللضيم رجال يرضون بالاغماض
وقرا الزهري تغمضوا واغمض وغمض بمعنى وعنه تغمضوا بضم الميم وكسرها من غمض
يغمض ويغمض وقرا قتادة تغمضوا على البناء للمفعول بمعنى الا ان تدخلوا فيه
وتجذبوا اليه وقيل الا ان توجدوا مغمضين وعن الحسن لو وجدتموه في السوق يباع
ما اخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه وعن ابن عباس كانوا يتصدقون بحشف التمر
وشراره فنهوا عنه اي يعدكم في الانفاق الفقر ويقول لكم ان عاقبة انفاقكم ان
تفتقروا وقرئ الفقر بالضم والفقر بفتحتين والوعد يستعمل في الخير والشر
قال الله تعالى النار وعدها الله الذين كفروا ويامركم بالفحشاء ويغريكم على البخل
ومنع الصدقات اغراء الامر للمامور والفاحش عند العرب البخيل والله
يعدكم في الانفاق مغفرة لذنوبكم وكفارة لها وفضلا وان يخلف عليكم افضل مما
انفقتم او وثوابا عليه في الاخرة يوتي الحكمة من يشا يوفق للعلم والعمل به والحكيم
عند الله تعالى هو العالم العامل وقرئ ومن يوت الحكمة بمعنى ومن يوته الله
الحكمة وهكذا قرا الاعمش وخيرا كثيرا تنكير تعظيم كانه قال فقد اوتي اي خير كثير وما
يذكر الا اولوا الالباب يريد الحكما العلام العمال والمراد به الحث على العمل بما تضمنت
الاي في معنى الانفاق وما انفقتم من نفقة في سبيل الله او في سبيل الشيطان
او نذرتم من نذر في طاعة الله او في معصيته فان الله يعلمه لا يخفى عليه وهو
مجازيكم عليه وما للظالمين الذين يمنعون الصدقات او ينفقون اموالهم في المعاصي
او لا يفون بالنذور او ينذرون في المعاصي من انصار ممن ينصرهم من الله ويمنعهم
من عقابه ما في نعما نكرة غير موصولة ولا موصوفة ومعنى فنعما هي فنعم شيا
ابداها وقرئ بكسر النون وفتحها وان تخفوها وتوتوها الفقراء وتصيبوا بها
مصارفها مع الاخفا فهو خير لكم فالاخفا خير لكم والمراد الصدقات المتطوع بها فان
الافضل في الفرايض ان يجاهر بها وعن ابن عباس رضي الله عنهما صدقات السر
في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من
سرها بخمسة وعشرين ضعفا وانما كانت المجاهرة بالفرايض افضل لنفي التهمة حتى

اذا كان المزكي ممن لا يعرف باليسار كان اخفاؤه افضل والمتطوع ان اراد ان يقتدى به كان
اظهاره افضل ونكفر قرئ بالنون مرفوعا عطفا على محل ما بعد الفاء او على انه خبر مبتدا
محذوف اي ونحن نكفر او على انه جملة من فعل وفاعل مبتدأة ومجزوما عطفا على
محل الفاء وما بعدها لانه جواب الشرط وقرئ ويكفر بالياء مرفوعا والفعل لله او للاخفاء
وتكفر بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات وقرا الحسن بالياء والنصب باضمار ان
ومعناه ان تخفوها يكن خيرا لكم وان يكفر عنكم ليس عليك هداهم لا يجب عليك ان
تجعلهم مهتدين الى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والاذى والانفاق من الخبيث وغير ذلك
وما عليك الا ان تبلغهم النواهي فحسب ولكن الله يهدي من يشاء يلطف بمن يعلم
ان اللطف ينفع فيه فينتهي عما نهي عنه وما تنفقوا من خير من مال فلانفسكم فهو لانفسكم
لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم وما تنفقون وليست
نفقتكم الا لابتغاء وجه الله ولطلب ما عنده فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي
لا يوجه مثله الى الله من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فلا عذر لكم في ان
ترغبوا عن انفاقه وان يكون على احسن الوجوه واجملها وقيل حجت اسما بنت ابي بكر
فاتتها امها تسالها وهي مشركة فابت ان تعطيها فنزلت وعن سعيد بن جبير كانوا يتقون ان
يرضخوا لقراباتهم من المشركين وروي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار في اليهود ورضاع
وقد كانوا ينفقون عليهم قبل الاسلام فلما اسلموا كرهوا ان ينفعوهم وعن بعض العلماء
لو كان شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك واختلف في الواجب فجوز ابو حنيفة رحمه
الله صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة واباه غيره الجار متعلق بمحذوف والمعنى
اعمدوا للفقراء واجعلوا ما تنفقون للفقراء كقوله في تسع ايات ويجوز ان يكون
خبر مبتدا محذوف اي صدقاتكم للفقراء والذين احصروا في سبيل الله
هم الذين احصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الارض للكسب
وقيل هم اصحاب الصفة وهم من نحو اربعماية رجل من مهاجري قريش لم يكن
لهم مساكن في المدينة ولا عشاير وكانوا في صفة المسجد وهي سقيفته يتعلمون
القران بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فمن كان عنده فضل اتاهم به اذا امسى وعن ابن عباس
وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على اصحاب الصفة فراى فقرهم وجهدهم
وطيب قلوبهم فقال ابشروا يا اصحاب الصفة فمن بقي من امتي على النعت الذي
انتم عليه راضيا بما هو فيه فانه من رفقائي في الجنة يحسبهم الجاهل بحالهم
اغنياء من التعفف مستغنين من اجل تعففهم عن المسالة تعرفهم بسيماهم

من صفرة الوجه ورثاثة الحال والالحاف الالحاح وهو اللزوم وان لا يفارق الا بشيء يعطاه
من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده وعن النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله يحب الحيي الحليم المتعفف ويبغض البذي السائل الملحف ومعناه انهم سالوا
بتلطف ولم يلحوا وقيل هو نفي للسؤال والالحاف جميعا كقوله على لاحب لا يهتدى
بمناره يريد نفي المنار والاهتداء به بالليل والنهار سرا وعلانية يعمون الاوقات والاحوال
بالصدقة لحرصهم على الخير فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا
بوقت ولا حال وقيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين تصدق باربعين الف
دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة في السر وعشرة في العلانية وعن ابن عباس نزلت
في علي رضي الله عنه لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم
سرا وبدرهم علانية وقيل نزلت في علف الخيل وارتباطها في سبيل الله وعن
ابي هريرة كان اذا مر بفرس سمين قرا هذه الاية الربوا كتب بالواو على لغة من يفخم
كما كتبت الصلوة والزكوة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا
من قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان اي المصروع ويخبط الشيطان من
زعمات العرب يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط الضرب على
غير استواء كخبط العشواء فورد على ما كانوا يعتقدون والمس الجنون ورجل
ممسوس وهذا ايضا من زعماتهم النص وان الجني يمسه فيختلط عقله وكذلك جن
الرجل معناه ضربته الجن ورايتهم لهم في الجن قصص واخبار وعجايب وانكار
ذلك عندهم كانكار المشاهدات فان قلت بم يتعلق قوله من المس قلت
بلا يقومون اي لا يقومون من المس الذي بهم الا كما يقوم المصروع ويجوز ان يتعلق
بيقوم اي كما يقوم المصروع من جنونه والمعنى انهم يقومون يوم القيامة مخبلين
كالمصروعين وتلك سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف وقيل الذين يخرجون
من الاجداث يوفضون الا اكلة الربوا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين
لانهم اكلوا الربوا فارباه الله في بطونهم حتى اثقلهم فلا يقدرون على الايفاض ذلك
العقاب بسبب قولهم انما البيع مثل الربوا فان قلت هلا قيل انما الربوا مثل البيع لان
الكلام في الربوا لا في البيع فوجب ان يقال انهم شبهوا الربوا بالبيع فاستحلوه وكانت
شبهتهم انهم قالوا لو اشترى الرجل ما لا يساوي الا درهما بدرهمين جاز فكذلك
اذا باع درهما بدرهمين قلت جيء به على طريق المبالغة وهو انه قد بلغ من اعتقادهم
في حل الربوا انهم جعلوه اصلا وقانونا في الحل حتى شبهوا به البيع وقوله واحل الله
البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم بينهما ودلالة على ان القياس يهدمه النص لانه

جعل الدليل عاما بطلان قياسهم احلال الله وتحريمه فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى عما نهي عنه من الربوا فانتهى فله ما سلف بما مضى منه لانه اخذ قبل نزول التحريم وامره الى الله يحكم فيه ما شاء يوم القيامة وليس من امره اليكم شيء فلا تطالبوه به ومن عاد الى الربوا فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وهذا دليل بين على خلود الفساق وذكر فعل الموعظة لان تانيثها غير حقيقي لانها بمعنى الوعظ وقرا ابي والحسن فمن جاءته بتحقيق الله الربوا يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه وعن ابن مسعود الربوا وان كثر الى قل وبورك في الصدقات بما يتصدق به بان يضاعف على الثواب ويزيد المال الذي اخرجت منه الصدقة ويبارك فيه وفي الحديث ما نقصت زكوة من مال قط كل كفار اثيم تغليظ في امر الربوا وانه دال على انه من فعل الكفار لا من فعل المسلمين اخذوا ما شرطوا على الناس من الربوا وبقيت لهم بقايا فامروا ان يتركوها ولا يطالبوا بها وروي انما نزلت بثقيف وكانت لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل فاخروهم الى ان يجذ الحسن ما بقي بقلب الياء الفا لغة طيء وعنه ما بقي بياء ساكنة ومنه قول جرير هو الخليفة فارضوا ما رضي لكم ماضي العزيمة ما حمله حيف ان كنتم مومنين ان صح ايمانكم يعني ان دليل صحة الايمان وبناته امتثال ما امرتم به من ذلك فاذنوا بحرب فاعلموا بها من اذن بالشيء اذا علم به وقري فاذنوا فاعلموا بها غيركم وهو من الاذن وهو الاستماع لانه من طرق العلم وقرا الحسن فايقنوا وهو دليل لقراءة العامة فان قلت هلا قيل بحرب الله ورسوله قلت كان هذا ابلغ لان المعنى فاذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله وروي انما لما نزلت قال ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الربوا فلكم رووس اموالكم لا تظلمون المديونين بطلب الزيادة عليها ولا تظلمون بالنقصان منها فان قلت هذا حكمهم اذا تابوا فما حكمهم لو لم يتوبوا قلت قالوا يكون ما لهم فيئا للمسلمين وروي المفضل عن عاصم لا تظلمون ولا تظلمون وان كان ذو عسرة وان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة اي ذو اعسار وقرا عثمان رضي الله عنه ذا عسرة على وان كان الغريم ذا عسرة وقري ومن كان ذا عسرة فنظرة فالحكم او فالامر نظرة وهي الانظار وقري فنظرة بسكون الظاء وقرا عطاء فناظره فلان فهو ناظره بمعنى فصاحب الحق ناظره اي منتظره او صاحب نظرته على طريقة النسب كقولهم طاعم كاس وبازل بمعنى ذو عشب وذو بقل وعنه فناظره على الامر بمعنى فسامحه بالنظار وباشره اياها الى ميسرة الى يسار وقري بضم السين كمقبرة ومقبرة ومشرقة ومشرقة وقري بهما مضافين لحذف التاء عند الاضافة كقوله

واخلفوك

واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وقوله تعالى واقام الصلوة وان تصدقوا خير لكم ندبهم الى ان يتصدقوا فوار وس اموالهم على معسر من غرمائهم او بعضها كقوله وان تعفوا اقرب للتقوى وقيل اريد بالتصدق الانظار كقوله على الصدا والدليل الحل ودين رجل مسلم فيوخره الا كان يتصدق كل يوم صدقة ان كنتم تعلمون انه خير لكم فتعملوا به وجعل من لا يعمل به وان علمه كانه لا يعلمه وقري تصدقوا بتخفيف الصاد بحذف التاء ترجعون قري على البنا للفاعل والمفعول وقري يرجعون بالياء على طريقة الالتفات وقرا عبد الله تردون وقرا ابي تصيرون وعن ابن عباس انها اخر اية نزلت جبريل وقال ضعها على راس المايتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلث ساعات اذا تداينتم اذا داين بعضكم بعضا يقال دايت الرجل اذا عاملته بدين معطيا او اخذا كما تقول بايعته واذا بعته واباعك قال زوبة الفاعر دايت اروى والدهور تقضي فطلقت بعضا واودث بعضا والمعني اذا تعاملتم بدين موجل فاكتبوه فان قلت هلا قيل اذا تداينتم الى اجل مسمى واي حاجة الى ذكر الدين كما قال دايت اروى ولم يقل بدين قلت ذكر ليرجع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولانه اراد ان لتتوبع الدين الي موجل وحال فان قلت ما فايدة قوله مسمى قلت ليعلم ان من حق الاجل ان يكون معلوما كالتوقيت بالسنة والاشهر والايام ولو قال الي الحصاد او الدياس او وجوع الحاج لم يجز لعدم التسمية وانما امر بكتبة الدين لان ذلك اوثق وآمن من النسيان وابعد من الجحود والامر للندب وعن ابن عباس ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح السلم المضمون الى اجل معلوم بكتابة وانزل فيه اطول اية يا لعدل متعلق بكاتب صفة له اي كاتب مامون على ما يكتب بالسوية والاحتياط لا يزيد على ما يجب ان يكتب ولا ينقص وفيه ان يكون الكاتب فقيها عالما بالشروط حتى يحرر كتوبة معدة بالشرع وهو امر للمتداينين بتخير الكاتب وان لا يمتنكتبوا اذ لا فقيها ديناولا باب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب وهو معنى تنكير كاتب ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه الله كتابة الوثايق ولا يبدل ولا يغير وقيل هو كقوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك اي ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها وعن الشعبي رحمه الله فرض كفاية وكما علمه الله يجوز ان يتعلق بان يكتب وبقوله فليكتب فان قلت اي فرق بين الوجهين قلت ان علقته بان يكتب فقد نهي عن الامتناع من الكتابة المقيدة ثم قيل له فليكتب

يعني فليكتب تلك الكتابة لا يعدل عنها للتوكيد وان علقته بقوله فليكتب فقد نهي عن الامتناع
من الكتابة علي سبيل الاطلاق ثم امر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق ولا يكن المملي الا من
وجب عليه الحق لانه هو المشهود علي ثباته في ذمته واقراره به بالحق والاملا والاملال لغتان
قد نطق بهما القران فهي تملي عليه ولا يبخس منه من الحق شيا والبخس النقص وقرئ
شيا بطرح الهمزة وشيا بالتشديد سفيها محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف
او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملا بنفسه
لعي به او خرس فليملل وليه الذي يلي امره من وصي ان كان سفيها او صبيا او وكيل
ان كان غير مستطيع بنفسه او ترجمان يمل عنه وهو يصدقه وقوله ان يمل هو فيه انه
غير مستطيع بنفسه ولكن بغيره وهو الذي يترجم عنه واستشهدوا شهيدين واطلبوا
ان يشهد لكم شهيدان علي الدين من رجالكم من رجال المومنين والحرية والبلوغ
شرط مع الاسلام عند عامة العلماء وعن علي رضي الله عنه لا يجوز شهادة العبد في شيء
وعند شريح وابن سيرين وعثمان البتي انها جايزة ويجوز عند ابي حنيفة شهادة الكفار
بعضهم علي بعض علي اختلاف الملل فان لم يكونا فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل
وامراتان فليشهد رجل وامراتان وشهادة النساء مع الرجال مقبولة عند ابي حنيفة
فيما عدا الحدود والقصاص ممن ترضون ممن تعرفون عدالتهم ان تضل احداهما
ان لا تهتدي احداهما للشهادة بان تنساها من ضل الطريق اذا لم يهتد له وانتصابه
علي انه مفعول له اي ارادة ان تضل فان قلت كيف يكون ضلالها مرادا لله قلت
لما كان الضلال سببا للاذكار والاذكار مسببا عنه وهم ينزلون كل واحد من السبب
والمسبب منزلة الاخر لالتباسهما واتصالهما كانت ارادة الضلال المسبب عنه الاذكار
ارادة للاذكار فكانه قيل ارادة ان تذكر احداهما الاخري ان ضلت ونظيره قولهم اعددت
الخشبة ان تميل الحايط فادعمه واعددت السلاح ان يجي عدو فادفعه وقرئ
فتذكر بالتخفيف والتشديد وهما لغتان وفتذاكر وقرا حمزة ان تضل احداهما علي
الشرط فتذكر بالرفع والتشديد كقوله ومن عاد فينتقم الله منه وقرئ ان تضل
احداهما علي البنا للمفعول والتانيث ومن بدع التفاسير فتذكر فتجعل احداهما
الاخري ذكرا يعني انهما اذا اجتمعا كانتا بمنزلة الذكر اذا ما دعوا ليقيموا الشهادة
وقيل ليستشهدوا وقيل لهم شهدا قبل التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة الكاين
وعن قتادة كان الرجل يطوف في الحوا العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم احد
فنزلت كني بالسام عن الكسل لان الكسل صفة المنافقين ومنه الحديث لا يقول
المومن كسلت ويجوز ان يراد من كثرت مداينانه فاحتاج ان يكتب لكل دين صغير

او

او كبير كتابا فربما مل كثرة الكتب والضمير في تكتبوه للدين او الحق صغيرا او كبيرا اي
حال كان الحق من صغر او كبر ويجوز ان يكون الضمير للكتاب وان تكتبوه مختصرا
او مشبعا ولا تخلوا بكتابته الي اجله اي الي وقته الذي اتفق فيه الغريمان علي تسميته
ذلكم اشارة الي ان تكتبوه لانه في معني المصدر اي ذلكم الكتب اقسط اعدل من
القسط واقوم للشهادة واعون علي اقامة الشهادة وادني ان لا ترتابوا واقرب
من انتفاء الريب فان قلت مم بني افعلا التفضيل اعني اقوم واقسط قلت
يجوز علي مذهب سيبويه ان يكونا مبنيين من اقسط واقام وان يكون اقسط من
قاسط علي طريقة النسب بمعني ذي قسط واقوم من قويم وقرئ ولا تسأموا ان
تكتبوه بالياء فيهما فان قلت ما معني تجارة حاضرة وسوا كانت المبايعة بدين او بعين
فالتجارة حاضرة وما معني ادارتها بينهم قلت اريد بالتجارة ما يتجر فيه من الابدال
ومعني ادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد والمعني الا ان تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد
فلا باس ان لا تكتبوا لانه لا يتوهم فيه ما يتوهم في التداين وقرئ تجارة حاضرة
بالرفع علي كان التامة وقيل هي الناقصة علي ان الاسم تجارة حاضرة والخبر تديرونها
وبالنصب علي الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كبيت الكتاب

بني اسد هل تعلمون بلانا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا

اي اذا كان اليوم يوما واشهدوا اذا تبايعتم امر بالاشهاد علي التبايع مطلقا ناجزا
او كاليا لانه احوط وابعد مما عسي يقع من الاختلاف ويجوز ان يراد واشهدوا اذا
تبايعتم هذا التبايع يعني التجارة الحاضرة علي ان الاشهاد كاف فيه دون الكتابة وعن
الحسن ان شا اشهد وان شا لم يشهد وعن الضحاك هي عزيمة من الله ولو علي
باقة بقل ولا يضار يحتمل البنا للفاعل والمفعول والدليل علي قراة عمر رضي الله عنه
ولا يضارر بالاظهار والكسر وقراة ابن عباس ولا يضارر بالاظهار والفتح والمعني
نهي الكاتب والشهيد عن ترك الاجابة الي ما يطلب منهما وعن التحريف والزيادة
والنقصان او النهي عن الضرار بهما بان يعجلا عن مهم ويلزا او لا يعطي الكاتب حقه
من الجعل ويحمل الشهيد مونة مجيئه من بلد الي بلد وقرا الحسن ولا يضار بالكسر
وان تفعلوا وان تضاروا فانه فان الضرار فسوق بكم وقيل وان تفعلوا
شيا مما نهيتم عنه علي سفر مسافرين وقرا ابن عباس وابي كتابا وقال ابن
عباس ارايت ان وجدت الكاتب ولم تجد الصحيفة والدواة وقرا ابو العالية
كتبا وقرا الحسن كتابا جمع كاتب فرهن فالذي يستوثق به رهن
وقرئ فرهن بضم الها وسكونها وهو جمع رهن كسقف وسقف وفرهان

فان قلت لم شرط السفر في الارتهان ولا اختص به سفر دون حضر وقد رهن رسول الله صلى الله عليه وسلم درعه في غير سفر قلت ليس الغرض تجويز الارتهان في السفر خاصة ولكن لما كان السفر مظنة لاعواز الكتب والاشهاد ذكر على سبيل الارشاد الى حفظ المال من كان على سفر فان يقيم التوثق بالكتب والاشهاد وعن مجاهد والضحاك انهما لم يجوزاه الا في حال السفر اخذا بظاهر الاية واما القبض فلا بد منه اعتباره وعند مالك يصح الارتهان بالايجاب والقبول بدون القبض فان امن بعضكم بعضا فان امن بعض الدائنين بعض المدينين لحسن ظنه به وقوا الذي فان اؤتمن اي امنه الناس ووصفوا المديون بالامانة والوفاء والاستغنا عن الارتهان من مثله فليؤد الذي اؤتمن امانته حث للمديون على ان يكون عند ظن الدائن به وامنه منه وايتمانه له وان يؤدي اليه الحق الذي ايتمنه عليه فلم يرتهن منه وسمي الدين امانة وهو مضمون لايتمانه عليه بترك الارتهان منه والقراة ان ينطق بهمزة ساكنة بعد الذال او ياء مشددة بعد الذال او ياء وعن عاصم انه قرا الذي بادغام الياء في التاء قياسا على اشتر في الافتعال من البشر وليس بصحيح لان الياء منقلبة عن الهمزة فهي في حكم الهمزة واتقوا الله ربه في كل ما امركم به وكل ما ينهاكم عنه ولا تكتموا الشهادة ان يكتمها رئيا ورويا آثم خبر ان وقلبه رفع بآثم على الفاعل كانه قيل فانه يأثم قلبه وجوز ان يرتفع قلبه بالابتدا وآثم خبر مقدم والجملة خبر ان فان قلت هلا اقتصر على قوله فانه آثم وما فائدة ذكر القلب والجملة هي الآثمة لا القلب وحده قلت كتمان الشهادة هو ان يضمرها ولا يتكلم بها فلما كان آثما مقترفا بالقلب اسند اليه لان اسناد الفعل الى الجارحة التي يعمل بها ابلغ الا ترى انك تقول اذا اردت التوكيد هذا ما ابصرته عيني وسمعته اذني وما عرفه قلبي ولان القلب هو رئيس الاعضاء والمضغة التي ان صلحت صلح الجسد كله وان فسدت فسد الجسد كله فكانه قيل فقد تمكن الاثم في اصل نفسه وملكه اشرف مكان فيه وليلا يظن ان كتمان الشهادة من الاثام المتعلقة باللسان فقط وليعلم ان القلب اصل متعلقه ومعدنه اقترافه والسان ترجمان عنه ولان افعال القلوب اعظم من افعال سائر الجوارح وهي لها كالاصول التي تتشعب منها الا ترى ان اصل الحسنات والسيات الايمان والكفر وهما من افعال القلوب فاذا جعل كتمان الشهادة من اثام القلوب فقد شمل له بانه من معاظم الذنوب وعن ابن عباس رضي الله عنهما اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة وقرئ قلبه بالفتح كقوله سفه نفسه وقرا ابن ابي عبلة فقد اثم قلبه اي

جعل اثما وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يعني السوء تحاسبكم به الله فيغفر لمن يشا لمن استوجب المغفرة بالتوبة مما اظهر منه او اضمر ويعذب من يشا من استوجب العقوبة بالاصرار ولا يدخل فيما تخفيه الانسان الوساوس وحديث النفس لان ذلك مما ليس في وسعه الخلق منه ولكنه ما اعتقد الانسان وعزم عليه وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه تلا هذا فقال لين اخذنا الله بهذا لنهلكن ثم بكا حتى سمع نشيجه ذكر لابن عباس فقال يغفر الله لابي عبد الرحمن قد وجد المسلمون منها مثل ما وجد فنزل لا يكلف الله وقرئ فيغفر ويعذب بجزمهن عطفا على جواب الشرط ومرفوعين على فهو يغفر ويعذب فان قلت كيف يقر الجازم قلت يظهر الواو ويدغم الباء ومد غم الراء في اللام لاحن مخطئ خطأ فاحشا وراوبه عن ابي عمرو مخطئ مرتين لانه يلحن وينسب الى علم اللسان العربية ما يؤذن بجهل عظيم والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة والسبب في قلة الضبط قلة الدراية ولا يضبط نحو هذا الا اهل النحو وقرا الاعمش يغفر بغير فاء يجزم وما على البدل من تحاسبكم كقوله متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا ومعنى هذا البدل التفصيل لجملة الحساب لان التفصيل اوضح من المفصل فهو جار مجرى بدل البعض من الكل او بدل الاشتمال كقوله ضربت زيدا راسه واحب زيدا عقله وهذا البدل واقع في الافعال وقوعه في الاسماء لحاجة القبيلين الى البيان والمومنون ان عطف على الرسول كان الضمير الذي التنوين نايب عنه في كل راجعا الى الرسول والمومنين اي كلهم امن بالله والملئكة المراد بالايمان بالملئكة التصديق بالنصوص الواردة عليها وجودها وكتبه ورسله من المذكورين ووقف على ان كان مبتدا كان الضمير للمومنين الدالة على وجودهم وكونهم عبيدا مامورين بالطاعات والملايكة جمع ملك والملك جوهر ريسا لطيفة اجياه وروح غيرت وحد الضمير في كل في امن على معنى كل واحد منهم امن وكان لجواز ان تجمع كقوله وكل اتوه داخرين وقرا ابن عباس وكتابه يريد القران او الجنس وعنه الكتاب اكثر من الكتب فان قلت كيف يكون الواحد اكثر من الجمع قلت لانه اذا اريد بالواحد الجنس والجنسية قائمة في وحدان الجنس كلها لم يخرج منه الكتب السماوية المنزلة وهي مائة كتاب واربعة كتب صحف ادم وشيث وصحف اخنوخ وهو ادريس اول نبي وانزل عليه ثلثون صحيفة وصحف ابرهيم عشر والتوراة والانجيل والزبور والفرقان كلها واحد في معنى الجمع كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين سمعنا اجبنا غفرانك منصوب باضمار فعله يقال غفرانك لا كفرانك اي نستغفرك ولا نكفرك وقرئ وكتبه وكتبه وكتابه بالسكون الوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه ولا تحرج فيه اي لا يكلفها الا ما يتسع فيه طوقه وليس في الجمع كلام الله تعالى ورسله جمع رسول وهو البر اوحي اليه للعمل بالتبليغ والاتيان بالرسل هو المصدق بالنصوص الواردة الدالة على وجودهم والنصوص جمع نص وهو الذي يدل على المقصود دلالة واضحة

عليه دون مدى الطاقة والمجهود وهذا اخبار عن عدله ورحمته كقوله يريد الله
بكم اليسر لانه كان في امكان الانسان وطاقته ان يصلي اكثر من الخمس ويصوم اكثر من الشهر
ويحج اكثر من حجة وقرا ابن ابي عبلة وسعها بالفتح لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ينفعها
ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر ولا يواخذ بذنبها غيرها ولا يثاب غيرها بطاعتها
فان قلت لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب قلت في الاكتساب اعتمال فلما كان
مما تشتهيه النفس وهي منجذبة اليه وامارة به كانت في تحصيله اعمل واجد فجعلت
لذلك مكتسبة فيه ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال
اي لا تواخذنا بالنسيان او الخطاء ان فرط منا فان قلت النسيان والخطاء
والنسيان متجاوز عنهما فما معنى الدعاء بترك المواخذة بهما قلت ذكر النسيان
والخطاء والمراد بهما ما هما مسببان عنه من التفريط والاغفال الا ترى الى قوله
وما انسانيه الا الشيطان والشيطان لا يقدر على فعل النسيان وانما يوسوس
فتكون وسوسته سببا للتفريط الذي منه النسيان ولانهم كانوا متقين الله حق
تقاته فما كانت تفرط منهم فرطة الا على وجه النسيان والخطاء فكان وصفهم بالدعاء
بذلك ايذانا ببراءة ساحتهم عما يواخذون به كانه قيل ان كان النسيان والخطاء مما
يواخذ به فما فيهم سبب مواخذة الا الخطاء والنسيان ويجوز ان يدعوا الانسان
بما علم انه حاصل له قبل الدعاء من فضل الله لاستدامته والاعتداد بالنعمة فيه
الاصر العبء الذي ياصر حامله اي يحبسه مكانه لا يستقل به لثقله استعير
للتكليف الشاق من نحو قتل الانفس وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب
وغير ذلك وقرئ اصارا على الجمع وفي قراءة ابي ولا تحمل علينا بالتشديد فان قلت
فاي فرق بين هذه التشديدة وبين التشديدة التي في قوله ولا تحملنا قلت
هذه للمبالغة في حمل عليه وتلك لنقل حمله من مفعول واحد الى مفعولين
ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من العقوبات النازلة بمن قبلنا طلبوا الاعفاء
عن التكليفات الشاقة التي كلفها من قبلهم ثم عما نزل عليهم من العقوبات
على تفريطهم في المحافظة عليها وقيل المراد به الشاق الذي لا يكاد يستطاع
من التكاليف وهذا تكرير لقوله ولا تحمل علينا اصرا انت مولانا سيدنا ونحن عبيدك
او ناصرنا او متولي امورنا فانصرنا فمن حق المولى ان ينصر عبيده او فان ذلك
عادتك او فان ذلك من امورنا التي عليك توليها وعن بن عباس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة قد فعلت
وعنه عليه الصلاة والسلام من قرا الايتين من اخر سورة البقرة في ليلة كفتاه

اي قال الله تعالى لي او قال له جبريل ان الله تعالى يقول قد فعلت

وعنه عليه الصلاة والسلام اوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يوتهن نبي قبلي
وعنه انزل الله ايتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة
من قراهما بعد العشاء الاخرة اجزاتاه عن قيام الليل فان قلت هل يجوز
ان يقال قرات سورة البقرة او قرات البقرة قلت لا باس بذلك وقد جاء في
حديث النبي صلى الله عليه وسلم من اخر سورة البقرة وخواتيم سورة البقرة وعن
علي رضي الله عنه خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش وعن عبد الله بن
مسعود انه رمى الجمرة ثم قال من ها هنا والذي لا اله غيره رمى الذي انزلت عليه
سورة البقرة ولا فرق بين هذا وبين قولك سورة الزخرف وسورة الممتحنة
والمجادلة واذا قيل قرات البقرة لم يشكل ان المراد سورة البقرة كقوله وسل
القرية وعن بعضهم انه كره ذلك وقال يقال قرات السورة التي تذكر فيها
البقرة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم السورة التي تذكر فيها البقرة
فسطاط القران فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها
البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

سورة ال عمران مدنية وهي مائتا اية

بسم الله الرحمن الرحيم

ميم حقها ان يوقف عليها كما وقف على الف ولام وان يبدا ما بعدها كما تقول واحد
اثنان وهي قراءة عاصم واما فتحها فهي حركة الهمزة القيت عليها حين اسقطت للتخفيف
فان قلت كيف جاز القاء حركتها عليها وهي همزة وصل لا تثبت في درج الكلام فلا تثبت
حركتها لان ثبات حركتها كثباتها قلت هذا ليس بدرج لان ميم في حكم الوقف والسكون
والهمزة في حكم الثابت وانما حذفت تخفيفا والقيت حركتها على الساكن قبلها لتدل عليها
ونظيره قولهم واحد اثنان بالقاء حركة الهمزة على الدال فان قلت هلا زعمت انها حركة
لالتقاء الساكنين قلت لان التقاء الساكنين لا يبالي به في باب الوقف وذلك قولك هذا
ابرهيم وداود واسحق ولو كان التقاء الساكنين في حال الوقف يوجب التحريك لحرك
الميمان في الف لام ميم لالتقاء الساكنين ولما انتظر ساكن اخر فان قلت انما لم يحركوا
لالتقاء الساكنين في ميم لانهم ارادوا الوقف وامكنهم النطق بساكنين فاذا جاء
ساكن ثالث لم يمكن الا التحريك فحركوه قلت الدليل على ان الحركة ليست لملاقاة
الساكن انه كان يمكنهم ان يقولوا واحد اثنان بسكون الدال مع طرح الهمزة
فيجمعوا بين ساكنين كما قالوا اصيم ومديق فلما حركوا الدال علم ان حركتها
هي حركة الهمزة الساقطة لا غير وليست لالتقاء الساكنين فان قلت فما وجه

قراءة عمرو بن عبيد رحمه الله بالكسر **قلت** هذه القراءة على توهم التحريك لالتقا الساكنين
وهي مقبولة والتورية والانجيل اسمان اعجميان وتكلف اشتقاقهما من الورى
والتحلل ووزنهما بتفعلة وافعيل انما يصح بعد كونهما عربيين وقرا الحسن الانجيل
بفتح الهمزة وهو دليل على العجمة لان افعيل بفتح الهمزة عديم في اوزان العرب
فان قلت لم قيل نزل الكتاب وانزل التورية والانجيل **قلت** لان القرآن
نزل منجما ونزل الكتابان جملة وقرا الاعمش نزل عليك الكتاب بالتخفيف
ورفع الكتاب **هدى** للناس اي لقومهم موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام ومن
قال المحق منعبدون بشرايع من قبلنا فرد عليه بالعموم **فان قلت** ما المراد بالفرقان
قلت جنس الكتب السماوية لان كلها فرقان يفرق بين الحق والباطل او الكتب
التي ذكرها كانه قال بعد ذكر الكتب الثلاثة وانزل ما يفرق به بين الحق والباطل
من كتبه او من هذه الكتب واراد الكتاب الرابع وهو الزبور كما قال واتينا
داود زبورا وهو ظاهر او كرر ذكر القرآن بما هو نعت له ومدح من كونه فارقا
بين الحق والباطل بعد ما ذكره باسم الجنس تعظيما لشانه واظهارا لفضله بايات
الله من كتبه المنزلة وغيرها **ذو انتقام** له انتقام شديد لا يقدر على
مثله فينتقم به **لا يخفى عليه شيء** في العالم فعبر عنه بالسماء والارض لانهما
مطلع على كفر من كفر وايمان من امن وهو مجازيهم عليه **كيف يشاء** من
الصور المختلفة المتفاوتة وقراطاوس تصوركم اي صوركم لنفسه وتعبده
كقولك اثلت مالا اذا جعلته اثلة اي اصلا وتاثلته اذا اثلته لنفسك وعن
سعيد بن جبير هذا احتجاج على من زعم ان عيسى كان ربا كانه منه بكونه مصورا
في الرحم على انه عبد لغيره وكان يخفى على ما لا يخفى على الله **محكمات** احكمت
عبارتها بان حفظت من الاحتمال والاشتباه **هن ام الكتاب** اي اصل الكتاب فتحمل المتشابهات عليها وترد اليها ومثال ذلك
لا تدركه الابصار الى ربها ناظرة لا يامن فحشاء امرنا مترفيها **فان قلت** فهلا
كان القرآن كله محكما **قلت** لو كان كله محكما لتعلق الناس به لسهولة ماخذه
واعرضوا عما يحتاجون فيه الى الفحص والتامل من النظر والاستدلال ولو
فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذي لا يتوصل الى معرفة الله وتوحيده الا به ولما
في المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ولما
تفاوت العلماء وانتعاشهم القراح في استخراج معانيه ورده الى المحكم من الفواتح

الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله ولان المومن المعتقد ان لا مناقضة في
كلام الله ولا اختلاف اذا راى فيه ما يتناقض في ظاهر وافهمه طلب ما يوفق بينه ويجريه
على سنن واحد فقر وراجع فكره وغيره ففتح الله عليه وتبين مطابقة المتشابه للمحكم
ازداد طمانينة الى معتقده وقوة في يقينه **الذين في قلوبهم زيغ** هم اهل البدع
فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بالمتشابه الذي يحتمل ما يذهب اليه المبتدع مما
لا يطابق المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول اهل الحق **ابتغاء الفتنة** طلبان يفتنوا
الناس عن دينهم ويضلوهم **وابتغاء تاويله** وطلب ان يولوه التاويل الذي يشتهونه
وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم اي لا يهتدي الى تاويله الحوالي
يجب ان يحمل عليه الا الله وعباده الذين رسخوا في العلم اي ثبتوا فيه وتمكنوا
فيه بفرس قاطع ومنهم من يقف على قوله الا الله ويبتدي والراسخون في
العلم يقولون ويفسرون المتشابه باستاثر الله بعلمه ومعرفة الحكمة فيه من
اياته كعدد الزبانية ونحوه والاول هو الوجه **يقولون** كلام مستانف موضح
لحال الراسخين معنى هو لا العالمون بالتاويل يقولون امنا به اي بالمتشابه
كل من عند ربنا اي كل واحد منه ومن المحكم من عنده او بالكتاب كل من
متشابهه ومحكمه من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه **ولا يحلف**
كتابه **وما يذكر الا اولوا الالباب** مدح للراسخين بالقاء الذهن وحسن
التامل ويجوز ان يكون حالا من الراسخين وقرا عبد الله ان تاويله الا عند
الله وقرا ابي **ويقول الراسخون** لا تزغ قلوبنا لا تبتلنا بمثل ما ابتليت به فيزيغ قلوبنا
بعد اذ هديتنا وارشدتنا لدينك او لا تمنعنا الطافك بعد اذ لطفت بنا
من لدنك رحمة من عندك بالتوفيق والمعونة وقرئ لا تزغ قلوبنا بالتاء
ورفع القلوب **جامع الناس ليوم** اي لجمعهم لحساب يوم او لجزاء يوم
كقوله يوم تجمعكم ليوم الجمع وقرئ جامع الناس على الاصل **ان الله لا يخلف**
الميعاد معناه ان الالهية لا تنافي خلف الميعاد كما زعمك ان الجواد لا يخيب سايله
والميعاد الموعد قرا علي رضي الله عنه لن تغني بسكون الياء وهذا من الجد
في استثقال الحركة على حروف اللين **من** في قوله من الله مثل في قوله ان الظن
لا يغني من الحق شيئا والمعنى لن تغني عنهم من رحمة الله او من طاعة الله شيئا
اي بدل رحمته وطاعته وبدل الحق ومنه ولا ينفع ذا الجد منك الجد اي
لا ينفعه جده وحظه من الدنيا بذلك اي بدل طاعتك وعبادتك وما عندك
وفي معناه قوله تعالى وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى وقرئ

وقود بالضم بمعنى اهل وقودها والمراد بالذين كفروا من كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم وعن
ابن عباس رضي الله عنهما قريظة والنضير ۞ الدأب مصدر دأب في العمل اذا كدح فيه
فوضع موضع ما عليه الانسان من شانه وحاله والكاف مرفوع المحل تقديره دأب
هولاء الكفرة ۞ كدأب من قبلهم من آل فرعون ۞ وغيرهم ويجوز ان ينتصب محل الكاف
بلن تغني او بالوقود اي لن يغني عنهم مثل ما لم تغن عن اوليك او توقد بهم النار
كما توقد بهم يقول انك لتظلم الناس كدأب ابيك يريد كظلم ابيك ومثل ما كان يظلمهم
وان فلانا لمحارف كدأب ابيه تريد كما حورف ابوه ۞ كذبوا بايات الله ۞ تفسير
لدأبهم بما فعلوا وفعل بهم على انه جواب سوال مقدر عن حالهم ۞ قل للذين كفروا مشركوا
مكة ۞ ستغلبون ۞ يعني يوم بدر وقيل هم اليهود لما غلب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر
قالوا هذا والله النبي الامي الذي بشرنا به موسى وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا
حتى ننظر الى وقعة اخرى فلما كان يوم احد شكوا وقيل جمعهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد وقعة بدر في سوق بني قينقاع فقال يا معشر اليهود احذروا مثل ما نزل
بقريش واسلموا قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم اني نبي مرسل فقالوا لا يغرنك
انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس
فنزلت وقرئ سيغلبون ويحشرون ۞ بالياء لقوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم
على قل لهم قولي لك سيغلبون **فان قلت** فاي فرق بين القراءتين من حيث المعنى
قلت معنى القراءة بالتاء الامر بان يخبرهم بما سيجري عليهم من الغلبة والحشر
الى جهنم فهو اخبار بمعنى سيغلبون ويحشرون وهو الكاين من نفس المتوعد به
والذي يدل عليه اللفظ ومعنى القراءة بالياء الامر بان يحكي لهم ما اخبره به من وعيدهم
بلفظه كانه قال اد اليهم هذا القول الذي هو قولي لك سيغلبون ويحشرون ۞ قد
كان لكم ۞ الخطاب لمشركي قريش ۞ في فئتين التقتا ۞ يوم بدر ۞ يرونهم مثليهم
يرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين قريبا من الفين او مثلي عدد المسلمين
ستمائة ونيفا وعشرين اراهم الله اياهم مع قلتهم اضعافهم ليهابوهم ويجبنوا عن
قتالهم وكان ذلك مددا لهم من الله كما امدهم بالملايكة والدليل عليه قراءة نافع ترونهم
بالتاء اي ترون يا مشركي قريش المسلمين مثلي فئتكم الكافرة او مثلي انفسهم **فان**
قلت هذا مناقض لقوله في سورة الانفال ويقللكم في اعينهم **قلت** قللوا
اولا في اعينهم حتى اجترؤا عليهم فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا فكان
التقليل والتكثير في حالين مختلفين احدهما ونظيره من المحمول على اختلاف الاحوال
قوله تعالى فيومئذ لا يسال انس ولا جان وقوله وقفوهم انهم مسولون وتقليلهم
عن ذنبه

تارة

تارة وتكثيرهم اخرى في اعينهم ابلغ في القدرة واظهار الاية وقيل يرى المسلمون المشركين
مثل المسلمين على ما قرر عليه امرهم من مقاومة الواحد للاثنين في قوله تعالى ان يكن
منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين بعد ما كلفوا ان يقاوم الواحد العشرة في قوله ان
يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ولذلك وصف ضعفهم بالقلة لانه قليل
بالاضافة الى عشرة الاضعاف وكان الكافرون ثلثة امثالهم وقراءة نافع لا تساعد
عليه وقرا ابن مصرف ترونهم على البناء للمفعول بالياء والتاء اي يريهم الله ذلك
بقدرته وقرئ فئة تقاتل واخرى كافرة بالجر على البدل من فئتين وبالنصب على
الاختصاص او على الحال من الضمير في التقيا ۞ راي العين ۞ يعني روية ظاهرة
مكشوفة لا لبس فيها معاينة كساير المعاينات ۞ والله يويد بنصره من يشاء ۞ كما
ايد اهل بدر بتكثيرهم في عين العدو ۞ زين للناس ۞ المزين الله سبحانه
للابتلاء كقوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ويدل عليه قراءة مجاهد
زين للناس على تسمية الفاعل وعن الحسن الشيطان والله زينها لهم لانا لا نعلم
احدا اذم لها من خالقها ۞ حب الشهوات ۞ جعل الاعيان التي ذكرها شهوات مبالغة
في كونها مشتهاة محروصا على الاستمتاع بها والوجه ان يقصد تخسيسها فيسميها شهوات
لان الشهوة مستذلة عند الحكماء من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية وقال زين
للناس حب الشهوات ثم جا بالتفسير ليقرر اولا في النفوس ان المزين لهم حبه ما هو
الا شهوات لا غير ثم يفسره بهذه الاجناس فيكون اقوى لتخسيسها وادل على ذم من
يستعظمها ويتهالك عليها ويرجح طلبها على طلب ما عند الله ۞ والقنطار ۞ المال الكثير
قيل ملء مسك ثور وعن سعيد بن جبير مائة الف دينار ولقد جا الاسلام يوم
جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا والمقنطرة مبنية من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم
الف مولفة وبدرة مبدرة ۞ والمسومة ۞ المعلمة من السومة وهي العلامة او
المطهمة او المرعية من اسام الدابة وسومها ۞ والانعام ۞ الازواج الثمانية ۞ ذلك
المذكور ۞ متاع الحيوة للذين اتقوا عند ربهم جنات ۞ كلام مستانف فيه دلالة على
بيان ما هو خير من ذلكم كما تقول هل ادلك على رجل عالم عندي رجل من صفته كيت
وكيت ويجوز ان تتعلق اللام بخير واختص المتقين لانهم هم المنتفعون وترتفع
جنات على ما هو جنات على هو وينصره قراءة من قرا جنات بالجر على البدل من
خير ۞ والله بصير بالعباد ۞ يثيب ويعاقب على الاستحقاق او بصير بالذين اتقوا
وباحوالهم فلذلك اعد لهم الجنات ۞ الذين يقولون ۞ نصب على المدح او رفع
ويجوز الجر صفة للمتقين او للعباد والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمالهم

في كل واحدة منها وقد مرّ الكلام في ذلك ● وخصّ الاسحار لانهم كانوا يقدمون قيام الليل فيحسن طلب الحاجة بعده اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وعن الحسن كانوا مصلون في اول الليل حتى اذا كان السحر اخذوا في الدعاء والاستغفار هذا انما ● وهذا اليلهم ● شبهت دلالته على وحدانيته بافعاله الخاصة التي لا يقدر عليها غيره وبما اوحي من آياته الناطقة بالتوحيد كسورة الاخلاص وآية الكرسي وغيرهما يشاهده الشاهد في البيان والكشف وكذلك اقرار الملائكة واولوا العلم بذلك واحتجاجهم عليه ● قائما بالقسط ● مقيما للعدل فيما يقسم من الارزاق والاجال ويثيب ويعاقب وما يأمر به عباده من انصاف بعضهم لبعض والعدل على السوية فيما بينهم والانتصاف منهم انه حال موكدة منه كقوله وهو الحق مصدقا فان قلت لم جاز افراد هذه الحال دون المعطوفين عليه ولو قلت جاءني زيد وعمرو راكبا لم يجز قلت انما جاز هذا العدم الالباس كما جاز في قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة ان انتصب نافلة حالا عن يعقوب ولو قلت جاءني زيد وهند راكبا جاز لتمييزه بالذكورة او على المدح فان قلت ليس من حق المنتصب على المدح ان يكون معرفة ● كهو لك الحمد لله الحميد انا معشر الانبياء لا نورث ● انا بني نشتمل لا ندعي لاب ● قلت قد جاء نكرة كما جاء معرفة ● واسند سيبويه فيما جاء منه نكرة قول الهذلي ويأوي الى نشوة عطل وشعثا مراضيع مثل السعالي فان قلت هل يجوز ان يكون صفة للمنفي كما انه قيل لا اله الا هو قائما بالقسط الا هو قلت لا يبعد فقد رأيناهم يتسعون في الفصل بين الصفة والموصوف فان قلت قد جعلته حالا من فاعل شهد فهل يصح ان ينتصب حالا عن هو في لا اله الا هو قلت نعم لان الحال موكدة ● والحال الموكدة لا يستنكر ان يكون في الجملة التي هي عامل في زيادة في فائدتها كقولك انا عبد الله شجاعا وكذلك لو قلت لا رجل الا عبد الله شجاعا وهو واجه من حيث ان الحال هل دخل فيما هو عامل فيه بالقسط في حكم شهادة الله والملائكة واولي العلم كما دخلت الوحدانية في شهد الله والملائكة واولوا العلم انه لا اله الا هو وانه قائم بالقسط وقرأ عبد الله القائم بالقسط على انه بدل من هو او خبر مبتدإ محذوف وقرأ ابو حنيفة قيما بالقسط العزيز الحكيم صفتان مقررتان لما وصف به ذاته من الوحدانية والعدل يعني انه العزيز الذي لا يغالبه اله اخر الحكيم الذي لا يعدل عن العدل في افعاله فان قلت ما المراد باولي العلم الذين عظمهم الله هذا التعظيم حيث جمعهم معه ومع الملائكة في الشهادة على وحدانيته وعدله قلت هم الذين يثبتون وحدانيته وعدله

باهج الساطعة والبراهين القاطعة وهم علماء العدل والتوحيد وقرئ انه بالفتح وان الدين بالكسر على ان الفعل واقع على انه معنى شهد الله على انه او بانه وقوله ● ان الدين عند الله الاسلام ● جملة مستأنفة ● موكدة للجملة الاولى فان قلت ما فايدة هذا التوكيد قلت فايدته ان قوله لا اله الا هو توحيد وقوله قائما بالقسط تعديل فاذا ردفه قوله ان الدين عند الله الاسلام فقد آذن ان الاسلام هو العدل والتوحيد وهو الدين عند الله وما عداه فليس عند الله في شيء من الدين وفيه ان من ذهب الى تشبيه او الى يهودي اليه كاجازة الرؤية او ذهب الى الجبر الذي هو محض الجور لم يكن عادلا من الله الذي هو الاسلام وهذا ابين جلي كما ترى وقرئ ● انه مفتوحين على ان الثاني بدل من الاول كانه قيل شهد الله ان الدين عند الله الاسلام والبدل هو المبدل منه في المعنى فكان بيانا ناشئا عن الاجمال وقرئ ● ان الدين عند الله الاسلام بالفتح على ان الفعل واقع على ان وما بينهما اعتراض موكد وهذا ايضا شاهد على ان دين الاسلام هو العدل والتوحيد وقرئ القراءات كلها شواهد وقواعد الله ان لا اله الا هو وقرأ ابي ● ان الدين عند الله الاسلام وهي مقوية لقراءة من فتح الاولى وكسر الثانية وقرئ ● شهد الله بالنصب على انه حال من المذكورين قبله وبالرفع على هم شهد الله فان قلت فعلام عطف قوله ● والملائكة واولوا العلم قلت على الضمير في شهد اوجاز لوقوع الفاصل بينهما فان قلت لم كرر قوله لا اله الا هو قلت ذكره اولا للدلالة على اختصاصه بالوحدانية وانه لا اله الا ذلك الذات المتميزة ثم ذكره ثانيا بعد ما قرن باثبات الوحدانية اثبات العدل للدلالة على اختصاصه بالامرين كانه قال لا اله الا هذا الموصوف بالصفتين فلذلك قرن به قوله العزيز الحكيم لتضمنهما معنى الوحدانية والعدل ● ان الدين اوتوا الكتاب ● اهل الكتاب من اليهود والنصارى واختلافهم انهم تركوا الاسلام وهو التوحيد والعدل ● من بعد ما جاءهم العلم ● انه الحق الذي لا تجد عنه فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالوا انا احق بان تكون النبوة فينا من قريش لانهم اميون ونحن اهل الكتاب وهذا الجور عن الله ● بغيا بينهم ● اي ما كان ذلك الا لحسد بينهم وطلبا منهم للرياسة وحظوظ الدنيا واستتباع كل فريق ناشئا بطاون اعقابهم لا شبهة في الاسلام وقبل هو اختلافهم في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حيث آمن به بعض وكفر بعض وقيل هو اختلافهم في الايمان بالانبياء فمنهم من آمن بموسى ومنهم من آمن بعيسى وقبل هم اليهود واختلافهم ان موسى على الالواح حين احتضر استودع التورية

سبعين حبرا من بني اسرايل وجعلهم امناء عليها واستخلف يوشع فلما مضى قرن بعد
قرن اختلف ابناء السبعين بعد ما جاءهم علم التورية بغيا بينهم وحاسدا على حظوظ
الدنيا والرياسة وقيل هم النصارى واختلافهم في امر عيسى بعد ما جاءهم العلم انه عبد الله
ورسوله فان حاجوك فان جادلوك في الدين المراد بهم نصارى نجران فقل اسلمت وجهي لله اي اخلصت
نفسي وجملتي لله وحده لم اجعل فيها لغيره شركة بان اعبده وادعوه الها معه يعني ان
ديني دين التوحيد وهو الدين القديم الذي ثبت عندكم صحته كما ثبت عندي
وما جيت بشيء بديع حتى تجادلوني فيه وخوه قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا
وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيا فهو دفع للحاجة ان ما هو عليه ومن معه
من المومنين هو حق اليقين الذي لا لبس فيه فما معنى المحاجة فيه ومن اتبعني
عطف على التاء في اسلمت وحسن للفاصل وجوز ان يكون الواو بمعنى مع فيكون
مفعولا معه وقل للذين اوتوا الكتاب والامين والذين لا كتاب لهم من مشركي
العرب اسلمتم يعني انه قد اتاكم من البينات ما يوجب الاسلام ويقتضي حصوله
لا محالة فهل اسلمتم ام انتم بعد على كفركم وهذا كقوله لمن لخصت له المسالة ولم يبق
من طرق البيان والكشف طريقا الا سلكته فهل فهمتها لا ام لك ومنه قوله عز وعلا
فهل انتم منتهون بعد ما ذكر الصوارف عن الخمر والميسر وبه هذا الاستفهام استقصاء
وتعبير بالمعانقة وقلة الانصاف لان المنصف اذا جلت له الحجة لم يتوقف اذعانه
للحق وللمعاند يعد جلي الحجة وما يضرب اشد اذا بينه وبين الاذعان وكذلك
هل فهمتها توبيخا بالبلادة وكلة القريحة وفي فهل انتم منتهون بالمقاعد عن الانتهاء
والحرص الشديد على تعاطي المنهي عنه فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم
حيث خوجوا من الضلال الى الهدى ومن الظلمة الى النور وان تولوا لم يضروك
فانما رسول منبه ما عليك الا ان تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الهدى قراالحسن
يقتلون النبيين وقراحمزة يقاتلون الذين يامرون وقرا عبد الله وقاتلوا
وقرا ابي يقتلون النبيين هم الذين يامرون وهم اهل الكتاب قتل اولئك
الانبياء وقتلوا اتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا حول قتل رسول الله صلى
الله عليه وسلم والمومنين لولا عصمة الله وعن ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه
قلت يرسول الله اي الناس اشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا او رجل
امر بمعروف او نهى عن منكر ثم قرا ها ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرايل ثلثة
واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مايه وسبعة عشر رجلا
من عباد بني اسرايل فامروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا

جميعا

جميعا من اخر النهار في الدنيا والاخرة لان لهم اللعنة والخزي في الدنيا والعذاب
في الاخرة فان قلت لم دخلت الفاء في خبر ان قلت لتضمن اسم معنى الجزاء
كانه قيل الذين يكفرون فبشرهم بمعنى من يكفر فبشرهم وان لا تغير معنى الابتداء
فكان دخولها كلا دخول ولو كان مكانها ليت ولعل لامتنع ادخال الفاء لتغير معنى
الابتداء وتو اوتوا نصيبا من الكتاب يريد احبار اليهود وانهم حصلوا نصيبا
وافرا من التوريه ومن اما للتبعيض واما للبيان او حصلوا من جنس
الكتب المنزلة او من اللوح التورية وهي نصيب عظيم يدعون الى كتاب الله
وهو التورية ليحكم بينهم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل
مدارسهم فدعاهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت قال على
ملة ابرهيم قالا ان ابرهيم كان يهوديا قال لهما ان بيننا وبينكم التورية فهلموا اليها
فابيا فنزلت وقيل نزلت في الرجم وقد اختلفوا فيه وعن الحسن وقتادة
كتاب الله القران لانهم قد علموا انه كتاب الله لم يستكوا فيه ثم يتولى فريق منهم
استبعاد لتوليهم بعد علمهم بان الرجوع الى كتاب الله واجب وهم معرضون
وهم قوم لا يزال الاعراض ديدنهم وقري ليحكم على البناء للمفعول والوجه
ان يراد ما وقع من الاختلاف والتعادي بين من اسلم من احبارهم وبين
من لم يسلم وانهم دعوا الى كتاب الله الذي لا اختلاف بينهم في صحته وهو
التورية ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق منهم وهم الذين لم
يسلموا وذلك ان قوله ليحكم بينهم يقضي ان يكون اختلافا واقعا فيما بينهم
لا فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك التولي والاعراض بسبب
تسهيلهم على انفسهم امر العقاب وطمعهم في الخروج من النار بعد ايام قلايل
كما طمعت اليهود والحشوية وغيرهم في دينهم ما كانوا يفترون من ان اباهم
الانبياء يشفعون لهم كما غرت اولئك شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم في
كبايرهم فكيف اذا جعلناهم وكيف يصنعون فكيف تكون حالهم وهو استعظام
لما اعد لهم وتهويل لهم وانهم يقعون فيما لا حيلة في دفعه والمخلص منه وان
احد ثوابيه انفسهم وسهلوه عليها تعلل بباطل وتطمع فيما لا يكون روي ان
اول راية ترفع لاهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على
رووس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار وهم لا يظلمون ترجع الى كل نفس على المعنى
كانه قيل وتوفى كل الناس كما تقول ملته انفس تريد بملته اناسي اليم في اللهم
عوض من يا الندا ولذلك لا اجتمعان وهذا بعض خصايص هذا الاسم كما هو

تفصيل وقوبن معناه فقوله وانهم حصلوا نصيبا وافرا يعني تقرير الناس
وقوله اوحصلوا من جنس الكتب يعني بتقدير التبعيض على الاسلوب
الذي تقدم في قوله تعالى ومن اياته منامكم بالليل والنهار اي منامكم

اختص التاء في القسم وبدخول حرف النداء عليه وفيه الف التعريف ولقطع همزته
في يا الله وبغير ذلك ﴿ مالك الملك ﴾ اي تملك جنس الملك فتتصرف فيه لتصرف الملاك
فيما يملكون ﴿ تؤتي الملك من تشاء ﴾ تعطي من تشاء النصيب الذي سمت له فالملك الاول
عام شامل والملكان الاخران خاصان بعضان من الكل روي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة وعد امته ملك فارس والروم فقال المنافقون
واليهود هيهات هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم هم اعز وامنع من ذلك وروي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حفر الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة
اربعين ذراعا واخذ والحفرون خرج من بطن الخندق صخرة عظيمة كالتل العظيم
لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره
فاخذ المعول من سلمان فضربها ضربة صدعها وبرق منها برق اضاءما
بين لابتيها لكانها مصباح في جوف بيت مظلم وكبر وكبر المسلمون فقال
اضات لي منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال
اضات لي القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال
اضات لي قصور صنعاء واخبرني جبريل ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا
فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من
يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق
من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت فان قلت كيف قال ابدك
الخير فذكر الخير دون الشر قلت لان الكلام انما وقع في الخير الذي يسوقه الى
المومنين وهو الذي انكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه اولياءك
من اعدائك ولان كل افعال الله من نافع وضار صادر عن الحكمة والمصلحة فهو
خير كله كالشيء الملك ونزعه ﴿ ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار وما
بينهما وحال الحي والميت واخراج احدهما من الاخر وعطف عليه رزقه بغير حساب
دلالة على ان من قدر على تلك الافعال العظيمة المحيرة للافهام ثم قد رعلى ان
يرزق بغير حساب من يشاء من عباده فهو قادر على ان ينزع الملك من القوم
ويذل لهم ويوتيه العرب ويعزهم ﴿ وفي بعض الكتب انا الله ملك الملوك قلوب
الملوك ونواصيهم بيدي فاذا ان العباد اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان
العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا
الي اعطفهم عليكم وهو معنى قوله عليه السلام كما تكونون يولى عليكم ﴿ فهذا
من ان يوالوا الكافرين لقرابة بينهم او صداقة قبل الاسلام او غير ذلك من

الاسباب

موسي وهارون ابنا عمران بن يصهر وقيل عيسي ومريم بنت عمران بن ماثان وبين العمرانين الف
وثمان مائة سنة ذرية بدل من ال ابرهيم وال عمران بعضها من بعض يعني ان الأولين
ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسي وهرون من عمران وعمران من
يصهر ويصهر من قاهث وقاهث من لاوي ولاوي من يعقوب ويعقوب من اسحق
وكذلك عيسي بن مريم بنت عمران بن ماثان بن سليمان بن داود بن اليشي بن
يهوذا بن يعقوب بن اسحق وقد دخل ال ابرهيم رسول الله صلي الله عليه وسلم
وقيل بعضها من بعض والدين كقوله تعالي المنافقون والمنافقات بعضهم
من بعض والله سميع عليم يعلم من يصلح للاصطفاء او يعلم ان بعضهم من بعض
في الدين او سميع عليم لقول امراة عمران ونيتها واذ منصوب بهو او بمحذوف
هي امراة عمران بن ماثان جدة عيسي والقول الاخر يرجحه ان موسي يقرن بابرهيم
كثيرا في الذكر فان قلت كانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسي
وهرون ولعمران بن ماثان مريم البتول فما ادراك ان عمران هذا هو ابو مريم البتول
دون عمران ابي مريم التي هي اخت موسي وهرون قلت كفي بكفالة زكريا دليلا
علي انه عمران ابو البتول لان زكريا بن آذن وعمران بن ماثان كانا بعصر
واحد وقد تزوج زكريا بنت اشياع اخت مريم فكان عيسي ويحيي ابنا خالة
وروي انها كانت عاقرا لم تلد الي ان عجزت وبينما هي في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخا
له فتحركت نفسها للولد وتمنته وقالت اللهم ان لك علي نذرا شكرا ان رزقتني ولدا ان
اتصدق به علي بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم وهلك عمران
وهي حامل محررا معتقا لخدمة بيت المقدس لا يدلي عليه ولا استخدامه ولا
اشغله بشيء كان هذا النوع من النذر شائعا عندهم وروي انهم كانوا ينذرون
هذا النذر فاذا بلغ الغلام خيروا بين ان يفعل وان لا يفعل وعن الشعبي محررا
مخلصا للعبادة وما كان التحرير الا للغلمان وانما نبه الامر علي المقدير او طلبت
ان ترزق ذكرا فلما وضعتها الضمير لما في بطني وانما انث علي المعني لان ما
في بطنها كان انثي في علم الله او علي تاويل النسمة او النفس او النسمة فان
قلت كيف جاز انتصاب انثي حالا من الضمير في وضعتها وهو كقولك وضعت
الانثي انثي قلت الاصل وضعته انثي وانما انث لتانيث الحال ولذا
الحال لشيء واحد كما انث الاسم في ما كانت امك لتانيث الخبر ونظيره قوله تعالي
فان كانتا اثنتين واما بعانا وبل الحبلة او النسمة فهو ظاهر كانه قيل اني وضعت
الحبلة او النسمة انثي فان قلت فلم قالت اني وضعتها انثي وما ادراك

خواذكر وتقع علي ما عملت وحده ويرتفع وما عملت علي الابتداء وتودّ خبره اي والذي
عملته من سوء تود لو تباعد ما بينها وبينه العمل ولا يصح ان يكون ما شرطية
لارتفاع يود فان قلت فهل يصح ان تكون شرطيه علي قراءة عبد الله ودت
قلت لا كلام في صحته ولكن الحمل علي الابتداء او الخبر اوقع في المعني لانه حكاية
الكائن ذلك اليوم وائبت لموافقة قراءة العامة وبجوز ان يعطف وما عملت
علي ما عملت ويكون تود حالا اي يوم تجد عملها محضرا وادّة تباعد ما بينها وبين اليوم
اي عمل السوء محضرا كقوله تعالي ووجدوا ما عملوا حاضرا يعني مكتوبا في صحفهم
يقرؤونه ونحوه فيلتبيهم علما عملوا احصاه الله ونسوه والامل المسافة كقوله
تعالي بيني وبينك بعد المشرقين وكرّر قوله وحذركم الله لفقه وليكن علي بال منهم
لا يغفلون عنه والله رؤف بالعباد يعني لخذيره نفسه وتعريفه حالها من اللطف
والقدرة من الرافة العظيمة بالعباد لانهم اذا عرفوه حق المعرفة وحذروه دعاهم ذلك الي طلب رضاه واجتناب سخطه وعن الحسن من رافته بهم ان حذرهم نفسه
ويجوز ان يراد انه مع كونه مخوفا محذورا لعلمه وقدرته مرجو لسعة رحمته كقولهم ان
ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم محبة العباد لله مجاز عن ارادة نفوسهم احتمال
العبادة دون غيرها ورغبتهم فيها ومحبة الله عبادة ان يرضي عنهم ويحمد فعالهم
والمعني ان كنتم مريدين لعبادة الله علي الحقيقة فاتبعوني حتي يصح ما تدعونه
من اراده عبادته يرض عنكم ويغفر لكم وعن الحسن زعم اقوام علي عهد رسول
الله صلي الله عليه وسلم انهم يحبون الله فاراد ان يجعل لقولهم تصديقا من عمل من
ادعي محبته وخالف سنته رسوله فهو كذاب وكذب الله يكذبه واذا رايت
من يذكر محبة الله ويصفق بيده به مع ذكرها ويطرب ويبعر ويصعق فلا تشك
في انه لا يعرف الله ولا يدري ما محبة الله وما تصفيقه وطربه وبعرته وصعقته
الا لانه تصور في نفسه الخبيثة صورة مستملحة معشقة فسماها الله لجهله
وغباوته ثم صفق وطرب وبعر وصعق علي تصورها وربما رايت المبتي قد
ملا ازاره لكثرة ما انعظ عند صعقته وحمقي العامة حوالية قد ملؤا ازرارهم
لما رقفهم من حاله وقري يحببكم ويحببكم من حبه محبه قال
احب ابا ثروان من حب تمر واعلم ان الرفق بالجار ارفق
ووالله لولا تمر ما حببته ولا كان ادني من عبيدي ومشرف
فان تولوا احتمل ان يكون ماضيا وان يكون مضارعا بمعني فان تتولوا ويدخل
في جملة ما يقول الرسول لهم ال ابرهيم اسمعيل واسحق واولادها وال عمران

موسي

١١٨٤٩

الى هذا القول **قلت** قالته تحسرا على ما رات من خيبة رجائها وعكس تقديرها فتحسرت الى ربها لانها كانت ترجو وتقدر ان تلد ذكرا ولذلك نذرته محررا للسدانة ولتكفلها بذلك على وجه التحسر والتحزن قال الله تعالى والله اعلم بما وضعت تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بقدر ما وهب لها منه ومعناه والله اعلم بالشيء الذي وضعت وما علق به من عظائم الامور وان تجعله وولده اية للعالمين وهي جاهلة بذلك لا تعلم منه شيا فلذلك تحسرت وفي قراءة عبد الله بن عباس والله اعلم بما وضعت على خطاب الله لها اي انك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما علم الله من عظم شانه وعلو قدره وقرئ وضعت بمعني ولعل لله فيه سرا وحكمة ولعل هذه الانثى خير من الذكر لنفسها **فان قلت** فما معني قوله وليس الذكر كالانثى **قلت** هو بيان لما في قوله والله اعلم بما وضعت من التعظيم للموضوع والرفع منه ومعناه وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت لها والالف فيهما للعهد **فان قلت** علام عطف قوله واني سميتها مريم **قلت** هو عطف على اني وضعتها انثى وما بينهما جملتان معترضتان كقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم **فان قلت** فلم ذكرت تسميتها مريم لربها **قلت** كان مريم في لغتهم بمعنى العابدة فاراد ت بذلك التقرب والطلب اليه ان يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها وان يصدق فيها ظنها بها الاتري كيف اتبعته طلب الاعاذة لها ولولدها من الشيطان واغوايه وما يروى من الحديث ما من مولود يولد الا والشيطان ممسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها فالله اعلم بصحته فان صح فمعناه ان كل مولود يولد يطمع الشيطان في اغوايه الا مريم وابنها فانهما كانا معصومين وكذلك كل من كان في صفتهما كقوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين واستهلال له صارخا من مسه لخيل وتصويره لطعنه فيه كانه مسه وضرب يده عليه ويقول هذا ممن اغويه ونحوه من التخييل قول بن الرومي لما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد واما حقيقة المس والنخس لا يتوهم اهل الحق فكلا ولو سلط ابليس على الناس ينخسهم لامتلات الدنيا صراخا وعياطا مما يبلونا به من نخسه فتقبلها ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر بقبول حسن فيه وجهان احدهما ان يكون القبول اسما لما يقبل به الشيء كالنسعوط واللدود لما يسعط ويلد وهو اختصاصه لها باقامتها مقام الذكر في النذر ولم تقبل قبلها انثى في ذلك او بان تسلمها من امها عقيب الولادة قبل ان تشاو تصبح للسدانة روي ان حنة حين ولدت مريم لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم في بيت المقدس

الكعبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رؤوس بني اسرايل واحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا انا احق بها عندي خالتها فقالوا لاحتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت اقلامهم فتكفلها والثاني ان يكون مصدرا بمعنى بقبول حسن على حذف المضاف او على تاويل فتقبلها بذي قبول حسن اي بامر ذي قبول حسن وهو الاختصاص ويجوز ان يكون معنى فتقبلها استقبلها كقولك تعجله بمعنى استعجله وتقضاه بمعنى استقضاه وهو كثير في كلامهم من استقبل الامر اذا اخذه باوله وعنفوانه قال القطامي

ومنه المثل خذ الامر بقوابله اي فاخذ كاف اول امرها حين ولدت فتقبلها حسن وانبتها نباتا حسنا مجاز عن التربية الحسنة العايدة عليها بما يصلحها في جميع احوالها وقرئ وكفلها زكريا بوزن وعلها وكفلها بتشديد الفاء ونصب زكريا والفعل لله تعالى بمعنى وضمها اليه وجعله كافلا لها وضامنا لمصالحها وتوبيدها قراة ابي والكفل ما من قوله فقال اكفلنيها وقرئ هل فتقبلها ربها وانبتها وكفلها على لفظ الامر في الافعال الثلاثة ونصب زكريا ما تدعو بذلك اي فاقبلها يا ربها وربها واجعل زكريا كافلا لها قبل بني لها زكريا عليه السلام محرابا في المسجد اي غرفة يصعد اليها بسلم وقيل المحراب اشرف المجالس ومقدمها كانها وضعت اشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب وروي انه كان لا يدخل عليها الا هو وحده وكان اذا خرج غلق عليها سبعة ابواب ووجد عندها رزقا كان رزقها يترل عليها من الجنة ولم توضع تلك باقواتها فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء اني لك هذا من اين لك هذا الرزق الذي لا يشبه ارزاق الدنيا وهو آت في غير حينه والابواب مغلقة عليك لا سبيل للداخل به اليك قالت هو من عند الله فلا تستبعد قبل تكلمت وهي صغيرة كما علم عيسى وهو في المهد وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه جاع في زمن مخمصة فاهدت اليه فاطمة رضي الله عنها رغيفين وبضعة لحم فاثرته بها فرجع بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فبهتت وعلمت انها نزلت من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة بني اسرايل ثم جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ابن ابي طالب والحسن والحسين وجميع اهل بيته عليه حتى شبعوا فبقي الطعام كما هو فاوسعت فاطمة على جيرانها

والله يرزق من جملة كلام مريم عليها السلام او من كلام رب العزة عز من قايل بغير
حساب بغير تقدير لكثرته او تفضلا بغير محاسبة ومجازاة على عمل بحسب الاستحقاق
هنالك في ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم في المحراب او في ذلك الوقت
فقد يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما راى حال مريم في كرامتها على الله ومنزلتها
رغب في ان يكون له من ايشاع ولد مثل ولد اختها حنة في النجابة والكرامة
على الله وان كانت عاقرا عجوزا فقد كانت اختها كذلك وقيل لما راى النجيب الفاكهة
في غير وقتها انتبه على جواز ولادة العاقر ذرية ولدا والذرية تقع على
الواحد والجمع سميع الدعاء مجيبه فناداه الملايكة وقيل ناداه جبريل وانما
قيل الملايكة على قولهم فلان يركب الخيل ان الله يبشرك بالفتح على ان الله وبالكسر
على ارادة القول او لان النداء نوع من القول وقرئ يبشرك ويبشرك من بشره
وابشره ويبشرك بفتح الياء من بشره ويحيى ان كان اعجميا وهو الظاهر فمنع صرفه
للتعريف والعجمة كموسى وعيسى وان كان عربيا فللتعريف ووزن الفعل كيعمر
مصدقا بكلمة من الله مصدقا بعيسى مومنا به قيل هو اول من امن به
وسمي عيسى كلمة لانه لم يوجد الا بكلمة الله وحدها وهي قوله كن من غير سبب
اخر وقيل مصدقا بكلمة من الله مومنا بكتاب منه وسمي الكتاب كلمة كما قيل كلمة
الحويدرة لقصيدته والسيد الذي يسود قومه اي يفوقهم في الشرف وكان
يحيى فايقا لقومه وفايقا للناس كلهم في انه لم يركب سيئة قط ويالها من سيادة
والحصور الذي لا يقرب النساء حصرا لنفسه اي منعا لها من الشهوات وقيل
هو الذي لا يدخل مع القوم في الميسر قال الاخطل
وشارب مربح بالكاس نادمني لا بالحصور ولا فيها بسار
فاستعير لمن لا يدخل في اللعب واللهو وقد روي انه مر وهو طفل بصبيان فدعوه
الى اللعب فقال ما للعب خلقت من الصالحين ناشيا من الصالحين لانه كان
من اصلاب الانبياء او كاينا من جملة الصالحين كقوله وانه في الاخرة لمن الصالحين
انى يكون لي ولد استبعاد من حيث العادة كما قالت مريم وقد بلغني الكبر
كقولهم ادركته السن العالية والمعنى اثر في الكبر واضعفني وكانت له
تسع وتسعون سنة ولامراته ثمان وتسعون كذلك اي يفعل الله ما يشا
من الافعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد من الشيخ الفاني
والعجوز العاقر او كذلك الله مبتدا وخبر اي على نحو هذه الصفة الله
ويفعل ما يشا بيان له اي يفعل ما يريد من الافاعيل الخارقة للعادات

اية علامة اعرف بها الحبل لا تلقى النعمة اذا جات بالشكر قال ايتك ان لا تقدر على
تكليم الناس ثلثة ايام وانما خص تكليم الناس ليعلمه انه يحبس لسانه عن
القدرة على تكليمهم خاصة مع ابقاء قدرته على التكليم بذكر الله ولذلك قال
واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار يعني في ايام عجزك على تكليم الناس
وهي من الايات الباهرة فان قلت لم حبس لسانه عن كلام الناس قلت
لتخلص المدة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره توفرا منه على قضاء حق
تلك النعمة الجسيمة وشكرها الذي طلب الاية من اجله كانه لما طلب الاية
من اجل الشكر قيل له ايتك ان تحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب
واوقعه ما كان مشتقا من السوال ومنتزعا منه الا رمزا الا اشارة
بيد او راس او غيرهما واصله التحرك يقال ارتمز اذا تحرك ومنه قيل للبحر الرامز
وقرا يحيى بن وثاب الا رمزا بضمتين جمع رموز كرسول ورسل وقرئ رمزا
بفتحتين جمع رامز كخادم وخدم وهو حال منه ومن الناس دفعة كقوله
متى ما تلقني فردين ترجف روانف اليتيك وتستطارا بمعنى الا مترامزين
كما يكلم الناس الاخرس بالاشارة ويكلمهم والعشي من حين تزول الشمس
الى ان تغيب والابكار من طلوع الفجر الى وقت الضحى وقرئ والابكار
بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار يقال اتيته بكرا بفتحتين فان قلت
الرمز ليس من جنس الكلام فكيف استثني منه قلت لما ادى مودى
الكلام وفهم منه ما يفهم منه سمي كلاما ويجوز ان يكون استثناء منقطعا
يا مريم روي انهم كلموها شفاها معجزة لزكريا عليه السلام او ارهاصا لنبوة
عيسى اصطفاك اولا حين تقبلك من امك ورباك واختصك بالكرامة
السنية وطهرك مما يستقذر من الافعال ومما قرفك به اليهود واصطفاك
اخرا على نساء العالمين بان وهب لك عيسى من غير اب ولم يكن ذلك
لاحد من النساء امرت بالصلوة بذكر القنوت والسجود لكونهما من
هيات الصلوة واركانها ثم قيل لها واركعي مع الراكعين بمعنى ولتكن
صلاتك مع المصلين اي في الجماعة او وانظمي نفسك في جملة المصلين وكوني
معهم في عدادهم ولا تكوني في عداد غيرهم ويحتمل ان يكون في زمانها من
كان يقوم ويسجد في صلوته ولا يركع وفيه من يركع فامرت بان
تركع مع الراكعين ولا تكون مع من لا يركع ذلك اشارة الى ما سبق من نباء
زكرياء ويحيى ومريم وعيسى يعني ان ذلك من الغيوب التي لم تعرفها الا

بالوحي فان قلت لم يفت المشاهدة وانتفاؤها معلوم بغير شبهة وترك نفي استمرار
الابناء من حفاظها وهو مفهوم قلت كان معلوما عندهم علما يقينيا انه ليس
من اهل السماع والقراءة وكانوا منكرين للوحي فلم يبق الا المشاهدة وهي في غاية
الاستبعاد والاستحالة فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحي مع علمهم بانه لا
سماع له ولا قراءة ونحوه وما كنت بجانب الغربي وما كنت بجانب الطور وما كنت
لديهم اذ اجمعوا امرهم اقلامهم ازلامهم وهي قداحهم التي طرحوها في
النهر مقترعين وقيل الاقلام التي كانوا يكتبون بها التوراة اختاروها كما
للقرعة تبركا بها اذ يختصمون بشأنها تنافسا في التكفل بها فان قلت
ايهم يكفل لم يتعلق قلت لمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم كانه قيل ليلقوها لينظروا ايهم يكفل او ليعلموا او يقولون المسيح لقب من الالقاب المشرفة
كالصديق والفاروق واصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك كقوله
وجعلني مباركا اينما كنت وكذلك عيسى معرب من ايشوع ومشتقهما
من المسح والعيس كالراقم في الماء فان قلت اذ قالت لم يتعلق قلت
هو بدل من واذ قالت الملائكة ويجوز ان يبدل من اذ يختصمون بدل الاختصاص
والبشارة وقعا في زمان واسع كما تقول لقيته سنة كذا فان قلت لم قيل
عيسى بن مريم والخطاب لمريم قلت لان الابناء ينسبون الى الاباء الى الامهات
فاعلمت بنسبته اليها انه يولد من غير اب ولا ينسب الا الى امه وبذلك فضلت
واصطفيت على نساء العالمين فان قلت لم ذكر ضمير الكلمة قلت لان
المسمى بما مذكر فان قلت لم قيل اسمه المسيح عيسى بن مريم وهذه ثلاثة
اشياء الاسم منها عيسى واما المسيح والابن فلقب وصفة قلت الاسم للمسمى
علامة يعرف بها ويتميز من غيره فكانه قيل الذي يعرف به ويتميز ممن سواه
مجموع هذه الثلاثة وجيها حال من كلمة وكذلك قوله ومن المقربين ويكلم
ومن الصالحين اي يبشرك به موصوفا بهذه الصفات وصح انتصاب الحال
من النكرة لكونها موصوفة والوجاهة في الدنيا النبوة والتقدم على الناس
وفي الاخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة وكونه من المقربين رفعه
الى السماء وصحبته للملائكة والمهد ما يمهد للصبي من مضجعه سمي
بالمصدر وفي المهد في محل النصب على الحال وكهلا عطف عليه نحو يكلم
الناس طفلا وكهلا ومعناه يكلم الناس في هاتين الحالتين كلام الانبياء من
غير تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة التي يستحكم فيها العقل ويستنبأ

فيها الانبياء اني يكون لي قيل استفهمت بكون الولد على مجرى العادة ام على خلافها
ومن بدع التفاسير ان قولها رب انى يكون لي خطاب للجبريل بمعنى يا سيدي ونحله عطف
على يبشرك او على وجيها او على خلق او هو كلام مبتدا او قراءاصم ونافع ويعلمه
بالياء فان قلت علام تحمل ورسولا ومصدقا من المنصوبات المتقدمة وقوله
اني قد جئتكم وما بين يدي يأبى حمله عليها قلت هو من المضايق وفيه وجهان احدهما
ان يضمر له وارسلت بمعنى ارادة القول بقديره ويعلمه الكتاب والحكمة ويقول ارسلت رسولا
باني قد جئتكم ومصدقا لما بين يدي والثاني ان الرسول والمصدق فيهما معنى النطق
فكانه قيل وناطقا باني قد جئتكم وناطقا باني اصدق ما بين يدي وقرا البزيدي
ورسول عطفا على كلمة اني قد جئتكم اصله ارسلت باني قد جئتكم فحذف الجار
وانتصب بالفعل واني اخلق نصب بدل من اني جئتكم او جر بدل من اية او
رفع على هي اني اخلق لكم وقرئ ابي بالكسر على الاستيناف اي اقدر لكم شيئا
مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير
فيكون طيرا فيصير طيرا كسائر الطيور حيا طائرا وقرا عبد الله فتنفخها قال
كالبهير في تنجي يتنفخ الخمار وقيل لم يخلق غير الخفاش الاكه الذي ولد اعمى
وقيل هو الممسوح العين ويقال لم يكن في هذه الامة اكمه غير قتادة بن دعامة
السدوسي صاحب التفسير وروي انه ربما اجتمع عليه خمسون الفا من المرضى من
اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى وما كانت مداواته الا بالدعاء وحده وكور
باذن الله دفعا لوهم من توهم فيه الالاهوية وروي انه احيا سام بن نوح وهم
ينظرون وقالوا هذا سحر فارنا اية فقال يا فلان اكلت كذا ويا فلان خبئ لك كذا
وقرئ تدخرون بالذال والتخفيف ولاحل رد على قوله باية من ربكم
اي جئتكم باية ولاحل لكم ويجوز ان يكون مصدقا مردودا عليه ايضا اي جئتكم
باية وجئتكم مصدقا وما حرم الله عليهم شريعة موسى الشحوم والثروب
ولحوم الابل والسمك وكل ذي ظفر فاحل لهم عيسى بعض ذلك قيل احل لهم من السمك
والطير ما لا صيصية له واختلفوا في احلاله لهم السبت وقرئ حرم عليكم على
تسمية الفاعل وهو ما بين يدي من التوراة او الله او موسى صلى الله عليه وسلم
ان ذكر التوراة دل عليه ولانه كان معلوما عندهم وقرئ حرم وبوزن كرم
وجئتكم باية من ربكم شاهدة على صحة رسالتي وهي قوله اني ان الله ربي
وربكم لان جميع الرسل كانوا على هذا القول لم يختلفوا فيه وقرئ بالفتح على
البدل من اية وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض فان قلت كيف جعل هذا

ومن بدع التفاسير ان قولها رب انى يكون لي خطاب للجبريل بمعنى يا سيدي ونحله عطف
على يبشرك او على وجيها او على خلق او هو كلام مبتدا او قراءاصم ونافع ويعلمه
بالياء فان علام تحمل ورسولا ومصدقا من المنصوبات المتقدمة وقوله
اني قد جئتكم وما بين يدي يأبى حمله عليها قلت هو من المضايق وفيه وجهان احدهما
ان يضمر له وارسلت بمعنى ارادة القول بقديره ويعلمه الكتاب والحكمة ويقول ارسلت رسولا
باني قد جئتكم ومصدقا لما بين يدي والثاني ان الرسول والمصدق فيهما معنى النطق
فكانه قيل وناطقا باني قد جئتكم وناطقا باني اصدق ما بين يدي وقرا البزيدي
ورسول عطفا على كلمة اني قد جئتكم اصله ارسلت باني قد جئتكم فحذف الجار
وانتصب بالفعل واني اخلق نصب بدل من اني جئتكم او جر بدل من اية او
رفع على هي اني اخلق لكم وقرئ ابي بالكسر على الاستيناف اي اقدر لكم شيئا
مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير
فيكون طيرا فيصير طيرا كسائر الطيور حيا طائرا وقرا عبد الله فتنفخها قال
كالبهير في تنجي يتنفخ الخمار وقيل لم يخلق غير الخفاش الاكه الذي ولد اعمى
وقيل هو الممسوح العين ويقال لم يكن في هذه الامة اكمه غير قتادة بن دعامة
السدوسي صاحب التفسير وروي انه ربما اجتمع عليه خمسون الفا من المرضى من
اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى وما كانت مداواته الا بالدعاء وحده وكور
باذن الله دفعا لوهم من توهم فيه الالاهوية وروي انه احيا سام بن نوح وهم
ينظرون وقالوا هذا سحر فارنا اية فقال يا فلان اكلت كذا ويا فلان خبئ لك كذا
وقرئ تدخرون بالذال والتخفيف ولاحل رد على قوله باية من ربكم
اي جئتكم باية ولاحل لكم ويجوز ان يكون مصدقا مردودا عليه ايضا اي جئتكم
باية وجئتكم مصدقا وما حرم الله عليهم شريعة موسى الشحوم والثروب
ولحوم الابل والسمك وكل ذي ظفر فاحل لهم عيسى بعض ذلك قيل احل لهم من السمك
والطير ما لا صيصية له واختلفوا في احلاله لهم السبت وقرئ حرم عليكم على
تسمية الفاعل وهو ما بين يدي من التوراة او الله او موسى صلى الله عليه وسلم
ان ذكر التوراة دل عليه ولانه كان معلوما عندهم وقرئ حرم وبوزن كرم
وجئتكم باية من ربكم شاهدة على صحة رسالتي وهي قوله اني ان الله ربي
وربكم لان جميع الرسل كانوا على هذا القول لم يختلفوا فيه وقرئ بالفتح على
البدل من اية وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض فان قلت كيف جعل هذا

القول اية من ربه قلت لان الله تعالى جعل له علامة يعرف بها انه رسول كساير الرسل
حيث هداه للنظر في ادلة العقل والاستدلال ويجوز ان يكون تكريرا لقوله جيتكم
باية من ربكم اي جيتكم باية بعد اخرى مما ذكرت لكم من خلق الطير والابراء
والاحياء والانبا بالخفيات وبغيره من ولادتي بغير اب ومن كلامي في المهد ومن
ساير ذلك وقرا عبد الله وجيتكم بايات من ربكم فاتقوا الله لما جيتكم به من
الايات واطيعوني فيما ادعوكم اليه ثم ابتدا فقال ان الله ربي وربكم
ومعنى قراة من فتح ولان الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله لايلاف قريش
فليعبدوا ويجوز ان يكون المعنى وجيتكم باية على ان الله ربي وربكم وما
بينهما اعتراض فلما احس فلما علم منهم الكفر علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك
بالحواس والى الله من صلة انصاري مضمنا معنى الاضافة كانه قيل من
الذين يضيفون انفسهم الى الله ينصرونني كما ينصرني او يتعلق بمحذوف
حالا من الياء اي من انصاري ذاهبا الى الله ملتجيا اليه نحن انصار الله
اي انصار دينه ورسوله وحواري الرجل صفوته وخالصته ومنه قيل
للحضريات الحواريات لخلوص الوانهن ولطافتهن قال
فقل للحواريات يبكين غيرنا ولا تبكنا الا الكلاب النوابح وفي وزنه الحوالي
وهو الكثير الحيلة وانما طلبوا شهادته باسلامهم تاكيدا لايمانهم لان الرسل يشهدون
يوم القيامة لقومهم وعليهم مع الشاهدين مع الانبيا الذين يشهدون
لامتهم او مع الذين يشهدون بالوحدانية وقيل مع امة محمد صلى الله عليه وسلم لانهم
شهدا على الناس ومكر والواو لكفار بني اسرايل الذين احس منهم الكفر
ومكرهم انهم وكلوا به من يقتله غيلة ومكر الله ان رفع عيسى الى السما
والقى شبهه على من اراد اغتياله حتى قتل والله خير الماكرين اقواهم
مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب اذ
قال الله ظرف لخير الماكرين او لمكر الله اني متوفيك اي مستوفي اجلك
ومعناه اي عاصمك من ان يقتلك الكفار وموخرك الى اجل كتبته لك
ومميتك حتف انفك لا قتلا بايديهم ورافعك الي الى سمايي ومقر ملايكتي
ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم وخبث صحبتهم وقيل متوفيك
قابضك من الارض من توفيت مالي على فلان اذا استوفيته وقيل ممتك في
وقتك بعد النزول من السما ورافعك الان وقيل متوفي نفسك بالنوم من قوله
تعالى والتي لم تمت في منامها ورافعك وانت نايم حتى لا يلحقك خوف وتستيقظ

وانت

وانت في السماء امن مقرب فوق الذين كفروا الى يوم القيامة يعلونهم بالحجة
وفي اكثر الاحوال بها وبالسيف ومتبعوه هم المسلمون لانهم متبعوه في اصل
الاسلام وان اختلفت الشرايع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود
والنصارى فاحكم بينهم تفسير الحكم قوله تعالى فاعذبهم فنوفيهم اجورهم
وقرى فيوفيهم بالياء ذلك اشارة الى ما سبق من نبا عيسى وغيره وهو مبتدا
خبره نتلوه من الايات خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف ويجوز ان
يكون ذلك بمعنى الذي ونتلوه صلته ومن الايات الخبر ويجوز ان ينتصب
ذلك بمضمر يفسره نتلوه والذكر الحكيم القران وصف بصفة من هو من سببه
او كانه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه ان مثل عيسى ان شان عيسى وحاله الغريبة
كشان ادم وقوله خلقه من تراب جملة مستانفة مفسرة لما له شبه عيسى
بادم اي خلق ادم من تراب ولم يكن ثم اب ولا ام فكذلك حال عيسى فان قلت
كيف شبه به وقد وجد هو بغير اب ووجد ادم بغير اب وام قلت هو مثله
في احد الطرفين ولا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الاخر من تشبيهه به لان
المماثلة مشاركة في بعض الاوصاف ولانه شبه به في انه وجد وجودا خارجا
عن العادة المستمرة وهما في ذلك نظيران ولان الوجود من غير اب وام اغرب
واخرق للعادة من الوجود من غير اب فشبه الغريب بالاغرب ليكون
اقطع للخصم واحسم لمادة شبهته اذ انظر فيما هو اغرب مما استغربه وعن
بعض العلما انه اسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا اب له
قال فادم اولى لانه لا ابوين له قالوا كان يحيي الموتى قال فخر قيل اولى
لان عيسى احيا اربعة نفر واحيا خر قيل اربعة الاف فقالوا
كان يبري الاكمه والابرص قال فجرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام
سالما خلقه من تراب قدره جسدا من طين ثم قال له كن
اي انشاه بشرا كقوله ثم انشاناه خلقا اخر فيكون حكاية حال
ماضية الحق من ربك خبر مبتدا محذوف اي هو الحق كقول اهل خيبر
محمد والخميس ونهيه عن الامتراء وجل رسول الله ان يكون ممتريا من
باب التهييج لزيادة الثبات والطمانينة وان يكون لطفا لغيره فمن حاجك
فيه في عيسى من بعد ما جاءك من العلم اي من البينات الموجبة
للعلم تعالوا هلموا والمراد المجي بالراي والعزم كما تقول تعال نفكر
في هذه المسلة ندع ابنانا وابناكم اي يدع كل مني ومنكم ابناه ونساءه

ونفسه الي المباهله ثم نبتهل ثم نتباهل بان نقول بهلة الله علي الكاذب منا
ومنكم والبهلة بالفتح والضم اللعنة وبهله الله لعنه وابعده من رحمته
من قولك ابهله اذا اهمله ونافة باهل لا صرار عليها واصل الابتهال
هذا ثم استعمل في كل دعاء يجتهد فيه وان لم يكن التعانا وروي انه لما
دعاهم الي المباهلة قالوا حتي نرجع وننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان
ذا رايهم يا عبد المسيح ما تري فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصاري ان
محمدا نبي مرسل ولقد جاكم بالفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط
فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولين فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا الف دينكم
والاقامة علي ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الي بلادكم فاتوا رسول
الله صلي الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا للحسين اخذا بيد الحسين وفاطمة
تمشي علي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف
نجران يا معشر النصاري اني لاري وجوها لو سالوا الله ان يزيل جبلا من
مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقي علي وجه الارض نصراني الي يوم
القيامة فقالوا يا ابا القاسم راينا ان لا نباهلك وان نقرك علي دينك ونثبت
علي ديننا قال فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم
فابوا قال فاني انا جزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك علي
ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا علي ان نودي اليك كل عام الفي حلة
الف في صفر والف في رجب وثلثين درعا عادية من حديد فصالحهم علي ذلك
فقال والذي نفسي بيده ان الهلاك قد تدلي علي اهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا
قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستاصل الله نجران واهله
حتي الطير علي روس الشجر ولما حال الحول علي النصاري كلهم حتي يهلكوا وعن
عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلي الله عليه وسلم خرج وعليه مرط مرجل
من شعر اسود فجا الحسن فادخله ثم جا الحسين فادخله ثم فاطمة ثم علي ثم قال
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت فان قلت ما كان دعاوه الي المباهلة
الا ليتبين الكاذب منه ومن خصمه وذلك امر يختص به وبمن يكاذبه
فما معني ضم الابنا والنسا قلت ذلك اكد في الدلالة علي ثقته بحاله واستيقانه
بصدقه حيث استجرا علي تعريض اعزته واولاد كبده واحب الناس اليه
لذلك ولم يقتصر علي تعريض نفسه له وعلي ثقته بكذب خصمه حتي يهلك خصمه
مع احبته واعزته هلاك الاستيصال ان تمت المباهلة وخص الابنا والنسا

لانهم اعز والصقهم بالقلوب وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتي يقتل
ومن ثم كانوا يسوقون مع انفسهم الظعاين في الحروب لتمنعهم من الهرب ويسمون
الذادة عنها بازواجهم حماة الحقايق وقدمهم في الذكر علي الانفس لينبه علي لطف
مكانهم وقرب منزلتهم وليوذن بانهم مقدمون علي الانفس مفدون بها
وفيه دليل علي ان لا شي اقوي منه علي فضل اصحاب الكسا عليهم السلام
وفيه برهان واضح علي صحة نبوة النبي صلي الله عليه وسلم لانه لم يرو احد من
موافق ولا مخالف انهم اجابوا الي ذلك ان هذا الذي قص عليك من نبا
عيسي لهو القصص الحق قري بتحريك الها علي الاصل وبالسكون لان اللام
تنزل من هو منزلة بعضه فخفف كما خفف عضد وهو اما فصل بين اسم
ان وخبرها واما مبتدا والقصص الحق خبره والجملة خبر ان فان قلت
لم جاز دخول اللام علي الفصل قلت اذا جاز دخولها علي الخبر كان دخولها علي
الفصل اجوز لانه اقرب الي المبتدا منه واصلها ان تدخل علي المبتدا ومن
في قوله وما من اله الا الله بمنزلة البنا علي الفتح في لا اله الا الله في افادة معني
الاستغراق والمراد الرد علي النصاري في تثليثهم فان الله عليم بالمفسدين
وعيد لهم بالعذاب المذكور في قوله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون
يا اهل الكتاب قيل هم اهل الكتابين وقيل وفد نجران وقيل يهود المدينة
سوا بيننا وبينكم مستوية بيننا وبينكم لا يختلف فيها القران والتورية
والانجيل وتفسير الكلمة قوله ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيا ولا يتخذ
بعضنا بعضا اربابا من دون الله يعني تعالوا اليها حتي لا نقول عزير
بن الله ولا المسيح ابن الله لان كل واحد منهما بعضنا بشر مثلنا ولا نطيع
احبارنا فيما احدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع الي ما شرع الله كقوله
اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما امروا
الا ليعبدوا الها واحدا وعن عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس
كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال هو ذلك وعن الفضيل
لا ابالي اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة وقري كلمة
بسكون اللام وقرا الحسن سوا بالنصب بمعني استوت استوا فان تولوا
عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اي لزمتكم الحجة فوجب عليكم
ان تعترفوا وتسلموا بانا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب في جدال
او صراع او غيرهما اعترف باني انا الغالب وسلم لي الغلبة ويجوز ان يكون من

بان التعريض ومعناه اشهدوا واعترفوا بانكم كافرون حيث توليتم عن الحق بعد ظهوره
زعم كل فريق من اليهود والنصارى ان ابرهيم كان منهم وجادلوا رسول الله
والمومنين فيه فقيل لهم ان اليهودية انما حدثت بعد نزول التورية والنصرانية
بعد نزول الانجيل وبين ابرهيم وموسى الف سنة وبينه وبين عيسى الفان
فكيف يكون ابرهيم على دين لم يحدث الا بعد عهده بازمنة متطاولة افلا تعقلون
حتى لا تجادلوا امثل هذا الجدال المحال ها انتم هؤلاء ها للتنبيه وانتم مبتدا
وهؤلاء خبره وجادلتم جملة مستانفة مبينة للجملة الاولى يعني انتم هؤلاء
الاشخاص الحمقى وبيان حماقتكم وقلة عقولكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما نطقت به التورية
والانجيل فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ولا ذكر له في كتابيكم من دين ابرهيم وعن
الاخفش ها انتم هؤلاء على الاستفهام فقلبت الهمزة ها ومعنى الاستفهام التعجب
من حماقتهم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته والله يعلم علم ما حاججتم
فيه وانتم جاهلون به ثم اعلمهم بانه بريء من دينهم وما كان الاحنيفا مسلما وما كان
من المشركين كما لم يكن منكم اوارد بالمشركين اليهود والنصارى لانهم به عنزلا
والمسيح وان اولى الناس بابرهيم ان اخصهم به واقربهم منه من الولي وهو
القرب للذين اتبعوه في زمانه وبعده وهذا النبي خصوصا والذين امنوا
من امته وقريء وهذا النبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه اي
اتبعوه واتبعوا هذا النبي وبالجر عطفا على ابرهيم ودت طائفة هم اليهود
دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية وما يضلون الا انفسهم وما يعود
وبال الاضلال الا عليهم لان العذاب يضاعف لهم بضلالهم واضلالهم
اوو ما يقدرون على اضلال المسلمين وانما يضلون امثالهم من اشياعهم
بايات الله بالتورية والانجيل وكفرهم بها انهم لا يومنون بانطقت به من
صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرها وشهادتهم اعترافهم بانها
ايات الله او تكفرون بالقرآن ودلايل نبوة الرسول وانتم تشهدون
في الكتابين او تكفرون بايات الله جميعا وانتم تعلمون انها حق وقرئ تلبسون
بالتشديد وقرا يحيى بن وثاب تلبسون بفتح الباء اي تكتسون الحق مع الباطل
كقولك لابس ثوبي زور وقوله اذا هو بالمجد ارتدى وتازرا وجه النهار
اوله قال من كان مرورا ان قتل مالك فليات نسوتنا بوجه نهار
والمعنى اظهروا الايمان بما انزل على المسلمين في اول النهار والكفر وابه في اخره
لعلهم يشكون في دينهم ويقولون ما رجعوا وهم اهل كتاب وعلم الا مر قد تبين

لهم فيرجعون يرجعكم وقيل تواطا اثنا عشر من احبار يهود خيبر وقال بعضهم
لبعض ادخلوا في دين محمد اول النهار من غير اعتقاد والكفر به اخر النهار وقولوا
انا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا امره اليس بذاك المنعوت فظهر لنا كذبه
وبطلان دينه فاذا فعلتم ذلك شك اصحابه في دينهم وقيل هذا في شان القبلة
لما صرف الى الكعبة قال كعب بن الاشرف لاصحابه امنوا بما انزل عليهم من الصلوة
الى الكعبة وصلوا اليها في اول النهار ثم اكفروا به في اخره وصلوا الى الصخرة
لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون ولا تومنوا متعلق
بقوله ان يوتى احد ومابينهما اعتراض اي ولا تظهروا الا يمانكم بان يوتى احد مثل
ما اوتيتم الا لاهل دينكم دون غيرهم ارادوا اسروا التصديق بكم بان المسلمين قد اوتوا
كتب الله مثل ما اوتيتم ولا تفشوه الا الى اشياعكم وحدهم دون المسلمين ليلا
يزيدهم ثباتا ودون المشركين ليلا يدعوهم الى الاسلام او تحاجوكم عند ربكم
عطف على ان يوتى والضمير في تحاجوكم لاحد لانه في معنى الجميع يعني
ولا تومنوا لغير اتباعكم ان المسلمين تحاجونكم يوم القيامة بالحق ويغالبونكم
عند الله بالحجة فان قلت فما معنى الاعتراض قلت معناه ان الهدى
هدى الله من يشا ان يلطف به حتى يسلم او يريد ثباته على الاسلام
كان ذلك ولم ينفع كيدكم وحيلكم وتشكيكم بعضهم يقلعن المسلمين والمشركين
وكذلك قوله قل ان الفضل بيد الله يوتيه من يشا يريد الهداية والتوفيق كانه قيل قل لهم هذين القولين
او يتم الكلام عند قوله الا لمن تبع دينكم يعني ولا تومنوا هذا الايمان الظاهر وهو
الطاهر بانهم وجه النهار الا لمن تبع دينكم الا لمن كانوا تابعين لكم
لدينكم ممن اسلموا منكم لان رجوعهم كان ارجى عندهم من رجوع من
سواهم ولان اسلامهم كان اغيظ لهم وقوله ان يوتى معناه لان يوتى
احد مثل ما اوتيتم قلتم ذلك وديدنوه الشيء اخر يعني ان ما بكم من هدى الله وقبل الا ان يوتى احد
الحسد والبغي ان يوتى احد مثل ما اوتيتم من فضل العلم والكتاب
دعاكم الى ان قلتم ما قلتم والدليل عليه قراءة بن كثير ءان يوتى احد
بزيادة همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ بمعنى الا ان يوتى فان قلت فما
معنى قوله او تحاجوكم على هذا قلت معناه ديرتم ما دبرتم لان يوتى احد
مثل ما اوتيتم ولما يتصل به عند كفركم به من محاجتهم لكم عند ربكم ولجوز
ان يكون هدى الله بدلا من الهدى وان يوتى احد خبر ان على معنى قل ان
هدى الله ان يوتى احد مثل ما اوتيتم او تحاجوكم حتى تحاجوكم عند ربكم

ماشاء الله لا قوة الا بالله ما شاء الله كان ما لم يشا لم يكن

فيقرعوا باطلكم لحقهم ويدحضوا حجتكم وقرئ ان يوتي احد على ان النافية وهو
متصل بكلام اهل الكتاب اي ولا تومنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يوتي احد مثل
ما اوتيتم حتى يحاجوكم عند ربكم بمعنى ما يوتون مثله فلا يحاجونكم وجوز ان يكون
ان يوتي بفعل مضمر يدل عليه قوله ولا تومنوا الا لمن تبع دينكم كانه قيل قل ان
الهدى هدى الله فلا تسلموا ان يوتى احد مثل ما اوتيتم لان قولهم ولا تومنوا
الا لمن تبع دينكم انكار لان يوتى احد مثل ما اوتوا عن ابن عباس ه من ان
تامنه بقنطار ه هو عبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش الفا وماتي
اوقية ذهبا فاداه اليه ه ومنهم من ان تامنه بدينار ه هو فنحاص بن
عازورا استودعه رجل من قريش دينارا فجحده وخانه وقيل المامون على
الكثير النصارى لغلبة الامانة عليهم والخائنون في القليل اليهود لغلبة الخيانة
عليهم ه الا ما دمت عليه قائما ه الا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على
راسه متوكلا عليه بالمطالبة والتعنيف او بالرفع الى الحاكم واقامة البينة
عليه وقرئ بوده بكسر الهاء والوصل بكسرها بغير وصل وبسكونها وقرا الحبي
بن وثاب تيمنه بكسر التاء ودمت بكسر الدال من دام يدام ه ذلك ه اشارة الى ه
ترك الاداء الذي دل عليه لم يوده اي تركهم اداء الحقوق بسبب قولهم ليس علينا
في الامين سبيل اي لا يتطرق علينا عتاب وذم في شان الاميين يعنون الذين
ليسوا من اهل الكتاب وما وعدنا بهم من حسن اموالهم والاحسان اليهم لانهم لسوا
على ديننا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم ويقولون لم نجعل لهم في كتابنا حرمة
وقيل باع اليهود رجلا من قريش فلما اسلما تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق
حيث تركتم دينكم واد عوا انهم وجدوا ذلك في كتابهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شي في الجاهلية الا وهو تحت قدمي
الا الامانة فانها مودات الى البر والفاجر وعن ابن عباس رضي الله عنه انه ساله
رجل فقال انا نصيب في الغزو من اموال اهل الذمة الدجاجة والشاة قال
فتقولون ما ذا قال نقول ليس علينا في ذلك باس قال هذا كما قال اهل الكتاب
ليس علينا في الاميين سبيل انهم اذا ادوا الجزية لم تحل اكل اموالهم الا بطيبة
انفسهم ه ويقولون على الله الكذب باد عائهم ان ذلك في كتابهم ه وهم يعلمون
انهم كاذبون ه بلى اثبات لما نفوه من السبيل عليهم في الاميين اي بلى عليهم سبيل فيهم
وقوله ه من اوفى بعهده جملة مستانفة مقرره للجملة التي سدت بلى مسدها
والضمير في بعهده راجع الى من او في على ان كلا من وفي بما عاهد عليه واتقى الله في ترك

الخيانة

الخيانة والغدر فان الله يحبه فان قلت فهذا اعام يخيل انه لو وفى اهل الكتاب
بعهودهم وتركوا الخيانة لكسبوا محبة الله قلت اجل لانهم اذا اوفوا بالعهود
وتوقوا اول شي بالعهد الاعظم وهو ما اخذ عليهم في كتابهم من الايمان برسول
مصدق لما معهم ولو اتقوا الله في ترك الخيانة لاتقوه في ترك الكذب على
الله وتحريف كلمه وجوز ان يرجع الضمير الى الله تعالى على ان كل من وفى بعهد
الله وابقاه فان الله يحبه ويدخل في ذلك الايمان وغيره من الصالحات وما
وجب اتقاوه من الكفر واعمال السوء فان قلت فاين الضمير الراجع من
الجزاء الى من قلت عموم المتقين قام مقام رجوع الضمير وعن ابن عباس
نزلت في عبد الله بن عباس سلام وتحبري الراهب ونظرائهما من مسلمة
اهل الكتاب ه يشترون ه يستبدلون ه بعهد الله ه ما عاهدوه عليه من الايمان
بالرسول المصدق لما معهم ه وايمانهم ه وما حلفوا به من قولهم والله لنومنن به
ولننصرنه ه ثمنا قليلا ه متاع الدنيا من التراس والارتشاء وتحوذلك وقيل
نزلت في ابي رافع ولبابة بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب حرفوا التورية
وبدلوا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذوا الرشوة على ذلك وقيل جاءت
جماعة من اليهود الى كعب بن الاشرف في سنة اصابتهم ممتارين فقال لهم هلم لعلي
ان هذا الرجل رسول الله قالوا نعم قال قد حدثت ان امركم واكسوكم فحمكم الله
خير كثير اقالوا لعله شبه علينا فرويد اعلينا حتى نلقاه فانطلقوا فكتبوا
غير صفته ثم رجعوا اليه وقالوا قد غلطنا وليس هو بالنعت الذي نعت لنا ففرح
وما رهم وعن الاشعث بن قيس نزلت في كانت بيني وبين رجل خصومة في بير
فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شاهداك او يمينه فقلت اذا
يحلف ولا يبالي فقال من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه
غضبان وقيل نزلت في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اعطي بها ما لم
يعطه والوجه ان نزولها في اهل الكتاب وقوله بعهد الله يقوي رجوع الضمير
في بعهدهم الى الله ولا ينظر اليهم ه مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم يقول
فلان لا ينظر الي فلان تريد بقي اعتداده به واحترامه اليه ه ولا يزكيهم ه ولا
يثني عليهم فان قلت اي فرق بين استعماله فيمن يجوز عليه النظر وفيمن
لا يجوز قلت اصله فيمن يجود عليه النظر والكناية لان من اعتد بالانسان
التفت اليه واعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاهتمام
وان لم يكن ثم نظر عينيه ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر لفريقا ه هم كعب بن

هذا آخر ما وجد من نسخة المصنف رحمه الله تعالى

الاشرف ومالك بن الصيف وحيي بن اخطب وغيرهم يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها
بقراءة عن الصحيح الى المحرف وقرا اهل المدينة تلوّون بالتشديد كقوله لوّوا
رؤوسهم وعن مجاهد وابن كثير يلوُن ووجهه انهما قلبا الواو المضمومة همزة ثم خففوها
لخذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها فان قلت الام يرجع الضمير في ليحسبوه
قلت الى ما دل عليه يلوون السنتهم بالكتاب وهو المحرف ويجوز ان يراد يعطفون
السنتهم نسبة الكتاب ليحسبوا ذلك المشبه من الكتاب وقرئ ليحسبوه بالياء
يعني يفعلون ذلك ليحسبه المسلمون من الكتاب ويقولون هو من عند الله
تاكيد لقوله هو من الكتاب وزيادة تشنيع عليهم وتسجيل بالكذب وادلال على
انهم لا يعرضون ولا يتورعون وانما يحرفون بانه في التوراة هكذا وقد انزله
الله على موسى كذلك لفرط جراتهم على الله وقساوة قلوبهم وياسهم من الاخرة
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف غيروا التورية
وكتبوا كما بدا لهم وافيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذت قريظة ما كتبوه
فخلطوه بالكتاب الذي عندهم ما كان لبشر تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى عليه
الصلاة والسلام وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد من نصارى نجران قالا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد
غير الله او ان نامر بغير عبادة الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل
قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي
ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله والحكم
والحكمة وهي السنة ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا ربانيين الربي
بزيادة الالف والنون كما يقال رقباني في رقباني وحياني في حياني وهو الشديد التمسك بدين الله
وطاعته وعن محمد بن الحنفية انه قال حين مات ابن عباس مات رباني هذه الامة
وعن الكسائي ربانيين علماء فقهاء وقيل علماء معلمين وكانوا يقولون الناس الربي
العالم العامل المعلم بما كنتم بسبب كونكم عالمين وبسبب كونكم دارسين
للعلم اوجب ان يكون الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله فسلبه عن
العلم والدراسة وكفى به دليلا على خيبة سعي من جمد بعقله وكد روحه
في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة الى العمل وكان مثله مثل من عرس شجرا حسنا تؤنق
بسطا ولا يسقيه بثمرها وقرئ تعلمون من التعليم وتعلمون من التعلم تدرسون
لقرؤن وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون من الادراس على ان اذرس بمعنى درس
كاكرم وكرم وانزل ونزل وتدرسون من التدرس ويجوز ان يكون معناه ومعنى

تدرسون

تدرسون بالتخفيف تدرسونه على الناس كقوله لتقراه على الناس فيكون معناها
معنى تدرسون من التدريس وفيه ان من علم وتمرس العلم ولم يعمل به فليس
الله في شيء وان السبب بينه وبين ربه منقطع حيث لم يثبت النسبة اليه
الا للمتمسكين بطاعته قرئ ولا يامركم بالنصب عطفا على ثم يقول وفيه وجهان
احدهما ان تجعل لا مزيدة لتاكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر والمعنى ما كان
لبشر ان يستنبئه الله وينصبه للدعاء الى اختصاص الله بالعبادة وترك الانداد
ثم يامر الناس ان يكونوا عباده وبامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين ارباباً كما
يقول ما كان لزيد ان اكرمه ثم يهينني ولا يستحقني والثاني ان تجعل لا
غير مزيدة والمعنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى قريشا عن عبادة
الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح فلما قالوا له اتتخذ كربنا
قيل لهم ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يامر الناس بعبادته وينهاكم عن عبادة
الملائكة والانبياء والقراءة بالرفع على ابتداء الكلام اظهر وينصره قراءة عبد الله
ولم يامركم والضمير للاامركم او ايامركم للبشر وقيل لله والهمزة لانكار
الانتفاء بعد اذ انتم مسلمون دليل ان المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين
استاذنوه ان يسجدوا له ميثاق النبيين فيه غير وجه احدها ان يكون
على ظاهره من اخذ الميثاق على النبيين بلفظ والثاني ان يضيف الميثاق الى
النبيين اضافته الى الموثق لا الى الموثق عليه كما يقول ميثاق الله وعهد الله
كانه قيل واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على امهم والثالث ان يراد
ميثاق اولاد النبيين وهم بنو اسرائيل على حذف المضاف والرابع ان يراد اهل الكتاب
وان يرد على زعمهم تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا
اهل الكتاب ومنا كان النبيون ويدل عليه قراءة ابي وابن مسعود واذ اخذ الله
ميثاق الذين اوتوا الكتاب واللام في لما اتيتكم لام التوطية لان اخذ الميثاق معنى
الاستحلاف وفي لتؤمنن لام جواب القسم وما تحمل ان تكون المصدرية لمعنى
الشرط ولتؤمنن سادة مسد جواب القسم والشرط جميعا وان تكون موصولة بمعنى
للذي اتيتكموه لتؤمنن به وقرئ لما اتيناكم وقرا حمزة لما استكم بكسر اللام معناه
لاجل اياتي اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لجي رسول مصدق لما معكم لتؤمنن
به على ان ما مصدرية والفعلان معها اعني اتيناكم وجاكم في معنى المصدرين
واللام داخلة المتعليل على معنى اخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه
لاجل اني اتيتكم الحكمة وان الرسول الذي امركم بالايمان به ونصرته موافق للكتب

واللام ايضا موطية كان الموصول وصلته
بمعنى الشرط على ان الصيغة والا
صيغة سواء هو يدل عليه الشرط كما
مبتدا لا بد له من خبر وجواب الشرط
او قلت اكرمك ان اكرمتني لم يكن
للشرط كعدم اكرامك اياي اذا لم تكرمني
ولو قلت اكرمك بالشرط لم يجز
قال ابن الحاجب

مخالف ويجوز ان يكون ما موصولة فان قلت كيف يجوز ذلك والعطف على اتيناكم وهو
قوله ثم جاءكم رسول لا يجوز ان يدخل تحت حكم الصلة لانك لا تقول للذي جاءكم رسول
مصدق لما معكم قلت بلى لان ما معكم في معنى ما اتيتكم فكانه قيل للذي اتيتكموه
وجاءكم رسول مصدق له وقرا سعيد بن جبير لما بالتشديد بمعنى حين اتيتكم بعض
الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول مصدق له وجب له عليكم الايمان به ونصرته وقيل
اصله لمن ما فاستثقلوا اجتماع ثلاث ميمات وهي الميمان والنون المنقلبة ميما بادغامها
في الميم فحذفوا احديها فصارت لما ومعناه لمن اجل ما اتيتكم لتؤمنن به وهذا
نحو من قراءة حمزة في المعنى اصري عهدي وقرئ اصري بالضم وسمي اصرا
لانه مما يوصر اي يشد ويعقد ومنه الاصار الذي يعقد به ويجوز ان يكون
المضموم لغة في اصر كعبر وعبر وان يكون جمع اصار فاشهدوا فليشهد
بعضكم على بعض بالاقرار وانا على ذلكم من اقراركم وتشاهدكم من الشاهدين
وهذا توكيد عليهم وتحذير من الرجوع اذا علموا بشهادة الله وشهادة بعضهم على
بعض وقيل الخطاب للملائكة فمن تولى بعد ذلك الميثاق والتوكيد فاولئك
هم الفاسقون اي المتمردون من الكفار دخلت همزة الانكار على الفاء العاطفة
جملة على جملة والمعنى فاولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ثم توسطت
الهمزة بينهما ويجوز ان يعطف على محذوف تقديره ايتولون فغير دين الله
يبغون وقدم المفعول الذي هو غير دين الله على فعله لانه اهم من حيث
ان الانكار الذي هو معنى الهمزة متوجه الى المعبود بالباطل وروي ان
اهل الكتاب اختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفوا فيه من دين
ابرهيم عليه السلام وكل واحد من الفريقين ادعى انه اولى به فقال صلى الله
عليه وسلم كلا الفريقين بريء من دين ابرهيم فقالوا ما نرضى بقضائك ولا ناخذ
بدينك فنزلت وقرئ يبغون بالياء وترجعون بالتاء وهي قراءة ابي عمرو
لان الباغين هم المتولون والراجعون جميع الناس وقرئا بالياء معا وبالتاء
معا طوعا بالنظر في الادلة والانصاف من نفسه وكرها بالسيف او بمعاينة
ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل على بني اسرائيل وادراك الغرق فرعون والاشفاء
على الموت فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وانتصب طوعا وكرها على
الحال بمعنى طائعين ومكرهين امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه
وعمن معه بالايمان فلذلك وحد الضمير في قل وجمع في امنا ويجوز ان يؤمر
بان يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك اجلالا من الله لقدر نبيه فان قلت

لم عدي انزل في هذه الاية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها بحرف الانتهاء قلت
لوجود المعنيين جميعا لان الوحي ينزل من فوق وينتهي الى الرسل فجاء تارة باحد
المعنيين واخرى بالاخر ومن قال انما قيل علينا لقوله قل والينا لقوله قولوا
تفرقة بين الرسول والمؤمنين لان الرسول ياتيه الوحي على طريق الاستعلاء
وياتيهم على وجه الانتهاء فقد تعسف الا ترى الى قوله بما انزل اليك وانزلنا اليك
الكتاب والى قوله امنوا بالذي انزل على الذين امنوا ونحن له مسلمون
موحدون مخلصون انفسنا له لا نجعل له شريكا في عبادتها ثم قال ومن
يبتغ غير الاسلام يعني التوحيد واسلام الوجه لله دينا فلن يقبل منه
من الخاسرين من الذين وقعوا في الخسران مطلقا من غير تقييد للشياع
وقرئ ومن يبتغ غير الاسلام بالادغام كيف يهدي الله قوما كيف يلطف
وليسوا من اهل اللطف لما علم الله من تصميمهم على كفرهم ودل على تصميمهم
بانهم كفروا بعد ايمانهم وبعد ما شهدوا بان الرسول حق وبعد ما جاءتهم
الشواهد من القران وسائر المعجزات التي يثبت بمثلها النبوة وهم اليهود
كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد ان كانوا مؤمنين به وذلك حين
عاينوا ما يوجب قوة ايمانهم من البينات وقيل نزلت في رهط كانوا اسلموا
ثم رجعوا عن الاسلام ولحقوا بمكة منهم طعمة بن ابيرق ووحوح بن
الاسلت والحارث بن سويد بن الصامت فان قلت علام عطف
قوله وشهدوا قلت فيه وجهان ان يعطف على ما في ايمانهم من معنى
الفعل لان معناه بعد ان امنوا كقوله تعالى فاصدق واكن وقول
الشاعر مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ويجوز ان يكون الواو للحال باضمار
قد بمعنى كفروا وقد شهدوا ان الرسول حق والله لا يهدي لا يلطف
بالقوم الظالمين المعاندين الذين علم ان اللطف لا ينفعهم الا الذين
تابوا من بعد ذلك الكفر العظيم والارتداد واصلحوا ما افسدوا
ودخلوا في الصلاح قيل نزلت في الحرث بن سويد حين ندم على ردته
فارسل الى قومه ان اسئلوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس
بالاية فاقبل الى المدينة فتاب وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته
ثم ازدادوا كفرا هم اليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد ايمانهم بموسى
والتورية ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد والقران او كفروا برسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد ما كانوا به مؤمنين قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا

باصرارهم على ذلك وطعنهم فيه في كل وقت وعداوتهم له ونقضهم ميثاقه وقتلهم
للمومنين وصدهم عن الايمان به وسخريتهم بكل اية تنزل وقيل نزلت في الذين
ارتدوا ولحقوا بمكة وازدادوا كفرا بموتهم على الكفر وان اردنا الرجعة
عن الارتداد باظهار التوبة فان قلت قد علم ان المرتد كيف ما ازداد
كفرا فانه مقبول التوبة اذا تاب فما معنى لن تقبل توبتهم قلت جعلت
عبارة عن الموت على الكفر لان الذي لا تقبل توبته من الكفار هو الذي يموت على
الكفر كانه قيل ان اليهود والمرتدين الذين فعلوا ما فعلوا ما يتوبون على الكفر
في جملة من لا تقبل توبتهم فان قلت فلم قيل في احدى الايتين لن تقبل بغير واو
وفي الاخرى فلن تقبل قلت قد اوذن بالفاء ان الكلام بني على الشرط
والجزاء وان سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر وترك الفاء ان
الكلام مبتدا وخبر ولا دليل فيه على التسبيب كما تقول الذي جاني له درهم
لم اجعل المجيء سببا في استحقاق الدرهم خلاف قولك فله درهم فان قلت
لم كان معنى لن تقبل توبتهم معنى الموت على الكفر فهلا جعل الموت على الكفر
مسببا عن ازدادهم وازديادهم الكفر لما في ذلك من قساوة القلوب
وركوب الرين وجوه الى الموت على الكفر قلت لانه كم من مرتد مزداد للكفر
يرجع الى الاسلام ولا يموت على الكفر فان قلت فاي فايدة في هذه الكناية
اعني ان كني عن الموت على الكفر بامتناع قبول التوبة قلت الفايدة فيها
جليلة وهي التغليظ في شان اولئك الفريق من الكفار وابراز حالهم في
صورة حال الايسين من الرحمة التي هي اغلظ الاحوال واشدها الا ترى
ان الموت على الكفر انما يخاف من اجل الياس من الرحمة ذهبا نصب على
التمييز وقراءة الاعمش ذهب بالرفع ردا على ملء كما يقال عندي عشرون نفسا
رجال فان قلت كيف موقع قوله ولو افتدى به قلت هو كالمحمول
على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض
ذهبا ويجوز ان يراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو ان للذين ظلموا ما في
الارض جميعا ومثله معه والمثل محذوف كثير في كلامهم كقوله ضربته ضرب
زيد تريد مثل ضرب وابو يوسف ابو حنيفة تريد مثله ولا هيثم الليلة للمطي
وقضيته ولا اماحسن لها تريد ولا مثل هيثم ولا مثل ابي حسن كما انه يزاد في نحو قولهم مثلك لا يفعل كذا تريد انت وذلك
ان المثلين يسد احدهما مسد الاخر فكانا في حكم شيء واحد وان يراد

فلن

فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا كان قد تصدق به ولو افتدى به ايضا لم يقبل منه
وقرئ فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا على البناء للفاعل وهو الله عز وعلا ونصب
ملء وملء الارض بتخفيف الهمزتين لن تنالوا البر لن تبلغوا حقيقة البر ولن تكونوا
ابرارا وقيل لن تنالوا بر الله وهو ثوابه حتى تنفقوا مما تحبون حتى تكون نفقتكم من
اموالكم التي تحبونها وتوثرونها كقوله انفقوا من طيبات ما كسبتم وكان السلف رحمهم
الله اذا احبوا شيئا جعلوه لله وروي انها لما نزلت جا ابو طلحة فقال يا رسول الله ان الله
احب اموالي الي بيرحا وهي حديقة مستقبلة المسجد وكانت مالا نخلا
اور اج فاني ادبي ان تجعلها في الاقربين فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها في
اقاربه وجا زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول
الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد فكان زيد اوجد في نفسه وقال انما اردت ان
اتصدق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان الله قد قبلها منك وكتب عمر رضي
الله عنه الى ابي موسى الاشعري ان يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت
مدائن كسرى فلما جات اعجبته فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا
مما تحبون فاعتقها ونزل بابي ذر ضيف فقال للراعي ابتني لحبر ابلي فجا بناقة مهزولة
فقال خنثتني فقال وجدت خير الابل لحما فذكرت يوم حاجتي اليه فقال ان يوم
حاجتي اليه ايوم اوضع في حفرتي وقراءة عبد الله حتى ينفقوا بعض ما تحبون
وهذا دليل على ان من في مما تحبون للتبعيض ونحوه اخذت من المال ومن في
من شيء لتبيين ما تنفقوا اي من اي شيء كان طيب تحبونه او خبيث تكرهونه فان
الله به عليم بكل شيء يسوءونه فيجازيكم بحسبه كل الطعام كل المطعومات او
كل انواع الطعام والحل مصدر يقال حل حلا كقولك ذل ذلا وعز عزا
ولذلك استوى في الوصف به المذكر والمونث والواحد والجمع قال الله تعالى
لا هن حل لهم هو الذي حرم اسرايل وهو يعقوب عليه السلام على نفسه لحوم الابل
والبانها وقيل العروق كان به عرق النسا فنذر ان شفي ان يحرم على نفسه
احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه فحرمه وقيل اشارت عليه الاطباء
باجتنابه ففعل وذلك باذن من الله فهو كتحريم الله ابتداء والمعنى ان المطاعم
كلها لم تزل حلالا لبني اسرايل من قبل انزال التورية وحرم ما حرم عليهم منها
لظلمهم وبغيهم لم يحرم منها شيء قبل ذلك غير المطعوم الواحد الذي حرمه ابوهم
اسرايل على نفسه فتبعوه في تحريمه وهو رد على اليهود وتكذيب لهم حيث ارادوا

برآة ساحتهم مما بغي عليهم في قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت
لهم الى قوله عذابا اليما وفي قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم
حرمنا عليهم شحومهما الى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم وجحود ما غلظهم واشمأز ومنه
وامتعضوا مما نطق به القران من تحريم الطيبات عليهم لبغيهم وظلمهم فقالوا لسنا باول من
حرمت عليه وما هو الا تحريم قديم كانت محرمة على نوح وعلى ابرهيم ومن بعده من
بني اسرايل وهلم جرا الى ان انتهى التحريم الينا فحرم علينا كما حرمت على من
قبلنا وغرضهم تكذيب شهادة الله عليهم بالبغي والظلم والصد عن سبيل الله واكل
الربا واخذ اموال الناس بالباطل وما عدد من مساويهم التي كلما ارتكبوا منها كبيرة
حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم قل فاتوا بالتورية فاتلوها امر بان يحاجهم
بكتابهم ويبكتهم بما هو ناطق به من ان تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم
لا تحريم قديم كما يدعونه فروي انهم لم يجسروا على اخراج التورية وبهتوا وانقلبوا صاغرين
وفي ذلك الحجة البينة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وعلى جواز النسخ الذي ينكرونه
فمن افترى على الله الكذب بزعمه ان ذلك كان محرما على بني اسرايل قبل انزال التورية
من بعد ما لزمهم من الحجة القاطعة فاوليك هم الظالمون المكابرون الذين لا ينصفون
من انفسهم ولا يلتفتون الى البينات قل صدق الله تعريض بكذبهم كقوله تعالى
جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون
فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا وهي ملة الاسلام التي عليها محمد عليه الصلاة والسلام ومن
امن معه حتى يتخلصوا من اليهودية التي ورطتكم في فساد دينكم ودنياكم حيث
اضطرتكم الى تحريف كتاب الله لتسوية اغراضكم والزمتكم تحريم الطيبات التي
احلها الله لابرهيم ولمن تبعه وضع للناس صفة لبيت والواضع هو الله عز
وجل يدل عليه قراة من قرا وضع للناس بتسمية الفاعل وهو الله ومعنى
وضع الله بيتا للناس انه جعله متعبدا لهم فكانه قال ان اول متعبد للناس
الكعبة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سيل عن اول مسجد وضع للناس
فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسيل كم بينهما قال اربعون سنة وعن
علي رضي الله عنه ان رجلا قال له اهو اول بيت قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه
اول بيت وضع للناس مباركا فيه الهدى والرحمة والبركة واول من بناه ابرهيم
ثم بناه قوم من العرب من جرهم ثم هدم فبنته العمالقة ثم هدم فبناه قريش
عن ابن عباس هو اول بيت حج بعد الطوفان وقيل هو اول بيت ظهر على وجه
الماء عند خلق السماء والارض خلقه قبل الارض بالفي عام وكان زبدة

بيضاء

بيضاء على الماء فدحيت الارض تحته وقيل هو اول بيت بناه ادم عليه السلام في
الارض وقيل لما اهبط ادم قالت له الملايكة طف حول هذا البيت فقد طفنا
قبلك بالفي عام وكان في موضعه قبل ادم بيت يقال له الضراح فرفع في
الطوفان الى السماء الرابعة يطوف به ملايكة السموات للذي ببكة للبيت الذي
ببكة وهي علم للبلد الحرام ومكة وبكة لغتان فيه نحو قولهم النبيط والنميط
في اسم موضع بالدهنا ونحوه من الاعتقاب امر راتب وراتم وحمى معمطة
ومغمطة وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد وقيل اشتقاقهما من بكه
اذا زحمه لازدحام الناس فيها وعن قتادة يبك الناس بعضهم بعضا
الرجال والنساء يصلي بعضهم بين يدي بعض لا يصح ذلك الا بمكة كانها سميت
ببكة وهي الزحمة قال اذا الشريب اخذته الاكة فخله حتى يبك بكه
وقيل تبك اعناق الجبابرة اي تدقها لم يقصدها جبار الا قصمه الله مباركا
كثير الخير لما يحصل لمن حجه واعتمره وعكف عنده وطاف حوله من الثواب
وتكفير الذنوب وانتصابه على الحال من المستكن في الظرف لان التقدير
للذي ببكة هو والعامل المقدر في الظرف من فعل الاستقرار وهدى للعالمين
لانه قبلتهم ومتعبدهم مقام ابرهيم عطف بيان لقوله ايات بينات فان
قلت كيف صح بيان الجماعة وهو قوله ايات بينات بالواحد وهو قوله
مقام ابرهيم قلت فيه وجهان احدهما ان يجعل وحده بمنزلة ايات كثيرة
لظهور شانه وقوة دلالته على قدرة الله ونبوة ابرهيم عليه السلام من
تاثير قدمه في حجر صلد كقوله تعالى ان ابرهيم كان امة والثاني اشتماله على
ايات لان اثر القدم في الصخرة الصماء اية وغوصه فيها الى الكعبين اية
والانة بعض الصخرة دون بعض اية وابقاوه دون ساير ايات الانبيا
عليهم السلام اية لابرهيم عليه السلام خاصة وحفظه مع كثرة اعدايه من
المشركين واهل الكتاب والملاحدة الوف سنة اية ويجوز ان يراد فيه
ايات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله لان الايتين نوع من الجمع
كالثلاثة والاربعة ويجوز ان تذكر هاتان الايتان ويطوى ذكر غيرهما
دلالة على تكاثر الايات كانه قيل فيه ايات بينات مقام ابرهيم وامن
من دخله وكثير سواهما ونحوه في طي الذكر قول جرير
كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها
ومنه قوله عليه السلام حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في

الصلاة وقرا ابن عباس وأبي ومجاهد وابو جعفر المدني في رواية قتيبة آية بينة على التوحيد وفيها دليل على ان مقام ابرهيم واقع وحده عطف بيان
فان قلت كيف اجزت ان يكون مقام ابرهيم والامن عطف بيان للايات
وقوله ومن دخله كان امنا جملة مستانفة اما ابتدائية واما شرطية قلت
اجزت ذلك في حيث المعنى لان قوله ومن دخله كان امنا دل على امن داخله
فكانه قيل فيه ايات بينات مقام ابرهيم وامن داخله الا ترى انك لو قلت
فيه اية بينة من دخله كان امنا صح لانه في معنى قولك فيه اية بينة
امن من دخله فان قلت كيف كان سبب هذا الاثر قلت فيه قولان
احدهما انه لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف ابرهيم عن رفع الحجارة قام
على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه وقيل انه جاء زائرا الشام الى مكة فقالت
له امراة اسمعيل انزل حتى يغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته
على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق راسه ثم حولته الى
شقه الايسر حتى غسلت الشق الاخر فبقي اثر قدميه عليه ومعنى ومن
دخله كان امنا معنى قوله اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويخطف الناس
من حولهم وذلك بدعوة ابرهيم على ما مر رب اجعل هذا البلد امنا
وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجا الى الحرم لم يطلب وعن عمر رضي الله عنه
لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه وعند ابي حنيفة
رحمه الله القتل بالحدود كالقصاص اوردة اوزنا فالتجا الى الحرم لم يتعرض
له الا انه لا يبايع ولا يطعم ولا يسقى ولا يباع حتى يضطر الى
الخروج وقيل امان النار عن النبي صلى الله عليه وسلم من مات في احد
الحرمين بعث يوم القيامة امنا وعنه عليه السلام الحجون والبقيع بوابتان
باطراف الجنة ان في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود
رضي الله عنه وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون وليس
بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كلهم
سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب
يشفع كل واحد منهم في سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن
النبي صلى الله عليه وسلم مصير على حرم مكة ساعة من نهار تناعدت منه جهنم
مسيرة مائتي عام من استطاع بدل من الناس وروي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة وكذا عن ابن عباس وابن عمر

وعليه

وعليه اكثر العلماء وعن ابن الزبير هو على قدر القوة ومذهب مالك ان الرجل اذا اوثق
بقوته لزمه وعنه ذلك على قدر الطاقة وقد تجد الزاد والراحلة فلا تقدر
على السفر وقد تقدر عليه فلا راحلة له ولا زاد وعن الضحاك اذا قدر ان
يحترف فهو مستطيع وقيل له ذلك فقال ان كان لبعضهم ميراث بمكة
اكان يتركه بل كان ينطلق اليه ولو حبوا فكذلك يجب عليه الحج والضمير في
اليه للبيت او للحج وكل ما في الشيء فهو سبيل اليه وفي هذا الكلام انواع من التوكيد
والتشديد منها قوله ولله على الناس حج البيت يعني انه حق واجب لله في رقاب
الناس لا يتفلتون عن ادائه والخروج من عهدته ومنها انه ذكر الناس ثم ابدال
عنه من استطاع اليه سبيلا وفيه ضربان من التاكيد احدهما ان الابدال
تثنية للمراد وتكرير له والثاني ان الايضاح بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال
ايراد له في صورتين مختلفتين ومنها قوله ومن كفر بكفران لم يحج بعد تغليظا على
تارك الحج ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج فلا عليه ان شاء
يهوديا او نصرانيا ونحوه من التغليظ في ترك الصلاة متعمدا فقد كفر ومنها ذكر
الاستغناء عنه وذلك مما يدل على المقت والسخط والخذلان ومنها قوله عن
العالمين وان لم يقل عنه وما فيه من الدلالة على الاستغناء عنه برهان لانه اذا
استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لا محالة ولانه يدل على الاستغناء
الكامل فكان ادل على عظيم السخط الذي وقع عبارة عنه وعن سعيد بن
المسيب نزلت في اليهود فانهم قالوا الحج الى ملتنا غير واجب وروي انه لما نزل قوله
ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الاديان كلهم في
خطبهم فقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فامنت به ملة واحدة وهم المسلمون
وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل ومن كفر فان
وعن النبي صلى الله عليه وسلم حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع
في الثالثة وروي حجوا قبل ان لا تحجوا حجوا قبل ان تمنع البر جانبه وعن ابن مسعود
حجوا هذا البيت قبل ان ينبت في البادية شجرة الا تاكل منها دابة الا نفقت وعن
عمر رضي الله عنه لو ترك الناس الحج عاما واحدا ما نظروا وقرئ حج البيت بالكسر
والله شهيد الواو للحال والمعنى لم تكفرون بايات الله التي دلتكم على ما صار قرنا
صلى الله عليه وسلم والحال ان الله شهيد على اعمالكم فمجازيكم عليها وهذه الحال
توجب الاجتراء على الكفر بايات الله وقرأ الحسن تصدون من اصله عن سبيل
الله عن دين حق علم انه سبيل الله التي امر بسلوكها وهو الاسلام وكانوا

يفتنون المومنين ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من اراد الدخول فيه بجهدهم وقيل
اتت اليهود الاوس والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات
والحروب ليعودوا لمثله ۞ تبغونها عوجا ۞ تطلبون لها اعوجاجا وميلا عن القصد
والاستقامة ۞ فان قلت كيف يبغونها عوجا وهو محال قلت فيه معنيان احدهما
انكم تلبسون على الناس حتى توهموهم ان فيها عوجا بقولكم ان شريعة موسى عليه الصلاة
والسلام لا تنسخ وبتغييركم صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهها ونحو ذلك
والثاني انكم تتعبون انفسكم في اخفاء الحق وابتغاء ما لا يتاتى لكم من وجود
العوج فيما هو اقوم من كل مستقيم ۞ وانتم شهداء ۞ انها سبيل الله التي لا يصد عنها
الا ضال مضل او وانتم شهداء بين اهل دينكم عدول يثقون باقوالكم ويستشهدونكم
في عظائم امورهم وهم الاحبار ۞ وما الله بغافل ۞ وعيد ومحل تبغونها نصب على
الحال قيل مر شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين
شديد الحسد لهم على نفر من الانصار من الاوس والخزرج في مجلس لهم يتحدثون
فغاظه ذلك حيث تالفوا واجتمعوا بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة
وقال ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم
يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه من الاشعار وكان ذلك يوما اقتتلت فيه
الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس فتنازع القوم عند ذلك وتفاخروا وتغاضبوا
وقالوا السلاح السلاح فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين
والانصار فقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام
وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد
من عدوهم فالقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فما كان يوم اقبح اولا واحسن اخرا من ذلك اليوم ۞ وكيف تكفرون
معنى الاستفهام فيه الانكار والتعجب والمعنى من اين يتطرق اليكم الكفر والحال
ان ايات الله وهي القران المعجز يتلى عليكم على لسان الرسول غضة طرية وبين اظهركم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ينبهكم ويعظكم ويزيح شبهكم ۞ ومن يعتصم بالله
ومن يتمسك بدينه ويجوز ان يكون حثا لهم على الالتجاء اليه في دفع شرور الكفار
ومكايدهم ۞ فقد هدي ۞ فقد حصل له الهدى لا محالة كما تقول اذا جيت فلانا فقد
افلحت كان الهدى قد حصل فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع في قد ظاهر لان
المعتصم بالله متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده ۞ حق تقاته
واجب تقواه وما يحق منها وهو القيام بالواجب واجتناب المحارم ونحوه فاتقوا الله

ما استطعتم يريد بالغوا في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيا وعن عبد الله
هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وروي مرفوعا وقيل هو ان
لا تاخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او ابنه او ابيه وقيل
لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه والتقاة من التقي كالتودة من
اتاد ۞ ولا تموتن ۞ معناه ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت
كما تقول لمن تستعين به على لقاء العدو ولا تاتني الا وانت على حصان فلا تنهاه
عن الاتيان ولكنك تنهاه عن خلاف الحال التي شرطت عليه في وقت الاتيان
۞ قولهم اعتصمت بحبله ۞ يجوز ان يكون تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه بحمايته ۞
بامتساك المتدلي من مكان مرتفع بحبل وثيق يامن انقطاعه وان يكون
الحبل استعارة لعهده والاعتصام لوثوقه بالعهد او ترشيحا لاستعارة
الحبل بما يناسبه والمعنى واجتمعوا على استعانتكم بالله ووثوقكم به ولا تفرقوا
عنه او واجتمعوا على التمسك بعهده الى عباده وهو الايمان والطاعة او بكتابه
لقول النبي صلى الله عليه وسلم القران حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا يخلق
عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به يرشد ومن اعتصم به فقد هدي الى صراط
مستقيم ۞ ولا تفرقوا ۞ ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلفت
اليهود والنصارى او كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين يعادي بعضكم
بعضا ويحاربه او ولا تحدثوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع ۞
والالفة التي انتم عليه مما ياباه جامعكم والمولف بينكم وهو اتباع الحق والتمسك
بالاسلام كانوا في الجاهلية بينهم الاحن والعداوات والحروب المتواصلة فالف
الله بين قلوبهم بالاسلام وقذف فيها المحبة فتحابوا وتوافقوا وصاروا اخوانا ۞
متزاحمين متناصحين مجتمعين على امر واحد قد نظم بينهم وازال الاختلاف وهو
الاخوة في الله وقيل هم الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام فوقعت بينهما
العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة الى ان اطفا الله ذلك بالاسلام
والف بينهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ۞ وكنتم على شفا حفرة من النار ۞ وكنتم مشفين
على ان تقعوا في نار جهنم لما كنتم عليه من الكفر ۞ فانقذكم منها ۞ بالاسلام والضمير للحفرة
او النار او للشفا وانما انث لاضافته الى الحفرة وهو منها كما قال ۞ كما شرقت صدر القناة
من الدم ۞ وشفا الحفرة وشفتها حرفها بالتذكير والتانيث ولامها واو الا انها في المذكر
مقلوبة وفي المونث محذوفة ونحو الشفا والشفة الجانب والجانبة ۞ فان قلت كيف
جعلوا على حرف حفرة من النار قلت لو ماتوا على ما كانوا عليه وقعوا في النار

فمثلت حيوتهم التي يتوقع بعدها الوقوع في النار بالقعود على حرفها مشفين على الوقوع
فيها كذلك مثل ذلك البيان البليغ يبين لكم اياته لعلكم تهتدون اراده ان
تزدادوا هدى ولتكن منكم امة من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر من فروض الكفايات ولانه لا يصلح له الا من علم المعروف والمنكر وعلم
كيف يرتب الامر في اقامته وكيف يباشر فان الجاهل ربما نهى عن معروف وامر
بمنكر وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر
وقد يغلظ في موضع اللين ويلين في موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده
انكاره الا تماديا او على من الانكار عليه عبث كالانكار على اصحاب الماصر والجلادين
واضرابهم وقيل من للتبيين يعني وكونوا امة تامرون كقوله تعالى كنتم خير
امة اخرجت للناس تامرون اولئك هم المفلحون هم الاخصاء بالفلاح دون
غيرهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل وهو على المنبر من خير الناس قال امرهم
بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم وعنه عليه السلام من امر
بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة رسوله وخليفة
كتابه وعن علي رضي الله عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له وعن حذيفة ياتي على
الناس زمان تكون فيهم جيفة الحمار احب اليهم من مومن يامرهم بالمعروف
وينهاهم عن المنكر وعن سفين الثوري اذا كان الرجل محببا في جيرانه محمودا
عند اخوانه فاعلم انه مداهن والامر بالمعروف تابع للمامور به ان كان واجبا
فواجب وان كان ندبا فندب واما النهي عن المنكر فواجب كله لان جميع المنكر تركه
واجب لاتصافه بالقبح فان قلت ما طريق الوجوب قلت قد اختلف
فيه الشيخان رحمهما الله فعند ابي علي رحمه الله السمع والعقل وعند ابي هاشم
السمع وحده فان قلت ما شرايط النهي قلت ان يعلم الناهي ان ما ينكره
قبيح لانه اذا لم يعلم لم يامن ان ينكر الحسن وان لا يكون ما ينهى عنه واقعا لان
الواقع لا يحسن النهي عنه وانما يحسن الذم عليه والنهي عن امثاله وان لا يغلب على
ظنه ان المنهي يزيد في منكراته وان لا يغلب على ظنه ان نهيه لا يوثر لانه عبث
فان قلت فما شروط الوجوب قلت ان يغلب على ظنه وقوع المعصية نحو
ان يرى الشارب قد تهيا لشرب الخمر باعداد الالة وان لا يغلب على ظنه انه ان انكر
لحقته مضرة عظيمة فان قلت كيف يباشر الانكار قلت يبتدي بالسهل فان
لم ينفع ترقى الى الصعب لان الغرض كف المنكر قال الله تعالى فاصلحوا بينهما ثم

قال

قال فقاتلوا فان قلت فمن يباشره قلت كل مسلم تمكن منه واختص
اجمعوا ان من راى غيره تاركا للصلوة وجب عليه الانكار لانه مع
لكل احد واما الانكار الذي بالقتال فالامام وخلفاوه اولى لانهم اعلم
ومعهم عدتها فان قلت فمن يومر وينهى قلت كل مكلف
المكلف اذا هم بضرب غيره منع كالصبيان والمجانين وينهى الصبيان عن
المحرمات حتى لا يتعودوها كما يوخذون بالصلوة ليمرنوا عليها فان قلت هل
يجب على مرتكب المنكر ان ينهى عما يرتكبه قلت نعم يجب عليه لان ترك
ارتكابه وانكاره واجبان عليه فبتركه احد الواجبين لا يسقط عنه
الواجب الاخر وعن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا وعن الحسن انه سمع
مطرف بن عبد الله يقول لا اقول ما لا افعل فقال واينا يفعل ما يقول ود
الشيطان لو ظفر بعهده منكم فلا يامر احد بمعروف ولا ينهى عن منكر فان قلت
كيف قيل يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف قلت الدعا الى الخير عام في
التكاليف من الافعال والتروك والامر بالمعروف والنهي عن المنكر خاص فجي
بالعام ثم عطف عليه الخاص ايذانا بفضله كقوله والصلوة الوسطى كالذين
تفرقوا واختلفوا وهم اليهود والنصارى من بعد ما جاتهم البينات الموجبة
للاتفاق على كلمة واحدة وهي كلمة الحق وقيل هم مبتدعوا هذه الامة وهم
المشبهة والمجبرة والحشوية واشباههم يوم تبيض وجوه نصب بالظرف
وهو لهم او باضمار اذكر وقرى تبيض وتسود بكسر حرف المضارعة وتبياض
وتسواد والبياض من النور والسواد من الظلمة فمن كان من اهل نور الحق
وسم ببياض اللون واسفاره واشراقه وابيضت صحيفته واشرقت وسعى
النور بين يديه وبيمينه ومن كان من اهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون
وكسوفه وكمده واسودت صحيفته واظلمت واحاطت به الظلمة من كل جانب
نعوذ بالله وبسعة رحمته من ظلمات الباطل واهله اكفرتم فيقال لهم اكفرتم
والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم والظاهر انهم اهل الكتاب وكفرهم بعد
ايمانهم تكذيبهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد اعترافهم به
قبل مجيئه وعن عطاء تبيض وجوه المهاجرين والانصار وتسود وجوه
بني قريظة والنضير وقيل هم المرتدون وقيل هم اهل البدع والاهواء
وعن ابي امامة رضي الله عنه هم الخوارج ولما راهم على درج دمشق دمعت
عيناه ثم قال كلاب النار هولاء شر قتلى تحت اديم السماء الذين قتلهم هولاء
وخير قتلى تحت اديم السماء

قال القاضي الاصرار على الصغائر يفضي الى الكبائر والاستمرار عليها يؤدي الى الكفر

ثم قال ذلك بما عصوا اي ذلك كائن بسبب عصيانهم لله واعتدائهم
يعلم ان الكفر وحده ليس بسبب في استحقاق سخط الله وان سخط الله
بركوب المعاصي كما يستحق بالكفر ونحوه مما خطيئاتهم اغرقوا واخذهم
وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل الضمير في ليسوا لاهل
الكتاب اي ليس اهل الكتاب مستوين وقوله من اهل الكتاب امة قائمة كلام
مستانف لبيان قوله ليسوا سواء كما وقع قوله تامرون بالمعروف بيانا لقوله
كنتم خير امة امة قائمة مستقيمة عادلة من قولك اقمت العود فقام بمعنى
استقام وهم الذين اسلموا منهم وعبر عن تهجدهم بتلاوة القران في ساعات
الليل مع السجود لانه ابين لما يفعلون وادل على حسن صورة امرهم وقيل
عنى صلوة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها وعن ابن مسعود رضي الله عنه
اخر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة العشاء ثم خرج الى المسجد فاذا الناس
ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه
الساعة غيركم وقرا هذه الاية وقوله يتلون ويؤمنون في محل الرفع صفتان
لامة اي امة قائمة تالون مؤمنون وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود
من تلاوة ايات الله بالليل ساجدين ومن الايمان بالله لان ايمانهم به كلا
ايمان لاشراكهم به عزير وكفرهم ببعض الكتب والرسل دون بعض ومن
الايمان باليوم الاخر لانهم يصفونه بخلاف صفته ومن الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر لانهم كانوا مداهنين ومن المسارعة في الخيرات لانهم كانوا
متباطئين عنها غير راغبين فيها والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لان
من رغب في الامر سارع في توليه والقيام به واثر الفوز على التراخي واولئك
الموصوفون بما وصفوا به من جملة الصالحين الذين صلحت احوالهم عند الله
ورضيهم واستحقوا ثناءه عليهم ويجوز ان يريد بالصالحين المسلمين فلن
يكفروه لما جاء وصف الله تعالى بالشكر في قوله والله شكور حليم في معنى توفية
الثواب نفى عنه نقيض ذلك فان قلت لم عدي الى مفعولين وشكر
وكفر لا يتعديان الا الى واحد يقول شكر النعمة وكفرها قلت ضمن معنى
الحرمان فكانه قيل فلن تحرموه بمعنى تحرموا جزاءه وقرئ تفعلوا وتكفروه
بالياء والتاء والله عليم بالمتقين بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة
على انه لا يفوز عنده الا اهل التقوى الصر الريح الباردة نحو الصرصر
قال لا تعدلن اتاوتين تضربهم نكباء صر باصحاب المحلات

الاتاوي الغريب البعيد الدار

كما قالت ليلى الاخيلية ولم تغلب الخصم الالد وتملا الجفان
فان قلت فما معنى قوله كمثل ريح فيها صر قلت فيه ا
الصر في صفة الريح بمعنى الباردة فوصف بها القر وبمعنى
كما تقول برد بارد على المبالغة والثاني ان يكون الصر مصدر
بمعنى البرد فجيء به على اصله والثالث ان يكون من قوله تعالى لقد كا
رسول الله اسوة حسنة ومن قولك ان ضيعني فلان ففي الله كاف
وكافل قال وفي الرحمن للضعفاء كافي وكما يقال رايت فيك اسدا ايم
انت اسد والمراد به المبالغة شبه ما كانوا ينفقون من اموالهم في المكارم
والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه الله
بالزرع الذي حسه البرد فذهب حطاما وقيل هو ما كانوا يتقربون به الى الله
مع كفرهم وقيل ما انفقوا في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فضاع عنهم لانهم
لم يبلغوا بانفاقه ما انفقوه لاجله وشبه بحرث قوم ظلموا انفسهم فاهلك
عقوبة لهم على معاصيهم لان الاهلاك عن سخط اشد وابلغ فان قلت الغرض
تشبيه ما انفقوا في قلة جدواه وضياعه بالحرث الذي ضربته الصر والكلام غير
مطابق للغرض حيث جعل ما ينفقون ممثلا بالريح قلت هو من التشبيه المركب الذي
في تفسير قوله كمثل الذي استوقد نارا ويجوز ان يراد مثل اهلاك ما ينفقون كمثل
اهلاك ريح اي مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث وقرئ ينفقون بالتاء
وما ظلمهم الضمير للمنفقين على معنى وما ظلمهم الله بان لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا
انفسهم حيث لم ياتوا بها مستحقة للقبول او لاصحاب الحرث الذين ظلموا انفسهم
بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن بالتشديد بمعنى ولكن انفسهم
يظلمونها ولا يجوز ان يراد ولكنه انفسهم يظلمون على اسقاط ضمير الشان لانه
انما يجوز في الشعر بطانة الرجل ووليجته خصيصه وصفيه الذي يفضي اليه
بشقوره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما يقال فلان شعاري وعن النبي صلى
الله عليه وسلم الانصار شعار والناس دثار من دونكم من دون ابناء
جنسكم وهم المسلمون ويجوز تعلقه بلا تتخذوا وببطانة على الوصف اي
بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم لا يالونكم خبالا يقال الا في الامر
يالوا اذا قصر فيه ثم استعمل معدا الى مفعولين في قولهم لا الوك نصحا ولا
الوك جهدا على التضمين والمعنى لا امنعك نصحا ولا انقصكه والخبال
الفساد ودوا ما عنتم ودوا عنتكم على ان ما مصدرية والعنت شدة

...ة واصله انهياض العظم بعد جبره اي تمنوا ان يضروكم في دينكم
...اشد الضرر وابلغه قد بدت البغضاء من افواههم لانهم لا
...ن مع ضبطهم انفسهم وتحاملهم عليها ان ينفلت من السنتهم ما يعلم
...ضهم للمسلمين وعن قتادة قد بدت البغضا لاوليايهم من المنافقين
...كفار لاطلاع بعضهم بعضا على ذلك وفي قراة عبد الله قد بدا البغضا
قد بينا لكم الايات الدالة على وجوب الاخلاص في الدين وموالاة اولياء
الله ومعاداة اعدايه ان كنتم تعقلون ما بين لكم فعملتم به فان قلت
كيف موضع هذه الجملة قلت يجوز ان يكون لا يالونكم صفة لبطانة
وكذلك قد بدت البغضاء كانه قيل بطانة غير اليكم خبالا بادية
بغضاوهم واما قد بينا فكلام مبتدا واحسن منه وابلغ ان يكون مستانفات
كلها على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة ها للتنبيه وانتم مبتدا
واولاء خبره اي انتم اولاء الخاطيون في موالاة منافقي اهل الكتاب قوله
تحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطاهم في موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لاهل
البغضا وقيل اولاء موصول تحبونهم صلته والواو في وتومنون للحال
وانتصابها من لا يحبونكم اي لا يحبونكم والحال انكم تومنون بكتابهم كله
وهم مع ذلك يبغضونكم فما بالكم تحبونهم وهم لا يومنون بشي من كتابكم وفيه
توبيخ شديد بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم ونحوه فانهم يالمون كما
تالمون وترجون من الله ما لا يرجون ويوصف المغتاظ والنادم بعض
الانامل والبنان والابهام قال الحرث بن ظالم المري
فاقتل اقواما لياما اذلة يعضون من غيظ روس الاباهم قل موتوا بغيظكم
دعا عليهم بان يزداد غيظهم حتى يهلكوا به والمراد بزيادة الغيظ زيادة
ما يغيظهم من قوة الاسلام وعز اهله وما لهم في ذلك من الذل والخزي والتبار
ان الله عليم بذات الصدور فهو يعلم ما في صدور المنافقين من الحنق
والبغضاء وما يكون منهم في حال خلو بعضهم ببعض وهو كلام داخل في
جملة المقول او خارج منها فان قلت فكيف معناه على الوجهين قلت
اذا كان داخلا في جملة المقول فمعناه اخبرهم بما يسرونه من عضهم الانامل
غيظا اذا خلوا وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تسرونه بينكم وهو
مضمرات الصدور فلا تظنوا ان شيا من اسراركم يخفى عليه واذا كان خارجا
فمعناه قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من اطلاعي اياك على ما يسرون فاني

اعلم

اعلم ما هو اخفى من ذلك وهو ما اضمروه في صدورهم ولم يظهر
لا يكون ثم قول وان يكون قوله قل موتوا بغيظكم امرا لرسول
بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله ان يهد
الاسلام واذلالهم به كانه قيل حدث نفسك بذلك الحسنة
والنصرة والغنيمة ونحوها من المنافع والسيئة ما كان ضد ذ
بيان لفرط معاداتهم حيث يحسدونهم على ما لهم من الخير ويشمتون بهم فيما اصا
الشدة فان قلت كيف وصفت الحسنة بالمس والسيئة بالاصابة قلت
مستعار لمعنى الاصابة فكان المعنى واحدا الا ترى الى قوله ان تصبك
حسنة تسوهم وان تصبك وان تصبك مصيبة ما اصابك من حسنة فمن الله وما
اصابك من سيئة فمن نفسك اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا وان تصبروا
على عداوتهم وتتقوا ما نهيتم عنه من موالاتهم او وان تصبروا على تكاليف الدين
وشاقه وتتقوا الله في اجتنابكم محارمه كنتم في كنف الله فلا يضركم كيدهم وقرئ
لا يضركم من ضاره يضيره ويضركم على ان ضمة الرا لاتباع ضمة الضاد كقولك مد يا هذا
وروي المفضل عن عاصم لا يضركم بالفتح الراء وهذا تعليم من الله وارشاد الى
ان يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى وقد قال الحكما اذا اردت ان
تكبت من يحسدك فازدد فضلا في نفسك ان الله بما تعملون من الصبر
والتقوى وغيرهما محيط ففاعل بكم ما انتم اهله وقرئ بالياء بمعنى انه عالم بما
يعملون في عداوتكم فمعاقبهم عليه واذكر اذ غدوت من اهلك بالمدينة وهو
غدوة الى احد من حجرة عايشة رضي الله عنها روي ان المشركين نزلوا باحد
يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ودعا عبد الله
بن ابي ابن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله واكثر
الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو
قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم
فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم
النسا والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خايبين وقال بعضهم
يا رسول الله اخرج بنا الى هولاء الاكلب لا يرون انا قد جبنا عنهم وقال
عليه السلام اني قد رايت في منامي بقرا مذبحة حولي فاولتها خيرا ورايت في ذباب
سيفي ثلما فاولته هزيمة ورايت كاني ادخلت يدي في درع حصينة
فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين

... الهم الله بالشهادة يوم أحد اخرج بنا الى اعدائنا فلم يزالوا به
... فلبس لامته فلما راوه قد لبس لامته ندموا وقالوا بئس ما صنعنا
... على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي ياتيه وقالوا اصنع يا رسول
... ما رايت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم
... بعد صلوة الجمعة واصبح بالشعب من احد يوم السبت للنصف
... شوال فمشى على رجليه فجعل يصف اصحابه للقتال كانما يقوم بهم القدح
ان راى صدرا خارجا قال تاخر وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره
الى احد وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل لا ياتونا
من ورائنا تبوئ المومنين تنزلهم وقرا عبد الله للمومنين بمعنى تسوي
لهم وتهيئ مقاعد للقتال مواطن ومواقف وقد اتسع في قعد وقام
حتى اجريا مجرى صار واستعمل المقعد والمقام في معنى المكان ومنه قوله
تعالى في مقعد صدق قبل ان تقوم من مقامك من مجلسك وموضع حكمك
والله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم وضمايركم اذ همت بدل من اذ
غدوت او عمل فيه معنى سميع عليم والطايفتان حيان من الانصار
بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم في الف وقيل في تسعمائة وخمسين والمشركون في ثلثة الاف
ووعدهم الفتح ان صبروا فانخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس وقال يا قوم
علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري فقال انشدكم
الله في نبيكم وانفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباع عبد الله
فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي
الله عنه اضمروا ان يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا والظاهر انها
ما كانت الا همة وحديث نفس كما لا يخلوا النفس عند الشدة من بعض
الهلع ثم يردها صاحبها الى الثبات والصبر ويوطنها على احتمال المكروه
كما قال عمرو بن الاطنابة اقول لها اذا جشات وجاشت مكانك تحمدي او تستريحي
حتى قال معوية عليكم بحفظ الشعر فقد كدت اضع رجلي في الركاب يوم
صفين فما ثبت مني الا قول عمرو بن الاطنابة ولو كانت عزيمة لما ثبتت
معها الولاية والله تعالى يقول والله وليهما ويجوز ان يراد والله ناصرهما
ومتولي امرهما فما لهما تفشلان ولا تتوكلان على الله فان قلت ما معنى
ما روي من قول بعضهم عند نزول الاية والله ما يسرنا انا لم نهم بالذي هممنا به وقد

اخبرنا

اخبرنا الله بانه ولينا قلت معنى ذلك فرط الاستبشار بما ...
واثر له فيهم اية ناطقة بصحة الولاية وان تلك الهمة غير ...
عن عزيمة وتصميم كانت سببا لنزولها والفشل والخور الجبن
وليهم كقوله وان طايفتان من المومنين اقتتلوا امرهم بان لا يتوكلوا ...
يفوضوا امورهم الا اليه ثم ذكرهم بما يوجب عليهم التوكل بما يسر لهم من الفتح
وهم في حال قلة وذلة والاذلة جمع قلة والذلان جمع الكثرة وجا بجمع ...
على انهم على ذلتهم كانوا قليلا وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال وقلة السلاح
والمركوب وذلك انهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد و...
كان معهم الا فرس واحد وقلتهم انهم كانوا ثلثماية وبضعة عشر وكان عدوهم في
حال كثرة زهاء الف مقاتل ومعهم ماية فرس والشكة والشوكة وبدر اسم ماء بين
مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به فاتقوا الله في الثبات مع رسوله لعلكم
تشكرون تتقوا كم ما انعم به عليكم من نصرته او لعلكم ينعم الله عليكم نعمة اخرى تشكرونها
فوضع الشكر موضع الانعام لانه سبب له اذ تقول ظرف لنصركم على ان يقول لهم
ذلك يوم بدر او بدل ثان من اذ غدوت على ان يقوله لهم يوم احد فان قلت
كيف يصح ان يقوله لهم يوم احد ولم تنزل فيه الملايكة قلت قاله لهم مع اشتراط
الصبر والتقوى عليهم فلم يصبروا عن الغنايم ولم يتقوا حيث خالفوا ...
الله صلى الله عليه وسلم فلذلك لم تنزل الملايكة ولو تموا على ما شرط عليهم لتنزل
لهم الوعد بنزول الملايكة لتقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات ويتقوا
الن يكفيكم انكار ان لا يكفيهم الامداد بثلاثة الاف من ...
الذي هو لتاكيد النفي الاشعار بانهم كانوا لقلتهم وضعفهم و...
كالايسين من النصر وبلى ايجاب لما بعد لن يعني بلى يكفيكم الامداد ...
الكفاية ثم قال ان تصبروا وتتقوا يمددكم باكثر من ذلك العدد مسومين
للقتال ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا من قولك قفل من غزوته وخرج من
فوره الى غزوة اخرى وجا فلان ورجع من فوره ومنه قول ابي حنيفة رحمه الله الامر
على الفور لا على التراخي وهو مصدر من فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة
ثم سميت به الحالة التي لا ريث فيها ولا تعريج على شي من صاحبها فقيل خرج من فوره
كما تقول من ساعته لم يلبث والمعنى انهم ان ياتوكم من ساعتهم هذه يمددكم ربكم
بالملايكة في حال اتيانهم لا يتاخر نزولهم عن اتيانهم يريد ان الله يعجل نصرتكم
وييسر فتحكم ان صبرتم فاتقيتم وقرئ منزلين بالتشديد ومنزلين بكسر الزاي

صر ومسومين ٥ بفتح الواو وكسرها معنى معلمين انفسهم او
ن الكلبي معلمين بعمايم صفر مرخاة عن اكتافهم وعن الضحاك
بالصوف الابيض ٥ نواصيل الدواب واذنابها وعن مجاهد بجزرة
خيلهم وعن قتادة كانوا على خيل بلق وعن عروة بن الزبير كانت عمامة
ير يوم بدر صفرا فنزلت الملايكة كذلك ٥ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
ن اصحابه بسوموا فان الملايكة قد تسومت ٥ وما جعله الله ٥ الهاء للامداد
اي وما جعل الله امدادكم بالملايكة الا بشارة لكم بانكم تنصرون ٥ ولتطمين قلوبكم
به ٥ كما كانت السكينة لبني اسرايل بشارة بالنصر وطمانينة لقلوبهم ٥ وما النصر
الا من عند الله ٥ لا من عند الملايكة اذ اكثروا ولا من عند الملايكة والسكينة
ولكن لكم ما يقرن به النصر رجاء النصة والطمع في الرحمة ويربط على قلوب المجاهدين
٥ العزيز الذي لا يغالب في حكمه ٥ الحكيم الذي يعطي النصر ومنعه لما يرى
من المصلحة ٥ ليقطع طرفا من الذين كفروا ٥ ليهلك طايفة منهم بالقتل والاسر
وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من روساء قريش وصناديدهم
٥ او يكبتهم ٥ او يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فينقلبوا خايبين ٥ غير ظافرين
بمبتغاهم ونحوه ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ويقال كبته بمعنى
كبده اذا ضربه بالغيظ والحرقة وقيل ٥ قول ابي لكيف ٥ لا كبت حاسدا
واو ٥ هو من الكبد والية ٥ والام متعلقة بقوله ولقد نصركم الله ببدر
النصر الا من عند الله ٥ او يتوب ٥ عطف على قبله ٥ وليس لك من الامر
ض و المعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يهزمهم او يتوب
ن ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا على الكفر وليس لك من امرهم شي انما انت
سل منوط لانذارهم ومجاهدتهم وقيل ان يتوب منصوب باضمار ان
وان يتوب ٥ حكم اسم معطوف باو على الامر او على شي اي ليس لك من امرهم شي او
من التوبة عليهم او من تعذيبهم او ليس لك من امرهم شي الا التوبة عليهم او
تعذيبهم وقيل ومعنى الا ان كقولك لا لزمنك او تعطيني حقي على معنى ليس
لك من امرهم شي الا ان يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم او يعذبهم فتشفي منهم
وقيل نجحه عتبة بن ابي وقاص يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم
عن وجهه وسالم مولى ابي حذيفة يغسل عن وجهه الدم وهو يقول كيف
يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت وقيل
اراد ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه ان فيهم من يومن عن كا ن رحمه الله

يغفر الله

قال القاضي لعل المراد بالتوبة على الباقين
وتعذيب بعضهم اما على ظلمهم او على
ما يعم ظلمهم وغيرهم ويجوز ان يكون
التوبة والتعذيب لبعض الباقين
والتعذيب لبعض آخر او التوبة
للكافر والتعذيب للعاصي
لما روي ان اعرابيا دخل
عليهم

يغفر الله لمن يشآء بالتوبة ولا يشآء ان يغفر الا للتايبين ويعذب من يشآء ولا
يشآء ان يعذب الا المستوجبين للعذاب وعن عطاء يغفر لمن يتوب اليه
ويعذب لمن لقيه ظالما وان تابعه قوله او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون
تقرير بين ٥ لمن يشآء وانهم المتوب عليهم او الظالمون ولكن اهل الاهواء
والبدع يتصامنون وتعامون عن ايات الله فيخبطون خبط عشوا
ويطيبون انفسهم بما يفترون على ابن عباس رض قولهم يهب الذنب الكبير
لمن يشآء ويعذب من يشآء على الذنب الصغير ٥ لا تاكلوا الربوا اضعافا
مضاعفة ٥ نهي عن الربوا مع توبيخ بما كانوا عليه من ضعيفة كان الرجل
منهم اذا بلغ الدين محله زاد في الاجل فاستغرق بالشي اليسير الطفيف
المديون ٥ واتقوا النار التي اعدت للكافرين ٥ كان ابو حنيفة رحمه الله
يقول هي اخوف اية في القران حيث اوعد المومنين بالنار المعدة للكافرين
ان لم يتقوه ٥ اجتناب محارمه وقد امدك لك ما ابتعد من تعليق
رجا المومنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله ومن
تامل هذه الايات وامثالها لم يحدث نفسه بالاطراح الفارغة والتمني على
الله وفي ذكره تعالى لعله وعسى ولخوهذه المواضع وان قال الناس ما
قالوا ما يخفى على العارف الفطن من دقة مسلك النهي وصعوبة اصابة
رضا الله تعالى وعزة التوصل الى رحمته وثوابه ٥ مضاعفة اهل المدينة
والشام ٥ سارعوا ٥ بغير واو وقرا الباقون بالواو ٥ وينصره ٥ قراة ابي
وعبد الله وسابقوا ومعنى المسارعة الى المغفرة واجبة الاقبال على ما
يستحقان به ٥ عرضها السموات والارض اي عرضها عرض السموات
والارض كقوله عرضها كعرض السماء والارض والمراد وصفها بالسعة
والبسطة فشبهت باوسع ما علم الناس من خلقه وابسطه وخص العرض
لانه في العادة ادنى من الطول للمبالغة كقوله بطايحها من استبرق وعن
ابن عباس رضي الله عنه كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها
بعض ٥ في السراء والضراء في حال الرخاء واليسر وحال الضيقة والعسر
لا يخلون بان ينفقوا في كلتا الحالتين ما قدروا عليه من كثير او قليل كما
حكي عن بعض السلف انه ربما تصدق ببصله وعن عايشة رضي الله
عنها انما تصدقت بحبة عنب او في جميع الاحوال لانهم لا يخلوا من حال
ومضرة لا ينعم حال فرح وسرور والاحوال محنة وبلاء المعروف وسواء

يريد ان قوله اضعافا مضاعفة قيد
للنهي عن ما كانوا عليه لا للاباحة
مطلقا ليستدل بالمفهوم على ان
الربوا دون القيد غير
قال القاضي اتقوا النار التي اعدت
للكافرين تدل على ان النار مخلوقة
معدة للكفار والعرض للعصاة

عليهم كان الواحد منهم في عرس او في حبس فانه لا يدع الاحسان وافتتح بذكر الانفاق
لانه اشق شيء على النفس ودله على الاخلاص لانه كان في ذلك الوقت اعز
الاعمال للحاجة اليه في مجاهدة النفس ومواساة فقراء المسلمين كظم الغيظ
اذا طلبها وشدفاها وكظم البعير اذا لم يجتر ومنه كظم الغيظ وهو ان يمسك
على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له اثرا وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا
وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا وعن عائشة رضي الله عنها ان
خادما لها غاظها فقالت لله در النهوض ما تركت لذي غيظ شفاء والعافين عن
الناس اذا جفي عليهم احد لم يواخذوه وروي ينادي مناد يوم القيامة
اين الذين كانت اجورهم على الله فلا يقوم الا من عفى وعن ابن عيينة انه رواه للرشيد
وقد غضب على رجل فخلاه وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان هو لاء في امتي قليل
الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت والله يحب المحسنين يحتمل
ان يكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل فيه هو لاء المذكورون وان
يكون للعهد فيكون اشارة الى هو لاء والذين عطف على المتقين اي اعدت
للمتقين وللتائبين وقوله اولئك اشارة الى الفريقين ويجوز ان يكون
والذين مبتدا خبره اولئك فاحشة فعلة متزايدة القبح او ظلموا
انفسهم او اذنبوا اي ذنبا كان مما يواخذون به وقيل الفاحشة الزنا
وظلم النفس ما دونه من القبلة واللمسة ونحوهما وقيل الفاحشة الكبيرة
وظلم النفس الصغيرة ذكروا الله تذكروا عقابه او وعيده او نهيه
او عظمة العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء منه فاستغفروا
لذنوبهم فتابوا عنها لقبحها نادمين عازمين على الترك ومن يغفر الذنوب الا
الله وصف لذاته بسعة الرحمة وقرب المغفرة وان التائب من الذنب
عنده كمن لا ذنب له وانه لا مفرع للمذنبين الا فضله وكرمه وان عدله
يوجب المعذبة للتائب لان العبد اذا جاء بالاعتذار والتنصل بما قضى
بقبله عليه وجب العفو والتجاوز وفيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط
للتوبة وبعث عليها ورد عن اليأس عن القنوط وان الذنوب وان جلت
فان عفوه اجل وكرمه اعظم والمعنى انه وحده معه مصححات المغفرة
وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه ولم يصروا ولم يقيموا
على قبيح فعلهم غير مستغفرين وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما اصر من استغفر
وان عاد في اليوم سبعين مرة وروي لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع

الاصرار

رواه الترمذي وابو داود

بالعلو والغلبة اي وانتم الاعلون في العاقبة وان جندنا لهم الغالبون ان كنتم مومنين
متعلق بالنهي بمعنى ولا تهنوا ان صح ايمانكم على ان صحة الايمان توجب قوة القلب والثقة
بصنع الله وقلة المبالاة باعدايه او بالاعلون اي ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله
ويبشركم به من الغلبة قرئ قرح بفتح القاف وضمها وهما لغتان كالضعف والضعف
وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها وقرا ابو السماك قرح بفتحتين وقيل القرح
والقرح كالطرد والطرد والمعنى ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم قبله يوم
بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فانتم اولى
ان لا تضعفوا ونحوه فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون وقيل
كان ذلك يوم احد فقد نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فان قلت فكيف قيل قرح مثله وما كان قرحهم يوم احد مثل قرح المشركين
قلت بل كان مثله ولقد قتل يومئذ خلق من الكفار الا ترى الى قوله تعالى
ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر
وعصيتم من بعد ما اراكم تحبون وتلك الايام تلك مبتدا والايام صفته
وتداولها خبره ويجوز ان يكون تلك الايام مبتدا وخبرا كما تقول هي الايام
تبلى كل جديد والمراد بالايام اوقات الظفر والغلبة نداولها نصرفها بين الناس
نديل تارة لهولاء وتارة لهولاء كقوله وهو من ابيات الكتاب
فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر وفي امثالهم الحرب سجال وعن
ابي سفيان انه صعد الجبل يوم احد فمكث ساعة ثم قال اين ابن ابي كبشة
اين ابن ابي قحافة اين ابن الخطاب قال عمر هذا رسول الله وهذا ابو بكر
وهذا انا عمر قال ابو سفين يوم بيوم والايام دول والحرب سجال فقال عمر
رضي الله عنه لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال انكم تزعمون ذلك
فقد خبنا اذا وخسرنا والمداولة مثل المعاودة قال
يرد المياه فلا يزال مداولا في الناس بين تمثيل وسماع يقال داولت بينهم الشي
فتداولوه وليعلم الله الذين امنوا فيه وجهان احدهما ان يكون المعلل
محذوفا معناه وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك
وهو من باب التمثيل بمعنى فعلنا ذلك فعل من يريد ان يعلم من الثابت على
الايمان منكم من غير الثابت والا فالله عز وجل لم يزل عالما بالاشياء قبل
كونها وقيل معناه وليعلمهم علما يتعلق به الجزا وهو ان يعلمهم موجودا
منهم الثبات والثاني ان تكون العلة محذوفة وهذا عطف عليه معناه

وفعلنا

وفعلنا ذلك ليكون كيت وكيت وليعلم الله وانما حذف للايذان بان المصلحة فيما
فعل ليست بواحدة ليسليهم عما جرى عليهم وليبصرهم ان العبد يسوءه ما
يجري عليه من المصايب ولا يشعر ان لله في ذلك من المصالح ما هو غافل عنه
ويتخذ منكم شهداء وليكرم ناسا منكم بالشهادة يريد المستشهدين يوم
احد او ليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الامم يوم القيامة بما يبتلي به صبركم
من الشدايد من قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس والله لا يحب الظالمين
اعتراض بين بعض التعليل وبعض ومعناه والله لا يحب من ليس من
هولاء التايبين على الايمان المجاهدين في سبيل الله الممحصين من الذنوب
والتمحيص التطهير والتصفية ويمحق الكافرين ويهلكهم يعني ان كانت
الدولة على المومنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص وغير ذلك مما هو اصلح
لهم وان كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو اثارهم ام منقطعة ومعنى
الهمزة فيها الانكار ولما يعلم الله بمعنى ولما يجاهدوا لان العلم متعلق
بالمعلوم فنزل منزلة نفي متعلقه لانه منتف بانتفايه يقول الرجل ما علم الله في فلان
خيرا يريد ما فيه خير حتى يعلمه ولما بمعنى لم الا ان فيه ضربا من التوقع
فدل على نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل ويقول وعدني ان
يفعل كذا ولما تريد ولم يفعل وانا اتوقع فعله وقرئ ولما يعلم الله بفتح الميم
وقيل اراد النون الخفيفة ولما يعلمن فحذفها ويعلم الصابرين نصب باضمار ان
والواو بمعنى الجمع كقولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن وقرا الحسن بالجزم على العطف
وروى عبد الوارث عن ابي عمرو ويعلم بالرفع على ان الواو للحال كانه قيل ولما
تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت خوطب به الذين
لم يشهدوا بدرا فكانوا يتمنون ان يحضروا مشهدا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليصيبوا من كرامة الشهادة ما نال شهداء بدر وهم الذين الحوا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى المشركين وكان رايه في الاقامة
بالمدينة يعني وكنتم تتمنون الموت قبل ان تشاهدوه تعرفوا شدته وصعوبة
مقاساته فقد رايتموه وانتم تنظرون اي رايتموه معاينين مشاهدين
له حين قتل بين ايديكم من قتل من اخوانكم واقاربكم وشارفتم ان تقتلوا
وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت وعلى ما تسببوا له من خروج رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالحاحهم عليه ثم انهزامهم عنه وقلة ثباتهم عنده
فان قلت كيف يجوز تمني الشهادة وفي تمنيها تمني غلبة الكافر المسلم قلت

قصد متمنيا لشهادة الى نيل كرامة الشهداء الاغير ولا يذهب وهمه الى ذلك المنضم كان
مشرب دواء الطبيب لنصر الى قاصد الى حصول المامول من الشفاء ولا لخطر بباله
ان فيه جرعة منفعة واحسان الى عدو الله وتنفيق الصناعته ولقد قال عبد الله
بن رواحة رضي الله عنه حين نهض الى مؤتة وقيل له رد كم الله
لكنني اسال الرحمن مغفرة وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا او طعنة بيدي حران مجهزة بحربة تنفذ الاحشاء والكبدا
حتى يقولوا اذا مروا على جدثي ارشدك الله من غاز وقد رشدا

لما رمى عبد الله بن قميئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته
وشج وجهه اقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية
يوم بدر ويوم احد حتى قتله بن قميئة وهو يرى انه رسول الله فقال قد
قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل وقيل كان الصارخ الشيطان
ففشا في الناس خبر قتله فانكفاوا لو جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوا
الى عباد الله حتى اجتمعت اليه طائفة من اصحابه فلما مهم على هربهم فقالوا
يا رسول الله فدتك ابائنا وامهاتنا اتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فولينا
مدبرين فنزلت وروي انه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين ليت عبد الله
بن ابي ياخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما
قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم
ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم قاتلوا على ما قاتل عليه ومو توا على ما مات عليه ثم قال
اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هولاء وابرا اليك مما جاء به هولاء ثم شد بسيفه
فقاتل حتى قتل وعن بعض المهاجرين انه مر بانصاري يتشحط في دمه فقال
يا فلان اشعرت ان محمدا قد قتل فقال ان كان قتل فقد بلغ قاتلوا على دينكم
والمعنى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلوا كما خلوا وكا
ان اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فعليكم ان تتمسكوا بدينه
بعد خلوه لان الغرض من بعثة الرسول تبليغ الرسالة والزام الحجة لا وجوده
بين اظهر قومه افان مات الفاء معلقة لجملة الشرطية بالجملة قبلها على معنى
التسبيب والهمزة للانكار ان جعلوا خلوه الرسل قبله سببا لانقلابهم على
اعقابهم بعد هلاكه بموت او قتل مع علمهم ان خلو الرسل قبله وبقاءهم بعده
به يجب ان يجعل سببا للتمسك بدين محمد صلى الله عليه وسلم لا الانقلاب عنه فان قلت

لم ذكر القتل وقد علم انه لا يقتل قلت لكونه مجوزا عند المخاطبين فان قلت اما
علموا من ناحية قوله والله يعصمك من الناس قلت هذا مما يختص بالعلماء منهم
وذوي البصيرة الا ترى انهم سمعوا الخبر قتله فهربوا على انه لحتمال العصمة من قتلة
الناس واضلالهم والانقلاب على الاعقاب لا يار عما كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقومهم به من امر الجهاد وغيره وقيل الارتداد ارتد احد من
المسلمين ذلك اليوم الا ما كان من قول المنافقين وجوز ان يكون على وجه التغليظ
عليهم فيما كان منهم من الفرار والانكشاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
واسلامه فلن يضروا الله شيئا يعني فاضر الانفسهم لان الله تعالى لا يجوز
عليه المضار والمنافع وسيجزي الله الشاكرين الذين لم يقلبوا على اعقابهم
بل انتهزوا الفرصة واضرابه وساهم شاكرين لانهم شكروا نعم الله ونعمت الاسلام فيما
فعلوا المعنى ان موت الانفس محال ان يكون الا بمشية الله فاخرجه مخرج
فعل لا ينبغي لاحد ان تقدم عليه الا ان ياذن له الله وفيه تمثيلا ولان ملك
الموت هو الموكل بذلك فليس له ان يقبض نفسا الا باذن من الله وهو على
معنيين احدهما تحريضهم على الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدو باعلامهم
ان الحذر لا ينفع وان اجل الانسان قبل بلوغ امله وان خوض المهالك واقتحام
المعارك والثاني من ذكر ما صنع الله برسوله عند غلبة العدو والتفافهم
عليه واسلام قومه له تهمزة للتحلس من الحفظ والكلاءة وتاخير الاجل
كتابا مصدر مؤكد لان المعنى كتب الموت كتابا موجلا موقتا له اجل
معلوم لا يتقدم ولا يتاخر ومن يرد ثواب الدنيا تعريض بالذين شغلتهم
الغنايم يوم احد هزيمته منها اي من ثوابها وسنجزي الشاكرين اجر المهاجرين
الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد وقرئ يؤته وسيجزي بالياء فيهما
وقرئ قاتل وقتل بالتشديد والفاعل ربيون او ضمير النبي ومعه ربيون حال
عنه بمعنى قتل كائنا معه ربيون والقراءة بالتشديل تنصر الوجه الاول وقرئ كاين
سعيد بن جبير ما سمعنا بنبي قتل في القتال والربيون الربانيون وقرئ
الالف فالفة على القياس والضم والكسر من تغييرات النسب وقرئ فاوهنوا
بكسر الهاء والمعنى فما وهنوا عند قتل النبي ما ضعفوا عن الجهاد بعده وما
استكانوا للعدو وهذا تعريض باصابهم من الوهن والانكسار عند
الارجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتصعفهم عند ذلك عن مجاهدة
المشركين واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن

حبه بكسر الهاء النسبة الى الحبة الجماعة وفتحها نسبة الى الحب وضمها مثله

حبه الواو بين الوهن والضعف ان الوهن اختلال يعتري الاركان ويفاده الشده والضعف اختلال قوته والاستكان الخضوع والتضرع للمخافة

في طلب الامان من ابي سفيان ۞ وما كان قولهم الا هذا القول وهو اضافة الذنوب
في طلب الامان والاسراف الى انفسهم مع كونهم ربانيين هضما لها واستقصارا والدعاء
بالاستغفار منها مقدما على طلب تثبيت الاقدام في مواطن الحرب والنصرة على العدو
ليكون طلبهم الى ربهم عن زكاة وطهارة وخضوع اقرب الى الاستجابة ۞ فاتاهم الله
ثواب الدنيا من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر وخص ثواب الاخرة بالحسن
دلالة على فضله وتقدمه وانه هو المعتد به عنده يريدون عرض الدنيا والله
يريد الاخرة ۞ ان تطيعوا الذين كفروا قال علي رضي الله عنه نزلت في قول المنافقين
للمومنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم وعن الحسن ان
تستنصحوا اليهود والنصارى وتقبلوا منهم لانهم كانوا يستغوونهم ويوقعون
لهم الشبه في الدين ويقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما اصابه ما اصابه وانما
هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما له ويوما عليه وعن السدي ان تستكينوا
لابي سفيان واصحابه وتستامنوهم يردوكم الى دينهم وقيل هو عام في جميع الكفار
وان على المومنين ان يجانبوهم ولا يطيعوهم في شيء ولا يتخولوا على حكمهم وعلى مشورتهم
حتى لا يستجروهم الى موافقتهم ۞ بل الله مولاكم اي ناصركم لا تحتاجون معه الى
نصرة احد فهو لا بينة وقرئ بالنصب على اطيعوا الله مولاكم ۞ سنلقي وقرئ بالنون
والياء والرعب بسكون العين وضمها قيل قذف الله في قلوب المشركين الخوف
يوم احد وانهزموا الى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة وقيل ذهبوا الى
مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيئا قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن
قاهرون ارجعوا فاستاصلوهم فلما عزموا على ذلك القى الله الرعب في قلوبهم
فامسكوا بما اشركوا ۞ بسبب اشراكهم اي كان السبب في القاء الرعب في قلوبهم
اشراكهم به ۞ ما لم ينزل به سلطانا ۞ الهة لم ينزل الله باشراكها حجة فان قلت
كان هناك حجة حتى ينزلها الله فيصح لهم الاشراك قلت لم يعن ان هناك حجة
الا انها لم تنزل عليهم لان الشرك لا يستقيم ان يقوم عليه حجة وانما المراد نفي
الحجة وتنزيلها جميعا كقوله ۞ ولا تري الضب فيها ينجحر ۞ ولقد صدقكم الله وعده
وعده الله النصر بشرط الصبر والتقوى في قوله ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم
فورهم هذا يمددكم وجوز ان يكون الوعد قوله تعالى سنلقي في قلوب الذين
كفروا الرعب فلما فشلوا وتنازعوا لم يزعهم وقيل لما رجعوا الى المدينة قال
ناس من المومنين من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله فنزلت وذلك ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم جعل احدا خلف ظهره واستقبل المدينة واقام الرماة

عند

عند الجبل وامرهم ان يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين او عليهم فلما اقبل
المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا
والمسلمون على اثارهم يحسونهم اي يقتلونهم قتلا ذريعا حتى اذا فشلوا والفشل الجبن
وضعف الراي وتنازعوا فقال بعضهم لبعض قد انهزم المشركون فما موقفنا ها هنا
وقال بعضهم لا نخالف امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبت منهم عبد الله
بن جبير امير الرماة في نفر دون العشر وهم المعنيون بقوله ومنكم من يريد
الاخرة ونفر اعقابهم ينهبون وهم الذين ارادوا الدنيا فكر المشركون على الرماة هم
وقتلوا عبد الله بن جبير واقبلوا على المسلمين وحالت الريح دبورا وكانت صبا حتى
هزموهم وقتلوا من قتلوا وهو قوله ۞ ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ليمتحن صبركم على
المصايب وثباتكم على الايمان عند ها ۞ ولقد عفا عنكم لما علم من ندمكم على ما فرط منكم
عصيان امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞ والله ذو فضل على المومنين يتفضل عليهم
بالعفو وهو متفضل عليهم في جميع الاحوال سواء دل لهم او دل عليهم لان
الابتلاء رحمة كما ان النصرة رحمة فان قلت ابن متعلق حتى اذا قلت
محذوف يقدره حتى اذا فشلتم منعكم نصره وجوز ان يكون المعنى صدقكم
الله وعده الى وقت فشلكم ۞ اذ تصعدون نصب بصرفكم او بقوله ليبتليكم
او باضمار اذكر والاصعاد الذهاب في الارض والابعاد فيه يقال اصعد في الجبل
واصعد في الارض يقال اصعد نا من مكة الى المدينة وقرا الحسن تصعدون
يعني في الجبل ويعضده الاولى قراة ابي اذ تصعدون في الوادي وقرا ابو
حيوة تصعدون بفتح التاء وتشديد العين من تصعد في السلم وقرا
الحسن تلوون بواو واحدة وقد ذكرنا وجهها وقري يصعدون ويلوون بالياء
والرسول يدعوكم كان يقول الي عباد الله انا رسول الله من
يكر فله الجنة ۞ في اخراكم في ساقتكم وحماتكم الاخرى وهي المتاخرة يقال
جيت في اخر الناس واخراهم كما تقول في اولهم واولاهم بتاويل مقدمتهم وجماعتهم
الاولى ۞ فاثابكم عطف على صرفكم اي جازاكم الله غما حين صرفكم عنهم وابتلاكم
بسبب غم اذ قتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم له او غما مضاعفا
غما بعد غم وغما متصلا بغم من الاغتمام بما ارجف به من قتل رسول الله صلى
الله عليه وسلم والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصر لكيلا تحزنوا
لتتمرنوا على تجرع الغموم وتضروا في ما حتمال الشدايد فلا تحزنوا فيما يعد على فايت
من المنافع ولا على مصيب من المضار وجوز ان يكون الضمير في اثابكم للرسول

اي فاساءكم في الاغتمام ولكا غمكم ما نزل به من كسر الرباعية والشجة وغيرهما غما
ما نزل بكم فاثابكم غما اغتهم لاجلكم بسبب غم اغتمموه لاجله ولم يثر بكم على عصيانكم
ولخالفتكم لامره وانما فعل ذلك ليسليكم وينفس عنكم ليلا تحزنوا على ما فاتكم من نصر الله
ولا على ما اصابكم من غلبة العدو وانزل الله الامن على المومنين وازال عنهم الخوف
الذي كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم عن ابي طلحة غشينا النعاس
ونحن في مصافنا فكان السيف يسقط من يد احدنا فياخذه ثم يسقط فياخذه
وما احد الا ويميل تحت صدره (الصواب تحت حجفته) وعن الزبير لقد رايتني مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين اشتد علينا الخوف (الصواب حشة وتوبة) فارسل الله علينا النوم والله اني لاسمع قول
معتب بن قشير والنعاس يغشاني يقول لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ها هنا
والامنة الامن وقرئ امنة بسكون الميم كانها المرة من الامن ونعاسا
بدل من امنة ويجوز ان يكون هو المفعول وامنة حالا منه مقدمة عليه
كقولك رايت راكبا رجلا او مفعولا له بمعنى تعسته امنة ويجوز ان يكون
حالا من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه جمع آمن كبار وبررة
قرئ بالياء والتاء ردا على النعاس او على الامنة طائفة منكم هم اهل الصدق
واليقين وطائفة هم المنافقون قد اهمتهم انفسهم ما بهم الا هم انفسهم لا هم
الدين ولا هم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين او قد اوقعتهم انفسهم وما
حل بهم في الهموم والاشجان فهم في التشاكي والتثبات غير الحق في حكم المصاب
ومعناه يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب ان يظن به وظن الجاهلية
بدل منه ويجوز ان يكون المعنى يظنون بالله ظن الجاهلية وغير الحق تاكيد ليظنون
كقولك هاتم الجود وجد الجود وجد صدق تريد الظن المختص بالملة الجاهلية ويجوز
ان يراد ظن اهل الجاهلية اي لا يظن مثل ذلك الظن الا اهل الشرك الجاهلون
بالله يقولون استفهام انكار لما ظنوا ان الامر لا ينصر فيه ويكذب وعده
معاشر المسلمين من امر الله نصيب قط يعنون النصر والاظهار على العدو
قل ان الامر كله لله لاوليائه المومنين وهو النصر والغلبة كتب الله لاغلبن
انا ورسلي وان جندنا لهم الغالبون يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك معناه
يقولون لك فيما يظهرون لهل لنا من الامر من شيء سوال المومنين المستسلمين
وهم فيما يبطنون على النفاق يقولون في انفسهم او بعضهم لبعض منكرين لقولك
لهم ان الامر كله لله لو كان لنا من الامر شيء اي لو كان الامر كما قال محمد ان الامر

كله لله ولاوليايه انهم الغالبون لما غلبنا قط ولما قتل من قتل في هذه
المعركة قل لو كنتم في بيوتكم يعني من علم الله منه انه يقتل ويصرع في هذه المصارع
وكتب ذلك في اللوح المحفوظ لم بد من وجوده فلو قعد تم في بيوتكم لبرز
الذين علم الله انهم يقتلون الى مضاجعهم وهي مصارعهم ليكون ما علم انه
انه يكون والمعنى ان الله كتب في اللوح قتل من يقتل من المومنين وكتب مع
ذلك انهم الغالبون اعلمه ان الغلبة في الغلبة لهم وان الدين الاسلامي يظهر
على الدين كله وان ما ينكبون به في بعض الاوقات تمحيص لهم وتوعب في الشهادة
وحرضهم على الشهادة بما عرضهم على الجهاد فتحصل الغلبة وقيل معناه هل لنا من
التدبير من شيء يعنون لم نملك شيئا من التدبير حيث خرجنا من المدينة الى الجبل
وكان علينا ان نقيم ولا نبرح كما كان راى عبد الله بن ابي وغيره ولو ملكنا
من التدبير شيئا لما قتلنا في هذه المعركة قل ان التدبير كله لله يريد ان الله
عز وجل قدر الامر كما جرى ولو اقمتم بالمدينه ولم تخرجوا من بيوتكم لما الجا
من القتل من قتل منكم وقرئ كتب عليهم القتال وكتب عليهم القتل على البناء
للفاعل وليبرز ما تشدد وضم الباء وليبتلي الله وليمتحن الله ما في
المومنين من الاخلاص ويمحص ما في قلوبهم من وساوس الشيطان او فعل
ذلك لمصالح جمة او للابتلاء والتمحيص فان قلت كيف مواقع الجمل التي
بعد قوله وطائفة قلت قد اهمتهم صفة لطائفة ويظنون صفة اخرى
او حال بمعنى قد اهمتهم ظانين او استيناف على وجه البيان للجملة قبلها
ويقولون بدل من يظنون فان قلت كيف صح ان يقع ما هو مسئلة عن
الامر بدلا عن الاخبار ويخفون حال من يقولون قلت بالظن كانت
مسئلتهم صادرة عن الظن فلذلك جاز ابداله منه ويخفون حال من يقولون
وقل ان الامر كله لله اعتراض بين الحال وذي الحال ويقولون بدل من يخفون
والاجود ان يكون استيناف استرلهم طلب منهم الزلل وذعاهم الله بعض
ما كسبوا من ذنوبهم ومعناه ان الذين انهزموا يوم احد كان الشيطان
توليهم انهم كانوا اطاعوا الشيطان فافترقوا ذنوبا فلذلك منعتهم التاييد
وتقوية القلوب حتى تولوا وقيل استزلال الشيطان اياهم هو التولي وانا
دعاهم اليه بذنوب قد بقدمت لهم لان الذنب يجر الى الذنب كما ان الطاعة
تجر الى الطاعة ويكون لطفا فيها وقال الحسن استزلهم بقبول ما زين لهم من
الهزيمة وقيل بعض ما كسبوا هو تركهم المركز الذي امرهم رسول الله بالثبات فيه

حيه اي فاساءكم حين ظنوا ان الامر قد تم بعد المسلمة عن الامر بدلا عن الاخبار بالظن بل وقع الاخبار عن المسلمة بدلا عن الاخبار بالظن او يقولون بدلا من يظنون وقلت ما بال هذا القول الرابع ان قال ايي كيف يصح ذلك الابدال ومقول القول مما عن الامر والبدل انما هو الكلام بجملته

حيه اي بكون الطاعة الاولى سببا للتوفيق على الطاعة الثانية

فجوهم ذلك الى الهزيمة وقيل ذكرهم تلك الخطايا فكرهوا لقاء الله معها فاخروا الجهاد حتى يصلحوا امرهم ويجاهدوا على حال مرضية **فان قلت** لم قيل ببعض ما كسبوا **قلت** هو كقوله تعالى ويعفوا عن كثير ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم **والله غفور** للذنوب **حليم** لا يعاجل بالعقوبة **وقالوا** لاخوانهم كقوله **وقال الذين كفروا للذين امنوا** لو كان خيرا ما سبقونا اليه ومعنى الاخوة الاتفاق في الجنس والنسب **اذا ضربوا في الارض** اذا سافروا فيها والبعد والتجارة او غيرها او كانوا غزّى جمع غاز كعاف وعفى لقوله **عفى الحياض اجون** وقرئ بتخفيف الزاي على حذف التاء من غزاة **فان قلت** كيف قيل اذا ضربوا مع قالوا **قلت** على حكاية الحال الماضية كقوله حين يضربون في الارض **فان قلت** ما متعلق ليجعل **قلت** قالوا اي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون **حسرة** في قلوبهم على ان الله متلهم ذلك ليكون لهم عدوا وحزنا او لا تكونوا **يعني** لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعله الله حسرة في قلوبهم خاصة ويصيبون منها قلوبكم **فان قلت** ما معنى اسناد الفعل الى الله تعالى **قلت** معناه ان الله عز وجل عند اعتقادهم ذلك المستقل الفاسد يضع الغم والحسرة وضيق الصدر وهم عقوبة فاعتقادهم فعلهم ويكون عنده من الغم والحسرة وضيق الصدر فعل الله عز وعلا كقوله تعالى جعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاءكم كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم لان مخالفتهم فيما يقولون ويعتقدون ومضادتهم لما يعلمهم ويعيظهم **والله يحيي ويميت** رد لقولهم اي الامر بيده قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد كما يشاء وعن خالد بن الوليد انه قال عند موته ما في موضع شبر الا وفيه ضربة او طعنة وها انا اموت كما يموت البعير فلا انامت اعين الجبناء **والله بما تعملون بصير** فلا تكونوا مثلهم **وقرئ** بالياء يعني الذين كفروا **للمغفرة** جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط **ولئن قتلتم في سبيل الله** الى قوله **لمن خير مما يجمعون** رد لزعمهم ان من سافر من اخوانهم او غزا وكان بالمدينة لما مات وعن المسلمين عن ذلك لانه يثبط المقاتل عن الجهاد ثم قال لهم ولئن تموتوا على ما تخافونه من الهلاك بالموت او القتل في سبيل الله فان ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت في سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا

وعن

وعن ابن عباس خيرون من طلاع الارض ذهبة **حمراء** وقرئ بالياء اي يجمع الكفار **لالى الله تحشرون** لالى الى جحيم الواسع المغفرة المثيب المعظيم الثواب تحشرون ولوقوع اسم الله هذا الموقع مع تقدمه وادخال اللام على الحرف المتصل به شان ليس بالخفي **وقرئ متم** بضم الميم وكسرها من ماتَ يموت ومات يمات **ما** مزيدة للتوكيد والدلالة على ان لبثه لهم ما كان الا برحمة من الله ونحوه فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم **ومعنى الرحمة** ربطه على جاشه وتوفيقه للرفق والتلطف بهم حتى اثر فيهم غما بغم واساءهم بالمباشرة بعد ما خالفوه وعصوا امره وانهزموا وتركوه **ولو كنت فظا** جافيا **غليظ القلب** قاسيه **لانفضوا من حولك** لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك احد منهم **فاعف عنهم** فيما يختص بك **واستغفر لهم** فيما يتعلق بحق الله اتماما للشفقة عليهم **وشاورهم في الامر** يعني في امر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحي لتستظهر برايهم ولما فيه من تطييب نفوسهم والرفع من اقدارهم وعن الحسن قد علم الله انه ما به اليهم حاجة ولكنه اراد ان يستن به من بعده وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما تشاور قوم قط الا هدوا لارشد امرهم وعن ابي هريرة رضي الله عنه ما رايت احدا اكثر مشاورة لاصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كان سادات العرب اذا لم يشاور في الامر شق عليهم فامر الله رسوله بمشاورة اصحابه ليلا يثقل عليهم استدراجا بالراي دونهم **وقرئ** وشاورهم في بعض الامر **فاذا عزمت** فاذا اعزمت **فتوكل على الله** في امضاء امورك على الارشد الاصلح فان ما هو اصلح لك لا يعلمه الا الله لا انت ولا من تشاوره **وقرئ** فاذا عزمت بضم التاء يعني فاذا عزمت لك على شيء وارشدتك اليه **فتوكل علي** ولا تشاور بعد ذلك احدا **ان ينصركم الله** كما نصركم يوم بدر **فلا احد يغلبكم** **وان يخذلكم** كما خذلكم يوم احد **فمن ذا الذي ينصركم** وهذا تنبيه على ان الامر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه ونحو ما قيل ان الله لكناس من حمة فلا مستراح لها وما لك فلا مرسل له **من بعده** من بعد خذلانه او هو من قولك افعل هذا من بعد فلان ليس لك من بعد الكثير من بعد فلان تريد اذا جاوزته وقرا عبيد بن عمير **وان يخذلكم** من اخذله اذا جعله مخذولا وفيه توغيب في الطاعة وفيما يستحقون به النصر من الله والتاييد وتحذير من المعصية وما يتوجبون به العقوبة بالخذلان **وعلى الله** وليخص المومنون ربهم بالتوكل والتفويض اليه لعلمهم انه لا ناصر سواه ولان ايمانهم

يوجب ذلك ويقتضيه يقال غل شيأ من المغنم غلولا واغل اغلالا اذا اخذ في
خفية يقال اغل الجازر اذا سرق من اللحم شيأ مع الجلد والغل الحقد الكامن
في الصدر ومنه قوله عليه السلام بعثناه على عمل فغل شيأ جاء يوم القيامة
يحمله على عنقه وقوله هدايا الولاة غلول وعنه ليس على المستعير غير المغل
ضمان وعنه لا اغلال ولا اسلال ويقال اغلة اذا وجد غائلة كقولك اخلة
واحمنة ومعنى وما كان لنبي ان يغل ونا صح له ذلك يعني ان النبوة تنافي الغلول
وكذلك من قرأ على البناء للمفعول فهو راجع الى معنى الاول لان معناه وما
صح له ان يوجد غالا الا اذا كان غالا وفيه وجهان احدهما ان يبرأ رسول
الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وينزه وينبه على عصمته فان النبوة والغلول متنافيان
لئلا يظن به ظان شيأ من ذلك وان لا يستريب به احد كما روي ان قطيفة حمراء
فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله اخذها وروي انما نزلت
عن اناس احداث حين تركوا اماكنهم المركز وطلبوا الغنيمة وقالوا نخشى ان يقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ شيأ فهو له وان لا يقسم كما لم يقسم يوم
بدر فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى يأتيكم امري
فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال عليه السلام بل ظننتم اني اغل ولا اقسم
لكم والثاني ان تكون مبالغة في النهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما روي
انه بعث طلايع فغنمت غنايم فقسمها ولم يقسم للطلايع فنزلت يعني وما
كان ان يعطي قوما ويمنع اخرين بل عليه ان يقسم بالسوية وسمي حرمان
بعض الغزاة غلولا تغليظا وتقبيحا لصورة الامر ولو قرئ ان يغل من اغل
بمعنى غل الجمل يات يا غل يوم القيمة يات بالشيء الذي غله بعينه تحمله كما جاء
في الحديث جايوم القيمة تحمله على عنقه وروي الا الفين احدكم ياتي ببعير له
رغاء ويبقرة لها خوار وبشاة لها ثغاء فينادي يا محمد يا محمد فاقول لا املك لك
من الله شيأ فقد بلغتك وعن بعض جفاة الاعراب انه سرق فاتي فقطعت يمينه
فقيل له ان احدا طيبة الخ خفيفة المحل يجوز ان يراد يات بما احتمل
من وباله وتبعته واثمه فان قلت هلا قيل ثم توفى ما كسبت ليتصل به
جي بعام دخل جنة كل كاسب من الغال وغيره فاتصل به من حيث المعنى وهو
ابلغ واثبت لانه اذا علم الغال ان كل كاسب خيرا او شرا يجزى بما عمل فهو في جزاوه
علم انه غير متخلص من بينهم مع عظيم ما اكتسبه وهم لا يظلمون اي لا يعذبون
في الجزاء كل جزاوه على قدر كسبه هم درجات اي هم متفاوتون كما تتفاوت

الدرجات كقوله أنصب للمتيقة تعتبرهم رجالي او لهم درج السيول وقيل ذوو درجات
والمعنى تفاوت درجات منازل المثابين منهم ومنازل المعاقبين او التفاوت بين الثواب
والعقاب والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتها فيجازيهم على حسبها لقد من
الله على المومنين على من امن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه وخص
المومنين لانهم هم المنتفعون ببعثته منهم من انفسهم من جنسهم عربيا مثلهم
وقيل من ولد اسمعيل كما انهم من ولده فان قلت فما وجه المنة عليهم في ان كان
من انفسهم قلت اذا كان منهم كان اللسان واحدا فيسهل اخذ ما يجب عليهم
اخذه عنه وكانوا واقفين على احواله في الصدق والامانة فكان ذلك ابعث لهم الى تصديقه والوثوق به وبكونه من انفسهم شرف لهم كقوله وانه
لذكر لك ولقومك وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة رضي الله عنها
من انفسهم اي من اشرفهم لان عدنان ذرية ولد اسمعيل ومضر ذرية
ولد نزار بن معد بن عدنان وخندف ذرية مضر ومدركة ذرية خندف
وقريش ذرية مدركة وذرية قريش محمد صلى الله عليه وسلم وفيما خطب به
ابو طالب في تزويج خديجة رضي الله عنها وقد حضر بنو هاشم معه ورؤساء مضر
الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابرهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد
وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسوّاس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا
وحرما امنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن اخي هذا محمد بن عبد الله من
لا يوزن به فتى من قريش الا رجح به وهو والله بعد هذا له نبا عظيم وخطر
جليل وقرئ لمن من الله على المومنين اذ بعث فيهم وفيه وجهان ان يراد لمن
من الله على المومنين منة او نعمة اذ بعث فيهم فحذف لقيام الدلالة او تكون
اذ في محل الرفع كما في قولك اخطب ما يكون الامير اذا كان قايما بمعنى لمن من الله وفي ذلك المن والبعث
على المومنين وقت بعثته يتلوا عليهم اياته بعدما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم
شيء من الوحي ويزكيهم ويطهرهم من دنس القلوب بالكفر ونجاسة ساير الجوارح
بالاسنة المحرفة والخبايث وقيل ياخذ منهم الزكوة ويعلمهم الكتاب والحكمة
القران والسنة بعدما كانوا اجهل الناس بعدهم من دراسة العلوم
وان كانوا من قبل من قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم لفي ضلال ان
هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وتقديره
وان الشان والحديث كانوا من قبل في ضلال مبين ظاهر لا شبهة فيه
اصابتكم مصيبة يوم ما اصابهم يوم احد من قتل سبعين منهم قد اصبتم

الدرجات

مثليها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين ولما نصب بقلتم واصابتكم في محل الجر
باضافة لما اليه وتقديره اقلتم حين اصابتكم وانى هذا نصب لانه مقول
والهمزة للتقرير والتقريع فان قلت علام عطفت الواو هذه الجملة قلت
على ما مضى من قصة احد من قوله ولقد صدقكم الله وعده ويجوز ان
تكون معطوفة على محذوف كانه قيل افعلتم كذا وقلتم حينئذ كذا انى
هذا من اين هذا كقوله انى لك هذا لقوله من عند انفسكم وقوله من عند
الله والمعنى انتم السبب فيما اصابكم لاختياركم الخروج من المدينة او لتخليتكم
المركز وعن علي رضي الله عنه لاخذكم الفداء من اسارى بدر قبل ان يؤذن لكم
ان الله على كل شيء قدير فهو قادر على النصر وعلى منعه وعلى ان يصيب
بكم تارة ويصيب منكم اخرى وما اصابكم يوم احد يوم التقى جمعكم وجمع
المشركين فهو كائن باذن الله اي بتخليته استعار الاذن لتخليته الكفار
وانه لم يمنعهم منهم ليبتليهم لان الاذن مخل بين الماذون له ومراده وليعلم
وهو كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون وليظهر ايمان هؤلاء ونفاق هؤلاء
وقيل لهم من جملة الصلة عطف على نافقوا وانما لم يقل فقالوا لانه جواب
لسؤال اقتضاه دعاء المؤمنين لهم الى القتال كانه قيل فماذا قالوا لهم فقيل
قالوا لو نعلم ويجوز ان يقتصر الصلة على نافقوا ويكون وقيل لهم كلاما
مبتدأ قسم الامر عليهم بين ان يقاتلوا للآخرة كما يقاتلوا المؤمنون
وبين ان يقاتلوا ان لم يكن بهم غم الآخرة دفعا عن انفسهم واهليهم واموالهم
فابوا القتال وجحدوا القدرة عليه راسا لنفاقهم ودغلهم وذلك ما روي
ان عبد الله بن ابي انخزل مع حلفائه فقيل له فقال ذلك او ادفعوا
العدو بتكثيركم سواد المجاهدين وان لم تقاتلوا لان كثرة السواد
مما يروع العدو ويكسر منه وعن سهل بن سعد الساعدي وقد كف
بصره لو امكنني لبعت داري ولحقت بثغر من ثغور المسلمين فكنت بينهم وبين
عدوهم قيل وكيف وقد ذهب بصرك قال لقوله او ادفعوا اراد اكثر سوادهم
ووجه آخر وهو ان يكون معنى قولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم لو نعلم ما يصح
ان يسمى قتالا لاتبعناكم يعنون ان ما انتم فيه لخطاء رايكم وزللكم عن
الصواب ليس بشيء ولا يقال لمثله قتال انما هو القاء بالانفس الى الهلكة
لان راي عبد الله كان في الاقامة في المدينة وما كان يستصوب الخروج
هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يعني انهم قبل ذلك اليوم كانوا

يتظاهرون

يتظاهرون بالايمان وما ظهرت منهم امارة تؤذن بكفرهم فلما انخزلوا عن عسكر
المؤمنين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الايمان المظنون بهم واقتربوا
من الكفر وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليلهم
سواد المسلمين بالانخزال تقوية للمشركين يقولون بافواههم لا تتجاوز ايمانهم
افواههم ومخارج الحروف منهم ولا تعي قلوبهم منه شيئا وذكر الافواه مع القلوب
تصوير لنفاقهم وان ايمانهم موجود في افواههم معدوم في قلوبهم خلاف صفة
المؤمنين في مواطاة قلوبهم لافواههم والله اعلم بما يكتمون من النفاق وما
يجري بعضهم مع بعض من ذم المؤمنين وتجهيلهم وتخطئة رايهم والشماتة بهم وغير
ذلك لانكم تعلمون بعض ذلك علما مجملا بامارات وانا اعلم كله علم احاطة بتفاصيله
وكيفياته الذين قالوا في اعرابه اوجه ان يكون نصبا على الذم او على الرد
على الذين نافقوا ورفعا على هم الذين نافقوا وعلى الابدال من واو يكتمون ويجوز
ان يكون مجرورا بدلا من الضمير في بافواههم او قلوبهم كقوله على جوده يضن
بالماء حاتم لاخوانهم لاجل اخوانهم في جنس المنافقين المقتولين يوم احد
او اخوانهم في النسب وفي سكنى الدار وقعدوا اي قالوا وقد قعدوا
عن القتال لو اطاعنا اخواننا فيما امرناهم به من القعود ووافقونا فيه
لما قتلوا كما لم نقتل قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين
معناه قل ان كنتم صادقين في انكم وجدتم الى دفع القتل سبيلا وهو القعود
عن القتال فجدوا الى دفع الموت سبيلا يعني ان ذلك الدفع غير مغن
عنكم لانكم ان دفعتم القتل الذي هو احد اسباب الموت لم تقدروا على
دفع سائر اسبابه المبثوثة ولا بد لكم من ان يتعلق بكم بعضها وروي انه
مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا فان قلت فقد كانوا صادقين
في انهم دفعوا القتل عن انفسهم بالقعود فما معنى قوله ان كنتم صادقين
قلت معناه ان النجاة من القتل يجوز ان يكون سببها القعود عن
القتال وان يكون غيره لان اسباب النجاة كثيرة وقد يكون قتال الرجل
سبب نجاته ولو لم يقاتل لقتل فما يدريكم ان سبب نجاتكم القعود وانكم
صادقون في مقالتكم وما انكرتم ان يكون السبب غيره ووجه آخر ان كنتم
صادقين في قولكم لو اطاعونا ما قتلوا يعني انهم لو اطاعوكم وقعدوا
لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين وقوله فادرءوا عن انفسكم الموت
استهزاء بهم اي كنتم رجالا دفاعين لاسباب الموت فادرءوا عن جميع

اسبابه حتى لا تموتوا ولا تحسبن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد
وقرئ بالياء ولا تحسبن رسول الله صلى الله عليه وسلم او ولا تحسبن حاسب ويجوز
ان يكون الذين قتلوا فاعلا ويكون التقدير ولا يحسبنهم الذين قتلوا امواتا اي
ولا يحسبن الذين قتلوا انفسهم امواتا فان قلت كيف جاز حذف المفعول
الاول قلت هو في الاصل مبتدا فحذف كما حذف المبتدا في قوله احياء
والمعنى هم احياء لدلالة الكلام عليهما وقرئ يحسبن بفتح السين وقتلوا
بالتشديد واحياء بالنصب على معنى بل احسبهم احياء عند ربهم مقربون
عنده ذوو زلفى كقوله فالذين عند ربك يرزقون مثل ما يرزق سائر الاحياء
ياكلون ويشربون وهو تاكيد لكونهم احياء او وصف الخروج قال عليه السلام
والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون
حسبنا الله ونعم الوكيل وقيل هي الكلمة التي قالها ابرهيم صلوات الله عليه
حين القي في النار حتى وافوا بدرا واقاموا بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات
فباعوها واصابوا خيرا ثم انصرفوا الى المدينة سالمين غانمين ورجع ابو سفين
الى مكة فسمى اهل مكة جيشه جيش السويق قالوا انما خرجتم لتشربوا السويق والناس
الاولون المثبطون والاخرون ابو سفين واصحابه فان قلت كيف قيل الناس
ان كان نعيم هو المثبط وحده قلت قيل ذلك لانه من جنس الناس كما يقال
فلان يركب الخيل ويلبس البرود وماله الا فرس واحد وبرد فرد ولانه حين قال
ذلك لم يخل من ناس من اهل المدينة يضامونه ويصلون جناح كلامه ويثبطون مثل
تثبيطه فان قلت الام رجع المستكن في فزادهم قلت الى المقول الذي هو
الذي هو ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم كانه قيل قالوا لهم هذا الكلام فزادهم
ايمانا او الى مصدر قال كقولك من صدق كان خيرا له او الى الناس اذا اريد به
نعيم وحده فان قلت كيف زادهم نعيم او مقوله ايمانا قلت لما لم يسمعوا
قوله واخلصوا عنده النية والعزم على الجهاد واظهروا حمية الاسلام كان ذلك
اثبت ليقينهم واقوى لاعتقادهم كما يزداد الايقان بتناصر الحجج ولان خروجهم
على اثر تثبيطه الى وجه العدو طاعة عظيمة والطاعات من جملة الايمان
لان الايمان اعتقاد واقرار وعمل وعن ابن عمر رضي الله عنهما قلنا يا رسول
الله ان الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص
حتى يدخل صاحبه النار وعن عمر رضي الله عنه انه كان ياخذ بيد الرجل فيقول
قم بنا نزدد ايمانا وعنه لو وزن ايمان ابي بكر بايمان هذه الامة لرجح به حسبنا

الله محسبنا الله اي كافينا يقال احسبه الشيء اذا كفاه والدليل على انه بمعنى الحسب انك
تقول هذا رجل حسبك فتصف به النكرة لان اضافته لكونه في معنى اسم الفاعل غير
حقيقية ونعم الوكيل ونعم الموكول اليه هو فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة من الله
وهي السلامة وحذر العدو منهم وفضل وهو الربح في التجارة كقوله ليس عليكم جناح ان
تبتغوا فضلا من ربكم لم يمسسهم سوء لم يلقوا ما يسوءهم من كيد عدو واتبعوا
رضوان الله بجرأتهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتوفيق
فيما فعلوا وفي ذلك تحسين لمن تخلف عنهم واظهار لخطاء رايهم حيث حرموا انفسهم
ما فاز به هولاء وروي انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله ثواب الغزو ورضي
عنهم الشيطان خبر ذلك بمعنى انما ذلكم المثبط هو الشيطان ويخوف اولياءه
جملة مستانفة بيان لشيطنته او الشيطان صفة لاسم الاشارة ويخوف الخبر والمراد
والمراد بالشيطان نعيم او ابو سفيان ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف
بمعنى انما ذلكم قول الشيطان اي قول ابليس لعنه الله يخوف اولياءه يخوفكم اولياءه
الذين هم ابو سفين واصحابه ويدل عليه قراءة بن عباس وابي مسعود يخوفكم اولياءه
وقوله فلا تخافوهم وقيل يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فان قلت فالام رجع الضمير في فلا تخافوهم على هذا التفسير قلت
الى الناس في قوله ان الناس قد جمعوا لكم فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال
وتجبنوا وخافوني فجاهدوا مع رسولي وسارعوا الى ما يامركم به ان كنتم
مومنين يعني ان الايمان يقتضي ان تؤثروا خوف الله على خوف الناس ولا تخشون
احدا الا الله يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعا ويرغبون فيه اشد رغبة
وهم الذين نافقوا من المتخلفين وقيل هم قوم ارتدوا عن الاسلام فان قلت فما
معنى قوله ولا يحزنك ومن حق الرسول ان يحزن لنفاق من نافق وارتداد من ارتد
قلت معناه لا يحزنوك لخوف ان يضروك ويعينوا عليك الا ترى الى قوله انهم لن
يضروا الله شيئا يعني انهم لا يضرون بمسارعتهم في الكفر غير انفسهم وما وبال
ذلك عائدا على غيرهم ثم بين كيف يعود وباله عليهم بقوله يريد الله ان لا يجعل
لهم حظا في الاخرة اي نصيبا من الثواب ولهم بدل الثواب عذاب عظيم وذلك
ابلغ ما ضر به الانسان نفسه فان قلت هلا قيل لا يجعل الله لهم حظا في الاخرة
واي فايدة في ذكر الارادة قلت فايدته الاشعار بان الداعي الى حرمانهم وتعذيبهم
قد خلص خلوصا لم يبق معه صادف قط حين سارعوا في الكفر تنبيها على تماديهم في
الطغيان وبلوغهم الغاية فيه حتى ان ارحم الراحمين مريد ان لا يرحمهم ان الذين

اشتروا الكفر بالايمان اما ان يكون تكريرا لذكرهم للتاكيد والتسجيل عليهم بما اضاف اليهم
واما ان يكون عاما للكفار والاول خاصا فيمن نافق من المتخلفين او ارتد عن الاسلام
او على العكس وشيئا نصب على المصدر لان المعنى شيئا من الضرر وبعض الضرر
الذين كفروا فيمن قرا بالتاء نصب وانما نملي لهم خير لانفسهم بدل منه اي ولا تحسبن
ان ما نملي للكافرين خير لهم وان ما مع في حيزه ينوب عن المفعولين كقوله ام تحسب
ان اكثرهم يسمعون وما مصدرية بمعنى ولا تحسبن ان املاءنا خير وكان حقها
في قياس علم الخط ان تكتب مفصولة ولكنها وقعت في الامام متصلة فلا تخالف وتتبع
سنة الامام في خط المصحف فان قلت كيف صح مجي البدل ولم يذكر الا احد المفعولين
ولا يجوز الاقتصار بفعل الحسبان على مفعول واحد قلت من حيث ان التعويل
على البدل والمبدل منه في حكم المنحى الا تراك تقول جعلت متاعك بعضه فوق بعض
مع امتناع سكوتك على متاعك ويجوز ان يقدر مضاف محذوف على ولا تحسبن الذين
كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او ولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير
لانفسهم وهو فيمن قرا بالياء رفع والفعل متعلق بان وما في حيزه والاملاء لهم تخليتهم
وشانهم مستعار من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء وقيل هو امهالهم
واطالة عمرهم والمعنى ولا تحسبن ان الاملاء خير لهم من منعهم او قطع اجالهم انما
نملي لهم ما هذه حقها ان تكتب متصلة لانها كافة دون الاولى وهذه جملة مستانفة
تعليل للجملة قبلها كانه قيل ما بالهم لا يحسبون الاملاء خيرا لهم فقيل انما نملي لهم ليزدادوا
اثما فان قلت كيف جاز ان يكون ازدياد الاثم غرضا لله تعالى في املائه لهم
قلت هو علة للاملاء وما كل علة بغرض الا تراك تقول قعدت عن الغزو للعجز
والفاقة وخرجت من البلد لمخافة الشر وليس شي منها بغرض لك وانما هي علل
واسباب فكذلك ازدياد الاثم جعل علة للاملاء كما كان العجز علة للقعود عن
الحرب قلت لما كان في علم الله المحيط بكل شي انهم يزدادون اثما فكان الاملاء
وقع من اجله وبسببه على طريق المجاز وقرا يحيى بن وثاب بكسر الاولى وفتح الثانية
ولا تحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لازدياد الاثم كما يفعلون
وانما هو ليتوبوا ويدخلوا في الايمان وقوله انما نملي لهم خير لانفسهم اعتراض بين
الفعل ومعموله ومعناه ان املاءنا خير لانفسهم ان عملوا فيه وعرفوا انعام
الله عليهم بتفسيح المدة وترك المعاجلة بالعقوبة فان قلت فما معنى قوله
ولهم عذاب مهين على هذه القراة قلت معناه ولا يحسبوا ان املاءنا لزيادة
الاثم وللتعذيب والواو للحال كانه قيل ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين

اللام لتاكيد النفي على ما انتم عليه من اختلاط المومنين المخلص والمنافقين حتى يميز
الخبيث من الطيب حتى يعزل المنافق عن المخلص وقرئ حتى يميز من ميز وفي رواية
عن ابن كثير يميز من اماز بمعنى ميز فان قلت لمن الخطاب في انتم قلت للمصدقين
جميعا من اهل الاخلاص والنفاق كانه قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال
التي انتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض وانه لا يعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم
على التصديق جميعا حتى يميزهم منكم بالوحي الى نبيه واخباره باحوالكم ثم قال وما كان
الله ليطلعكم على الغيب او وما كان الله ليوتي احدا منكم علم الغيوب فلا
تتوهموا عند اخبار الرسول بنفاق الرجل واخلاص الاخر انه يطلع على ما في القلوب
اطلاع الله فيخبر عن كفرها وايمانها ولكن الله يرسل الرسول فيوحي اليه ويخبره بان
في الغيب كذا وان فلانا في قلبه النفاق وفلانا في قلبه الاخلاص فيعلم الرسول ذلك
من جهة اخبار الله لا من جهة اطلاعه على المغيبات ويجوز ان يراد لا يترككم مختلطين
حتى يميز الخبيث من الطيب بان يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا يصبر عليها الا المخلص
الذين امتحن الله قلوبهم لبذل الارواح في الجهاد وانفاق الاموال في سبيل الله فيجعل
ذلك عيارا على عقايدكم وشاهدا بضمايركم حتى يعلم بعضكم ما في قلب بعض من طريق
الاستدلال لا من جهة الوقوف على ذات الصدور والاطلاع عليها فان ذلك مما استاثر
الله به وما كان الله ليطلع احدا منكم على الغيب ومضمرات القلوب حتى يعرف صحيحها
من فاسدها مطلعا عليها ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فيخبره ببعض المغيبات فامنوا
بالله ورسله بان تقدروه حق قدره وتعلموه وحده مطلعا على الغيوب وان
تنزلوهم منازلهم بان تعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يخبرون
الا بما اخبرهم الله به من الغيوب وليسوا من علم الغيب في شي وعن السدي قال
الكافرون ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يومن منا ومن يكفر فنزلت ولا تحسبن
من قرا بالتاء قدر مضافا محذوفا اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم
وكذلك من قرا بالياء وجعل فاعل يحسبن ضمير رسول الله صلى الله عليه وسلم او
ضمير احد ومن جعل فاعله الذين يبخلون كان المفعول الاول عنده محذوفا
تقديره ولا يحسبن الذين يبخلون بخلهم خيرا لهم والذي سوغ حذفه دلالة
يبخلون عليه وهو فصل وقرا الاعمش بغير هو سيطوقون تفسير لقوله هو
شر لهم اي سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وفي امثالهم تقلدها طوق
الحمامة اذا جاء بهنة يسب بها ويذم وقيل يجعل ما بخل به من الزكوة حية يطوقها
في عنقه يوم القيامة تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر راسه وتقول انا مالك وعن

النبي صلى الله عليه وسلم في مانع الزكوة يطوق بشجاع اقرع وروي بشجاع اسود وعن النخعي
يطوق من نار ۞ ولله ميراث السموات والارض ۞ وله فيها ما يتوارثه اهلها من مال وغيره
فما لهم يتخولون عليه بملكه ولا سقونه في سبيله ونحوه قوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين
وقرئ بما يعملون بالياء والتاء على طريقة الالتفات وهي ابلغ في الوعيد والياء على الظاهر
قال ذلك اليهود حين سمعوا قول الله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فقالوا
يتخولوا اما ان يقولوه عن اعتقاد ذلك او عن استهزاء بالقرآن وايهما كان فالكلمة
عظيمة لا تصدر الا عن متمردين في كفرهم ومعنى سماع الله انه لم يخف عليه وابن
اعدّ له كفاءه من العقاب ۞ سنكتب ما قالوا ۞ في صحايف الحفظة او سنحفظه ونثبته
في علمنا الذي لا ينساه كما يثبت المكتوب فان قلت كيف قال لقد سمع الله ثم قال سنكتب
وهلا قيل ولقد كتبنا قلت ذكر وجوب السماع اولا موكدا بالقسم ثم قال
سنكتب من جملة الوعيد يعني لن يفوتنا ابدا اثباته وتدوينه كما لن يفوتنا
الانبياء وجعل قتلهم الانبياء قرينة له ايذانا بانهما في العظم اخوان وبان هذا
ليس باول ما ارتكبوه من العظائم وانهم اصلاء في الكفر ولهم فيه سوابق وان من
قتل الانبياء لا يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول وروي انه لما بعث رسول
صلى الله عليه وسلم كتب مع ابي بكر رضي الله عنه الى يهود بني قينقاع يدعوهم
الى الاسلام والى اقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال
فنحاص اليهودي ان الله فقير حين سالنا القرض فلطمه ابو بكر في وجهه وقال لولا
الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجحد ما قاله فنزلت ونحوه قولهم يد الله مغلولة ۞ ونقول لهم ذوقوا ۞ وليتهم
منهم بان نقول يوم القيامة ذوقوا عذاب الحريق ۞ كما اذقتم المسلمين الغصص
يقال للمنتقم منه اذق وذق وقال ابو سفيان لحمزة رضي الله عنه ذق عقق
وقراءة سيكتب بالياء على البناء للمفعول ويقول بالياء وقرأ الحسن والاعرج
بالياء وتسمية الفاعل وقرا ابن مسعود ويقال ذوقوا ذلك ۞ اشارة الى تقدم
عقابهم ۞ وذكر الايدي لان اكثر الاعمال تزاول بهن فجعل كل عمل كالواقع بالايدي
على سبيل التغليب فان قلت فلم عطف قوله ۞ وان الله ليس بظلام للعبيد
على ما قدمت ايديكم وكيف جعل كونه غير ظلام للعبيد شريكا لاجتراحهم السيات
في استحقاق التعذيب قلت معنى كونه غير ظلام للعبيد انه عادل عليهم ومن
العدل ان يعاقب المسيء منهم ويثيب المحسن ۞ عهد الينا ۞ امرنا في التوراة
بان لا نومن لرسول حتى ياتينا بهذه الاية الخاصة وهو ان يوتينا قربانا تنزل

فتاكله كما كان انبياء بني اسرائيل تلك اياتهم كان يقرب بالقربان فيقوم النبي فيدعو والله
تنزل نار من السماء فتاكله وهذه دعوى باطلة ۞ وافتراء على الله لان اكل النار القربان
ليس بشرط في الايمان للرسول الاتي به الا لكونه اية ومعجزة فهو اذن وسائر الايات سواء
ولا يجوز ان يعينه الله تعالى من بين الايات وقد الزمهم الله تعالى ان انبياءهم جاوهم
بالبينات الكثيرة التي وجبت عليهم التصديق وجاءهم ايضا بهذه الاية التي اقترحوها
فلم قتلوهم ان كانوا صادقين ان الايمان يلزمهم باتيانها وقرئ بقربان بضمتين ۞
كنظيره السلطان فان قلت ما معنى قوله وبالذي قلتم قلت معناه ومعنى
الذي قلتموه من قولكم قربان تاكله النار وموداه كقوله ثم يعود فيما قالوا اي يعود
لما قالوا ۞ ومصاحف اهل الشام وبالزبر ۞ وهي الصحف والكتاب المنير ۞ التورية والانجيل
والزبور وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه وتكذيب
اليهود وقرا اليزيدي ۞ ذايقة الموت ۞ على الاصل وقرا الاعمش ذايقة الموت
بحذف التنوين مع النصب كقوله ۞ ولا ذاكر الله الا قليلا ۞ فان قلت كيف اتصل
قوله وانما توفون اجوركم قلت اتصاله على انكم كلكم تموتون لا بد لكم من الموت ولا
توفون اجوركم على طاعاتكم ومعاصيكم عقيب موتكم وانما توفونها يوم
القيامة فمن لقيها منكم عن
الصور فان قلت فهذا ابو هريرة يروي ان القبر روضة من رياض الجنة او حفرة
من حفر النار قلت كلمة التوفية يزيل هذا الوهم لان المعنى ان توفية الاجور وتكميلها
يكون ذلك اليوم ما يكون قبل ذلك فبعض الاجور ۞ الزحزحة ۞ والتنحية والابعاد
بمعنى واحد وهو الجذب بعجلة ۞ فقد فاز فقد حصل له الفوز المطلق المتناول لكل
ما يتفاز به ولا غاية للفوز وراء النجاة من سخط الله والعذاب الدائم ونيل رضوان
الله والتنعيم الخالد اللهم وفقنا لما تقرب به عندك الفوز والمآب وعن النبي صلى الله
عليه وسلم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو
يشهد ان لا اله الا الله واليوم الاخر وياتي الى الناس ما يحب ان يوتى اليه وهذا شامل للمحافظة على حقوق
الله وحقوق العباد ۞ متاع الدنيا ۞ شبهه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المشتاق ويغر حتى يشتريه
وهو مبين له في نفسه ۞ وذا ۞ والشيطان هو المدلس في الخيانة الغرور ۞ وعن سعيد بن
جبير انا هذه المزابل تعلو على الاخرة فما من طلب الاخرة فانه متاع بلاغ خوطب
المومنون بذلك ليوطنوا انفسهم على احتمال ما يسلقون من الاذى والشدايد والصبر عليها
حتى اذا القوما لقوه وهم مستعدون لا يرهقهم ما يرهق من يصيبه الشدة بغتة
فيشكل ۞ وتشمئز منه نفوسهم ۞ والبلاء في الانفس القتل والاسر والجراح وما يرد عليها من
انواع المخاوف والمصايب في الاموال ۞ الانفاق في سبيل الخير وما يقع فيها من الافات

اوا قالت غير متعنت فيما ۞ فذكره ثم عاندته
عما به قيل وقولها الجهلا ۞ غير متعنت اي غير
لم يخرج فالتعنت على على فتح فعل والاصل
نصب انا كالذين يلفظ اوفر ار
التقا الساكنين مع

وما يسمعون من اهل الكتاب المطاعن في الدين الحنيف وصد من اراد الايمان وتخطية من
امن وما كان من كعب بن الاشرف من هجايه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريض المشركين
ومن فنحاص ومن بني قريظة والنضير فان ذلك الصبر والتقوى من عزم الامور
من معزومات الامور اي مما يجب العزم عليه من الامور او مما عزم الله ان يكون يعني
ان ذلك عزمة من عزمات الله لا بد لكم ان تصبروا وتتقوا واذ اخذ الله واذكر وقت
اخذ الله ميثاق اهل الكتاب ليبيننه الضمير للكتاب اكد عليهم ايجاب بيان الكتاب
واجتناب كتمانه كما يوكد على الرجل اذا عزم عليه وقيل له الله لتفعلن فنبذوه
وراء ظهورهم فنبذوا الميثاق وتاكيده عليهم يعني لم يراعوه ولم يلتفتوا اليه
والنبذ وراء الظهر مثل في الطرح وترك الاعتداد ونقيضه جعله نصب عينيه
والقاه بين عينيه وكفى به دليلا على انه ماخوذ من العلماء ان يبينوا الحق للناس
وما علموه وان لا يكتموا منه شيئا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم
واستجلاب مسارهم او لجر منفعة وحطام دنيا او لتقية مما لا دليل عليه ولا
امارة او لبخل بالعلم وغيره ان ينسب اليه غيرهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم
علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن طاوس انه قال لوهب اني ارى الله سوف
يعذبك بهذه الكتب وقال والله لو كنت نبيا فكتمت العلم كما تكتمه لرايت ان الله
سيعذبك وعن محمد بن كعب لا يحل لاحد من العلماء ان يسكت على علمه ولا يحل
لجاهل ان يسكت على جهله حتى يسال وعن علي رضي الله عنه ما اخذ الله على اهل الجهل
ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا وقرئ ليبيننه ولا يكتمونه بالياء
لانهم غيب وبالتاء على حكاية مخاطبتهم كقوله وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب
لتفسدن لا تحسبن خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم واحد المفعولين الذين
يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تاكيد تقديره لا تحسبنهم فلا تحسبنهم
فايزين وقرئ لا تحسبن فلا تحسبنهم بضم الباء على خطاب المومنين ولا يحسبن
فلا يحسبنهم بالياء وفتح الباء فيهما على ان الفعل للرسول وقرا ابو عمرو بالياء
وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الفعل للذين يفرحون والمفعول
الاول محذوف على يحسبنهم الذين يفرحون بمفازة بمعنى لا يحسبن انفسهم الذين
يفرحون فايزين فلا تحسبنهم تاكيد ومعنى بما اوتوا بما فعلوا وجاء واتى يستعملان
بمعنى فعل قال الله تعالى انه كان وعده ماتيا لقد جئت شيئا فريا ويدل عليه
قراءة ابي يفرحون بما فعلوا وقرئ اتوا بمعنى اعطوا وعن علي رضي الله عنه بما
اوتوا ومعنى بمفازة من العذاب بمنجاة منه روي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم سال اليهود عن شيء مما في التورية فكتموا الحق واخبروه بخلافه واروه

انهم

انهم قد صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا فاطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم
على ذلك وسلاه بما انزل من وعيدهم اي لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من
تدليسهم عليك ويحبون ان تحمدهم بما لم يفعلوا من اخبارك بالصدق عما سالتهم
عنه ناجين من العذاب ومعنى يفرحون بما اوتوا اوتوه من علم التورية وقيل
يفرحون بما فعلوا من كتمان نعت الرسول ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من اتباع
دين ابرهيم حيث ادعوا ان ابرهيم كان على اليهودية وانهم على دينه وقيل هم قوم
تخلفوا عن الغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قفل اعتذروا اليه بانهم راوا
المصلحة في التخلف واستحمدوا اليه بترك الخروج وقيل هم المنافقون يفرحون
بما اتوا من اظهار الايمان للمسلمين ومنافقتهم وتوصلهم بذلك الى اغراضهم ويستحمدون
اليهم بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة لابطانهم الكفر ويجوز ان يكون شاملا
لكل من ياتي بحسنة فيفرح بها فرح اعجاب ويحب ان يحمده الناس ويثنوا عليه
بالديانة والزهد وبما ليس فيه ولله ملك السموات والارض فهو يملك امرهم
وهو على كل شيء قدير فهو يقدر على عقابهم لايات لادلة واضحة على الصانع وعظيم
قدرته وباهر حكمته لاولي الالباب للذين يفتحون بصايرهم للنظر والاستدلال
والاعتبار ولا ينظرون اليها نظر البهايم غافلين عما فيها من عجايب النظر وفي نصايح
الصغار املا عينيك من زينة هذه الكواكب واجلها في جملة هذه العجايب متفكرا في قدرة
مقدرها متدبرا حكمة مدبرها قبل ان يسافر بك القدر ويحال بينك وبين النظر
وعن عمر رضي الله عنه قلت لعايشة رضي الله عنها اخبريني باعجب ما رايت من رسول الله
صلى الله عليه وسلم فبكت واطالت ثم قالت كل امره عجب اتاني في ليلتي فدخل في لحافي حتى
الصق جلده بجلدي ثم قال يا عايشة هل لك ان تاذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول
الله اني لاحب قربك واحب هواك قد اذنت لك فقام الى قربة من ماء في البيت فتوضا
ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرا من القران وجعل يبكي ثم رفع يديه حتى بلغ
الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله واثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى
رايت دموعه قد بلت الارض فاتاه بلال يوذنه بصلاة الغداة فراه يبكي فقال له
يا رسول الله اتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال يا بلال افلا
اكون عبدا شكورا ثم قال وما لي لا ابكي وقد انزل الله علي في هذه الليلة ان
في خلق السموات والارض ثم قال ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها وروي لمن لاكها
بين فكيه ولم يتاملها وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من
الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات والارض وحكي ان

الرجل من بني اسرايل كان اذا عبد الله ثلثين سنة اظلته غمامة سحابة فعبد في فنيانهم فلم تظله فقالت له امه لعل فرطة فرطت منك في مذ تركك قال ما اذكر قالت لعلك نظرت مرة الى السماء ولم تعتبر قال لعل قالت فما اوتيت الامن ذلك يذكرون الله ذكرا دايما على اي حال كانوا من قيام وقعود واضطجاع لا يخلون بالذكر واغلب احوالهم وعن ابن عمر رضي الله عنه وعروة بن الزبير وجماعة انهم خرجوا يوم العيد الى المصلى فجعلوا يذكرون الله فقال بعضهم اما قال الله تعالى يذكرون الله قياما وقعودا فقاموا يذكرون الله على اقدامهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون في هذه الاحوال على حسب استطاعتهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمران بن الحصين صل قايما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومي ايماء وهذه حجة للشافعي رضي الله عنه في اضطجاع المريض على جنبه كما في اللحد وعند ابي حنيفة وحمد الله انه يستلقي اذا وجد خفة قعدا ونحل عاجنوبهم نصب على الحال عطفا على ما قبله كانه قيل قياما وقعودا ومضطجعين ويتفكرون في خلق السموات والارض وما يدل عليه اختراع هذه الاجرام العظام وابداع صنعتها وما دبر فيها مما تكل الاوهام عن بعض عجايبه على عظم شان الصانع وكبريايء سلطانه وعن سفين الثوري انه صلى خلف المقام ركعتين ثم رفع راسه الى السماء فلما راى الكواكب غشي عليه وكان يطول الدم فرط حزنه وفكرته وعن النبي صلى الله عليه وسلم بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى النجوم وفي السماء فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر فنظر الله اليه فغفر له وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا عبادة كالتفكر وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما تحدث الماء للزرع النبات وما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكر وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له في كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا انما كان ذلك التفكر في امر الله الذي هو عمل القلب لان احدا لا يقدر ان يعمل بجوارحه في اليوم مثل عمل اهل الارض ما خلقت هذا باطلا على ارادة القول اي يقولون ذلك وهو في محل الحال بمعنى سفرين قايلين والمعنى ما خلقته خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقته لداعي حكمة عظيمة وهو ان جعلها ات اكن للمكلفين وادلة لهم على معرفتك ووجوب طاعتك واجتناب معصيتك ولذلك وصل به قوله فقنا عذاب النار لانه جزاء

عصي

حبه يعني ان قوله تعالى فقنا عذاب النار ان المقدور ما ذكر لان الفا الفصيحة دلت على ان محذوف يرتبط بها تقديره لما خلقت هذا باطلا بل خلقته لداعي حكمة وهو تعريضك للثواب بامتثال ما امرت به واجتناب ما نهيت عنه فوفق لذلك فانا اجزاء من يمتثل ذلك

عصي ولم يطع فان قلت هذا اشارة الى ماذا قلت الى الخلق على ان المراد بالمخلوق كانه قيل ويتفكرون في مخلوق السموات والارض اي فيما خلق منها ويجوز ان يكون اشارة الى السموات والارض لا بما في معنى المخلوق كانه قيل ما خلقت هذا المخلوق العجيب باطلا وبهذا ظهر ان المراد بهذا ما ذكر من التعظيم لقوله ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم ويجوز ان يكون هذا اشارة الى ما ذكر من العبث وان خلق شيا بغير حكمة فقد ابلغت في اخزايه وهو تطير قوله فقد فاز ونحوه في كلامهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك ومن سبق فلانا فقد سبق وما للظالمين اللام اشارة الى من يدخل النار او اعلام بان من يدخل النار لا ناصر له بشفاعة ولا غيرها فتقول سمعت رجلا يقول كذا وسمعت زيدا يتكلم فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع لانك وصفته بما يسمع او جعلته حالا عنه فاغناك عن ذكره ولولا الوصف او الحال لم يكن منه بد وان يقال سمعت كلام فلان او قوله فان قلت فاي فايدة في الجمع بين المنادي وينادي قلت ذكر المنادي اطلقا ثم مقيدا بالايمان تفخيما لشان المنادي لانه لا منادي اعظم من منادٍ ينادي للايمان ونحوه قولك سمعت بما يهدي للاسلام وذلك ان المنادي اذا اطلق ذهب لوهم الى منادٍ للحرب او لاطفاء النايرة او لاغاثة المكروب او لكفاية النوازل او لبعض المنافع وكذلك الهادي قد يطلق على من يهدي الطريق ويهدي لسداد الراي وغير ذلك فاذا قلت ينادي للايمان ويهدي للاسلام فقد رفعت من شان المنادي والهادي وفخمته ويقال دعاه لكذا والى كذا وندب به له واليه وناداه له واليه ونحوه هداه للطريق واليه وذلك ان معنى انتهاء الغاية ومعنى الاختصاص واقعان جميعا والمنادي هو الرسول صلى الله عليه وسلم ادعوا الى الله ادع الى سبيل ربك وعن محمد بن كعب القرظي ان امنوا اي بان امنوا ذنوبنا كبايرنا سيانتا صغايرنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معد ودين في جملتهم والابرار جمع بر او بار كرب واربابٍ وصاحب واصحاب على رسلك على هينة صلة للوعد في قولك وعد الله الجنة على الطاعة والمعنى ما وعدتنا على تصديق رسلك الا تراه كيف اتبع ذكر المنادي الايمان وهو الرسول وقوله امناه وهو التصديق ويجوز ان يكون منعلقا بمحذوف اي وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا على رسلك لان الرسل محمولون على ذلك فانا عليه ما حمل وقيل على الالسنة رسلك الموعود على رسلك كانه قيل انا سمعنا رسولا يدعو الى الناس الى التصديق بك وبرسلك فصدقناه فاذا كان كذلك فانتا ما وعدتنا من الاجر على ذلك التصديق هو الثواب وقيل النصر على الاعداء فان قلت كيف دعوا الله بالجازة وعد الله والله لا يخلف الميعاد قلت طلب التوفيق فيما يحق عليهم اسباب

حبه يعني الدليل على ان على صلة الوعد والمضاف المقدر المصدق لانه تعالى لما قال منادي ينادي للايمان والمراد بالمنادي الرسول وبالايمان التصديق بعدته بالباء ابتعه قواه وعدتنا عليه سلك كانه قيل انا سمعنا رسولا يدعو الى التصديق بك وبرسلك فصدقناه فاذا كان كذلك فانتا ما وعدتنا من الاجر على ذلك التصديق

حبه قوله لانه لا منادي اعظم بيان ان المقام مقام التعظيم وهو اوفق لاشارة الى كيفية حصول التفخيم وتحقيق حصوله

حبه اي ادرك مرعى ليس بعده مرعى

حبه قال القاضي لا يلزم من نفي المضرة نفي الشفاعة لان النفع قد يتوقف على امر آخر

حبه يعني ان ما ذكر من الاطلاق فان كان اي الوعد والشرط مختلفين فالمعنى ما وعدتنا على رسلك وان كانا متحدين فالمعنى ما وعدتنا على تصديق رسلك

انجاز الميعاد وهو باب من اللجاء الى الله والخضوع له كما كان الانبياء عليهم السلام يستغفرون
مع علمهم انهم مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل لربهم والتضرع اليه واللجاء الذي
هو سيما العبودية يقال استجاب له واستجابه فلم يستجبه عند ذلك مجيب اني
لا اضيع قرئ بالفتح على حذف الباء وبالكسر على ارادة القول وقرئ لا اضيع بالتشديد
من ذكر او انثى بيان لعامل بعضكم من بعض اي يجمع ذكوركم واناثكم اصل واحد
فكل واحد منكم من الاخر من اصله او كانه منه لفرط اتصالكم واتحادكم وقيل المراد
وصلة الاسلام وهذه جملة معترضة بينت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد
الله عباده العاملين وروي ان ام سلمة قالت يا رسول الله اني اسمع الله يذكر
الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا تفصيل لعمل العامل منهم على
سبيل التعظيم له والتفخيم كانه قال فالذين عملوا هذه الاعمال السنية الفائقة وهي
المهاجرة عن اوطانهم فارين الى الله بدينهم من دار الفتنة واضطروا الى الخروج من
ديارهم التي ولدوا فيها ونشأوا بما سامهم المشركون من الخسف واوذوا في سبيلي
من اجله وبسببه يريد سبيل الدين وقاتلوا وقتلوا وغزوا المشركين واستشهدوا
وقرئ وقتلوا بالتشديد وقتلوا وقاتلوا على التقديم بالتخفيف والتشديد وقتلوا
وقتلوا على بناء الاول للفاعل والثاني للمفعول وقتلوا وقاتلوا على بنائهما للفاعل
ثوابا في موضع المصدر المؤكد بمعنى اثابة او تثويبا من عند الله لان قوله لاكفرن
عنهم ولادخلنهم في معنى لاثيبنهم وعنده مثل اي يختص به وبقدرته وفضله لا
يثيبه غيره ولا يقدر عليه كما يقول الرجل عندي ما تريد يريد اختصاصه به وتملكه
وان لم يكن بحضرته وهذا تعليم من الله كيف يدعى وكيف يبتهل اليه ويتضرع وتكرير ربنا
من باب الابتهال واعلام بما يوجب حسن الاجابة وحسن الاثابة من احتمال المشاق
في دين الله والصبر على صعوبة تكاليفه وقطع الاطماع الكسالى المتمنين عليه
وتسجيل على من لا يرى الثواب موصولا اليه بالعمل بالجهل والغباوة وروي عن
جعفر الصادق رضي الله عنه من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله تعالى
مما يخاف واعطاه ما اراد وقرا هذه الاية وعن الحسن حكى الله عنهم انهم قالوا
خمس مرات ربنا ثم اخبر انه استجاب لهم الا انه اتبع ذلك رافع الدعاء وما يستجاب
به فلا بد من تقديمه بين يدي الدعاء لا يغرنك الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
او لكل احد اي لا تنظر الى ما هم عليه من سعة الرزق والمضطرب ودرك العاجل
واصابة حظوظ الدنيا ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم في الارض وتصرفهم
في البلاد يتكسبون ويتجرون ويتدهقنون عن ابن عباس هم اهل مكة وقيل هم

اليهود

اليهود وروي ان ناسا من المؤمنين كانوا يرون ما هم فيه من الخصب والرخاء ولين
العيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فان
قلت كيف جاز ان يغتر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك حتى نهي عن الاغترار
به قلت فيه وجهان احدهما ان مدرة القوم ومقدمهم يخاطب بشيء فيقوم خطابه
مقام خطابهم جميعا فكانه قيل لا يغرنكم والثاني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان غير مغرور بحالهم فاكد عليه ما كان عليه وثبت على التزامه كقوله ولا تكن من
الكافرين ولا تكونن من المشركين ولا تطع المكذبين وهذا في النهي نظير قوله في
الامر اهدنا الصراط المستقيم يا ايها الذين امنوا امنوا وقد جعل النهي في
الظاهر للتقلب وهو في المعنى للمخاطب وهذا من تنزيل السبب منزلة المسبب
لان التقلب لو غره لاغتر به فمنع السبب ليمتنع المسبب وقرئ لا يغرنك بالنون
الخفيفة متاع قليل خبر مبتدا محذوف اي ذلك متاع قليل وهو التقلب
في البلاد اراد قلته في جنب ما فاتهم من نعيم الاخرة او في جنب ما اعد الله للمؤمنين
من الثواب او اراد انه قليل في نفسه لانقضائه وكل زائل قليل قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما في الدنيا في الاخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر
بم يرجع وبئس المهاد وساء ما مهدوا لانفسهم النزل والنزل ما يقام للنازل
قال ابو الشعر الضبي وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات
لهم نزلا وانتصابه اما على الحال من جنات لتخصصها بالوصف والعامل اللام
ويجوز ان يكون بمعنى مصدر مؤكد كانه قيل رزقا او عطاء من عند الله وما
عند الله من الكثير الدائم خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل
وقرا مسلمة بن محارب والاعمش نزلا بالسكون وقرا يزيد بن القعقاع لكن
الذين اتقوا بالتشديد وان من اهل الكتاب عن مجاهد نزلت في عبد الله
بن سلام وغيره من مسلمة اهل الكتاب وقيل في اربعين من اهل نجران واثنين
وثلثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فاسلموا
وقيل في اصحمة النجاشي ملك الحبشة ومعنى اصحمة عطية بالعربية وذلك انه
لما مات نعاه جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام اخرجوا
فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم فخرج الى البقيع ونظر الى ارض فابصر سرير النجاشي
وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني
لم يره قط وليس على دينه فنزلت ودخلت لام الابتداء على اسم ان لفصل الظرف
بينهما كقوله وان منكم لمن ليبطئن وما انزل اليكم من القران وما انزل اليهم من

الكتابين خاشعين لله حال من فاعل يومن لان من يومن في معنى الجمع لا يشترون بايات
الله ثمنا قليلا كما يفعل من لم يسلم من احبارهم وكبارهم اوليك لهم اجرهم عند ربهم
اي ما يختص بهم من الاجر وهو ما وعدوه في قوله اوليك يوتون اجرهم مرتين
يوتكم كفلين من رحمته ان الله سريع الحساب لنفوذ علمه في كل شي فهو
عالم بما يستوجبه كل عامل من الاجر ويجوز ان يراد ان ما توعدون لات قريب
بعد ذكر الموعد اصبروا على الدين وتكاليفه وصابروا اعداء الله
في الجهاد اي غالبوهم في الصبر على شدايد الحرب لا تكونوا اقل صبرا منهم وثباتا
والمصابرة باب من الصبر ذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه تخصيصا
لشدته وصعوبته ورابطوا واقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين
مستعدين للغزو قال الله تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام
شهر وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته الا لحاجة وعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة ال عمران اعطي بكل اية منها امانا على جسر جهنم وعنه
عليه السلام من قرا السورة التي يذكر فيها ال عمران يوم الجمعة صلى الله عليه
وسلم وملايكته حتى تجب الشمس

سورة النساء مدنية
وهي ماية وخمس وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس يا بني ادم خلقكم من نفس واحدة فرعكم من اصل واحد وهو
نفس ادم ابيكم فان قلت علام عطف قوله وخلق منها زوجها قلت
فيه وجهان احدهما ان يعطف على محذوف كانه قيل من نفس واحدة انشاها
وابتداها وخلق منها زوجها وانما حذف لدلالة المعنى عليه والمعنى شعبكم
من نفس واحدة هذه صفتها وهي انه انشاها من تراب وخلق زوجها حوا
من ضلع من اضلاعها وبث منهما نوعي جنس الانس وهم الذكور والاناث
فوصفها بصفة هي بيان وتفصيل لكيفية خلقهم منها والثاني ان يعطف
على خلقكم ويكون الخطاب في يا ايها الناس للذين بعث اليهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم والمعنى خلقكم من نفس ادم لانهم من جملة الجنس المفرع منه
وخلق منها امكم حوا وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الامم الفايتة للحصر
فان قلت الذي يقتضيه سداد نظم الكلام وجزالته ان يجاء عقيب الامر

بالتقوى

بالتقوى بما يوجبها او يدعوا اليها ويبعث عليها فكيف كان خلقه اياهم من نفس واحدة
على التفصيل الذي ذكره موجبا للتقوى وداعيا اليها قلت لان ذلك مما يدل
على القدرة العظيمة ومن قدر على نحوه كان قادرا على كل شي ومن المقدورات
عقاب العصاة فالنظر فيه يودي الى ان يتقي القادر عليه ويخشى عقابه ولانه
يدل على النعمة السابغة عليهم فحقهم ان يتقوه في كفرانها والتفريط فيما
من القيام بشكرها او اراد بالتقوى تقوى خاصة وهي ان يتقوه فيما يتصل بحفظ
الحقوق بينهم فلا يقطعوا ما يجب عليهم وصله فقيل اتقوا ربكم الذي وصل
بينكم حيث جعلكم صنوانا مفرعة من ارومة واحدة فيما يجب لبعضكم
على بعض فحافظوا عليه ولا تغفلوا عنه وهذا المعنى مطابق لمعاني
السورة وقرئ وخالق منها زوجها وباث منها بلفظ اسم الفاعل وهو خبر
مبتدا محذوف تقديره وهو خالق تساءلون به تتساءلون به فادغمت
التاء في السين وقرئ تساءلون بطرح التاء الثانية اي يسال بعضكم بعضا
بالله وبالرحم فيقول بالله وبالرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف
وانا شدك الله والرحم او تسالون غيركم بالله والرحم فقيل تفاعلون موضع
تفعلون للجمع كقولك رايت الهلال وتراءيناه وتنصره قراة من قرا تسالون
به مهموزا وغير مهموز وقرئ والارحام بالحركات الثلاث فالنصب على وجهين
اما على واتقوا الله والارحام او ان يعطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت
بزيد وعمرا اي جزت زيدا وعمرا وتنصره قراة بن مسعود تسالون به وبالارحام
والجر على عطف الظاهر على المضمر وليس بسديد لان الضمير المتصل متصل كاسمه
والجار والمجرور كشي واحد فكانا في قولك مررت به وزيد وهذا غلامه وزيد
شديدي الاتصال فلما اشتد الاتصال لتكرره اشبه العطف على بعض الكلمة فلم
يجز ووجب تكرير العامل كقولك مررت به وبزيد وهذا غلامه وغلام زيد الا ترى
الى صحة قولك رايتك وزيدا ومررت بزيد وعمرو لما لم يقو الاتصال لانه لم يتكرر
وقد تمحل لصحة هذه القراة بانها على تقدير تكرير الجار ونظيرها قول الشاعر
فما بك والايام من عجب والرفع على انه مبتدا خبره محذوف كانه قيل
والارحام كذا على معنى والارحام يتقى او والارحام مما يتساءل به والمعنى
انهم كانوا يقرون بان لهم خالقا وكانوا يتساءلون بذكر الله والرحم فقيل لهم اتقوا
الذي خلقكم واتقوا الذي تتناشدون به واتقوا الارحام ولا تقطعوها
او فاتقوا الله الذي تتعاطفون باذكاره واذكار الرحم وقد اذن عز وجل

اذ قرن الارحام باسمه ان صلتها منه بمكان كما قال لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا
وعن الحسن اذا سالك بالله فاعطه واذا سالك بالرحم فاعطه فللرحم حجنة
عند العرش ومعناه ما روي عن ابن عباس الرحم معلقة بالعرش فاذا اتاها الواصل
بشت به وكلمته واذا اتاها القاطع احتجبت عنه وسئل ابن عيينة عن قوله عليه
السلام تخيروا لنطفكم فقال يقول لاولادكم وذلك ان يضع ولده في الحلال الم تسمع
الى قوله واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام واول صلته ان يختار له الموضع
الحلال فلا يقطع رحمه ولا نسبه فانما للعاهر الحجر ثم يختار الصحة ويجتنب الدعوة
ولا يضعه موضع سوء يتبع شهوته وهواه بغير هدى من الله اليتامى الذين
مات اباؤهم فانفردوا عنهم واليتم الانفراد ومنه الرملة اليتيمة والدرة اليتيمة
وقيل اليتم في الاناسي من قبل الاباء وفي البهائم من قبل الامهات فان قلت كيف يجمع
اليتيم وهو فعيل كمريض على يتامى قلت فيه وجهان ان يجمع على يتمى كاسرى
لان اليتيم من وادي الافات والاوجاع ثم يجمع فعلى فعالى كاسرى ويجوز
ان يجمع على فعايل لجري اليتيم مجرى الاسماء نحو صاحب وفارس فيقال يتايم ثم
يتامى على القلب وحق هذا الاسم ان يقع على الصغار والكبار لبقاء معنى
الانفراد عن الاباء الا انه قد غلب ان يسموا به قبل ان يبلغوا مبلغ الرجال فاذا
استغنوا بانفسهم عن كافل وقايم عليهم وانتصبوا كفاة يكفلون غيرهم ويقومون
عليهم زال عنهم هذا الاسم وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يتيم ابي طالب اما على القياس واما حكاية على الحال التي كان عليها صغيرا ناشيا
في حجر عمه توضيعا له واما قوله عليه السلام لا يتم بعد الحلم فما هو الا تعليم شريعة
لا لغة لانه اذا احتلم لم تجر عليه احكام الصغار فان قلت فما معنى قوله
وآتوا اليتامى اموالهم قلت اما ان يراد باليتامى الصغار وبايتائهم الاموال ان
لا يطمع فيها الاولياء والاوصياء وولاة السوء وقضاته ويكفوا عنها ايديهم
الخاطفة حتى تاتي اليتامى اذا بلغوا سالمة غير مخدوفة واما ان يراد
الكبار تسمية لهم يتامى على القياس او لقرب عهدهم اذا بلغوا بالصغر كما تسمى
الناقة عشراء بعد وضعها على ان فيه اشارة الى ان لا يؤخر دفع اموالهم
اليهم عن حد البلوغ ولا يمطلوا ان اونس منهم الرشد وان يؤتوها قبل ان
يزل عنهم اسم اليتامى والصغار وقيل هي في رجل من غطفان كان معه
مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال فمنعه عمه فترافعا الى النبي صلى الله
عليه وسلم فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله

من الحوب

من الحوب الكبير فدفع ماله اليه فقال صلى الله عليه وسلم ومن يوق شح نفسه ويطع ربه
هكذا فانه يحل داره يعني جنته فلما قبض الفوا ماله انفقه في سبيل الله فقال
صلى الله عليه وسلم ثبت الاجر ثبت الاجر وبقي الوزر قالوا يا رسول الله قد عرفنا
انه ثبت الاجر فكيف بقي الوزر وهو ينفق في سبيل الله فقال ثبت اجر الغلام وبقي
الوزر على والده ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب لا تستبدلوا الحرام وهو مال
اليتامى بالحلال وهو ما لكم وما ابيح لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث في الارض
فتاكلوه مكانه ولا تستبدلوا الامر الخبيث وهو اختزال اموال اليتامى بالامر
الطيب وهو حفظها والتورع منها والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز منه
التعجل بمعنى الاستعجال والتاخر بمعنى الاستيخار قال ذو الرمة
فيا كرم السكن الذين تحملوا عن الدار والمستخلف المتبدل
اراد ويا لوم ما استخلفته الدار واستبدلته وقيل هو ان يعطي رديا وياخذ
جيدا وعن السدي ان يجعل شاة مهزولة مكان سمينة وهذا ليس بتبدل
انما هو تبديل الا ان يكارم صديقا له فياخذ منه عجفاء مكان سمينة من مال الصبي
ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم ولا تنفقوها معها وحقيقتها ولا تضموها اليها في
الانفاق حتى لا تفرقوا بين اموالكم واموالهم قلة مبالاة بما لا يحل لكم وتسوية بينه
وبين الحلال فان قلت قد حرم عليهم اكل مال اليتامى وحده ومع اموالهم فلم
ورد النهي عن اكله معها قلت لانهم اذا كانوا مستغنين عن اموال اليتامى بما
رزقهم الله من مال حلال وهم على ذلك يطمعون فيها كان القبح ابلغ والذم احق
ولانهم كانوا يفعلون ذلك فنعي عليهم فعلهم وشنع بهم ليكون ازجر لهم والحوب
الذنب العظيم ومنه قوله عليه السلام ان طلاق ام ايوب لحوب فكانه قيل انه
كان ذنبا عظيما كبيرا وقرا الحسن حوبا بفتح الحاء وهو مصدر حاب حوبا وقرئ
حابا ونظير الحوب والحاب القول والقال والطود والطرد ولما نزلت الاية في
اليتامى وما في اكل اموالهم من الحوب الكبير خاف الاولياء ان يلحقهم الحوب بترك
الاقساط في حقوق اليتامى واخذوا يتحرجون من ولايتهم وكان الرجل منهم
ربما كانت تحته العشر من الازواج والثماني والست فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل
بينهن فقيل لهم ان خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا
ترك العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات لان من تحرج من ذنب او
تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرج ولا تايب لانه انما وجب ان يتحرج من
الذنب ويتاب عنه لقبحه والقبح قايم في كل ذنب وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنا

وهم يتحرجون من ولاية اليتامى فقيل ان خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا
ما طاب لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات وقيل كان الرجل يجد اليتيمة لها
مال وجمال ويكون وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن
فيخاف لضعفهن وفقدن يغضب لهن ان يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن
فقيل لهم ان خفتم ان لا تقسطوا في يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم
ويقال للاناث اليتامى كما يقال للذكور وهم جمع يتيمة على القلب كما قيل ايامى
والاصل ايايم ويتايم وقرا النخعي تقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة مثلها
في ليلا يعلم يريد وان خفتم ان تجوروا ما طاب لكم ما حل لكم من النساء لان
منهن ما حرم كالاجنبيات واللاتي في اية التحريم وقيل ما ذهابا الى
الصفة ولان الاناث من العقلا يجرين مجرى غير العقلا ومنه قوله
تعالى او ما ملكت ايمانهم مثنى وثلاث ورباع معدولة عن اعداد
مكررة وانما منعت الصرف لما فيها من العدلين عدلها عن صيغتها وعدلها
عن تكررها وهي نكرات يعرفن بلام التعريف تقول فلان ينكح المثنى والثلاث
والرباع ومحلهن النصب على الحال ما طاب تقديره فانكحوا الطيبات لكم
معدودات هذا هو العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا
فان قلت الذي اطلق للناكح في الجمع ان يجمع بين ثنتين او ثلاث او اربع
فما معنى التكرير في مثنى وثلاث ورباع قلت الخطاب للجميع فوجب التكرير
ليصيب كل ناكح يريد الجمع ما اراد من العدد الذي اطلق له كما تقول للجماعة
اقتسموا هذا المال وهو الف درهمين درهمين وثلثة ثلثة واربعة اربعة
ولو افردت لم يكن له معنى فان قلت فلم جا العطف بالواو دون او قلت
كما جا بالواو في المثال الذي حدوته لك ولو ذهبت تقول اقتسموا هذا المال
درهمين درهمين او ثلاثة ثلاثة او اربعة اربعة اعلمت انه لا يسوغ لهم ان
يقتسموه الا على احد انواع هذه القسمة وليس لهم ان يجمعوا بينها فيجعلوا
بعض القسم على تثنية وبعضه على تثليث وبعضه على تربيع وذهب معنى
تجويز الجمع بين انواع القسمة الذي دلت عليه الواو وتحريره ان الواو دلت
على اطلاق ان ياخذ الناكحون من ارادوا نكاحها من النساء على طريق الجمع
ان شاوا مختلفين في تلك الاعداد وان شاوا متفقين فيها محظورا عليهم
ما وراء ذلك وقرا ابرهيم وثلث وربع على القصر من ثلاث ورباع فان خفتم
ان لا تعدلوا بين هذه الاعداد كما خفتم ترك العدل فيما فوقها فواحدة

فالزموا

فالزموا فاختاروا واحدة وذروا الجمع راسا فان الامر كله يدور مع العدل فاينما وجدتم
العدل فعليكم به وقرئ فواحدة بالرفع على فالمقنع واحدة او فكفت واحدة او
فحسبكم واحدة او ما ملكت ايمانكم سوى بهذه في السهولة واليسر بين الحرة الواحدة
وبين الاماء من غير حصر ولا توقيت عدد ولعمري انهن اقل تبعة واقصر شعبا
واخف مؤنة من المهاير لا عليك اكثرت منهن او اقللت عدلت بينهن في القسم
او لم تعدل عزلت عنهن ام لم تعزل وقرا ابن ابي عبلة من ملكت ذلك اشارة
الى اختيار الواحدة والتسري ادنى ان لا تعولوا اقرب من ان لا تميلوا من قولهم
عال الميزان عولا اذا مال وميزان فلان عايل وعال الحاكم في حكمه اذا جار وروي
ان اعرابيا حكم عليه حاكم فقال له اتعول علي وقد روت عايشة رضي الله عنها عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تعولوا الا تجوروا والذي يحكى عن الشافعي رضي الله عنه
انه فسر الا تعولوا الا تكثر عيالكم فوجهه ان يجعل من قولك عال الرجل عياله يعولهم
كقولك مانهم يمونهم اذا انفق عليهم لان من كثر عياله لزمه ان يعولهم وفي ذلك
ما يصعب عليهم المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال والرزق الطيب
وكلام مثله من اعلام العلم وايمة الشرع ورؤوس المجتهدين حقيق بالحمل على الصحة
والسداد وان لا يظن به تحريف تعيلوا الى تعولوا فقد روي عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه لا تظنن بكلمة خرجت من في اخيك سواء وانت تجد لها في الخير
محملا وكفى بكتابنا شافي العي من كلام الشافعي شاهدا بانه كان من تصنيف جار الله
كعبا واطول باعا في علم كلام العرب من ان يخفى عليه مثل هذا ولكن للعلماء
طرقا واساليب فسلك في تفسير هذه الكلمة مسلك الكنايات فان قلت
كيف يقل عيال من تسرى وفي السراري نحو ما في المهاير قلت ليس كذلك لان الغرض
بالتزوج التوالد والتناسل بخلاف التسري ولذلك جاز العزل عن السراري بغير
اذنهن فكان التسري مظنة لقلة الولد بالاضافة الى التزوج كتزوج الواحدة
بالاضافة الى تزوج الاربع وقرا طاوس ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا
كثر عياله وهذه القراة تعضد تفسير الشافعي رحمه الله من حيث المعنى
الذي قصده صدقاتهن مهورهن وفي حديث شريح قضى ابن عباس لها
بالصدقة وقرئ صدقاتهن بفتح الصاد وسكون الدال على تخفيف صدقاتهن
وصدقاتهن بضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة بوزن غرفة وقرئ
صدقتهن بضم الصاد والدال على التوحيد وهو تثقيل صدقة كقولك في
ظلمة ظلمة نحلة من نحله كذا نحلة اذا اعطاه اياه ووهبه له عن طيبة

من نفسه نحلة ونحلا ومنه حديث ابي بكر رضي الله عنه اني كنت نحلتك جداد
عشرين وسقا بالعالية وانتصابها على المصدر لان النحلة والايتاء معنى
الاعطاء فكانه قيل واتوا النساء صدقاتهن نحله اي اعطوهن ذلك
عن طيبة انفسكم او على الحال من المخاطبين اي انتم ذوو نحلة
طيبي النفوس بالاعطاء ومن الصدقات اي منحولة معطاة عن طيبة
وقيل نحلة من الله عطية من عنده وتفضلا منه عليهن وقيل النحلة
الملة ونحلة الاسلام خير النحل وفلان ينتحل كذا اي يدين به والمعنى اتوهن
مهورهن ديانة على انها مفعول لها ويجوز ان يكون حالا من الصدقات اي
دينا من الله شرعه وفرضه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا
ياخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيئا لك الناقة لمن تولد له بنت
يعنون تاخذ مهرها فتنفق به مالك اي تعطفه الضمير في منه جار مجرى اسم
الاشارة كانه قيل عن شيء من ذلك كما قال تعالى قل اونبئكم بخير من ذلكم بعد
ذكر الشهوات ومن اتجح المسموعة من افواه العرب ما روي عن رؤبة انه
قيل له في قوله كانه في الحلد توليع البهق فقال اردت كان ذلك او توجع
الى ما هو في معنى الصدقات وهو الصداق لانك لو قلت واتوا النساء
صداقهن لم تخل بالمعنى فهو نحو قوله فاصدق وكن من الصالحين كانه
قيل اصدق ونقدا تمييز وتوحيدها لان الغرض بيان الجنس والواحد
يدل عليه والمعنى فان وهبن لكم شيأ من الصداق وجاءت عنه لقوسمن
طيبات غير مختشات بما يضطرهن الى الهبة من شكاسة اخلاقكم وسوء
معاشرتكم فكلوه فانفقوه قالوا فان وهبت له ثم طلبت منه بعد الهبة
علما انها لم تطب عنه نفسا وعن الشعبي ان رجلا اتى مع امراته شريحا
في عطية اعطتها اياه وهي تطلب ان ترجع فقال شريح رد عليها فقال الرجل
اليس قد قال الله تعالى فان طبن لكم قال لو طابت نفسها عنه لما رجعت فيه
وعنه اقيلها فيما وهبت ولا اقيله لانهن يخدعن وحكى ان رجلا
من اهل البصرة اعطته امراته الف دينار صداقا فاقبلها عليه فلبث شهرا
ثم طلقها فخاصمته الى عبد الملك بن مروان فقال الرجل اعطتني طيبة بها
نفسها فقال عبد الملك فاين الاية التي بعدها فلا تاخذ وا منه شيأ
ارد عليها وعن عمر رضي الله عنه انه كتب الى قضاته ان النساء يعطين
رغبة ورهبة فايما امراة اعطت ثم ارادت ان ترجع فذلك لها وعن ابن عباس

ان

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الاية فقال اذا جادت لزوجها بالعطية
طايعة غير مكرهة لا يقضي به عليكم سلطان ولا يواخذكم الله به في الاخرة
وروي ان ناسا كانوا يتاثمون ان يرجع احدهم في شيء مما ساق الى امراته فقال الله تعالى
ان طابت نفس واحدة من غير اكراه ولا اخذ بعزة فكلوه سايغا هنيا فالاية
دليل على ضيق المسلك في ذلك ووجوب الاحتياط حيث بني الشرط على طيب النفس
فقيل فان طبن ولم يقل فان وهبن او سمحن اعلاما بان المراعى هو تجافي
نفسها عن الموهوب طيبه وقيل فان طبن لكم عن شيء منه ولم يقل فان طبن لكم
عنه تبعثا لهن على تقليل الموهوب وعن الليث بن سعد لا يجوز تبرع المراة
بالبضع وعن الاوزاعي لا يجوز تبرعها ما لم تلد في بيت زوجها سنة ويجوز
ان يكون قد ذكر الضمير ليصرف الى الصداق الواحد فيكون منتا ولا بعضه
ولو انث لتناول ظاهره هبة الصداق كله لان بعض الصدقات واحدة
منها فصاعدا والهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ واذا كان سائغا
لا تغيص فيه وقيل الهنيء ما يلذه الاكل والمريء ما تحمد عاقبته وقيل هو ما
ينساغ في مجراه وقيل لمدخل الطعام في الحلقوم الى ثم المعدة المريء لمرور
الطعام فيه وهو انسياغه وهما وصف للمصدر اي اكلا هنيا مريا او للعين
الدعة او حال من الضمير اي كلوه وهو هني مري وقد يوقف على فكلوه
ويبتدا هنيا مريا على الدعاء وعلى انهما صفتان اقيمتا مقام المصدرين
كانه قيل هنا مرءا وهذه عبادة عن التحليل والمبالغة في الاباحة
وازالة التبعة السفهاء المبذرون اموالهم الذين يتفقونها فيما لا ينبغي ولا
يدري لهم باصلاحها وتثميرها والتصرف فيها والخطاب للاولياء واضافة الاموال
اليهم لانها مما جعل الله بقيام به الناس معايشهم كما قال ولا تقتلوا انفسكم فيما
ملكت ايمانكم فتياتكم الموصيات والدليل على انه خطاب للاولياء اضافة اموال
اليتامى في قوله وارزقوهم فيها واكسوهم جعل الله لكم قياما اي يقومون بها
وتتعيشون ولو ضيعتموها لضعتم فكانها في القسمة قيامكم وانتعاشكم وروي
قياما بمعنى قواما كما جاء عودا بمعنى عيادا وقرا عبد الله بن عمر قواما بالواو
وقوام الشيء ما يقام به كقولك هو ملاك الامر لما يملك به وكان السلف يقولون
المال سلاح المومن ولان انزل ما احاسبني الله عليه خير من ان احتاج الى
الناس وعن سفين وكانت له بضاعة يغلبها لولاها لتمدل بني بنوا العباء
وعن غيره وقيل له انما تدنيك من الدنيا لقد صانتني عنها وكانوا يقولون اجروا

قال الصحيح لتملك عليها لان المراد المدبر
اي رفعه او توقفه الاولى لانه

شرط وجزاء واقعة جوابا للشرط الاول الذي هو اذا بلغوا النكاح فكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وقرأ ابن مسعود فان احسستم بمعنى احسستم قال احسن به فهن اليه شوس وقرئ رَشَدا الفتحتين ورُشُدا بضمتين اسرافا وبدارا مسرفين ومبادرين كبرهم اولاسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون بانفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل ان يكبروا اليتامى فيستردوها فايد بنا ثم قسم الامرين ان يكون الوصي غنيا وبين ان يكون فقيرا فالغني يستعف عن اكلها ولا يطعم ويقتنع بما رزقه الله من الغنى استفافا على اليتيم وابقاء على ماله والفقير ياكل قوتا مقدرا محتاطا في تقديره على وجه الاجرة او استقراضا على ما في ذلك من الاختلاف ولفظ الاكل بالمعروف والاستعفاف مما يدل على ان يكون للوصي حقا لقيامه عليها وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال ان في حجري يتيما افاكل من ماله قال بالمعروف غير متاثل مالا ولا واق مالك بماله قال افاضربه قال ما كنت ضاربا منه ولدك وعن ابن عباس ان ولي اليتيم قال له افاشرب من لبن ابله قال ان كنت تبغي ضالتها وتلوط حوضها وتهنأ جرباها وتسقيها يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك للحلب وعنه يضرب بيده مع ايديهم فيأكل بالمعروف ولا يلبس عمامة ولا قلنسوة وعن ابرهيم لا يلبس الكتان والحلل ولكن ما سد الجوعة ووارى العورة وعن مجاهد كالمستأجر يأكل بقدر ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول عند الضرورة وعن الشعبي يأكل ماله بقدر ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضي وعن مجاهد يستسلف فاذا أيسر قضى وعن سعيد بن جبير ان شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس ما تيسر من الثياب واخذ القوت ولا جناح فان ايسر قضاه وان اعسر فهو في حل وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اني انزلت نفسي من مال الله منزلة والي اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف واذا ايسرت قضيت واستعفف ابلغ من عف كانه طالب زيادة العفة فاشهدوا عليهم بانهم تسلموها وقبضوها وزيت عليهم ذلك لئلا يدعوا بعد من التحاصص والتجاحد واخذ بالامانة وبراءة الساحة الا ترى انه اذا لم يشهد فادعى عليه صدق مع اليمين عند ابي حنيفة واصحابه وعند مالك والشافعي لا يصدق الا ببينة فكان في الاشهاد الاستحراز من توجه الحلف المفضي الى التهمة او من وجوب الضمان اذا لم تقم البينة وكفى بالله حسيبا اي كافيا في الشهادة عليكم

وللرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا واذا حضر القسمة اولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث فان كان له اخوة فلامه السدس من بعد وصية يوصي بها او دين آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين وان كان رجل يورث كلالة او امرأة وله اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا ان يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا اتأخذونه بهتانا وإثما مبينا وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم كتاب الله عليكم واحل لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ان الله كان عليما حكيما ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات والله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن باذن اهلهن وآتوهن اجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخدان فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشي العنت منكم وان تصبروا خير لكم والله غفور رحيم يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون والذين عقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم ان الله كان على كل شيء شهيدا الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم ان الله كان عفوا غفورا الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون ان تضلوا السبيل والله اعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم واقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت وكان امر الله مفعولا ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما الم تر الى الذين يزكون انفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثما مبينا الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا ام لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابرهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ان الله كان عزيزا حكيما والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ثم جاءوك يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقا اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم في انفسهم قولا بليغا وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم واشد تثبيتا واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات او انفروا جميعا وان منكم لمن ليبطئن فان اصابتكم مصيبة قال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وارسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم الذي تقول والله يكتب ما يبيتون فاعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا والله اشد بأسا واشد تنكيلا من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها ان الله كان على كل شيء حسيبا الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا فما لكم في المنافقين فئتين والله اركسهم بما كسبوا اتريدون ان تهدوا من اضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق او جاءوكم حصرت صدورهم ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم كل ما ردوا الى الفتنة ركسوا فيها فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله الا ان يصدقوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا اسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فاذا اطمأننتم فاقيموا الصلاة ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ولا تكن للخائنين خصيما واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة ام من يكون عليهم وكيلا ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا ان يدعون من دونه الا اناثا وان يدعون الا شيطانا مريدا لعنه الله وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولاضلنهم ولامنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا اولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا ومن اصدق من الله قيلا ليس بأمانيكم ولا امانى اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابرهيم حنيفا واتخذ الله ابرهيم خليلا ولله ما في السموات وما في الارض وكان الله بكل شيء محيطا ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون ان تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وان تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا والصلح خير واحضرت الانفس الشح وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما ولله ما في السموات وما في الارض ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض وكان الله غنيا حميدا ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا ان يشأ يذهبكم ايها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعا بصيرا يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وكان الله سميعا عليما ان تبدوا خيرا او تخفوه او تعفوا عن سوء فان الله كان عفوا قديرا ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اولئك سوف يؤتيهم اجورهم وكان الله غفورا رحيما يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت واخذنا منهم ميثاقا غليظا فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا واخذهم الربا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا وكان ذلك على الله يسيرا يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض وكان الله عليما حكيما يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤا هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين يبين الله لكم ان تضلوا والله بكل شيء عليم

بالدفع والقبض او محاسبا فعليكم بالتصادق واياكم والتكاذب الاقربون هم المتوارثون من ذوي القرابات دون غيرهم مما قل منه او كثر بدل مما ترك بتكرير العامل ونصيبا مفروضا نصب على الاختصاص يعني اعني نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا لابد من ان يحرزوه ولا يستأثر به ويجوز ان ينتصب انتصاب المصدر المؤكد كقوله فريضة من الله كانه قيل قسمة مفروضة روي ان اوس بن صامت الانصاري ترك امرأته ام كحة وثلث بنات فروي ابناء عمه سويد وعرفجة وقتادة وغوى ميراثه عنهن وكان اهل الجاهلية لا يورثون النساء والاطفال ويقولون لا يرث الا من طاعن بالرماح وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة فجاءت ام كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا يفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى بين فنزلت يوصيكم الله فاعطى ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي بين ابني العم واذا حضر القسمة اي قسمة الترکة اولو القربى ممن لا يرث فارزقوهم منه الضمير لما ترك الوالدان والاقربون وهو امر على الندب قال الحسن كان المؤمنون يفعلون ذلك اذا اجتمعت الورثة حضر هؤلاء فاعطوهم شيئا من الترکة فامضوا لهم ما طابت به انفس الورثة فخصهم الله على ذلك تأديبا من غير ان يكون فريضة قالوا ولو كان فريضة لعرف لها حد ومقدار كالغيره من الحقوق وروي ان عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنه قسم ميراث ابيه وعائشة رضي الله عنها حية فلم يدع في الدار احدا الا اعطاه وتلا هذه الاية وقيل هو على الوجوب وقيل هو منسوخ بآية الميراث كالوصية وعن سعيد بن جبير ان ناسا يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنها مما تهاون به الناس والقول المعروف ان يلطفوا لهم القول ويقولوا خذ ما بارك الله عليكم ونحو هذا واعتذروا اليهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يسترذلوه ولا يمنوا عليهم وعن الحسن والنخعي ادركنا الناس وهم لا يسمون على القرابات والمساكين واليتامى من العين يعني ان الورق والذهب فاذا قسم الورق والذهب وصارت القسمة الى الارضين والدور وما اشبه ذلك قالوا لهم قولا معروفا كأن يقولون لهم بورك فيكم لوفق ما في حيزه صلة للذين والمراد بهم الاوصياء امروا بان يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى ويشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم صعافا فشفقتهم عليهم فان يقدروا ذلك في انفسهم ويصوروه حتى لا يجروا

على خلاف

على خلاف الشفقة والرحمة ويجوز ان يكون المعنى وليخشوا على اليتامى من الضياع وقيل هم الذين يجلسون الى المريض فيقولون ان ذريتك لا يغنون عنك من الله شيئا فقدم ما لك فيستغرقه بالوصايا فامروا بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولاد انفسهم لو كانوا ويجوز ان يتصل بما قبله وان يكون امرا للورثة بالشفقة على الذين يحضرون القسمة من ضعفاء اقاربهم واليتامى والمساكين وان يتصوروا انهم لو كانوا اولادهم يقوا خلفهم صغارا يعني محتاجين هل كانوا يخافون عليهم الحرمان والخيبة فان قلت ما معنى وقوع لو تركوا وجوابه صلة للذين قلت معناه وليخش الذين صفتهم وحالهم انهم لو شارفوا ان يتركوا خلفهم ذرية ضعافا وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب كافلهم وكاسبهم كما قال القائل

لقد زاد الحياة الي حبا بناتي انهن من الضعاف

احاذر ان يرين البؤس بعدي وان يشربن رنقا بعد صافي

وقرئ ضعفاء وضعافا وضعافي بحوسكاري وسكاري والقول السديد من الايصياء ان لا يؤذوا اليتامى ويكلموهم كما يكلون اولادهم بالادب الحسن والترحيب ويدعوهم يا بني ويا ولدي ومن الجائز ان يدخل في القول السديد اذا اراد الوصية لا تسرف في وصيتك فتحرم اولادك مثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد انك ان تترك ولدك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس وكان الصحابة يستحبون ان لا تبلغ الوصية الثلث وان الخمس افضل من الربع والربع افضل من الثلث ومن المنقاس ميراثهم ان يلطفوا القول ويحملوه للجاهل من طلب ظالمين او على وجه الظلم من اولياء السوء وقضاته في بطونهم ملاء بطونهم بقال اكل فلان في بطنه وفي بعض بطنه قال كلوا في بعض بطنكم تعفوا ومعنى يأكلون نارا يأكلون ما يجر الى النار فكأنه نار في الحقيقة وروي انه يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا وقرئ سيصلون بضم الياء وتخفيف اللام وتشديدها سعيرا نارا ان الميراث مبهمة الوصف يوصيكم الله يعهد اليكم ويأمركم او الذكر في شان ميراثهم ما هو العدل والمصلحة وهذا اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين فان قلت هلا قيل للانثيين مثل حظ الذكر او للانثى نصف حظ الذكر قلت ليبدأ ببيان حظ الذكر لفضله ولضعف حظه لذلك ولان

وفي المقاسين عطف على قوله الاوصياء وهو اشارة الى الغير الثالث

للذين يخشون ويحتمل ان يكون خطابا للاوصياء اي كلفوا اهلكم واستأمله الى الله اي اقتلهم الخشية واذهبت اموالهم

قوله للذكر مثل حظ الانثيين قصد الى بيان فضل الذكر فقولك للانثيين مثل حظ الذكر
قصد الى بيان نقص الانثى وما كان قصدا الى بيان فضله كان ادل على فضله
من القصد الى بيان نقص غيره عنه ولانهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث
وهو السبب لورود الاية فقيل كفى الذكور ان ضوعف لهم نصيب الاناث فلا يتمادى
في حظهن حتى يحرمن مع ادلائهن من القرابة مثل ما يدلون به فان قلت فان
حظ الانثيين الثلثان فكانه قيل للذكر الثلثان قلت اريد حال الاجتماع لا
الانفراد اي اذا اجتمع الذكر والانثيان كان له سهمان كما ان لها سهمين واما في
حال الانفراد فالابن ياخذ المال كله والبنتان ياخذان الثلثين والدليل عليه
ان الغرض حكم الاجتماع انه اتبعه حكم الانفراد وهو قوله فان كن نساء فوق
اثنتين فلهن ثلثا ما ترك والمعنى للذكر منهم اي من اولادكم فحذف الراجع اليه
لانه مفهوم كقولهم السمن منوان بدرهم فان كن نساء فان كانت البنات او
المولودات نساء خلصا ليس معهن رجل يعني بنات ليس معهن ابن فوق
اثنتين يجوز ان يكون خبرا ثانيا لكان وان يكون صفة لنساء اي نساء اكثر
على اثنتين وان كانت واحدة وان كانت البنت المولودة منفردة فلها منهما
اخرى فلها النصف وقرئ واحدة بالرفع على كان التامة والقراءة بالنصب
اوفق لقوله تعالى فان كن نساء وقرا زيد بن ثابت النصف بالضم والضمير في
ترك للميت لان الاية لما كانت في الميراث علم ان التارك هو الميت فان قلت
قوله للذكر مثل حظ الانثيين كلام فوق لبيان حظ الذكر من الاولاد لا لبيان حظ
الانثيين فكيف صح ان يرد قوله فان كن نساء وهو لبيان حظ الاناث قلت
وان كان هو في البيان حظ الذكر الا انه لما فقه منه وتبين حظ الانثيين مع
اخيهما كان كانه فوق للامرين جميعا فلذلك صح ان يقال فان كن نساء
فان قلت هل يصح ان يكون الضمير ان في كن وكانت مبهمين ويكون نساء
وواحدة مفسرا لهما على ان كان تامة قلت لا اعهد ذلك فان قلت
فان كن نساء ولم يقل وان كانت اواه قلت لان الغرض تثنة خلوصهن
اناثا لا ذكر فيهن ليميزين ما ذكر اجتماعهن مع الذكر في قوله للذكر مثل حظ
الانثيين وبين انفرادهن واريد ها هنا ان يميزين كون البنت مع غيرها
وبين كونها وحدها لا قرينة لها فان قلت قد ذكر حكم البنتين في حال اجتماعهما
مع الابن وحكم البنات والبنت في حال الانفراد ولم يذكر حكم البنتين في حال
الانفراد فما حكمهما وما باله لم يذكر قلت اما حكمهما فمختلف فيه فابن عباس

اي تنزيلها منزلة الجماعة لقوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين فاعطاها حكم
الواحدة وهو ظاهر مكشوف واما سائر اصحابه فقد اعطوهما حكم الجماعة
والذي يعلل به قولهم ان قوله للذكر مثل حظ الانثيين قد دل على ان حكم الاثنين
حكم الذكر ذلك ان الذكر كما حوز الثلثين مع الواحدة فالابنتان كذلك
تحوز ان الثلثين فلما ذكر ما يدل على حكم الانثيين قيل فان كن نساء فوق
اثنتين فلهن ثلثا ما ترك كعلى معنى فان كن جماعة بالغات ما بلغن من
العدد فلهن ما للاثنتين وهو الثلثان لا يتجاوز به للكثرتين لتعلم ان حكم
الجماعة حكم الثلثين بغير تفاوت وقيل ان البنتين امسرحا بالميت
من الاختين فاوجب لهما ما اوجب لله للاختين ولم يروا ان يقصروا بهما
عن حقا هو ابعد حقا منها وقيل ان البنت لما وجب لها مع اخيها الثلث
كان احرى ان يجب لها الثلث اذا كانت مع اخت مثلها ويكون لاحتمامعها مثل
ما كان يجب لها ايضا مع اخيها لو انفردت معه فوجب لها الثلثان ولابويه
الصفر للميت لكل واحد منهما بدل من لابويه بتكرير العامل وفايدة هذا
البدل انه لو قيل ولابويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه ولو
قيل لابويه السدسان لاوهم قسمة السدسين عليهما على التسوية وعلى خلافها
فان قلت مهلا قيل ولكل واحد من ابويه السدس واي فايدة في ذكر
الابوين او لا ثم في الابدال منهما قلت لا في الابدال والتفصيل بعد
الاجمال تاكيدا وتشديدا كالذي تراه في الجمع بين المفسر والتفسير والسدس
مبتدا وخبره لابويه والبدل متوسط بينهما للبيان وقرا الحسن وقتادة
بن مبرز السدس بالتخفيف وكذلك الثلث والربع والثمن والولد يقع على
الذكر والانثى ويختلف حكم الاب في ذلك فان كان ذكرا اقتضم الاب على السدس
وان كان انثى عصب مع اعطاء السدس فان قلت قد بين حكم الابوين
في الارث مع الولد ثم حكمهما مع عدمه فهلا قيل فان لم يكن له ولد فلامه
الثلث واي فايدة في قوله وورثه ابواه قلت معناه فان لم يكن له ولد وورثه
ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك كما قال لكل واحد منهما السدس مما
ترك لانه اذا ورثه ابواه مع احد الزوجين كان للام ثلث ما بقي بعد اخراج نصيب
الزوج لا ثلث ما ترك الا عند ابن عباس والمعنى ان الابوين اذا خلصا
تقاسما الميراث للذكر مثل حظ الانثيين فان قلت ما العلة في ان كان لها ثلث
ما بقي دون ثلث المال قلت فيه وجهان احدهما ان الزوج اذا استحق ما يسهم له

وروي الحلواني عن الدوري عن ابن اسحاق الهاشمي
انه قال للام الثلث فقط بان الذكر والانثى في الثلثين سواء
وللانثى مثلا حظ الذكر والانثى في الثلثين سواء وكان
الثلثين فاعلم الله سوى بان الذكر والانثى في الثلثين
الثلثين لهن الثلثان

بحق العقد لا بالقرابة فاشبه الوصية في قسمة ما وراءه والثاني ان الاب اقوى في
الارث من الام بدليل انه يضعف عليها اذا خلصا ويكون صاحب فرض
عصبة وجامعا بين الامرين فلو ضرب لها الثلث كمالا لادى الى حط نصيبه
عن نصيبها الا ترى ان امراة لو تركت زوجا وابوين فطار للزوج النصف
وللام الثلث والباقي للاب حازت الام سهمين والاب سهما واحدا فينقلب
الحكم الى ان يكون للانثى مثل حظ الذكرين فان كان له اخوة فلامه السدس
الاخوة يحجبون الام عن الثلث وان كانوا لا يرثون مع الاب فيكون لها السدس
وللاب خمسة الاسداس ويستوي في الحجب الاثنان فصاعدا الا عند
ابن عباس وعنه انهم ياخذون السدس الذي حجبوا عنه الام فان
قلت فكيف صح ان يتناول الاخوة الاخوين والجمع خلاف التثنية قلت
الاخوة تفيد معنى الجمعية المطلقة بغير كمية والتثنية كالتثليث
والتربيع في افادة الكمية وهذا موضع الدلالة على الجمع المطلق فدل
بالاخوة عليه وقرئ فلامه بكسر الهمزة اتباعا للجرة الا تراها لا تكسر في قوله
وجعلنا ابن مريم وامه اية من بعد وصية متعلق بما تقدمه
من قسمة المواريث كلها لا بما يليه وحده كانه قيل قسمة هذه الانصباء
من بعد وصية يوصى بها وقرئ يوصي بالتخفيف وبالتشديد ويوصى بها
على البناء للمفعول مخففا فان قلت ما معنى او قلت معناها الاباحة
وانه ان كان احدهما او كلاهما قدم على قسمة الميراث كقولنا جالس الحسن
او ابن سيرين فان قلت لم قدمت الوصية على الدين والدين مقدم
عليها في الشريعة قلت لما كانت الوصية مشبهة للميراث في كونها ماخوذة
من غير عوض كان اخراجها مما يشق على الورثة ويتعاظمهم ولا تطيب انفسهم
بها فكان اداؤها مظنة التفريط بخلاف الدين فان نفوسهم مطمئنة الى ادائه
فلذلك قدمت على الدين بعثا على وجوبها والمسارعة الى اخراجها مع
الدين ولذلك جيء بكلمة او للتسوية بينهما في الوجوب ثم اكد ذلك ورغب
فيه بقوله اباؤكم وابناؤكم اي لا تدرون من انفع لكم من ابائكم وابنائكم
الذين تموتون ام من اوصى منهم ام من لم يوص يعني ان من اوصى ببعض
ماله فعرضكم لثواب الاخرة بامضاء وصيته فهو اقرب لكم نفعا واحضر
جدوى ممن ترك الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب الاخرة
اقرب واحضر من عرض الدنيا ذهابا الى حقيقة الامر لان عرض الدنيا

وان

وان كان عاجلا قريبا في الصورة الا انه فان فهو في الحقيقة الابعد الاقصى وثواب
الاخرة وان كان اجلا الا انه باق فهو في الحقيقة الاقرب الادنى وقيل ان
الابن ان كان ارفع درجة من ابيه في الجنة سال ان يرفع ابوه اليه فيرفع
وكذلك الاب ان كان ارفع درجة من ابنه سال ان يرفع ابنه اليه
فانتم لا تدرون في الدنيا ايهم اقرب لكم نفعا وقيل قد فرض الله الفرايض
على ما هو عنده حكمة ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم لكم انفع فوضعتم
انتم الاموال على غير حكمة وقيل الاب يجب عليه النفقة على الابن اذا احتاج
وكذلك الابن اذا كان محتاجا فهما في النفع بالنفقة لا يدري ايهم اقرب نفعا
وليس شيء من هذه الاقاويل بملايم للمعنى ولا بمحاوب له لان هذه الجملة
اعتراضية ومن حق الاعتراض ان يوكد ما اعترض بينه ويناسبه
والقول ما تقدم فريضة نصب نصب المصدر الموكد اي فرض ذلك
فرضا ان الله كان عليما بمصالح خلقه حكيما في كل ما فرض وقسم من المواريث
وغيرها فان كان لهن ولد منكم او من غيركم جعلت المراة على النصف من الرجل
بحق الازواج كما جعلت كذلك بحق النسب والواحدة والجماعة سواء في
الربع والثمن وان كان رجل يعني الميت ويورث من ورث اي يورث
منه وهو صفة لرجل وكلالة خبر كان اي وان كان رجل موروث منه كلالة
او يجعل يورث خبر كان وكلالة حالا من الضمير في يورث وقرئ يورث ويورث بالتخفيف
والتشديد على البناء للفاعل وكلالة حال او مفعول به فان قلت ما الكلالة
قلت ينطلق على ثلثة على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بولد ولا والد
من المخلفين وعلى القرابة من غير جهة الولد والوالد ومنه قولهم ما ورث المجد
عن كلالة كما تقول ما صمت عن عي وما كف عن جبن والكلالة في الاصل مصدر
بمعنى الكال وهو ذهاب القوة من الاعيا قال الاعشى فاليت لا ارثي لها
من كلالة فاستعيرت للقرابة من غير جهة الولد والوالد لانها بالاضافة الى قرابتهما
كالة ضعيفة واذا جعل صفة للمورث او الوارث فبمعنى ذي كالة كما تقول فلان
من قرابتي يريد من ذوي قرابتي ويجوز ان يكون صفة كالهلباجة والفقاقة للاحمق
فان قلت فان جعلتهما اسما للقرابة في الاية فعلام تنصبها قلت على انها مفعول
له اي يورث لاجل الكلالة او يورث غيره لاجلها فان قلت فان جعلت يورث
على البنا للمفعول من اورث فما وجهه قلت الرجل حينئذ هو الوارث لا المورث
فان قلت فالضمير في قوله فلكل واحد منهما الى من يرجع حينئذ قلت الى الرجل

والي اخيه اواخته وعلي الاول اليها فان قلت اذا رجع الضمير اليها افاد استواءهما
في حيازة السدس من غير مفاضلة الذكر الانثي فهل بقي هذه الفايدة قايمة
هذا الوجه قلت نعم لانك اذا قلت للسدس له اولواحد من الاخ او الاخت
علي التخيير فقد سويت بين الذكر والانثي وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه
انه سئل عن الكلالة فقال اقول فيه برايي فان كان صوابا فمن الله وان كان
خطاء فمني ومن الشيطان والله منه بريء الكلالة ماخلا الولد والوالد
وعن عطاء والضحاك ان الكلالة هو الموروث وعن سعيد بن جبير هو
الوارث وقد اجمعوا علي ان المراد اولاد الام ويدل عليه قراءة ابي وله اخ
او اخت من الام وقراءة سعد بن ابي وقاص وله اخ او اخت من ام وقيل
انما استدل علي ان الكلالة ها هنا الاخوة للام خاصة بما ذكر في اخر السورة من
ان للاختين الثلثين وان للاخوة كل المال فعلم ها هنا ما جعل للواحد
السدس وللاثنين الثلث ولم يزادوا علي الثلث شيئا انه يعني بهم الاخوة
للام والافالكلالة عامة لمن عدا الولد والوالد من سايرالاخوة الاخياف
والاعيان واولادهم وغيرهم غير مضار حال اي يوصي بها وهو غير مضار
لورثته وذلك ان يوصي بزيادة علي الثلث او يوصي بالثلث فما دونه وثلثه
مضارة ورثته ومعاضلتهم لاوجه الله وعن قتادة كره الله الضرار
في الحيوة وعند الممات ونهي عنه وعن الحسن المضارة في الدين ان يوصي
بدين ليس عليه ومعناه الاقرار وصية من الله مصدر مؤكد اي
يوصيكم بذلك وصية كقوله فريضة من الله ويجوز ان يكون منصوبة
بغير مضار اي لايضار وصية من الله وهو الثلث فما دونها بزيادته علي
الثلث اووصية من الله بالاولاد وان لايدعهم عالة باسرافه في الوصية
وسنر هذا الوجه قراءة الحسن غير مضار وصية من الله بالاضافة والله
عليم بمن جار او عدل في وصيته حليم عن الجاير لا يعاجله وهذا وعيد
فان قلت في يوصي ضمير الرجل اذا جعلته الموروث فكيف تعمل اذا جعلته
الوارث قلت كما علمت في قوله تعالي فلهن ثلثا ما ترك لانه علم ان التارك
والموصي هو الميت فان قلت فابن هذا والحال فيمن قرا يوصي بالبناء للمفعول
فاعله قلت تضمن يوصي فينتصب عن فاعله كانه لما قيل يوصي بها علم
ان ثم موصيا كما قال يسبح له فيها بالبناء للمفعول علم ان ثم مسبحا فاضمر مسبح
فكما كان رجال فاعل ما يدل عليه يسبح كان غير مضار حالا عما يدل عليه يوصي

بها

بها تلك اشارة الي الاحكام التي ذكرت في باب اليتامي والوصايا والمواريث
وسماها حدودا لان الشرايع كالحدود المعزوبة للمكلفين لايجوز
لهم ان يتجاوزوها ويتخطوها الي ما ليس لهم بحق يدخله قري بالياء والنون
وكذلك يدخله نارا وقيل يدخله وخالدين حملا علي لفظ من ومعناه
وانتصب خالدين وخالدا علي الحال فان قلت هل جوز ان يكونا صفتين
لجنات ونارا قلت لا لانها جريا علي غير من هي له ولابد من الضمير وهو قولك
خالدين هم فيها وخالدا هو فيها ياتين الفاحشة يرتكبنها يقال اتي
الفاحشة وجاءها وغشيها بمعني وفي قراءة بن مسعود ياتين الفاحشة
والفاحشة الزنا لزيادتها في القبح علي كثير من القبايح فامسكوهن في البيوت
قيل منعناه فخلد وهن محبوسات في بيوتكم وكان ذلك عقوبتين في اول
الاسلام ثم نسخ بقوله تعالي الزانية والزاني الاية وجوز ان تكون غير منسوخة بان يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصي بامساكهن
في البيوت بعد ان تحد ان صيانة لهن عن مثل ما جري عليهن بسبب الخروج
من البيوت والتعرض للرجال او يجعل الله لهن سبيلا هو النكاح الذي
يستغنين به عن السفاح وقيل السبيل هو الحد لانه لم يكن شرع في ذلك
الوقت فان قلت ما معني يتوفاهن الموت والتوفي والموت بمعني واحد
كانه قيل حتي يميتهن الموت قلت يجوز ان يراد حتي يتوفاهن ملايكة الموت
كقوله تعالي الذين تتوفاهم الملايكة ان الذين توفيهم قل يتوفاكم ملك الموت
او حتي يأخذهن الموت ويستوفي اجلهن واللذان يأتيانها منكم يريد
الزاني والزانية فاذوهما فوبخوهما وذموهما وقولوا لهما اما استحييتما
اما خفتما الله فان تابا واصلحا وغيرا الحال فاعرضوا عنهما واقطعوا
التوبيخ والمذمة فان التوبة تمنع استحقاق الذم والعقاب ويحتمل ان
يكون خطابا للشهود والعاثرين علي سرهما ويراد بالايذاء ذمهما وتعنيفهما
وتهديدهما بالرفع الي الامام والحد فان تابا قبل الرفع الي الامام فاعرضوا
عنهما ولاتعرضوا لهما وقيل نزلت الاولي في النساء والثانية في الرجال
وقرئ واللذان بتشديد النون واللذ ان بالهمزة وتشديد النون التوبة
من تاب الله عليه اذا قبل توبته وغفر له يعني انا القبول والغفران
واجب علي الله لهؤلاء بجهالة في موضع الحال اي يعملون السوء جاهلين
سفها لان ارتكاب القبيح لما يدعوا اليه السفه والشهوة لا لما تدعوا اليه الحكمة

والعقل وعن مجاهد من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته من قريب من زمان
قريب والزمان القريب ما قبل حضرة الموت الا ترى الى قوله حتى اذا حضر احدهم الموت
فبين ان وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراء
ذلك بحكم القريب وعن ابن عباس بل ان ينزل به سلطان الموت وعن الضحاك
كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن النخعي ما لم يوخذ بكظمه وروى ابو ايوب
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعن عطاء
ولو قبل موته بفواق ناقة وعن الحسن ان ابليس قال حين اهبط الى الارض وعزتك
لا افارق ابن ادم ما دام روحه في جسده فقال وعزتي لا اغلق عليه باب التوبة
ما لم يغرغر فان قلت ما معنى قوله من في قوله من قريب قلت التبعيض اي
يتوبون بعض زمان قريب كانه سمى ما بين وجود المعصية وما بين حضرة الموت
زمانا قريبا ففي اي جزء تاب من اجزاء هذا الزمان فهو تايب من قريب والا فهو
تايب من بعيد فان قلت ما فايدة قوله فاوليك يتوب الله عليهم بعد قوله انما
التوبة على الله لهم قلت قوله انما التوبة على الله اعلام بوجوبها عليه كما يجب على
العبد بعض الطاعات وقوله فاوليك يتوب الله عليهم عدة بانه يفي بما وجب
عليه واعلام بان الغفران كاين لا محالة كما يعد العبد الوفا بالواجب ولا الذين
يموتون عطف على الذين يعملون السيات سوى بين الذين سوفوا توبتهم الى
حضرة الموت وبين الذين ماتوا على الكفر في انه لا توبة لهم لان حضرة الموت اول
احوال الاخرة فكما ان المايت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك المسوف
الى حضرة الموت لمجاوزة كل واحد منهما اوان التكليف والاختيار اوليك اعتدنا
لهم في الوعيد نظير قوله فاوليك يتوب الله عليهم في الوعد ليتبين ان الامرين
كاينان لا محالة فان قلت من المراد بالذين يعملون السيات اهم الفساق من
اهل القبلة ام الكفار قلت فيه وجهان احدهما ان يراد الكفار لظاهر قوله
وهم كفار وان يراد الفساق لان الكلام انما وقع في الزانين والاعراض عنهما ان تابا
واصلحا ويكون قوله وهم كفار وارد على سبيل التغليظ كقوله ومن كفر فان
الله غني عن العالمين وقوله فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا من ترك الصلوة
متعمدا فقد كفر لان من كان مصدقا ومات وهو لا يحدث نفسه بالتوبة
حاله قريبة من حال الكافر لانه لا يجترى على ذلك الا قلب مصمت كانوا يبلون
النساء بضروب من البلايا ويظلمونهن بانواع من الظلم فزجروا عن ذلك
كان الرجل اذا مات له قريب من اب او اخ او حميم عن امراة القى ثوبه عليها

وقال انا

وقال انا احق بها من كل احد فقيل لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها اي ان تاخذوهن على
سبيل الارث كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك او مكرهات وقيل كان يمسكها حتى
تموت فقيل لا يحل لكم ان تمسكوهن حتى ترثوا منهن غير راضيات بامساككم وكان الرجل
اذا تزوج امراة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر لتفتدي منه بمالها وتختلع
فقيل ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن والعضل الحبس والتضييق ومنه
عضلت المراة بولدها اذا اختنقت رحمها به فخرج بعضه وبقي بعضه الا ان ياتين
بفاحشة مبينة وهي النشوز وشكاسة الخلق وايذاء الزوج واهله بالبذاء
والسلاطة اي الا ان يكون سوء العشرة من جهتهن فقد عذرتم في طلب الخلع
ويدل عليه قراءة ابي الا ان يفحشن عليكم وعن الحسن الفاحشة الزنا فان فعلت
حل لزوجها ان يسلها الخلع وقيل كانوا اذا اصابت امراة فاحشة اخذ منها ما
ساق اليها واخرجها وروي عن ابي قلابة ومحمد بن سيرين لا يحل الخلع حتى يوجد
رجل على بطنها وعن قتادة لا يحل له ان يحبسها ضرارا حتى تفتدي منه بعتي وان زنت
وقيل نسخ ذلك بالحدود وكانوا يسيئون معاشرة النساء فقيل لهم وعاشروهن
بالمعروف وهو النصفة في المبيت والنفقة والاجمال في القول فان كرهتموهن
فلا تفارقوهن لكراهة الانفس وحدها فربما كرهت النفس ما هو اصلح في الدين
واجمل وادنى الى الخير واحبت ما هو بضد ذلك ولكن للنظر في اسباب الصلاح
وكان الرجل اذا طمحت عينه الى استطراف امراة بهت التي تحته ورماها بفاحشة حتى
يلجيها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفها الى تزوج غيرها فقيل وان اردتم استبدال
زوج الاية والقنطار المال العظيم من قنطرت الشي اذا رفعته ومنه القنطرة لانها
بناء مشيد قال كقنطرة الرومي اقسم ربها لتكتنفن حتى تشاد بقرمد
وعن عمر رضي الله عنه انه قام خطيبا فقال ايها الناس لا تغالوا بصدق النساء
فلو كان مكرمة في الدنيا او تقوى عند الله لكان اولاكم بها رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما اصدق امراة اكثر من اثنتي عشرة اوقية فقامت اليه امراة فقالت يا امير
المومنين لم تمنعنا حقا جعله الله لنا والله يقول واتيتم احداهن قنطارا
فقال عمر رضي الله عنه كل احد اعلم من عمر ثم قال لاصحابه تسمعوني اقول
مثل هذا فلا تنكرونه علي حتى ترد علي امراة ليست من اعلم النساء والبهتان
ان تستقبل الرجل بامر قبيح تقذفه به وهو بري منه لانه يبهت عند ذلك اي يتحير
وانتصب بهتانا على الحال اي باهتين اثمين او على انه مفعول له وان
لم يكن غرضا كقولك قعد عن القتال جبنا والميثاق الغليظ حق الصحبة

والمضاجعة كانه قيل واخذن به منكم ميثاقا غليظا اي بافضاء بعضكم الى بعض
ووصفه بالغلظ لهوله وعظمته فقد قالوا الصحبة عشرين يوما قرابة فكيف
بما يجري بين الزوجين من الالحاد والامتزاج وقيل هو قول الولي عند العقد
انكحتك على ما امر الله تعالى به بمعروف او تسريح باحسان وعن النبي صلى
الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوان عندكم اخذتموهن
بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وكانوا ينكحون زوجات آبائهم وناس
منهم مقتونه من ذوي مروآتهم ويسمونه نكاح المقت وكان المولود عليه يقال له
المقتي ومنهم من يقول هو مقتا كانه قيل هو فاحشة في دين الله بالغة في القبح
قبيح ممقوت في المروءة ولا مزيد على ما يجمع القبيحين وقرئ لا تحل لكم بالتاء
على ان ترثوا معنى الوراثة وكرها بالفتح والضم لغتان كالكره والاكراه وقرئ نفاتا
مبينة بكسر الياء وفتحها وجعل الله بالرفع على انه في موضع الحال والتقدير
احديهن يوصل هرة احداهن كما قرئ قلتم عليه فان قلت لتعضلوهن
ما وجه اعرابه قلت النصب عطفا على ان ترثوا ولا لتاكيد النفي اي لا تحل لكم
ان ترثوا النساء ولا ان تعضلوهن فان قلت فاي فرق بين تعدية ذهب
بالباء وتلبثها بالهمزة قلت اذا عدي بالباء كان معناه الاخذ والاستصحاب
كقوله تعالى فلما ذهبوا به فاما الاذهاب فكالازالة فان قلت الا ان ياتين
ما هذا الاستثناء قلت هو استثناء من اعم عام الظرف والمفعول له
كانه قيل ولا تعضلوهن لعلة من العلل الا لعلة ان ياتين بفاحشة فان قلت من اي وجه
صح قوله فعسى ان تكرهوا جزاء للشرط قلت لرجحان المعنى فان كراهتهن
فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل الكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه فان
قلت كيف استثنى ما قد سلف نهيكم اياهم قلت كما استثنى غير ان شيوخهم
في قوله ولا عيب فيهم يعني ان امكنكم ان تنكحوا ما قد سلف فانكحوا فلا حرج
لكم غيره وذلك غير متمكن والغرض المبالغة في تحتمه وسد الطريق الى اباحته
كما يعلق بالمحال في التابيد في نحو قولهم حتى يبيض القار وحتى يلج الجمل في سم الخياط
معنى حرمت عليكم امهاتكم تحريم نكاحهن لقوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء
ولان تحريم نكاحهن هو الذي يفهم من تحريمهن كما يفهم من تحريم الخمر تحريم
تحريم الخنزير بتحريم اكله وقرئ وبنات الاخت بتخفيف الهمزة وقد نزل الله
الرضاعة منزلة النسب حتى صير المرضعة اما للرضيع والمرضعة اختا وكذلك

زوج المرضعة ابوه وابواه جداه واخته عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل
الارضاع وبعده فهم اخوته واخواته لابيه وام المرضعة جدته واختها خالته
وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم اخوته واخواته لابيه وامه ومن ولد له
من غيره فهم اخوته واخواته لامه ومنه قوله عليه الصلاة والسلام يحرم من الرضاع
ما يحرم من النسب وقالوا لتحريم الرضاع كتحريم النسب الا في مسئلتين احداهما
انه لا يجوز للرجل ان يتزوج باخت ابنه من النسب ويجوز ان يتزوج
باخت ابنه من الرضاع لان المعني في النسب وطؤه اياها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع
والثانية لا يجوز ان يتزوج ام اخيه من النسب ويجوز في الرضاع
لان المانع من النسب وطؤ الاب اياها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع
من نسائكم متعلق بوبائبكم ومعناه ان الربيبة من المراة المدخول بها محرمة
على الرجل حلال له اذا لم يدخل بها فان قلت هل يصح ان يتعلق بقوله وامهات
نسائكم قلت لا لخلوا اما ان يتعلق بهن وبالربايب فيكون حرمتهن وحرمة الربايب
غير مبهمتين جميعا واما ان يتعلق بهن دون الربايب فيكون حرمتهن غير مبهمة
وحرمة الربايب مبهمة فلا يجوز الاول لان معنى من مع احد المتعلقين خلاف
معناه مع الاخر الا تراك اذا قلت وامهات نسائكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فقد
جعلت من لبيان النساء وتمييز المدخول بهن من غير المدخول بهن واذا قلت
وربائبكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فانك جاعل من لابتداء الغاية كما تقول بنات
رسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة وليس يصح ان يعني بالكلمة الواحدة في
خطاب واحد معنيان مختلفان ولا يجوز الثاني لان ما يليه هو الذي يتوجه
التعليق به ما لم يعترض امر لا يرد الا ان يقول اعلقه بالنساء والربايب واجعل
من للاتصال كقوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض فاني لست
منك ولست مني وما امن رد ولا الرد مني وامهات النساء متعلقات بالنساء
لانهن امهاتهن كما ان الربايب متصلات بامهاتهن لانهن بناتهن هذا وقد اتفقوا
على ان التحريم لامهات النساء مبهم دون تحريم الربايب على ما عليه ظاهر كلام الله وقد
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في رجل تزوج امراة ثم طلقها قبل ان يدخل بها
انه قال لا باس ان تتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها وعن عمر رضي الله
عنه وعمران بن الحصين ان الام تحرم بمجرد العقد وعن مسروق هي مرسلة فارسلوا
ما ارسل الله وعن ابن عباس ابهموا ما ابهم الله الا ما روي عن علي وابن عباس
وجابر وابن عمر وابن الزبير انهم قرءوا وامهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن

اي الاصل ان يعلق بالاقرب الا ان يعرض ما يدل على خلافه
صار كقوله اجعل الخطاب اي يعم الكل
قوله ابنتي الاخ وبنات الاخ عطف على ما يعم الكل

وكان ابن عباس يقول والله ما نزل الا هكذا وعن جابر روايتان وعن سعيد بن المسيب
عن زيد اذا ماتت عنده فاخذ ميراثها كره ان يخلف على امها واذا طلقها قبل ان يدخل
بها فان شا فعل اقام الموت مقام الدخول في ذلك كما قام مقامه في باب
المهر وسمي ولد المراة من غير زوجها ربيبا وربيبة لانه يربهما كما يرب ولده
في غالب الامر ثم اتسع فيه فسميا بذلك وان لم يربهما **فان قلت** ما فايدة قوله
في حجوركم **قلت** فايدته التعليل للتحريم وانهن لاحتضانكم لهن او لكونهن
بصدد احتضانكم وفي حكم التقلب في حجوركم اذا دخلتم بامهاتهن وتمكن
بدخولكم حكم الزواج وثبتت الخلطة والالفة وجعل بينكم المودة والرحمة وكانت
الحال خليقة بان تجروا اولادهن مجرى اولادكم كانكم في العقد على بناتهن عاقدون
على بناتكم وعن علي رضي الله عنه انه شرط ذلك في التحريم وبه اخذ داود **فان
قلت** ما معنى دخلتم بهن **قلت** هي كناية عن الجماع كقولهم بنا عليها وضرب
عليها الحجاب يعني ادخلتموهن الستر والباء للتعدية واللمس ونحوه يقوم مقام
الدخول عند ابي حنيفة وعن عمر رضي الله عنه انه خلا بجارية فجردها فاستوهبها
ابن له فقال انها لا تحل لك وعن مسروق انه امر ان تباع جاريته بعد موته
وقال اما اني لم اصب منها الا ما يحرمها على ولدي من اللمس والنظر وعن
الحسن في الرجل يملك الامة فيغمزها بشهوة او يقلبها او يكشفها انها لا تحل لولده
بحال وعن عطاء وحماد بن ابي سليمان اذا نظر الى فرج امراة فلا تنكح امها
ولا ابنتها وعن الاوزاعي اذا دخل بالام فعراها ولمسها بيده واغلق الباب
وارخى الستر فلا تحل له نكاح ابنتها وعن ابن عباس وطاووس وعمرو بن
دينار ان التحريم لا يقع الا بالجماع وحده الذين من اصلابكم دون من
تبنيتم وقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش الاسدية بنت
عمته اميمة بنت عبد المطلب حين فارقها زيد بن حارثة وقال عز وجل
لئلا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيائهم وان تجمعوا في موضع الرفع
عطف على المحرمات اي وحرم عليكم الجمع بين الاختين والمراد حرمة النكاح
لان التحريم في الاية تحريم النكاح واما الجمع بينهما في ملك اليمين فعن عثمان
وعلي رضي الله عنهما انهما قالا احلتهما اية وحرمتهما اية يعنيان هذه الاية
وقوله او ما ملكت ايمانكم فرجح على التحريم وعثمان التحليل الا ما قد سلف
ولكن ما مضى مغفور بدليل قوله ان الله كان غفورا والمحصنات القراة بفتح
الصاد وعن طلحة بن مصرف انه قرا بكسر الصاد وهن ذوات الازواج لانهن

احصن

احصن فروجهن بالتزويج فهن محصنات ومحصنات الا ما ملكت ايمانكم يريد ما
ملكت ايمانهم من اللاتي سبين ولهن الازواج في دار الكفر فهن حلال لغزاة
المسلمين وان كن محصنات وفي معناه قول الفرزدق

وذات حليل انكحتها رماحنا حلال لمن يبني بها لم تطلق

كتاب الله عليكم مصدر موكد اي كتب الله ذلك عليكم كتابا وفرضه فرضا وهو تحريم
ما حرم **فان قلت** علام عطف قوله واحل لكم **قلت** على الفعل المضمر الذي نصب
كتاب الله اي كتب الله عليكم تحريم ذلك واحل لكم ما وراء ذلكم ويدل عليه قراة
اليماني كتب الله عليكم واحل لكم وروي عن اليماني كتب الله عليكم على الجمع والرفع
اي هذه فرايض الله عليكم ومن قرا واحل لكم على البناء للمفعول فقد عطف
على حرمت ان تبتغوا مفعول له بمعنى بين لكم ما يحل مما يحرم ارادة ان يكون
ابتغاوكم باموالكم التي جعل الله لكم قياما في حال كونكم محصنين غير مسافحين
لئلا تضيعوا اموالكم وتفقروا انفسكم فيما لا يحل لكم فتخسروا دنياكم ودينكم ولا
مفسدة اعظم مما يجمع بين الخسارتين والاحصان العفة وتحصين
النفس من الوقوع في الحرام والاموال المهور وما يخرج في المناكح **فان قلت**
اين مفعول تبتغوا **قلت** يجوز ان يكون مقدرا وهو النساء والاجود ان
لا يقدر فكانه قيل ان تخرجوا اموالكم ويجوز ان يكون ان تبتغوا بدلا مما
وراء ذلكم والمسافح الزاني من السفح وهو صب المني وكان الفاجر يقول
للفاجرة سافحيني وماذيني من المذي فما استمتعتم به منهن فما استمتعتم
به من المنكوحات من جماع او خلوة صحيحة او عقد عليهن فاتوهن اجورهن
عليه فاسقط الراجع الى ما لانه لا يلبس كقوله ان ذلك لمن عزم الامور باسقاط
منه ويجوز ان يكون ما في معنى النساء ومن للتبعيض او البيان ويرجع الضمير
اليه على اللفظ في به وعلى المعنى في فاتوهن واجورهن مهورهن لان المهر
ثواب على البضع فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او وضعت موضع
ايتاء لان الايتاء مفروض او مصدر موكد اي فرض ذلك فريضة فيما تراضيتم
به من بعد الفريضة فيما تحط عنه من المهر او تهب له من كله او يزيد لها على مقداره
وقيل فيما تراضيا به من مقام او فراق وقيل نزلت في المتعة التي كانت ثلثة
ايام حين فتح الله مكة على رسوله ثم نسخت كان الرجل ينكح المراة وقتا معلوما
ليلة او ليلتين او اسبوعا بثوب او غير ذلك ويقضي منها وطره ثم يسرحها
سميت متعة لاستماعه بها او لتمتيعه لها بما يعطيها وعن عمر رضي الله عنه

لا اوتى برجل تزوج امراة الى اجل الا رجمتهما بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء
الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيامة وقيل ابيح مرتين وحرم مرتين وعن
ابن عباس هي محكمة يعني لم تنسخ وكان يقراها فما استمتعتم به منهن الى اجل
مسمى ويروى انه رجع عن ذلك عند موته وقال اللهم اني اتوب اليك من
قولي بالمتعة وقولي في الصرف الطول الفضل يقال لفلان على فلان طول
اي زيادة وفضل وقد طاله طولا فهو طايل قال

لقد زادني حبا لنفسي انني بغيض الى كل امرئ غير طايل

ومنه قولهم ما حلي منه بطايل اي بشي يعتد به وله فضل وخطر ومنه
الطول في الجسم لانه زيادة فيه كما ان القصر قصور فيه ونقصان والمعنى
ومن لم يستطع زيادة في المال وسعة يبلغ بها نكاح الحرة فلينكح امة
قال ابن عباس من ملك ثلثماية درهم فقد وجب عليه الحج وحرم عليه
نكاح الاماء وهو الظاهر وعليه مذهب الشافعي واما ابو حنيفة
رحمه الله فيقول الغني والفقير سواء في جواز نكاح الامة وتفسر الاية
بان من لم يملك فراش الحرة على ان النكاح هو الوطء فله ان ينكح امة وفي
رواية عن ابن عباس انه قال ومما وسع الله على هذه الامة نكاح الامة
واليهودية والنصرانية وان كان موسرا وكذلك قوله من فتياتكم المومنات
الظاهر انه لا يجوز نكاح الامة الكتابية وهو مذهب اهل الحجاز وعند
اهل العراق يجوز نكاحها ونكاح الامة المومنة افضل فحملوه على الفضل
لا على الوجوب واستشهدوا على ان الايمان ليس بشرط بوصف الحرائر به
مع علمنا انه ليس بشرط فيهن على الاتفاق ولكنه افضل فان قلت
الولد الام في الرق ولثبوت حق المولى فيها وفي استخدامها ولانها ممتهنة
مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله نقصان راجع الى الناكح ومهانة
والعزة من صفات المومنين وقوله من فتياتكم اي من فتيات المسلمين
لا من فتيات غيركم وهم المخالفون في الدين فان قلت فما معنى قوله والله
اعلم بايمانكم قلت معناه ان الله اعلم بتفاضل ما بينكم وبين ارقايكم
في الايمان ورجحانه ونقصانه فيهم وفيكم وربما كان ايمان الامة ارجح من
ايمان الحرة والمراة افضل في الايمان من الرجل وحق المومنين ان لا يعتبروا
الا فضل الايمان لا فضل الاحساب والانساب وهذا تانيس بنكاح

الاماء

الاماء وترك الاستنكاف منه بعضكم من بعض اي انتم وارقاؤكم متواصلون متناسبون
لاشتراككم في الايمان لا يفضل حر عبدا الا برجحان فيه باذن اهلهن اشتراط
لاذن الموالي في نكاحهن ويحتج به لقول ابي حنيفة ان لهن ان يباشرن العقد
بانفسهن لانه اعتبر اذن الموالي لا عقدهم واتوهن اجورهن بالمعروف
وادوا اليهن مهورهن بغير مطل وضرار واحواج الى الاقتضاء واللز فان قلت
الموالي هم ملاك مهورهن لا هن والواجب اداوها اليهم فلم قيل واتوهن قلت
لانهن وما في ايديهن مال الموالي فكان اداوها اليهن اداء الى الموالي او على ان اصله
واتوا مواليهن فحذف المضاف محصنات عفايف والاخدان الاخلاء في
السر كانه قيل غير مجاهرات بالسفاح ولا مسرات له فاذا احصن بالتزويج وقرئ
احصن نصف ما على المحصنات اي الحرائر من العذاب من الحد كقوله وليشهد
عذابهما ويدرؤا عنها العذاب ولا رجم عليهن لان الرجم لا يتنصف ذلك
اشارة الى نكاح الاماء لمن خشي العنت منكم لمن خاف الاثم الذي يودي اليه
غلبة الشهوة واصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة
وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة الماثم وقيل اريد به الحد لانه اذا هويها
خشي ان يواقعها فيحد فيتزوجها وان تصبروا في محل الرفع على الابتداء
اي وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم الحرائر
صلاح البيت والاماء هلاك البيت يريد الله ليبين لكم اصله يريد الله ان
يبين لكم فزيدت اللام موكدة لارادة التبيين كما زيدت في لا ابا لك لتاكيد
اضافة الاب والمعنى يريد الله ان يبين لكم ما هو خفي عنكم من مصالحكم وافاضل
اعمالكم وان يهديكم مناهج من كان قبلكم من الانبياء والصالحين والطرق التي
سلكوها في دينهم لتقتدوا بهم ويتوب عليكم ويرشدكم الى طاعات ان قمتم
بها كانت كفارات لسيئاتكم فيتوب عليكم ويكفر لكم والله يريد ان يتوب عليكم ان
تفعلوا ما تستوجبون به ان يتوب عليكم ويريد الفجرة الذين يتبعون الشهوات
ان تميلوا ميلا عظيما وهو الميل عن القصد والحق ولا ميل اعظم منه لمساعدتهم
وموافقتهم على اتباع الشهوات وقيل هم اليهود وقيل المجوس كانوا يحلون
نكاح الاخوات من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله
قالوا فانكم تحلون بنت الخالة والعمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا
بنات الاخ والاخت فنزلت يقول يريدون ان تكونوا زناة مثلهم يريد الله
ان يخفف عنكم باحلال نكاح الامة وغيره من الرخص وخلق الانسان ضعيفا

لا يصبر عن الشهوات وعلى مشاق الطاعات وعن سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من
بني ادم قط الا اتاهم من قبل النساء فقد اتى علي ثمانون سنة وذهبت احدى عيني وانا
اعشوا بالاخرى وان اخوف ما اخاف علي فتنة النساء وقرئ ان يميلوا بالياء
والضمير للذين يتبعون الشهوات وقرا ابن عباس وخلق الانسان ضعيفا على
البناء للفاعل ونصب الانسان وعنه رضي الله عنه ثمان ايات في سورة النساء
هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد
ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا
يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ما يفعل
الله بعذابكم بالباطل بما لم تبحه الشريعة من نحو السرقة والخيانة والغصب
والقمار وعقود الربا الا ان تكون تجارة الا ان يقع تجارة وقرئ تجارة على
الا ان تكون التجارة تجارة عن تراض منكم والاستثناء منقطع معناه ولكن
اقصدوا كون تجارة عن تراض او ولكن كون تجارة عن تراض غير منهي عنه
صفة لتجارة اي تجارة صادرة عن تراض وخص التجارة بالذكر لان اسباب
الرزق اكثرها متعلق بها والتراضي رضا المتبايعين بما يعاقدا عليه في
حال البيع وقت الايجاب والقبول وهو مذهب ابي حنيفة وعند الشافعي رضي الله
عنه تفرقهما عن مجلس العقد متراضيين ولا تقتلوا انفسكم من كان من جنسكم
من المومنين وعن الحسن لا تقتلوا اخوانكم او لا يقتل الرجل نفسه كما يفعله
بعض الجهال وعن عمرو بن العاص انه تاوله في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرا علي رضي الله عنه ولا تقتلوا بالتشديد ان الله
كان بكم رحيما ما نهاكم عما يضركم الا لرحمته عليكم وقيل معناه انه امر بني اسرائيل
بقتلهم انفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم وكان بكم يا امة محمد رحيما
حيث لم يكلفكم تلك التكاليف الصعبة ذلك اشارة الى القتل اي ومن
يقدم على قتل الانفس عدوانا وظلما لا خطاء ولا اقتصاصا وقرئ عدوانا
بالكسر ونصليه بتخفيف اللام وتشديدها ونصليه بفتح النون من صلاه
يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله عز وجل او لذلك
لكونه سببا للصلي نارا نارا مخصوصة شديدة العذاب وكان ذلك على
الله يسيرا لان الحكمة تدعوا اليه ولا صارف عنه من ظلم او نحوه كبائر
ما تنهون عنه وقرئ كبير ما تنهون عنه اي ما كبر من المعاصي التي ينهاكم الله
عنها والرسول يكفر عنكم سيئاتكم نمط ما تستحقونه من العذاب في كل وقت

على

على صغائركم ويجعلها كان لم تكن لزيادة الثواب المستحق على اجتنابكم الكبائر وصبركم
عنها على عقاب السيئات والكبيرة والصغيرة انما وصفتا بالكبر والصغر باضافتهما
اما الى طاعة او معصية او ثواب فاعلهما والتكفير اماطة المستحق من العقاب
بثواب ازيد او بتوبة والاحباط نقيضه وهو اماطة الثواب المستحق
بعقاب ازيد او بندم على الطاعة وعن علي رضي الله عنه الكبائر سبع الشرك
والقتل والقذف والزنا واكل مال اليتيم والفرار من الزحف والتعرب بعد
الهجرة وزاد ابن عمر السحر واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس ان
رجلا قال له الكبائر سبع فقال هي الى سبع مائة اقرب لانه لا صغيرة مع الاصرار
ولا كبيرة مع الاستغفار وروي الى سبعين وقرئ يكفر بالياء ومدخلا بضم الميم
وفتحها بمعنى المكان والمصدر فيهما ولا تتمنوا نهوا عن التحاسد وعن تمني
ما فضل الله به بعض الناس على بعض من الجاه والمال لان ذلك التفضيل
قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم باحوال العباد وبما يصلح
المقسوم له من بسط في الرزق او قبض ولو بسط الله الرزق لعباده
لبغوا في الارض فعلى كل احد ان يرضى بما قسم الله له علما بان ما قسم
له هو مصلحته ولو كان خلافه لكان مفسدة له فلا يحسد اخاه
على حظه للرجال نصيب مما اكتسبوا جعل ما قسم لكل من الرجال والنساء
على حسب ما عرف الله من حاله الموجبة للقبض والبسط كسبا له وسلوا
الله من فضله ولا تتمنوا نصيبا غيركم من الفضل ولكن اسلوا الله من فضله
من خزائنه التي لا تنفد وقيل كان الرجال قالوا ان الله فضلنا على النساء
في الدنيا لنا سهمان ولهن سهم واحد فنرجوا ان يكون لنا اجران في الاخرة على
الاعمال ولهن اجر واحد قالت ام سلمة ونسوة معها ليت الله كتب علينا الجهاد
كما كتبه على الرجال فيكون لنا من الاجر مثل ما لهم فنزلت مما ترك تبيين لكل
اي ولكل شيء مما ترك الوالدان والاقربون من المال جعلنا موالي وراثا يلونه
ويحرزونه اي ولكل قوم جعلناهم موالي نصيب مما ترك الوالدان والاقربون
على ان جعلنا موالي صفة لكل والضمير الراجع الى كل محذوف والكلام مبتدا
وخبر كما تقول لكل من خلقه الله انسانا من رزق الله اي حظ من رزق الله
او ولكل احد جعلنا موالي مما ترك اي وارثا مما ترك على ان من صلة موال
لانهم في معنى الوراث وفي ترك ضمير كل ثم فسر الموالي بقوله الوالدان والاقربون
كانه قيل من هم فقيل الوالدان والاقربون والذين عاقدت ايمانكم مبتدا

ضمن معنى الشرط فوقع خبره مع الفا وهو قوله فاتوهم نصيبهم ويجوز ان يكون
منصوبا على قولك زيدا فاضربه ويجوز ان يعطف على الوالدان ويكون المضمر
في فاتوهم للموالي والمراد بالذين عاقدت ايمانكم موالي الموالاة كان الرجل يعاقد
الرجل فيقول دمي دمك وهدمي هدمك وثاري ثارك وحربي حربك وسلمي
سلمك ترثني وارثك وتطلب بي واطلب بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون
للحليف السدس من ميراث الحليف فنسخ وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه
خطب يوم الفتح فقال ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به فانه لم
يزده الاسلام الا شدة ولا تحدثوا حلفا في الاسلام وعند ابي حنيفة رحمه الله
لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح عنده وورث
بحق الموالاة خلافا للشافعي رحمه الله وقيل المعاقدة التبني ومعنى عاقدت
ايمانكم عاقدتهم ايديكم وماسحتموهم وقرئ عقدت بالتشديد والتخفيف
بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم قوامون على النساء يقومون عليهن آمرين ناهين
كما يقوم الولاة على الرعايا وسموا قوما لقيامهم بذلك والضمير في بعضهم
للرجال والنساء جميعا يعني انما كانوا مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله
بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء وفيه دليل على ان الولاية انما
تستحق بالفضل لا بالتغلب والاستطالة والقهر وقد ذكروا في فضل الرجال
العقل والحزم والعزم والقوة والكتابة في الغالب والفروسية والرمي
وان منهم الانبياء والعلماء وفيهم الامامة الكبرى والصغرى والجهاد
والاذان والخطبة والاعتكاف وتكثيرات التشريق عند ابي حنيفة والشهادة
في الحدود والقصاص وزيادة السهم والتعصيب في الميراث والحمالة والقسامة
والولاية في النكاح والطلاق والرجعة وعدد الازواج واليهم الانتساب
وهم اصحاب اللحى والعمائم وبما انفقوا وبسبب ما اخرجوا في نكاحهن من اموالهم
في المهور والنفقات وروي ان سعد بن الربيع وكان نقيبا من نقباء
الانصار نشزت عليه امراته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها
ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال افرشته كريمتي فلطمها فقال
لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير
ورفع القصاص واختلف في ذلك فقيل لا قصاص بين الرجل والمراة فيما
دون النفس ولو شجها ولكن يجب العقل وقيل لا قصاص الا في الجرح والقتل
واما اللطمة ونحوها فلا قانتات مطيعات قائمات بما عليهن للازواج

حافظات

حافظات للغيب الغيب خلاف الشهادة اي حافظات لمواجب الغيب اذا كان
الازواج غير شاهدين لهن حفظن ما يجب عليهن حفظه في حال الغيبة من
الفروج والبيوت والاموال وعن النبي صلى الله عليه وسلم خير النساء امراة ان نظرت
اليها سرتك وان امرتها اطاعتك وان رغبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا
الاية وقيل للغيب لاسرارهم بما حفظ الله بما حفظهن الله حين اوصى بهن
الازواج في كتابه وامر رسوله فقال استوصوا بالنساء خيرا او بما حفظهن
الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب او بما حفظهن حين وعدهن الثواب
العظيم على حفظ الغيب واوعدهن بالعذاب الشديد على الخيانة وما مصدرية
وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة اي حافظات للغيب بالامر الذي يحفظ
حق الله وامانة الله وهو التعفف والتحصن والشفقة على الرجال والنصيحة
لهم وقرا ابن مسعود فالصوالح قوانت حوافظ للغيب بما حفظ الله فاصلحوا
اليهن نشوزها ونشوصها ان تعصي زوجها ولا تطمئن اليه واصله الانزعاج
في المضاجع في المراقد اي لا تدخلوهن تحت اللحف او هي كناية عن الجماع
وقيل هو ان يوليها ظهره في المضجع وقيل في المضاجع في بيوتهن التي يبتن فيها
اي لا تباينوهن وقرئ في المضجع وفي المضطجع وذلك لتعرف احوالهن وتحقق
امرهن في النشوز امر بوعظهن اولا ثم بهجرانهن في المضاجع ثم بالضرب ان لم
ينجع فيهن الوعظ والهجران وقيل معناه اكرهوهن على الجماع واربطوهن من هجر
البعير اذا شده بالهجار وهذا من تفسير الثقلاء وقالوا يجب ان يكون ضربا غير مبرح
لا يجرحها ولا يكسر لها عظما ويجتنب الوجه وعن النبي صلى الله عليه وسلم علق سوطك
حيث يراه اهلك وعن اسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما كنت رابعة
اربع نسوة عند الزبير بن العوام فاذا غضب على احداهن ضربها بعود المشجب
حتى يكسره عليها ويروى عن الزبير ابيات ولولا بنوها حولها لخبطتها فلا
تبغوا عليهن سبيلا فازيلوا عنهن التعرض بالاذى والتوبيخ والتجني وتوبوا
عليهن واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن بعد رجوعهن الى الطاعة والانقياد
وترك النشوز ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه واعلموا ان قدرته عليكم اعظم
من قدرتكم على من تحت ايديكم ويروى ان ابا مسعود الانصاري رفع سوطه ليضرب
غلاما له فضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاح به ابا مسعود لله اقدر عليك
منك عليه فرمى بالسوط واعتق الغلام او ان الله كان عليا كبيرا وانكم تعصونه
على علو شانه وكبرياء سلطانه ثم تتوبون فيتوب عليكم فانتم احق بالعفو عمن يجني

عليكم اذا رجع شقاق بينهما فاضيف الشقاق الي الطرف علي طريق الاتساع كقوله بل
مكر الليل والنهار واصله بل مكر الليل والنهار او علي ان جعل البين مشتقا والليل
والنهار ماكرين علي قولهم نهارك صايم والضمير للزوجين ولم يجر ذكرهما لجري ذكر ما يدل
عليهما وهو الرجال والنساء حكما من اهله رجلا مقنعا رضا يصلح لحكومة العدل
والاصلاح بينهما وانما كان بعث الحكمين من اهلهما الاقارب اعرف ببواطن الاحوال
واطلب للصلاح وانما تسكن اليهم نفوس الزوجين وتبرز اليهم ما في ضمايرهما من
الحب والبغض وارادة الصحبة والفرقة وموجبات ذلك ومقتضياته وما
يزويانه عن الاجانب ولا يحبان ان يطلعوا عليه فان قلت فهل يليان الجمع
بينهما والتفريق ان رايا ذلك قلت قد اختلف فيه فقيل ليس اليهما ذلك
الا باذن الزوجين وقيل ذلك اليهما وما جعلا حكمين الا واليهما بنا الامر علي ما يقتضي
اجتهادهما وعن عبيدة السلماني شهدت عليا رضي الله عنه وقد جاته امراة
وزوجها ومع كل واحد فئام من الناس فاخرج هولا حكما وهولاء حكما فقال
علي للحكمين اتدريان ما عليكما ان عليكما ان رايتما ان تفرقا فرقتما وان رايتما ان
تجمعا جمعتما فقال الزوج اما الفرقة فلا فقال علي كذب والله لا تبرح حتي ترضي
بكتاب الله لك وعليك فقالت المراة رضيت بكتاب الله لي وعلي وعن الحسن يجمعان
ولا يفرقان وعن الشعبي ما قضي الحكمان جاز والالف في يريدا اصلاحا ضمير الحكمين
وفي يوفق الله بينهما للزوجين اي ان قصدا اصلاح ذات البين وكانت نيتهما
صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله بورك في وساطتهما واوقع الله بطيب نفسيهما
وحسن سعيهما بين الزوجين الوفاق والالفة والقي في نفوسهما المودة والرحمة
وقيل الضميران للحكمين اي ان قصدا اصلاح ذات البين والنصيحة للزوجين
يوفق الله بينهما فيتفقان علي الكلمة الواحدة ويتساندان في طلب الوفاق حتي يحصل
الغرض ويتم المراد وقيل الضميران للزوجين اي ان يريدا ان اصلاح ما بينهما
وطلب الخير وان يزول عنهما الشقاق يطرح الله بينهما الالفة وابدلهما بالشقاق
وفاقا وبالبغضاء مودة ان الله كان عليما خبيرا يعلم كيف يوفق بين المختلفين
ويجمع بين المتفرقين اي لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن
الله الف بينهم وبالوالدين احسانا واحسنوا بهما احسانا وبذي القربي وبكل
من بينكم وبينه قربي من اخ او عم او غيرهما والجار ذي القربي الذي قرب جواره
والجار الجنب الذي جواره بعيد وقيل الجار القريب النسب والجار الاجنبي
وانشد لبلعا بن قيس لا تحتوينا مجاورا بدا ذو رحم او مجاور جنب

من احتويت البلاد اذا كرمتها

وقرئ

وقرئ والجار ذا القربي نصبا علي الاختصاص كما قرئ حافظوا علي الصلوات والصلوة الوسطي
تنبيها علي عظم حقه لادلايه بحقي الجوار والقربي والصاحب بالجنب هو الذي صحبك
بان حصل بجنبك اما رفيقا في سفر واما جارا ملاصقا واما شريكا في تعلم علم او
حرفة واما قاعدا الي جنبك في مجلس او مسجد او غير ذلك من ادني صحبة
التامت بينك وبينه فعليك ان تراعي ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة الي
الاحسان وقيل الصاحب بالجنب المراة وابن السبيل المسافر المنقطع به وقيل
الضيف والمختال التياه المتكبر الجهول الذي يتكبر عن اكرام اقاربه واصحابه ومماليكه
فلا يتحفي بهم ولا يلتفت اليهم وقرئ والجار الجنب بفتح الجيم وسكون النون الذين
يبخلون بدل من قوله من كان مختالا فخورا ونصب علي الذم ويجوز ان يكون رفعا
عليه وان يكون مبتدا خبره محذوف كانه قيل الذين يبخلون ويفعلون
ويصنعون احقاء بكل ملامة وقرئ بالبخل بضم البا وفتحها وبفتحتين وبضمتين
اي يبخلون بذات ايديهم وبما في ايدي غيرهم فيامرونهم بان يبخلوا به مقتا للسخاء
ممن وجد وفي امثال العرب ابخل من الضنين بنايل غيره وان امرا ضنت
يداه علي امرئ بنيل يد من غيره لبخيل ولقد راينا ممن يلي بداء البخل من اذا
طرق سمعه ان احدا جاد علي احد شخص به وحل حبوته واضطرب ودارت
عيناه في راسه كانما نهب رحله وكسرت خزانته ضجرا من ذلك وحسرة علي جوده
وقيل هم اليهود كانوا ياتون رجالا من الانصار يتنصحون لهم ويقولون
لا تنفقوا اموالكم فانا نخشي عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون وقد عابهم بكتمان
نعمة الله وما اتاهم من فضل الغني والتفاقر الي الناس وعن النبي صلي الله
عليه وسلم اذا انعم الله علي عبد نعمة احب ان يري نعمته علي عبده وثني
عامل الرشيد قصرا حذاء قصره فنم به عنده فقال الرجل يا امير المومنين
ان الكريم يسره ان يري اثر نعمته فاحببت ان اسرك بالنظر الي اثار نعمتك
فاعجبه كلامه وقيل نزلت في اليهود الذين كتموا صفة رسول الله صلي الله
عليه وسلم رياء الناس للفخار وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا ابتغاء وجه
الله وقيل نزلت في مشركي مكة المنفقين اموالهم في عداوة رسول الله صلي
الله عليه وسلم فساء قرينا حيث حملهم علي البخل والرياء وكل شر ويجوز ان
يكون وعيدا لهم بان الشيطان يقرن بهم في النار وماذا عليهم واي
تبعة ووبال عليهم في الايمان والانفاق في سبيل الله والمراد الذم والتوبيخ
والا فكل منفعة ومفلحة في ذلك وهذا كما يقال للمنتقم ما ضرك لو عفوت

وللعاق ما كان يرتزق لو كنت بارًا وقد علم انه لا مضرة ولا مزية في العفو
ولكنه ذم وتوبيخ وتجهيل لمكان المنفعة وكان الله بهم عليما وعيد الذر
النملة الصغيرة وفي قراءة عبد الله مثقال نملة وعن ابن عباس انه أدخل يد
في التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة وقيل كل جزء من
الهباء في الكوة ذرة وفيه دليل انه لو نقص من اجر ادنى شيء اصغر او اكبر
من العقاب لكان ظلما وانه لا يفعله لاستحالته في الحكمة لا لاستحالته
القدرة وان تك حسنة يضاعفها وان تك مثقال الذرة حسنة وانما انث
ضمير المثقال لكونه مضافا الى مؤنث وقرئ بالرفع على كان التامة يضاعف
يضاعف ثوابها لاستحقاقها عنده الثواب في كل وقت من الاوقات المتقد
غير المتناهية وعن عثمان المهري انه قال لابي هريرة بلغني عنك انك تقول سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يعطي عبده المومن بالحسنة
الف الف حسنة قال ابو هريرة لا بل سمعته يقول ان الله يعطي الفي الف حسنة
ثم تلا هذه الاية والمراد الكثرة لا التحديد ويؤت من لدنه اجرا عظيما
ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل عطاء عظيما وسماه اجرا لانه
تابع للاجر لا يثلث الاثبات له وقرئ يضعفها بالتشديد والتخفيف من اضعف
وضعف وقرأ ابن هرمز يضاعفها بالنون فكيف تصنع هؤلاء الكفرة من
اليهود وغيرهم اذا جينا من كل امة بشهيد يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم
وهو يشهد لهم كقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وجينا بك على هؤلاء
شهيدا وعن ابن مسعود انه قرأه فكيف اذا جينا من كل امة بنبيها وجينا بك
حتى بلغ قوله وجينا بك على هؤلاء شهيدا فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
حسبنا لو تسوى بهم الارض لو يدفنون تسوى بهم الارض فتكون بالموتى
يودون انهم لم يبعثوا وانهم كانوا هم والارض سواء وقيل تصير البهائم ترابا فيود
حالها ولا يكتمون الله حديثا ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل
الواو للحال اي يودون ان يدفنوا تحت الارض وانهم لا يكتمون الله حديثا
ولا يكذبون في قولهم والله ربنا ما كنا مشركين لانهم اذا قالوا ذلك وجحدوا اشركهم
ختم الله على افواههم عند ذلك وتكلمت ايديهم وارجلهم بتكذيبهم والشهادة
عليهم بالشرك فلشدة الامر عليهم يتمنون ان تسوى بهم الارض وقرئ تتسوى
بحذف التاء من تتسوى يقال سويته فتسوى نحو لويته فتلوى وتسوى
بادغام التاء في السين كقوله يسعون وما ضيه إستوى كاستوكى روي ان عبد الله

بن عوف

بن عوف صنع طعاما وشرابا فدعا نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا فلما ثملوا وجاء وقت صلاة المغرب قدموا
احدهم ليصلي بهم فقرأ اعبد ما تعبدون وانتم عابدون ما اعبد فنزلت فكانوا
لا يشربون في اوقات الصلوة فاذا صلوا العشاء شربوا فلا يصحوا الا وقد ذهب
عنهم السكر وعلموا ما يقولون ثم نزل تحريمها ومعنى لا تقربوا الصلوة لا تغشوها
ولا تقوموا اليها واجتنبوها كقوله ولا تقربوا الزنا ولا تقربوا الفواحش وقيل
معناه ولا تقربوا مواضعها وهي المساجد كقوله صلى الله عليه وسلم جنبوا مساجدكم
صبيانكم ومجانينكم وقيل هو سكر النعاس وغلبة النوم
وانتم سكارى بفتح السين وسكارى على ان السكر الذي مقتضاه الوصف والسكارى
مع الالف هو الذي الازم وقرئ سكرى كمرضى وسكرى بضم السين كجلبي على ان يكون صفة
دون اوابد الشوة والسكران هو الذي لا يعقل والسكران هو الذي لا يعقل لسوء
جماعة سكرى كقولك امراة سكرى وسكرى بضم السين كجلبي على ان يكون صفة
جماعة وحتى جناح بن حبيش كسلى وكسلى بالفتح والضم ولا جنبا عطف على
محل وانتم سكارى لان محل الجملة مع الواو والنصب على الحال كانه قيل لا تقربوا
الصلوة سكارى ولا جنبا والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث ومعنى
انه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الاجناب الا عابري سبيل استثناء من
احوال المخاطبين وانتصابه على الحال فان قلت كيف جمع بين هذه
الحال والحال التي قبلها قلت كانه قيل لا تقربوا الصلوة في حال الجنابة الا
في حال اخرى تعذرون فيها وهي حال السفر وعبور السبيل عبارة
عنه وجوز ان لا يكون حالا ويكون صفة لقوله جنبا وان لا تقربوا الصلوة جنبا
غير عابري سبيل اي جنبا مقيمين غير معذورين فان قلت كيف تصح صلوتهم
في الجنابة لعذر السفر قلت اريد بالجنب الذين لم يغتسلوا كانه قيل لا
تقربوا الصلوة غير مغتسلين حتى يغتسلوا الا ان تكونوا مسافرين وقال
ابن عباس اذا كان الطريق فيه الى الماء او كان الماء فيه او احتلتم فيه وقيل ان رجلا
من الانصار كانت ابوابهم في المسجد فتصيبهم الجنابة ولا يجدون ممرا
الا في المسجد فرخص لهم وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ياذن لاحد
ان يجلس في المسجد او يمر فيه وهو جنب الا لعلي رضي الله عنه لان بيته
كان في المسجد فان قلت اذا دخل في حكم الشرط اربعة وهم المرضى والمسافرون
والمحدثون واهل الجنابة فبم تعلق الجار الذي هو الامر بالتيمم عند عدم

الماء منهم قلت الظاهر انه متعلق بهم جميعا وان المرضي اذا عدموا الماء لضعف
حركتهم وعجزهم عن الوصول اليه فلهم ان يتيمموا وكذلك الصحيح اذا عدم
لبعده والمحدثون والحال الجنابة كذلك اذا لم يجدوه لبعض الاسباب وقال
الزجاج الصعيد وجه الارض ترابا كان او غيره وان كان صخرا لا تراب
عليه لوقوع التيمم به عليه ومسح لكان ذلك طهوره وهو مذهب ابي حنيفة
فان قلت فما يصنع بقوله في سورة المايدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم
اي بعضه وهذا الاتباع بالصخر الذي لا تراب عليه قلت قالوا ان من
لابتدا الغاية فان قلت قولهم انما لابتدا الغاية قول متعسف ولا يعرفه
احد من العرب من قول القايل مسحت براسه من الدهن ومن الماء وبين
التراب الامعنى التبعيض قلت هو كما تقول والاذعان للحق احق
من المراء ان الله كان عفوا غفورا كناية عن الترخيص والتيسير لان
من كانت عادته المجاوزة ان يعفو عن الخاطيين ويغفر لهم اثر ان يكون
مبذرا غير معسر فان قلت كيف نظم في سلك واحد بين المرضي والمسافر
وبين المحدثين والمجنبين والمرض والسفر سببان مراسباب الرخصة
والحدث سبب لوجوب الوضوء والجنابة سبب لوجوب الغسل قلت
اراد سبحانه ان يرخص للذين وجب عليهم التطهر وهم عادمون للماء
في التيمم بالتراب فخص اولا من بينهم مرضاهم وسفرهم لانهم المقدمون
في استحقاق بيان الرخصة لهم لكثرة المرض والسفر وغلبتهما على ابدان
الموجبة للرخصة ثم عمم كل من وجب عليه التطهر واعوزه الماء لخوف عدوه
او سبع او عدم الة الاستقاء او اردها في مكان لا ماء فيه او غير ذلك
مما لا يكثر كثرة المرض والسفر وقرئ من غيط قيل هي تخفيف غيطة كميت
ميت والغيط بمعنى الغائط كالمرة بمعنى المروية القلب وعدي باتى على معنى الم
بثنه علك اليهم او بمعنى الم تنظر اليهم اوتوا نصيبا من الكتاب حظا من
علم التوريه وهم احبار اليهود يشترون الضلالة يستبدلونها بالهدى
وهو البقا على اليهودية بعد وضوح الايات لهم على صحة نبوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانه هو النبي العربي المبشر به في التورية والانجيل ويريدون
ان تضلوا ايتها المومنون سبيل الحق كما ضلوه وتخطوا طريق سلكتم
لا تكفيهم ضلالتهم بل يحبون ان يضل معهم غيرهم وقرئ ان يضلوا بالياء
بفتح الضاد وكسرها والله اعلم منكم باعدايكم وقد اخبركم بعدا وة

هولا وهو اطلعكم على احوالهم وما يريدون منكم فاحذروهم ولا تستنصحوهم في امركم
ولا تستشيروهم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا اي فثقوا بولايته ونصرته
دونهم او لا تبالوا بهم فان الله ينصركم عليهم ويكفيكم مكرهم من الذين
هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا من الكتاب لانهم يهود ونصادي قوله
والله اعلم وكفى بالله جملة توسطت بين البيان والمبين على سبيل
الاعتراض او بيان لاعدايكم وما بينهما اعتراض او صلة لنصيرا اي
ينصركم من الذين هادوا كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا ويجوز
ان يكون كلاما مبتدا اعلى ان يحرفون صفة لمبتدا محذوف تقديره
من الذين هادوا قوم يحرفون كقوله وما الدهر الا تارتان فمنها اموت
واخرى اتبغي العيش اكدح اي فمنها تارة اموت فيها يحرفون الكلم
عن مواضعه يسلونه عنها ويزيلونه لانهم اذا بدلوه ووضعوا مكانه
كلاما غيره فقد املوه عن مواضعه التي وضعه الله فيها واذالوه عنها
وذلك نحو تحريفهم اسم ربعة عن موضعه في التورية بوضعهم ادم
طوال مكانه ونحو تحريفهم الرجم بوضعهم الحد بدله فان قلت كيف
قيل هاهنا عن مواضعه وفي المايدة من بعد مواضعه قلت اما عن
مواضعه فعلى ما فسرنا من ازالته عن مواضعه التي اوجبت حكمة الله وضعه
فيها بما اقتضت شهواتهم من ابداله غيره مكانه واما من بعد مواضعه فالمعنى
انه كانت له مواضع هو فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب الذي
لا موضع له بعد مواضعه ومقاره والمعنيان متقاربان وقرئ يحرفون الكلم
والكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة بالتخفيف كلمة قولهم غير مسمع حال
من المخاطب اي اسمع وانت غير مسمع وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم اي
اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت لانه لو اجيبت دعوتهم عليه لم يسمع فكان
اصم غير مسمع في قولك اتكالا على ان قولهم لا سمعت دعوة مستجابة او اسمع
غير مجاب الى ما تدعوا اليه ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكانك لم تسمع شيئا
او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه فسمعك ناب ويجوز على هذا ان يكون غير
مسمع مفعول اسمع اي اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك لا تعيه تنزها عنه
ويحتمل المدح اي اسمع غير مسمع مكروها من قولك اسمع فلان فلانا اذا
سبه وكذلك قولهم راعنا يحتمل راعنا نكلمك اي ارقبنا وانتظرنا ويحتمل
سبه بكلمة عبرانية او سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعينا فكانوا استهزؤا

قوله قصدا اي جديرا

قوله ان يكون المعنى اسمع غير مسمع الخ اي ان يكون المعنى اسمع غير مسمع جوابا موافقا لما تقول

قوله وكذلك قولهم راعنا مثل غير مسمع

بالدين وهزأ برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة
والاهانة ويظهرون به التوقير والاكرام ليا بالسنتهم فتلا بها وتحريفا اي يفتلون
بالسنتهم الحق الى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا وغير مسمع
موضع لا اسمعت مكروها او يفتلون بالسنتهم ما يضمرونه من الشتم الى ما يظهرونه
بعد ما صرحوا وقالوا سمعنا وعصينا قلت جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر
والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعا السوء ويجوز ان يقولوه فيما بينهم
ويجوز ان لا ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يومنوا به جعلوا كانهم نطقوا وقرئ
ابي وانظرنا من الانظار وهو الامهال فان قلت الام يرجع الضمير
في قوله لكان خيرا لهم قلت الى انهم قالوا لان المعنى ولو ثبت قولهم سمعنا
واطعنا لكان قولهم ذلك خيرا لهم واقوم واعدل واسد ولكن لعنهم الله بكفرهم
اي خذلهم بسبب كفرهم وابعدهم عن الطاعة فلا يومنون الا قليلا اي ضعيفا
ركيكا لا يعبا به وهو ايمانهم بمن خلقهم مع كفرهم بغيره او اراد بالقلة العدم
كقوله قليل التشكي للمهم يصيبه اي عديم التشكي او الا قليلا منهم قد
امنوا ان نطمس وجوها اي نمحو تخطيط صورها من عين وحاجب وانف
وفم فنردها على ادبارها فنجعلها على هيئة ادبارها وهي الاقفا مطموسة مثلها
والفا للتسبيب وان جعلتها للتعقيب على انهم توعدوا بعقابين احدهما
عقيب الاخر ردها على ادبارها عقيب طمسها فالمعنى ان نطمس وجوها
فننكسها الوجوه الى خلف والاقفا الى قدام ووجه اخر وهو ان يراد بالطمس
القلب والتغيير كما طمس اموال القبط فقلبها حجارة وبالوجوه رؤسهم ووجهاؤهم
اي من قبل ان نغير احوال وجهائهم فنسلبهم اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم
صغارهم وادبارهم او نردهم الى حيث جاؤا منه وهي اذرعات الشام يريد
اجلاء بني النضير فان قلت لمن الراجع في قوله او نلعنهم قلت للوجوه
ان اريد الوجهاء او لاصحاب الوجوه لان المعنى من قبل ان نطمس وجوه قوم
او يرجع الى الذين اوتوا الكتاب على طريقة الالتفات او نلعنهم او نجزيهم بالمسخ
كما مسخنا اصحاب السبت فان قلت فاين وقوع الوعيد قلت هو
مشروط بالايمان وقد امن منهم ناس وقيل هو منتظر ولا بد من طمس ومسخ لليهود
قبل يوم القيامة ولان الله تعالى اوعدهم باحد الامرين بطمس وجوه منهم او
بلعنهم فان كان الطمس تبديل احوال رؤسائهم واجلاءهم الى الشام فقد كان
احد الامرين وان كان غيره فقد حصل اللعن فانهم ملعونون بكل لسان

والظاهر

والظاهر اللعن المتعارف دون المسخ الا ترى الى قوله قل اؤنبئكم بشر من ذلك مثوبة
عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وكان امر
الله مفعولا فلا بد ان يقع احد الامرين ان لم تومنوا فان قلت قد ثبت
ان الله عز وجل يغفر الشرك لمن تاب منه وانه لا يغفر ما دون الشرك من
الكبائر الا بالتوبة فما وجه قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشا قلت الوجه ان يكون الفعل المنفي والمثبت جميعا موجهين
الى قوله لمن يشا كانه قيل ان الله لا يغفر لمن يشا الشرك ويغفر لمن يشا ما دون
الشرك على ان المراد بالاول من لم يتب وبالثاني من تاب ونظيره قولك ان
الامير لا يبذل الدينار ولكن يبذل القنطار لمن يشا تريد لا يبذل الدينار لمن لا
يستاهله ويبذل القنطار لمن يستاهله فقد افترى اثما اي ارتكبه وهو
مفتر مفتعل ما لا يصح كونه الذين يزكون انفسهم اليهود والنصارى قالوا
نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او
نصارى وقيل جاء رجال من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باطفالهم
فقالوا هل على هولاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملناه بالنهار
كفر عنا بالليل وما عملناه بالليل كفر عنا بالنهار فنزلت ويدخل فيها كل من زكى
نفسه ووصفها بزكاء العمل وزيادة الطاعة والتقوى والزلفى عند الله
فان قلت اما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله اني لامين في السماء
امين في الارض قلت انما قال ذلك حين قال له المنافقون اعدل في
القسمة اكذابا لهم اذ وصفوه بخلاف ما وصفه ربه وشتان من شهد
الله له بالتزكية ومن شهد لنفسه او شهد له من لا يعلم بل الله يزكي من
يشا اعلام بان تزكية الله هي التي يعتد بها لا تزكية غيره لانه هو العالم
بمن هو اهل للتزكية ومعنى يزكي من يشا يزكي المرتضين من عباده الذين
عرف منهم الزكا فوصفهم به ولا يظلمون اي الذين يزكون انفسهم يعاقبون
على تزكيتهم انفسهم حق جزائهم او من يشاء يثابون على زكائهم ولا ينقص من
ثوابهم ونحوه فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى كيف يفترون على الله الكذب
في زعمهم انهم عند الله ازكيا وكفى بزعمهم هذا اثما مبينا من بين ساير
اثامهم الجبت الاصنام وكل ما عبد من دون الله والطاغوت الشيطان
وذلك ان حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا الى مكة مع
جماعة من اليهود يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نامركم فاسجدوا لاصنامنا حتى نطين اليكم ففعلوا فمدوا ايمانهم بالحبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا البليس فيما فعلوا وقال ابو سفين اخبرني اهدي سبيلا ام محمد فقال كعب ماذا يقول محمد قالوا يامر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك العاني وذكروا افعالهم فقال انتم اهدي سبيلا ووصف اليهود بالبخل والحسد وهما شر خصلتين ممنعون ما اوتوا من النعمة ويتمنون ان يكون لهم نعمة غيرهم فقال ام لهم نصيب من الملك على ان ام منقطعة ومعنى الهمزة الانكار ان يكون لهم نصيب من الملك ثم قال فاذن لا يوتون الناس اي لو كان لهم نصيب من الملك فاذن لا يوتون احدا مقدار النقير لفرط بخلهم والنقير النقرة في ظهر النواة وهو مثل في القلة كالفتيل والقطمير والمراد بالملك اما ملك اهل الدنيا واما ملك الله كقوله قل لو انتم تملكون خزاين رحمة ربي اذن لامسكتم خشية الانفاق فمذا الوصف لهم بالشح واحسن لمطابقة نظيره من القران ويجوز ان يكون معنى الهمزة بل ام لانكار انهم قدروا نصيبا من الملك وكانوا اصحاب اموال وبساتين وقصور مشيدة كما يكون احوال الملوك وانهم لا يوتون احدا مما يملكون شيا وقرا ابن مسعود فاذا لا يوتوا على اعمال اذن عملها الذي هو النصب وهي ملغاة في قراة العامة كانه قيل فلا يوتون الناس نقيرا اذن ام يحسدون الناس بل يحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين على انكار الحسد واستقباحه وكانوا يحسدونهم على ما اتاهم الله من فضله من النصر والغلبة وازدياد العز والتقدم كل يوم فقد ابتلاهم الزام الحجة بما عرفوه من ايتا الله الكتاب والحكمة ال ابرهيم الذين هم اسلاف محمد صلى الله عليه وسلم وانه ليس ببدع ان يوتيه الله مثل ما اوتي اسلافه وعن ابن عباس ان الملك في ال ابرهيم ملك يوسف وداود وسليمان وقيل استكثروا نساء فقيل له كيف استكثر ثم له التسع وقد كان لداود ماية ولسليمن ثلث ماية سرية وتسعماية سرية فمنهم من امن به من اليهود اي باذكر من حديث ال ابرهيم ومنهم من صد عنه وانكر مع علمه بصحته او من اليهود من امن برسول الله ومنهم من انكر نبوته او من ال ابرهيم من امن بابرهيم ومنهم من كفر كقوله فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون بدل لنا هم جلودا غيرها ابدل لنا هم اياها فان قلت كيف يعذب بمكان الجلود العاصية جلودا لم تعص قلت العذاب للجملة الحساسة وهي التي عصت لا للجلد وحده

فضيل

قال الامام الغذب هو الايلام الجلد ليس
من حيث هو هو بل لكي الملتصق به فاذا
جددنا له جلدا حتى حصل ذلك
لوصول العذاب اليه لم يكن
تغييرا الا للعواض وكفاءى القاضي

فضيل بجعل النضيج غير نضيج وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم تبدل جلودهم كل يوم سبع مرات وعن الحسن سبعين مرة بيد لون جلودا بيضا كالقراطيس ليذوقوا العذاب ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز اعزك الله اي ادامك على عزك وزادك فيه عزيزا لا يمتنع عليه شي مما يريده بالمجرمين حكيما لا يعذب الا بعدل من يستحقه ظليلا صفة مشتقة من لفظ الظل لتاكيد معناه كما يقال ليل الليل ويوم ايوم وما اشبه ذلك وهو ما كان فيئا لا جوب فيه ودايما لا تنسخه الشمس وسجسجا لا حر فيه ولا برد وليس ذلك الا ظل الكعبة رزقنا الله بتوفيقه لما يزلف اليه التقيون تحت ذلك الظل وقراة عبد الله سيد خلهم باليا ان تودوا الامانات الخطاب عام لكل احد في كل امانة وقيل نزلت في عثمان بن طلحة بن عبد الدار وكان سادن الكعبة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وابى ان يدفع المفتاح اليه وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي بن ابي طالب يده رضي الله عنه واخذه منه وفتح ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج ساله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فامر عليا ان يرده الى عثمان ويعتذر اليه فقال عثمن لعلي اكرهت واذيت ثم جيت تترفق فقال لقد انزل الله في شانك قرانا وقراه عليه الاية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فمنبك جبريل فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السدانة في اولاد عثمن ابدا وقيل هو خطاب للولاة باداء الامانات والحكم بالعدل وقري الامانة على التوحيد نعما بعظكم به ما اما ان يكون منصوبة موصوفة بيعظكم به واما ان يكون مرفوعة موصولة به كانه قيل نعم شيا يعظكم به او نعم الشي الذي يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف اي نعما يعظكم به ذاك وهو المامور به من اداء الامانات والعدل في الحكم وقري نعما بقلب النون لما امر الولاة باداء الامانات الى اهلها وان يحكموا بالعدل امر الناس بان يطيعوهم ويترسلوا على قضاياهم والمراد باولي الامر منكم امراء الحق لان امراء الجور الله ورسوله بريان منهم فلا يعطفون على الله ورسوله في وجوب الطاعة لهم وانما يجمع بين الله ورسوله والامراء الموافقين لهما في ايثار العدل واختيار الحق والامر بهما والنهي عن اضدادهما كالخلفا الراشدين ومن تبعهم باحسان وكان الخلفاء

يقولون اطيعوني ما عدلت فيكم فان خالفت فلا طاعة لي عليكم وعن ابي حازم ان
مسلمة بن عبد الملك قال له الستم امرتم بطاعتنا في قوله واولي الامر منكم
قال اليس قد نزعت عنكم اذا خالفتم الحق بقوله فان تنازعتم في شي فردوه
الي الله والرسول وقيل هم امراء السرايا وعن النبي صلي الله عليه وسلم من اطاعني
فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصي الله ومن يطع اميري فقد اطاعني
ومن يعص اميري فقد عصاني وقيل هم العلماء الدينون الذين يعلمون
الناس الدين ويامرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فان تنازعتم في شي
فان اختلفتم انتم واولوا الامر منكم في شي من امور الدين فردوه الي الله
ورسوله اي ارجعوا فيه الي الكتاب والسنة وكيف يلزم طاعة امراء الجور
وقد جنح الله الامر بطاعة اولي الامر بما لا يبقي معه شك وهو انه امرهم
اولا باداء الامانات وبالعدل في الحكم وامرهم اخرا بالرجوع الي الكتاب والسنة
فيما اشكل وامراء الجور لا يودون امانة ولا يحكمون بعدل ولا يردون شيا
الي كتاب ولا الي سنة وانما يتبعون شهواتهم حيث ذهبت بهم فهم منسلخون
عن صفات الذين هم اولوا الامر عند الله ورسوله واحق اسمايهم اللصوص
المتغلبة ذلك اشارة الي الرد اي الرد الي الكتاب والسنة خير لكم واصلح
واحسن تاويلا واحسن عاقبة وقيل احسن تاويلا من تاويلكم انتم
روي ان بشرا المنافق خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الي النبي صلي الله
عليه وسلم ودعاه المنافق الي كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الي رسول
الله صلي الله عليه وسلم فقضي لليهودي فلم يرض المنافق وقال تعال نتحاكم
الي عمر بن الخطاب فقال اليهودي لعمر قضي لنا رسول الله صلي الله عليه وسلم
فلم يرض بقضايه فقال للمنافق اكذلك قال نعم فقال عمر مكانكما حتي
اخرج اليكما فدخل عمر فاشتمل علي سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق
حتي برد ثم قال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضا الله ورسوله فنزلت
وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله صلي الله
عليه وسلم انت الفاروق والطاغوت كعب بن الاشرف سماه الله طاغوتا
لافراطه في الطغيان وعداوة رسول الله صلي الله عليه وسلم او علي التشبيه
بالشيطان والتسمية باسمه او جعل اختيار التحاكم الي غير رسول الله
صلي الله عليه وسلم علي التحاكم اليه تحاكما الي الشيطان بدليل قوله وقد
امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم وقري بما انزل وما انزل علي

البنا

البنا للفاعل وقرا عباس بن الفضل ان يكفروا بها ذهابا بالطاغوت الي الجمع كقوله
اولياهم الطاغوت يخرجونهم وقرا الحسن تعالوا بضم اللام علي انه حذف اللام من
تعاليت تخفيفا كما قالوا باليت به باله واصلها بالية كعافية وكما قال الكسائي في
اية اصلها ايية فاعله فحذفت اللام فلما حذفت اللام وقعت واو الجمع بعد
اللام من تعالا فضمت فصار تعالوا نحو تقدموا ومنه قول اهل مكة تعالي بكسر
اللام للمراة وفي شعر الحمداني تعالي اقاسمك الهموم تعالي والوجه فتح
اللام فكيف يكون حالهم وكيف يصنعون يعني انهم يعجزون عند ذلك ولا
يصدرون امرا ولا يوردونه اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم
من التحاكم الي غيرك واتهامهم لك في الحكم ثم جاوك حين يصابون فيعتذرون
اليك ويحلفون ما اردنا بتحاكمنا الي غيرك الا احسانا وتوفيقا بين الخصمين
ولم نرد مخالفة لك ولا تسخطا لحكمك ففرج عنا بدعايك وهذا وعيد لهم
علي فعلهم وانهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار
عند حلول باس الله وقيل جاء اولياء المنافق يطلبون بدمه وقد اهدره الله
فقالوا ما اردنا بالتحاكم الي عمر الا ان يحسن الي صاحبنا بحكومة العدل والتوفيق
بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا ان يحكم له بما حكم به فاعرض عنهم لا تعاقبهم لمصلحة
في استبقايهم ولا تزدهم علي كفهم بالموعظة والنصيحة عما هم عليه وقل لهم
في انفسهم قولا بليغا بالغ في وعظهم بالتخويف والانذار فان قلت بم يتعلق
قوله في انفسهم قلت بقوله بليغا اي قل لهم قولا بليغا في انفسهم موثرا في
قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف استشعارا وهو التوعد
بالقتل والاستيصال ان نجم منهم النفاق واطلع قرنه واخبرهم ان ما في نفوسهم
من الدغل والنفاق معلوم عند الله وانه لا فرق بينكم وبين المشركين وما هذه
المكافة الا لاظهاركم الايمان واسراركم الكفر واضماره فان فعلتم ما تكشفون به
غطاءكم لم يبق الا السيف او يتعلق بقوله قل لهم اي قل لهم في معني انفسهم
الخبيثة وقلوبهم المطوية علي النفاق قولا بليغا وان الله يعلم ما في قلوبكم
لا يخفي عليه فلا يغني عنكم ابطانه فاصلحوا انفسكم وطهروا قلوبكم وداووها
من مرض النفاق والا انزل الله بكم ما انزل بالمجاهرين بالشرك من انتقامه وشرا
من ذلك واغلظ او قل لهم في انفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا لهم بالنصيحة
لانها في السر انجع وفي الامحاض ادخل قولا بليغا يبلغ منهم ويوثر فيهم وما ارسلنا
من رسول وما ارسلنا رسولا قط الا ليطاع باذن الله بسبب اذن الله في

طاعته وبانه امر المبعوث اليهم ليطيعوه ويتبعوه لانه مؤد عن الله فطاعته
طاعة الله ومعصيته معصية الله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ويجوز
ان يراد بتيسير الله وتوفيقه في طاعته ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالتحاكم
الى الطاغوت جاوك تائبين من النفاق متنصلين عما ارتكبوا فاستغفروا
الله من ذلك بالاخلاص وبالغوا في الاعتذار اليك من ايذائك برد قضائك
حتى انتصبت شفيعا لهم الى الله ومستغفرا لوجدوا الله توابا لعلموه توابا
اي لتاب عليهم ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه الى طريقة الالتفات تفخيما
لشان رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على ان شفاعة
من اسمه الرسول من الله بمكان فلا وربك معناه فوربك كقوله فوربك
لنسئلنهم ولا مزيد لتاكيد معنى القسم فان قلت هلا زعمت انها زيدت
لتظاهر لا في لا يؤمنون قلت يابى ذلك استواء النفي والاثبات فيه وذلك
قوله فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم فيما شجر بينهم فيما
اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه حرجا ضيقا اي لا تضيق
صدورهم من حكمك وقيل شكا لان الشاك في ضيق من امره حتى يلوح له اليقين
ويسلموا وينقادوا ويذعنوا لما تاتي به من قضائك لا يعارضونه بشيء من
قولك سلم لامر الله واسلم له وحقيقته سلم نفسه له واسلمها اذا جعلها سالمة
له خالصة وتسليما تاكيد للفعل بمنزلة تكثيره كانه قيل وينقادوا لحكمه
انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم قيل نزلت في شان المنافق واليهودي وقيل
في شان الزبير وحاطب بن ابي بلتعة وذلك انهما اختصما الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير ثم
ارسل الى جارك فغضب حاطب وقال لئن كان ابن عمك فتغير وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر واستوف
حقك ثم ارسله الى جارك كان قد اشار على الزبير براي فيه السعة له ولخصمه
فلما احفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعب للزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا
فمرا على المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه
في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حيوة موسى فدعانا
الى التوبة منه وقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة
ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم
مني الصدق لو امرني محمد ان اقتل نفسي لقتلتها وروي انه قال ذلك ثابت

وابن

وابن مسعود وعمار بن ياسر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده
ان من امتي رجالا الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي وروي عن
عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال والله لو امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله
الذي لم يفعل بنا ذلك فنزلت الاية في شان حاطب ونزلت في شان هؤلاء
ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم اي لو اوجبنا عليهم مثل ما اوجبنا على
بني اسرائيل من قتلهم انفسهم او خروجهم من ديارهم حين استتيبوا من
عبادة العجل ما فعلوه الا ناس قليل منهم وهذا توبيخ عظيم والرفع على
البدل من الواو في فعلوا وقرئ الا قليلا بالنصب على اصل الاستثناء او على
الا فعلا قليلا ما يوعظون به من اتباع رسول الله صلى الله وطاعته والانقياد
لما يراه ويحكم به لانه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى لكان خيرا
لهم في عاجلهم واجلهم واشد تثبيتا لايمانهم وابعد من الاضطراب فيه
واذن جواب لسؤال مقدر كانه قيل وماذا يكون لهم ايضا بعد التثبيت فقيل
واذا لو ثبتوا لاتيناهم لان اذا جواب وجزاء من لدنا اجرا عظيما كقوله
ويؤت من لدنه اجرا عظيما في ان المراد العطاء المتفضل به من عنده وتسميته
اجرا لانه تابع للاجر لا يثبت الا بثباته ولهديناهم وللطفنا بهم ووفقناهم
لازدياد الخيرات الصديقون افاضل اصحاب الانبياء الذين تقدموا في
تصديقهم كابي بكر الصديق رضي الله عنه وصدقوا في اقوالهم وافعالهم
وهذا ترغيب المؤمنين في الطاعة حيث وعدوا مرافقة اقرب عباد
الله الى الله وارفعهم درجات عنده وحسن اولئك رفيقا فيه معنى
التعجب كانه قيل وما احسن اولئك رفيقا ولا استقلاله بمعنى التعجب قرئ
وحسن بسكون السين يقول المتعجب حسن الوجه وجهك وحسن الوجه
وجهك بالفتح والضم مع التسكين والرفيق كالصديق والخليط في استواء
الواحد والجمع فيه ويجوز ان يكون مفردا بين به الجنس في باب التمييز وروي
ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى
الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف
الحزن في وجهه فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حاله فقال يا رسول الله ما بي
من وجع غير اني اذا لم اراك اشتقت اليك فاستوحشت وحشة شديدة
حتى القاك فذكرت الاخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع
مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت في منزل دون منزلتك وان لم ادخل فذاك

الوقت حين لا اراك ابدا فنزلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي
بيده لا يومن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه وابويه واهله وولده
والناس اجمعين وحكي ذلك عن جماعة من الصحابة ذلك مبتدا
والفضل صفة ومن الله الخبر ويجوز ان يكون ذلك مبتدا والفضل
من الله خبره والمعنى ان ما اعطي المطيعون من الاجر العظيم ومرافقة
المنعم عليهم من الله لانه تفضل به عليهم تبعا لثوابهم وكفى بالله عليما
بجزاء من اطاعه او اراد ان فضل المنعم عليهم ومزيتهم من الله لانهم اكتسبوه
بتمكينه وتوفيقه وكفى بالله عليما بعباده فهو يوفقهم على حسب احوالهم
خذوا حذركم الحذر والحذر كالاثر والاثر يقال اخذ حذره
اذا تيقظ واحترز من المخوف كانه جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه
ويعصم بها روحه والمعنى احذروا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من
انفسكم فانفروا اذا نفرتم الى العدو اما ثبات جماعات متفرقة سرية
بعد سرية واما جميعا اي مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا
بانفسكم الى التهلكة وقرئ فانفروا بضم الفاء اللام في لمن للابتداء
بمنزلتها في قوله ان الله لغفور وفي ليبطين جواب قسم محذوف تقديره
وان منكم لمن اقسم بالله ليبطين والقسم وجوابه صلة والضمير الراجع
منها اليه ما استكن في ليبطين والخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمبطون منهم المنافقون لانهم كانوا ينفرون معهم نفاقا ومعنى ليبطين
ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد وبطا بمعنى ابطا كعتم بمعنى اعتم اذا
ابطا وقرئ ليبطين بالتخفيف يقال بطا علي فلان وابطا علي وبطو
نحو ثقل ويقال ما بطا بك فيعدى بالباء ويجوز ان يكون منقولا من بطو
نحو من ثقل فيراد ليبطين غيره وليثبطنه عن الغزو وكان هذا ديدن
المنافق عبد الله بن ابي وهو الذي ثبط الناس يوم احد فان اصابتكم
مصيبة من قتل او هزيمة فضل من الله فتح او غنيمة ليقولن وقرا الحسن
ليقولن بضم اللام اعادة للضمير الى معنى من لان قوله لمن ليبطين في معنى
الجماعة وقوله كان لم يكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل الذي هو
ليقولن وبين مفعوله وهو يا ليتني والمعنى كان لم يتقدم له معكم مودة
لان المنافقين كانوا يوادون المومنين ويصادقونهم في الظاهر وان كانوا
يبغون لهم الغوايل في الباطن والظاهر انه تهكم لانهم كانوا اعدى عدو

للمومنين

للمومنين واشدهم حسدا لهم فكيف يوصفون بالمودة الا على وجه العكس
تهكما بحالهم وقرئ فافوز بالرفع عطفا على كنت معهم لينتظم الكون معهم
والفوز معنى التمني فيكونا متمنيين جميعا ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف
بمعنى فانا افوز في ذلك الوقت يشرون بمعنى يشترون ويبيعون قال
بن مفرغ وشريت بردا ليتني من بعد برد كنت هامه فالذين يشترون الحياة
الدنيا بالاخرة هم المبطئون وعظوا بان يغيروا ما بهم من النفاق ويخلصوا
الايمان بالله ورسوله ويجاهدوا في سبيل الله حق الجهاد والذين يبيعون
هم المومنون الذين يستحبون الاجلة على العاجلة ويستبدلونها بها والمعنى
ان صد الذين مرضت قلوبهم وضعفت نياتهم عن القتال فليقاتل الثابتون
المخلصون ووعد المقاتل في سبيل الله ظافرا او مظفورا به ايتاء الاجر العظيم
على اجتهاده في اعزاز دين الله والمستضعفين فيه وجهان ان يكون مجرورا
عطفا على سبيل الله اي في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين ومنصوبا على
الاختصاص يعني واختص من سبيل الله خلاص المستضعفين لان
سبيل الله عام في كل خير وخلاص المستضعفين من المسلمين من ايدي الكفار
من اعظم الخير واخصه والمستضعفون هم الذين اسلموا بمكة وصدهم المشركون
عن الهجرة فبقوا بين اظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم الاذى الشديد
فكانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج الى المدينة
وبقي بعضهم الى الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خير ولي وناصر وهو محمد صلى الله
عليه وسلم فتولاهم احسن التولي ونصرهم اقوى النصر ولما خرج استعمل على مكة
عتاب بن اسيد فراوا منه الولاية والنصرة كما ارادوا وقال ابن عباس كان
ينصر الضعيف من القوي حتى كانوا اعز بها من الظلمة فان قلت لم ذكر الولدان
قلت تسجيلا بافراط ظلمهم حيث بلغ اذاهم الولدان غير المكلفين ارغاما
لابائهم وامهاتهم ومبغضة لهم لمكانهم ولان المستضعفين كانوا يشركون
صبيانهم في دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل
قوم يونس وكما وردت السنة باخراجهم في الاستسقاء وعن بن عباس كنت
انا وامي من المستضعفين من النساء والولدان ويجوز ان يراد بالرجال
والنساء الاحرار وبالولدان العبيد والاماء لان العبد والامة يقال لهما
الوليد والوليدة وقيل للولدان والولايد الولدان لتغليب الذكور
على الاناث كما يقال الابا والاخوة فان قلت لم ذكر الظالم وموصوفه مونث

قلت هو وصف للقرية الا انه مسند الى اهلها فاعطى اعراب القرية لانه صفتها وذكر لاسناده
الى الاهل كما يقول من هذه القرية التي ظلم اهلها ولو انث فقيل الظالمة اهلها لجاز
لتانيث الموصوف ولكن الاهل يذكر ويونث فان قلت هل يجوز من هذه
القرية الظالمين اهلها قلت نعم كما يقول التي ظلموا اهلها على لغة من يقول
اكلوني البراغيث ومنه واسروا النجوى الذين ظلموا ه رغب الله المومنين ترغيبا
وشجعهم تشجيعا باخبارهم انهم انما يقاتلون في سبيل الله فهو وليهم وناصرهم
واعداوهم يقاتلون في سبيل الشيطان فلا ولي لهم الا الشيطان وكيد
الشيطان اي جنب كيد الله للكافرين اضعف شيء واهونه ه كفوا ايديكم اي
كفوها عن القتال وذلك ان المسلمين كانوا مكفوفين عن مقاتلة الكفار ما داموا
بمكة وكانوا يتمنون ان يوذن لهم فيه فلما كتب عليهم القتال بالمدينة كع فريق منهم
لاشكاية الدين ولا رغبة عنه ولكن رهبة وخوفا عن الاخطار بالارواح وخوفا من
الموت ه كخشية الله ه من اضافة المصدر الى المفعول فان قلت ما محل كخشية
الله من الاعراب قلت محله النصب على الحال من الضمير في يخشون اي يخشون
الناس مثل اهل خشية الله اي مشبهين لاهل خشية الله ه او اشد خشية ه
بمعنى او اشد خشية من اهل خشية الله واشد معطوف على الحال فان قلت
لم عدلت عن الظاهر وهو كونه صفة للمصدر ولم يقل يخشون خشية مثل
خشية الله بمعنى مثل ما يخشى الله قلت ابى ذلك قوله او اشد خشية لانه
وما عطف عليه لا يخلو اما ان يكون من جملة الناس او لا يكون منهم فان كان منهم
فلا بد من التفرقة بينهم وبين الناس في الخشية وان لم يكن منهم فلا بد من التفرقة
بينهم وبين من شبهوا بهم في الخشية وهي التفرقة بين المشبه والمشبه به
عن ضمير الفريق ولم ينتصب انتصاب المصدر لانك لا تقول خشي فلان اشد خشية
فينتصب خشية وانت تريد المصدر انما تقول اشد خشية فتجرها واذا نصبتها
لم يكن اشد خشية الا عبارة عن الفاعل حالا منه اللهم الا ان تجعل الخشية خاشية
وذات خشية على قولهم جد جده ه فتزعم ان معناه يخشون الناس خشية مثل
خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله ويجوز على هذا ان يكون محل
اشد نصبا على الحال وراعطفا على خشية الله يريد كخشية الله او كخشية اشد خشية منها ه لولا
اخرتنا الى اجل قريب ه استزاده برمدة الكف واستمهال الى وقت اخر كقوله لولا
اخرتني الى اجل قريب فاصدق ه ولا تظلمون فتيلا ه ولا تنقصون ادنى شيء من
اجوركم على مشاق القتال فلا ترغبوا عنه وقرئ ولا يظلمون بالياء قرئ يدركم
بالرفع وقيل هو على حذف الفاء كانه قيل فيدركم الموت وشبه بقول القايل
من يفعل الحسنات الله يشكرها ه ويجوز ان يقال حمل على ما يقع موقع

اينما تكونوا وهو اينما كنتم كما حل ولا تاعب على ما يقع موقع ليسوا وهو ليسوا بمصلين ورفع
كل رفع زهير يقول لا غايب مالي ولا حرم ه وهو قول نحوي سيبوي ويجوز ان يتصل بقوله
ولا تظلمون فتيلا اي ولا تسقصون شيا مما كتب من اجالكم اينما تكونوا ه طاحم الحروب
اوغيرها ثم ابتدا قوله يدركم الموت ولو كنتم في بروج شيدة والوقف على هذا
الوجه على اينما تكونوا ه والبروج ه الحصون ه مشيدة ه مرفعة وقري مشيده من
شاد القصر اذا رفعه او طلاه بالشيد وهو الجص وقرا نعيم من مبرج مشيدة
بكسر الياء وصفها بفعل فاعلها مجازا كما قالوا قصيدة شاعرة وانما الشاعر
قارضها ه السيية ه تقع على البلية والمعصية والحسنة على النعمة والطاعة قال
الله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيات لعلهم يرجعون وقال ان الحسنات
يذهبن السيات والمعنى وان تصبهم نعمة من خصب ورخاء نسبوها الى الله وان
تصبهم بلية من قحط وشدة اضافوها اليك وقالوا هي من عندك وما كانت الا بشومك
كما حكى الله عن قوم موسى وان تصبهم سية يطيروا بموسى ومن معه وعن قوم صالح
قالوا اطيرنا بك وبمن معك وروي عن اليهود لعنهم الله انما نشاءمت برسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالوا منذ دخل المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها فرد الله
عليهم ه قل كل من عند الله ه بيسط الارزاق ويقبضها على حسب المصالح لا يكادون
يفقهون حديثا ه فيعلمون ان الله هو الباسط القابض وكل ذلك صادر عن حكمة
ثم قال ما اصابك ه يا انسان خطابا عاما ه من حسنة اي من نعمة واحسان ه من الله ه
تفضلا منه واحسانا وامتنانا وما اصابك من سيه ه اي من بلية ومصيبة
من عندك ه لانك السبب فيها بما تكسب يداك وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم
ويعفوا عن كثير وعن عايشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى
الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفوا الله اكثر ه وارسلناك
للناس رسولا ه اي رسولا للناس جميعا ليست برسول العرب وحدهم انت رسول
العرب والعجم كقوله وما ارسلناك الا كافة للناس قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم
جميعا ه وكفى بالله شهيدا ه على ذلك فاينبغي لاحد ان يخرج عن طاعتك واتباعك
من يطع الرسول فقد اطاع الله ه لانه لا يامر الا بما امر الله به ولا ينهى الا عما نهى الله عنه
فكانت طاعته في امتثال ما امر به والانتهاء عما نهى عنه طاعة لله وروي انه قال
من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون الا تسمعون
الرجل يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى ان يعبد غير الله ما يريد هذا
الرجل الا ان يتخذه ربانا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت ه ومن تولى ه عن الطاعة

فاعرض عنه فما ارسلناك الا نذيرا لا حفيظا ومهيمنا عليهم تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم
عليها وتحاسبهم عليها وتعاقبهم كقوله وما انت عليهم بوكيل ويقولون اذا امرتهم بشي
طاعة بالرفع اي امرنا وشاننا طاعة ويجوز النصب بمعنى اطعنا طاعة وهذا
من قول المرتسم سمعا وطاعة وسمع وطاعة ونحوه قول سيبويه وسمعنا بعض
العرب الموثوق بهم يقال له كيف اصبحت فيقول حمد الله وثناء عليه كانه قال امرنا
وشاني حمد الله ولو نصب حمدا لله وثناء عليه كان على الفعل والرفع يدل على
ثبات الطاعة واستقرارها بيت طايفة زورت طايفة وسوت غير الذي
تقول خلاف ما قلت وما امرت به او خلاف ما قالت دبرت وما ضمنت من الطاعة لانهم
ابطنوا الرد لا القبول والعصيان لا الطاعة وانما ينافقون بما يقولون ويظهرون
والتبييت اما من البيتوتة لانه قضاء الامر وتدبيره بالليل يقال هذا امر بيت
بليل واما من ابيات الشعر لان الشاعر يدبرها ويسويها والله يكتب ما يبيتون
يثبته في صحايف اعمالهم ويجازيهم عليه على سبيل الوعيد او يكتبه في جملة ما يوحي
اليك فيطلعك على اسرارهم فلا تحسبوا ان ابطانهم يغني عنهم فاعرض عنهم
ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم وتوكل على الله في شانهم فان الله يكفيك معرتهم
وينتقم لك منهم اذا قوي امر الاسلام وعز انصاره وقرئ بيت طايفة بالادغام
وتذكير الفعل لان تانيث الطايفة غير حقيقي ولانها في معنى الفريق والفوج تدبر
الامر تامله في ادباره وما يوول اليه في عاقبته ومنتهاه ثم استعمل في كل تامل فمعنى
تدبر القران تامل معانيه وتبصر ما فيه لوجدوا فيه اختلافا كثيرا لكان الكثير منه
مختلفا متناقضا قد تفاوت نظمه وبلاغته ومعانيه فكان بعضه بالغا حد الاعجاز
وبعضه قاصرا عنه تمكن معارضته وبعضه اخبارا بغيب قد وافق المخبر عنه وبعضه
اخبارا مخالفا للمخبر عنه وبعضه دالا على معنى صحيح عند علما المعاني وبعضه دالا
على معنى فاسد غير ملتيم فلما تجاوب كله بلاغة معجزة فايتة لقوى البلغا وتناسب
صحة معان وصدق اخبار علم انه ليس الا من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره
عالم بما لا يعلمه احد سواه فان قلت اليس نحو قوله فاذا هي ثعبان مبين كانها جان
فوربك لنسلنهم اجمعين فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان من الاختلاف
قلت ليس باختلاف عند المتدبرين هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم تكن فيهم
خبرة بالاحوال ولا استيطان للامور كانوا اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله
صلى الله عليه وسلم من امن وسلامة او خوف وخلل اذاعوا به وكانت اذاعتهم
مفسدة ولو ردوا ذلك الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اولي الامر وهم كبار

الصحابة البصراء بالامور او الذين كانوا يؤمرون منهم لعلمه لعلم تدبير ما اخبروا به
الذين يستنبطونه الذين يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور
الحرب ومكايدها وقيل كانوا يقفون من رسول الله صلى الله عليه وسلم واولي
الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء وعلى خوف واستشعار فيذيعونه
فينتشر فيبلغ الاعداء فتعود اذاعته مفسدة ولو ردوه الى الرسول والى اولي
الامر منهم وفوضوه اليهم وكانوا كان لم يسمعوا العلم الذين يستنبطون تدبيره كيف
يدبرونه وما ياتون ويذرون فيه وقيل كانوا يسمعون من افواه المنافقين شيئا
من الخبر عن السرايا مظنونا غير معلوم الصحة فيذيعونه فيعود ذلك وبالا على
المومنين ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم
هل هو مما يذاع او لا يذاع لعلمه الذين يستنبطونه منهم لعلم صحته وهل هو مما يذاع
او لا يذاع هولاء المذيعون وهم الذين يستنبطونه من الرسول واولي الامر ان
يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم فيقال اذاع السر واذاع به قال
اذاع به في الناس حتى كانه بعلياء نار اوقدت بثقوب ويجوز ان يكون المعنى
فعلوا به الاذاعة وهو ابلغ من اذاعوه وقرئ لعلمه باسكان اللام كقوله
كما ضجر بازل من الادم دبرت صفحتاه وغاربه والنبط الماء يخرج من البير
اول ما يحفر وانباطه واستنباطه اخراجه واستخراجه فاستعير لما يستخرجه
الرجل بفضل ذهنه من المعاني والتدابير فيما يعضل ويهم ولولا فضل الله عليكم
ورحمته وهو ارسال الرسول وانزال الكتاب والتوفيق لاتبعتم الشيطان
على الكفر الا قليلا منكم او الا اتباعا قليلا لما ذكر في الاي قبلها تنبطهم عن القتال
واظهارهم الطاعة واضمارهم خلافها قال فقاتل في سبيل الله ان افردوك وتركوك
وحدك لا تكلف الا نفسك غير نفسك وحدها ان تقدمها الى الجهاد فان الله هو
ناصرك لا الجنود فان شاء نصرك وحدك كما ينصرك وحولك الالوف وقيل دعا
الناس في بدر الصغرى الى الخروج وكان ابو سفين واعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم اللقاء فيها فكره بعض الناس ان يخرجوا فنزلت فخرج وما معه الا سبعون
لم يلو على احد ولو لم يتبعه احد لخرج وحده وقرئ لا تكلف بالجزم على النهي ولا
تكلف بالنون وكسر اللام اي لا نكلف نحن الا نفسك وحدها وحرض المومنين
وما عليك في شانهم الا التحريض فحسب لا التعنيف بهم عسى الله ان يكف باس
الذين كفروا وهم قريش وقد كف باسهم فقد بدا لابي سفين وقال هذا عام
مجدب وما كان معهم زاد الا السويق ولا يلقون الا في عام مخصب فرجع بهم

والله اشد باسا من قريش واشد تنكيـ[illegible]ـيبا الشفاعة الحسنة هي التي
روعي بها حق المسلم ودفع بها عنه شـ[illegible]ـب اليه خير وابتغي بها وجه
الله ولم توخذ عليها رشوة وكانت في ا[illegible]ـز لا في حد من حدود الله ولا
في حق من الحقوق والسيئة ما كان بخـ[illegible]ـلك وعن مسروق انه شفع
شفاعة فاهدي اليه المشفوع له جار[illegible]ـضب وردها وقال لو علمت ما
في قلبك لما تكلمت في حاجتك ولا اتكلم فيما بقي منها وقيل الشفاعة الحسنة
هي الدعوة للمسلم لانها في معنى الشفاعة الى الله وعن النبي عليه الصلاة والسلام
من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك
فذلك النصيب والدعوة على المسلم بضد ذلك مقيتا شهيدا حفيظا
وقيل مقتدرا واقات على الشي قال الزبير بن عبد المطلب
وذي ضغن كففت السوء عنه وكنت على اساته مقيتا وقال السموأل
الى الفضل ام علي اذا حوسبت اني على الحساب مقيت واشتقاقه من
القوت لانه يمسك النفس ويحفظها الاحسن منها ان يقول وعليكم السلام
ورحمة الله اذا قال السلام عليكم وان يزيد وبركاته اذا قال ورحمة الله وروي
ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام
ورحمة الله وقال اخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة
الله وبركاته وقال اخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك
فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله وتلا الاية فقال انك لم تترك لي فضلا فرددت
عليك مثله او ردوها او اجيبوها بمثلها ورد السلام ورجعه جوابه
بمثله لان المجيب يرد قول المسلم ويكرره وجواب التسليم واجب والتخيير
انما وقع بين الزيادة وتركها وعن ابي يوسف رحمه الله من قال لاخر اقرئ
فلانا السلام وجب عليه ان يفعل وعن النخعي السلام سنة والرد فريضة
وعن بن عباس الرد واجب وما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم فلا
يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملايكة ولا يرد السلام
في الخطبة وقراة القران جهرا ورواية الحديث وعند مذاكرة العلم والاذان
والاقامة وعن ابي يوسف لا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغني والقاعد
لحاجته ومطير الحمام والعاري من غير عذر في حمام او غيره وذكر الطحاوي
ان المستحب رد السلام على الطهارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه تيمم لرد
السلام قالوا ويسلم الرجل اذا دخل على امراته ولا يسلم على اجنبية ويسلم

الماشي

الماشي على القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على
الكبير والاقل على الاكثر واذا التقيا ابتدرا وعن ابي حنيفة لا يجهر بالرد يعني
الجهر الكثير وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم
ما قلتم لانهم كانوا يقولون السام عليكم وروي انه لا تبدا اليهودي بالسلام
وان بداك فقل وعليك وعن الحسن يجوز ان يقول للكافر وعليك السلام ولا يقول
ورحمة الله فانها استغفار وعن الشعبي انه قال لنصراني سلم عليه وعليك السلام
ورحمة الله فقيل له فقال اليس في رحمة الله يعيش وقد رخص بعض العلماء في
ان يبدا اهل الذمة بالسلام اذا دعت الى ذلك حاجة تحوج اليهم وروي ذلك
عن النخعي وعن ابي حنيفة لا تبداه بالسلام في كتاب ولا غيره وعن ابي يوسف
لا تسلم عليهم ولا تصافحهم واذا دخلت فقل السلام على من اتبع الهدى ولا باس
بالدعا بما يصلحه في دنياه على كل شي حسيبا اي يحاسبكم على كل شي من التحية
وغيرها لا اله الا هو اما خبر للمبتدا واما اعتراض والخبر ليجمعنكم ومعناه
الله والله ليجمعنكم الى يوم القيامة اي ليحشرنكم اليه والقيامة والقيام كالطلابة
والطلاب وهي قيامهم من القبور او قيامهم للحساب قال الله تعالى يوم يقوم
الناس لرب العالمين ومن اصدق من الله حديثا لانه عز وعلا صادق
لا يجوز عليه الكذب وذلك ان الكذب مستقل بصارف عن الاقدام عليه وهو
قبحه ووجه قبحه الذي هو كونه كذبا واخبارا عن الشي بخلاف ما هو عليه فمن
كذب لم يكذب الا لانه يحتاج الى ان يكذب ليجر منفعة او يدفع مضرة او هو غني
عنه الا انه يجهل غناه او هو جاهل بقبحه او هو سفيه لا يفرق بين الصدق
والكذب في اخباره ولا يبالي بايهما نطق وربما كان الكذب احلى على حنكه من الصدق
وعن بعض السفها انه عوتب على الكذب فقال له لو غرغرت لهواتك به ما
فارقته وقيل لكذاب هل صدقت قط فقال لولا اني صادق في قولي لا لقلتها فكان
الحكيم الغني الذي لا يجوز عليه الحاجات العالم بكل معلوم منزها عنه كما هو
منزه عن ساير القبايح فيتين نصب على الحال كقولك مالك قايما روي ان قوما
من المنافقين استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البدو معتلين
باجتوا المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين
فاختلف المسلمون فيهم فقال بعضهم هم كفار وقال بعضهم هم مسلمون وقيل
كانوا قوما هاجروا من مكة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم انا على دينك وما اخرجنا الا اجتوا المدينة والاشتياق الى بلدنا وقيل هم

يوم احد

قوم خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجعوا وقيل هم العرنيون الذين اغاروا
على السرح وقتلوا يسارا وقيل هم قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة ومعناه ما لكم
اختلفتم في شان قوم نافقوا نفاقا ظاهرا وتفرقتم فيهم فرقتين وما لكم لم تثبتوا القول
بكفرهم والله اركسهم اي ردهم في حكم المشركين كما كانوا بما كسبوا من ارتدادهم ولحوقهم
بالمشركين واحتيالهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم او اركسهم في الكفر بان خذلهم حتى
ارتكسوا فيه لما علم من مرض قلوبهم اتريدون ان تهدوا ان تجعلوا من جملة المهتدين
من اضل الله من جعله من جملة الضلال وحكم عليه بذلك وخذله حتى ضل وقرئ
ركسهم وركسوا فيها فتكونون عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز والمعنى
ودوا كفركم فكونكم معكم شرعا واحدا فيما هم عليه من الضلال واتباع دين الاباء فلا
تتولوهم وان امنوا حتى يظاهروا ايمانهم بهجرة صحيحة هي لله ورسوله لا لغرض من
اغراض الدنيا مستقيمة ليس بعدها بداء ولا تعرب فان تولوا عن الايمان الظاهر بالهجرة
الصحيحة المستقيمة فحكمهم حكم ساير المشركين يقتلون حيث وجدوا في الحل والحرم
وجانبوهم مجانبة كلية وان بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم الا الذين
يصلون الى استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم ومعنى يصلون الى قوم ينتهون
اليهم ويتصلون بهم وعن ابي عبيدة هو من الانتساب وصلت الى فلان واتصلت
به اذا انتهيت اليه وقيل ان الانتساب لا اثر له في منع القتال فقد قاتل رسول الله
صلى الله عليه وسلم بمن معه من هو من انسابهم والقوم هم الاسلميون كان بينهم
وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وذلك انه وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن
عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال ولجا اليه
فله من الجوار مثل الذي لهلال وقيل القوم بنو بكر بن زيد مناة كانوا في الصلح او
جاوكم لا يخلوا من ان يكون معطوفا على صفة قوم كانه قيل الا الذين يصلون الى
قوم معاهدين او قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم او على صلة الذين كانه قيل
الا الذين يتصلون بالمعاهدين او الذين لا يقاتلونكم والوجه العطف على الصلة
لقوله فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا
بعد قوله فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم فقرر ان كفهم عن القتال احد
سببي استحقاقهم لنفي التعرض عنهم وترك الايقاع بهم فان قلت كل واحد من
الاتصالين له تاثير في صحة الاستثناء واستحقاق ازالة التعرض الاتصال بالمعاهدين
والاتصال بالكافرين لان الاتصال بهولاء وهولاء دخول في حكمهم فهلا جوزت
ان يكون العطف على صفة قوم ويكون قوله فان اعتزلوكم تقريرا لحكم اتصالهم واختلاطهم
بالكافرين

بهم

بهم وجريهم على سننهم قلت هو جائز ولكن للاول اظهر واجرى على اسلوب الكلام وفي قراءة ابي بينكم وبينهم ميثاق جاؤكم حصرت
صدورهم بغير او ووجهه ان يكون جاؤكم بيانا ليصلون او بدلا او استينافا او صفة بعد صفة لقوم حصرت صدورهم في
موضع الحال باضمار قد والدليل عليه قراءة من قرا حصرة صدورهم وحصرات صدورهم وحاصرات صدورهم وجعله المدة صفة
لموصوف محذوف على او جاؤكم قوما حصرت صدورهم وقيل هو بيان لجاؤكم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله غير مقاتلين والحصر
الضيق والانقباض ان يقاتلوكم عن ان يقاتلوكم او كراهة ان يقاتلوكم فان قلت كيف يجوز ان يسلط الله الكفرة على المؤمنين
قلت ما كانت مكافتهم الا لقذف الله الرعب في قلوبهم ولو شاء لمصلحة يراها من ابتلاء ونحوه لم يقذفه فكانوا متسلطين
مقاتلين غير مكافين فذلك معنى التسليط وقرئ فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد فان لم يعتزلوكم فان لم يتعرضوا لكم والقوا
اليكم السلم اي الانقياد والاستسلام وقرئ بسكون اللام مع فتح السين فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم في
اخذهم وقتلهم ستجدون اخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم كلما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها فان لم يعتزلوكم
ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا وما كان
لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطا ومن قتل مؤمنا خطا فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله الا ان يصدقوا فان كان
من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير
رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما ستجدون اخرين هم قوم من اسد
وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليامنوا المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم كلما ردوا
الى الفتنة كلها دعاهم قومهم الى قتال المسلمين اركسوا فيها قلبوا فيها اقبح قلب واشنعه وكانوا شرا فيها من كل عدو حيث
ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم سلطانا مبينا حجة واضحة لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر واضرارهم باهل
الاسلام او تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم في قتلهم وما كان لمؤمن وما صح له ولا استقام ولا لاق بحاله كقوله وما كان لنبي
ان يغل وما يكون لنا ان نعود ان يقتل مؤمنا ابتداء غير قصاص الا خطا الا على وجه الخطا فان قلت بم انتصب خطا
قلت بانه مفعول له اي ما ينبغي له ان يقتله لعلة من العلل الا للخطا وحده ويجوز ان يكون حالا بمعنى لا يقتله في حال
من الاحوال الا في حال الخطا وان يكون صفة للمصدر الا قتلا خطا والمعنى ان من شان المؤمن اي ينتفي عنه وجود قتل
المؤمن ابتداء البتة الا اذا وجد منه خطا من غير قصد بان يرمي كافرا فيصيب مسلما او يرمي شخصا على انه كافر فاذا
هو مسلم وقرئ خطا بالمد وخطا بوزن عمى بتخفيف الهمزة روي ان عياش بن ابي ربيعة وكان اخا ابي جهل لامه
اسلم وهاجر خوفا من قومه الى المدينة وذلك قبل هجرة رسول الله فاقيمت امه لا تاكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى
يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحرث بن زيد بن انيسة فاتياه وهم في اطم فقتل منه ابو جهل في الذرق والغارب وقال
اليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر امك وانت على دينك حتى نزل واذهب معهما فلما فسحا عن المدينة كتفاه
وجلده كل واحد ماية جلدة فقال للحرث هذا اخي فمن انت يا حارث لله علي ان وجدتك خاليا ان اقتلك وقدما به
على امه فجعلت لا يحل كتافه او يرتد ففعل هاجر بعد ذلك واسلم الحارث وهاجر فلقيه عباس بظهر قباء ولم يشعر باسلامه
عليه فقتله ثم اخبر باسلامه فاتى رسول الله ص فقال قتلته ولم اشعر باسلامه فنزلت فتحرير رقبة فعليه تحرير رقبة والتحرير والاعتاق
والحر العتيق الكريم لان الكدم في الاحرار كما ان اللؤم في العبيد ومنه عتاق الخيل وعتاق الطير لكدامها وحر الوجه اكدم

موضع منه وقولهم عبد وفلان عبد الفعل الفعل والرقبة عبارة عن النسمة كما عبر عنها بالراس في قولهم فلان يملك كذا باسا من
والمراد رقبة مؤمنة كل رقبة كانت على حكم الاسلام عند عامة العلماء وعن الحسن لا تجزي الا رقبة قد صلت وصامت ولا
ولا تجزي الصغيرة وقاس عليها الشفعي كفارة الظهار واشتراط الايمان وقيل لما اخرج نفسا مؤمنة عن جملة الاحياء لذمة
ان يدخل نفسا مؤمنة في جملة الاحرار لان اطلاقها من قيد الرق كاحياها من قبيل ان الرقيق ممنوع من تصرف الاحرار مسلمة
الى اهله مؤداة الى ورثته يقتسمونها كما يقتسمون الميراث لا فرق بينها وبين السائر في كل شيء يقضى منها الدين وتنفذ الوصية
واذا لم يبق وارثا فهي لبيت المال لان المسلمين يقومون مقام الورثة كما قال رسول الله صم انا وارث من لا وارث له
وعن عمر رضي الله عنه انه قضى بدية المقتول فجاءت امراته تطلب ميراثها من عقله فقال لا اعلم لك شيئا انما الدية
للعصبة الذين يعقلون عنه فقام الضحاك بن سفيان الكلابي فقال كتب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرني ان اورث امراة
اشيم الضبابي من عقل زوجها اشيم فورثها عمر وعن ابن مسعود رضي الله عنهما يرث كل وارث من الدية غير القاتل وعن
شريك لا يقضى من الدية دين ولا تنفذ وصية وعن ربيعة الغرة لامر وحدها وذلك خلاف قول الجماعة **فان قلت** على
من تجب الدية والرقبة **قلت** على القاتل الا ان الرقبة في ماله والدية يحملها عنه العاقلة فان لم يكن له عاقلة فهي في
بيت المال فان لم يكن ففي ماله الا ان يصدقوا الا ان يتصدقوا عليه بالدية ومعناه العفو لقوله تعالى الا ان يعفون
ونحوه وان تصدقوا خير لكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم فلم كل معروف صدقة وقد اتى الا ان يتصدقوا **فان قلت**
بم تعلق ان يصدقوا وما محله **قلت** تعلق بعليه او بمسلمة كانه قيل وتجب عليه الدية او يسلمها الا حين يتصدقون
عليه ومحلها النصب على الظرف بتقدير حذف الزمان كقولهم اجلس ما دام زيد جالسا ويجوز ان يكون حالا من اهله
بمعنى الا متصدقين من قوم عدو لكم من قوم كفار اهل حرب وذلك نحو رجل اسلم في قومه الكفار وهو بين اظهرهم لم
يفارقهم فعلى قاتله الكفارة اذا قتل خطا وليس على عاقلته لاهله شيء لانهم كفار محاربون وقيل وكان الدجال فيسلم
ثم ياتي قومهم وهم مشركون فيعريهم جيش المسلمين فيقتل فيهم خطا لانهم يظنونه كافرا مثلهم وان كان من قوم كفرة لهم
ذمة كالمشركين الذين عاهدوا المسلمين واهل الذمة من الكبائر فحكمه حكم مسلم من المسلمين فمن لم يجد رقبة لمعنى لم
يملكها ولا ما يتوصل به اليها فعليه صيام شهرين متتابعين توبة من الله قبولا من الله ورحمة منه من تاب الله عليه
اذا قبل توبته بمعنى شرع ذلك توبة منه او نقلكم من الرقبة الى الصوم توبة منه ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم
خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما هذه الاية فيها من التهديد والايعاد والابراق والارعاد
عظيم وخطب غليظ ومن ثم روي عن ابن عباس رضي الله عنه ما روي من ان توبة قاتل المؤمن عمله غير مقبول
سيفني كان اهل العلم اذا سلوا قالوا لا توبة له وذلك محمول متميز على الاقتداء بسنة الله في التغليظ والتشديد والافكار
ذنب محمول بالتوبة وناهيك بمحو الشرك دليلا وفي الحديث لزوال الدنيا اهون على الله من قتل امرء مسلم وفيه لو ان
رجلا قتل بالمشرق واخر رضي بالمغرب لاشرك في دمه وفيه ان هذا الانسان بنيان الله ملعون من هدم بنيانه وفيه
من اعان على قتل مسلم بشطر كلمة جاء يوم القيمة مكتوب بين عينيه ايس من رحمة الله والعجب من قوم يقرؤن هذه الاية
ويرون ما فيها ويسمعون هذه الاحاديث الفظيعة وقول ابن عباس منع ثم لا تدعهم اشعتهم وطاعتهم القارعة
واتباعهم اموالهم وما تحيل اليه مناهم ان يطمعوا في العفو عن قاتل المؤمن بغير توبة افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها

ثم ذكر الله سبحانه وتعالى التوبة في قتل الخطا لما عين يقع من نوع تفريط فيما يجب من الاحتياط والتحفظ فيه للاطماع واي جسم ولكن لا
حيوة لمن تنادي **فان قلت** هل فيما دليل على خلود من لم يتب من اهل الكبائر **قلت** ما ابين الدليل فيما وهو تناول قوله ومن
يقتل اي قاتل كان من مسلم او كافر تائب او غير تائب الا ان التائب اخرجه الدليل فمن ادعى اخراج المسلم غير التائب فليات
بدليل مثله يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا تبتغون عرض الحيوة
الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا فتبينوا وقرئ فتثبتوا و
هما من التفعل بمعنى الاستفعال اي اطلبوا بيان الامر وثباته ولا تتموكوا فيه من غير رويته وقرئ السلم والسلام وهما
الاستسلام وقيل الاسلام وقيل التسليم الذي هو : هل الاسلام لست مؤمنا وقرئ مومنا بفتح الميم من امنه
اي لا نومنكم واصله لان مرداس بن نهيك رجلا من اهل فدك اسلم لم يسلم من قومه غير نفرتهم سرية لرسول الله
صلعم كان عليها غالب بن فضالة الليثي فهربوا وبقي مرداس لثقته باسلامه فلما راى الخيل الجاء غنمه الى عاقول من
الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل فقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد
واستاق غنمه فاخبروا رسول الله صلعم فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه ثم قرا الاية على اسامة فقال
يا رسول الله استغفر لي قال فكيف بلا لا اله الا الله قال اسامة فما زال يعيدها حتى وددت ان لم اكن اسلمت الا
يومئذ ثم استغفر لي وقال اعتق رقبة تبتغون عرض الحيوة الدنيا تطلبون الغنيمة التي هي حطام سريع النفاد
فهو الذي يدعوكم الى ترك التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلون فعند الله مغانم كثيرة يغنموها تغنيكم عن قتل
رجل يظهر الاسلام ويتعوذ به من التعرض له لتاخذوا ماله كذلك كنتم من قبل اول ما دخلتم في الاسلام سمعت
من افواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماؤكم واموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطاة قلوبكم لا السنتكم فمن الله عليكم
بالاستقامة والاشتهار بالايمان والتقدم فيه حدثتم اعلاما فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين في الاسلام ما فعل بكم
وان تعيروا ظاهر الاسلام في المكافة ولا تقولوا ان تهليل هذا لاتقاء القتل لا لصدق النية فتجعلوه سلما الى استباحة دمه
وماله وقد حرمهما الله وقوله فتبينوا تكرير للامر بالتبيين ليولد عليهم ان الله كان بما تعملون خبيرا فلا تتافتوا بالقتل
وكونوا محتارزين محتاطين في ذلك لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله
باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين
على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما غير اولي الضرر وقرئ بالحركات الثلث فالرفع
صفة للقاعدون والنصب استثناء منهم او حال عنهم والجر صفة للمؤمنين والضرر المرض والعاهة من عمى وعرج او زمانة
او نحوها وعن زيد بن ثابت كنت الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذه
حتى جئت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب فكتبت في كيف لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فقال
ابن ام مكتوم وهو اعمى يا رسول الله وكيف لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك ثم قال اقرا يا زيد
فقرات لا يستوي القاعدون من المؤمنين فقال غير اولي الضرر والمجا فقال زيد انزلها الله وحدها فالحقتها و
الذي نفسي بيده لكاني انظر الى ملحقها عند صدع في الكتف وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا يستوي القاعدون
عن بدر والخارجون اليها وعن مقاتل الى تبوك **فان قلت** معلوم ان القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان فما فائدة

نفي الاستوا قلت معناه الاذكار بما بينهما من التفاوت العظيم والبون البعيد ليانف القاعد ويترفع بنفسه عن الخطاط
منزلته فيهتز الجهاد ويرغب فيه وفي ارتفاع طبعته ونحوه هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون اريد به التحريك
من حمية الجاهل وانفته ليهاب به الى التعلم ولينهض بنفسه عن ضيعة الجهل الى اشرف العلم فضل الله المجاهدين جملة
موضحة لما نفي من استواء القاعدين والمجاهدين كانه قيل ما لهم لا يستوون فاجيب بذلك والمعنى على القاعدين غير اولي
الضرر لكون الجملة بيانا للجملة الاولى المتضمنة لهذا الوصف وكلا وكل فريق من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى
اي المثوبة الحسنى وهي الجنة وان كان المجاهدين مفضلين على القاعدين درجة وعن النبي صلى الله عليه وسلم لقد خلفتم
بالمدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم وهم الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم وكانت افئدتهم تهوي
الى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر او غيره فان قلت قد ذكر الله سبحانه مفضلين درجة ومفضلين درجات فمنهم
قلت اما المفضلون درجة واحدة فهم الذين فضلوا على القاعدين الاضراء واما المفضلون درجات فالذين فضلوا على
القاعدين الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم لان الغزو فرض كفاية فان قلت لم يصب درجة واجرا ودرجات
قلت نصب قوله درجة لوقوعها موقع المدة من التفضيل كانه هم قيل فضلهم تفضيلة ونظيره قولك ضربه ضربة واما
اجرا فقد انتصب بفضل لانه في معنى اجرهم اجرا قيل وفضلهم تفضيلات ونصب اجرا عظيما على انه حال عن
النكرة التي هي درجات مقدمة عليها وانتصب مغفرة ورحمة باضمار فعليهما بمعنى وغفر لهم ورحمهم مغفرة
ورحمة ان الذين توفيهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن
ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك ماويهم جهنم وساءت مصيرا توفاهم هم يجوز ان يكون ماضيا كقراءة من قراه
توفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي
انفسهم في حال ظلمهم انفسهم قالوا قال الملائكة للمتوفين فيم كنتم في اي شيء كنتم من امر دينكم وهم ناس من اهل مكة
اسلموا ولم يهاجروا كانت الهجرة فريضة فان قلت كيف صح وقوع قوله كنا مستضعفين في الارض جوابا عن قولهم فيما كنتم
وكان حق الجواب ان يقولوا كنا في كذا او لم تكن في شيء قلت معنى فيم كنتم التوبيخ بانهم لم يكونوا في شيء من الدين
حيث قدروا على المهاجرة ولم يهاجروا فقالوا كنا مستضعفين اعتدادا مما فان قلت واعتدالا بالاستضعاف وانهم لم يتمكنوا
من الهجرة حتى يكونوا في شيء فيكتبهم الملائكة بقولهم الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ارادوا انكم كنتم قادرين
على الخروج من مكة الى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من اظهار دينكم ومن الهجرة الى رسول الله كما فعل المهاجرون
الى ارض الحبشة وهذا دليل على ان الدجال اذا كان في بلد لا يتمكن فيه من اقامة امر دينه كما يجب لبعض الاسباب
والعوائق عن اقامة الدين لا تنحصروا وعلم انه في غير بلده اقوم بحق الله وادوم على العبادة حقت عليه المهاجرة
وعن النبي صم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيقه ابيه
ابراهيم ونبيه محمد اللهم ان كنت تعلم ان هجرتي اليك لم تكن الا للفرار بديني فاجعلها سببا في خاتمة الخير ودرك المرجو من
فضلك والمسغ من رحمتك وصل جواري لك بعكوفي عند بيتك بجوارك في دار كرامتك يا واسع المغفرة الا المستضعفين
من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ثم استثنى من اهل الوعيد المستضعفين الذين
لا يستطيعون حيلة في الخروج لفقرهم وعجزهم ولا معرفة لهم بالمسالك وروي ان رسول الله صم بعث بهذه الاية الى مسلمي

مكة

مكة فقال جندب بن ضمرة او ضمرة بن جندب لبنيه احملوني فاني لست من المستضعفين واني لاهتدي الطريق والله
لا بيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها الى المدينة وكان شيخا كبيرا فمات بالتنعيم فان قلت كيف ادخل الولدان في
جملة المستثنين من اهل الوعيد كانهم كان يستحقون الوعيد مع الرجال والنساء لو استطاعوا حيلة واهتدوا سبيلا
قلت والنساء قد يكونون مستطيعين مهتدين وقد لا يكونون كذلك واما الولدان فلا يكونون الا عاجزين عن ذلك فلا
يتوجه عليهم وعيد لان سبب خروج الرجال والنساء من جملة اهل الوعيد انما هو كونهم عاجزين فاذا كان العجز
متمكنا في الولدان لا ينفكون عنه كانوا خارجين من جملتهم ضرورة هذا اذا اريد بالولدان الاطفال ويجوز ان يراد المراهقون
منهم الذين عقلوا ما يعقل الرجال والنساء فيلحقوا بهم في التكليف وان اريد العبيد والاماء البالغون فلا سؤال فان
قلت الجملة التي هي لا يستطيعون ما موقعها قلت هي صفة للمستضعفين او للرجال والنساء والولدان وانما جاز ذلك و
الجمل نكرات لان الموصوف وان كان فيه حرف التعريف فليس بشيء بعينه كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني فاولئك عسى الله
ان يعفو عنهم بكلمة الاطماع غفورا رحيما فان قلت لم قيل عسى الله ان يعفو عنهم بكلمة الاطماع قلت للدلالة على ان ترك
الهجرة امر ضيق لا توسعة فيه حتى ان المضطر البين للاضطرار من حقه ان يقول عسى الله ان يعفو عني فكيف بغيره
ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت
فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما مراغما مهاجرا وطريقا يراغم بسلوكه قومه اي يفارقهم على رغم انوفهم
والرغم الذل والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب يقال راغمت الرجل اذا فارقته وهو يكره مفارقتك
لمذلة تلحقه بذلك قال النابغة الجدي كطرد يلاذ باركانه عزيز المراغم والمذهب وقرئ مرغما قرئ ثم يدركه الموت بالرفع
على انه خبر مبتدا وقيل رفع الكاف منقول من الهاء كانه اراد ان يقف عليها ثم نقل حركة الهاء الى الكاف كقوله من
اعترى سبني لم اضربه وقرئ يدركه بالنصب على اضمار ان كقوله والحق بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره على الله فقد وجب
ثوابه عليه وحقيقة الواجب الوقوع والسقوط فاذا وجبت جنوبها ووجبت الشمس سقط قرصها والمعنى فقد علم الله
كيف يثبته وذلك واجب عليه وروي في قصة جندب بن ضمرة انه لما ادركه الموت احد يصفق بيمينه على شماله
ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك عليه رسولك فمات حميدا فبلغ اصحاب رسول الله
فقالوا لو توفي بالمدينة اتم اجرا وقال المشركون ويتم يضحكون ما ادرك هذا ما طلب فنزلت وقالوا كل هجرة
لغرض ديني من طلب علم او حج او جهاد او فرار الى بلد يزداد فيه طاعة او قناعة وزهدا في الدنيا او ابتغاء
رزق طيب فهي هجرة الى الله ورسوله وان ادركه الموت في الطريقة فاجره واقع على الله واذا ضربتم في الارض
فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا
الضرب في الارض هو السفر وادنى مدة السفر الذي يجوز فيه القصر عند ابي حنيفة رحمه الله مسيرة ثلثة ايام
ولياليهن سير الابل ومشي الاقدام على القصد ولا اعتبار بابطاء الضارب واسراعه فلو سار مسيرة ثلثة ايام
ولياليهن في يوم قصر ولو سار مسيرة يوم في ثلثة ايام ولياليهن لم يقصر وعند الشافعي رح ادنى مدة السفر اربعة
برد مسيرة يومين وقوله فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ظاهره التخيير بين القصر والاتمام وان الاتمام
افضل والى التخيير ذهب الشافعي رحمه الله وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم انه اتم في السفر وعن عائشة رضي الله

عنها اعتمرت مع رسول الله من المدينة الى مكة حتى اذا قدمت مكة قلت لرسول الله بابي انت وامي واتممت وصمت
وافطرت فقال احسنت يا عائشة وما غاب علي وكان عثمان رض يتم ويقصر وعند ابي حنيفة رح القصر في السفر عزيمة
غير رخصة لا يجوز غيره وعن عمر رض صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم وعن عائشة رضي الله عنها
اول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر فان قلت فما تصنع بقوله فليس عليكم
جناح ان تقصروا من الصلاة قلت كانه الغوا الاتمام لان يخطر بباله ان عليهم نقصانا في القصر فنفى عنهم
الجناح لتطيب انفسهم بالقصر اليه وقرئ يقصروا من اقصر وجاء في الحديث اقصار الخطبة بمعنى تقصيرها
وقرئ الزهري تقصروا بالتشديد والقصر ثابت بنص الكتاب في حال الخوف خاصة وهو قوله ان خفتم ان يفتنكم الذين
الذين كفروا واما في حال الامن فبالسنة وفي قراءة عبد الله من الصلاة ان يفتنكم ليس فيها ان خفتم على انه مفعول
له بمعنى كراهة ان يفتنكم والمراد بالفتنة القتال والتعرض بما يكره واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة فلتقم
طائفة منهم معك وليأخذوا اسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا
معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة
ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم ان الله اعد للكافرين
عذابا اليما واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة يتعلق بظاهره من لا يرى صلوة الخوف بعد رسول الله صم في
كل عصر اقوام بما كان يقوم فكان الخطاب له متناولا لكل امام يكون حاضر الجماعة في حال الخوف عليه ان يؤمهم
كما ام رسول الله صم الجماعات التي كان يحضرها والضمير في فيهم للخائفين فلتقم طائفة منهم معك فجعلهم طائفتين
فلتقم احديهما معك فصل بهم وليأخذوا اسلحتهم الضمير اما للمصلين واما لغيرهم فان كان للمصلين فقالوا يأخذون من
السلاح ما لا يشغلهم عن الصلاة كالسيف والخنجر ونحوهما وان كان لغيرهم فلا كلام فيه فاذا سجدوا فليكونوا غير
المصلين من ورائكم يحرسونكم وصفة صلاة الخوف عند ابي حنيفة رح ان يصلي الامام الطائفتين ركعة ان كانت
الصلاة ركعتين والاخرى بازاء العدو ثم تقف بازاء العدو وتأتي الاخرى فيصلي بها ركعة ويتم صلاته ثم تقف بازاء
العدو وتأتي الاولى فتؤدي الركعة بغير قراءة ويتم صلاتها ثم تحرس وتأتي الاخرى فتؤدي الركعة بقراءة ويتم صلاته
والسجود على ظاهره عند ابي حنيفة رحمه الله وعند مالك رح بمعنى الصلاة لان الامام يصلي عنده بطائفة ركعة ويقف
قائما حتى تتم صلوتها وتسلم وتذهب ثم يصلي الثانية ركعة ويقف قاعدا حتى تتم صلوتها ويسلم بهم ويعضده ولتأت
طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك وقرئ وامتعاتكم فان قلت كيف جمع بين الاسلحة وبين الحذر في الاخذ
قلت جعل الحذر وهو التجرد والتيقظ التي يستعملها القارئ فلذلك جمع بينه وبين الاسلحة في الاخذ وجعل ماخذين
ونحوه قوله تعم والذين تبوؤا الدار والايمان جعل الايمان مستقرا له ومتبوأ لتمكنه فيه فلذلك بينه وبين الدار
في التبوء فيميلون عليكم ميلة فيشهدون عليكم سدة واحدة ورخص لهم في وضع الاسلحة ان ثقل عليه ان لها بسبب
ما يلهم من مطر او يضعفهم من مطر وامرهم مع ذلك باخذ الحذر لئلا يغفلوا فيهجموا عليهم العدو فان قلت كيف
طابق الامر بالحذر قوله ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا قلت الامر بالحذر من العدو يوهم توقع غلبته
واعتزازه فنفى عنهم ذلك الايهام باخبارهم ان الله يبين عدوهم ويخذله وينصرهم عليه لتقوى قلوبهم وليعلموا ان

الامر

الامر بالحذر ليس لذلك وانما مر تعبد من الله كما قال ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله
قياما وقعودا وعلى جنوبكم فاذا اطمأننتم فاقيموا الصلاة ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا فاذا قضيتم
الصلاة فاذا صليتم حال الخوف والقتال فاذكروا الله فصلوها قياما مسايفين ومقارعين وقعودا حادثين
على الركب مداومين وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح فاذا اطمأننتم حين تضع الحرب اوزارها وامنتم فاقيموا الصلاة
فاقضوا ما صليتم في تلك الاحوال التي هي احوال القلق والانزعاج ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا
محدودا باوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها على اي حال كنتم خوف او امن وهذا ظاهر على مذهب الشافعي
رح في ايجابه الصلاة على المحارب في حال المسايفة والمشي والاضطراب في المعركة اذا حضر وقتها فاذا اطمأن فعليه
القضاء واما عند ابي حنيفة رح معذور في تركها الى ان يطمئن وقيل معناه فاذا قضيتم صلاة الخوف فاديموا ذكر
الله مهللين مكبرين مسبحين داعين بالنصرة والتأييد في كافة احوالكم من قيام وقعود واضطجاع فان ما انتم
فيه من خوف وحرب جدير بذكر الله ودعائه والملجأ اليه فاذا اطمأننتم فاذا اقمتم فاقيموا الصلاة فاتموها
ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان
الله عليما حكيما ولا تهنوا ولا تضعفوا ولا تتوانوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتل والتعرض به لهم الزمهم
الحجة بقوله ان تكونوا تألمون اي ليس ما تكابدون من الالم بالجرح والقتل مختصا بكم انما امر مشترك بينهم الكفار
وبينكم يصيبكم ثم انهم يصبرون عليه ويتسجعون فما لكم لا تصبرون مثل صبرهم مع انكم اولى منهم بالصبر لانكم ترجون
من الله ما لا يرجون من اظهار دينكم على سائر الاديان ومن الثواب العظيم في الاخرة وقرأ الاعرج ان تكونوا
تألمون بفتح الهمزة بمعنى ولا تهنوا ان تكونوا تألمون وقوله فانهم يألمون كما تألمون وقرئ فانهم يألمون لما يتألمون
وروي ان هذا في بدر الصغرى كان لهم خراج فتوكلوا ان الله كان عليما حكيما لا يكلفكم شيئا ولا ينهاكم الا بما هو
عالم به مما يصلحكم انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اريك الله ولا تكن للخائنين خصيما يروى ان
طعمة بن ابيرق احد بني ظفر سرق درعا من جار له اسمه قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق
فيه حتى انتهى الى الدار وفيها اثر الدقيق وخباها عند زيد بن السمين رجل من اليهود فالتمست الدرع عند
طعمة فلم يوجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهود فاخذوها
فقال دفعها الى طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر ان اطلقوا بما امر الى رسول الله صم فسألوه ان
يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك صاحبنا وافتضح ويرى اليهود فهم رسول الله صم ان يفعل ويعاقب
اليهودي وقيل هم ان يقطع يده فنزلت وروي طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق اهله فسقط الحائط
عليه فقتله بما اريك الله بما عرفك واوحى به اليك وعن عمر رض لا يقولن احدكم قضيت بما اراني الله فان لم
يجعل ذلك الا لبينة ولكن ليجتهد وابه لان الرأي من رسول الله كان مصيبا لان الله كان يريه اياه وهو منا
الظن والتكلف ولا تكن للخائنين خصيما ولا تكن لاجل الخائنين مخاصما للبراء يعني لا تخاصم اليهود لاجل بني
ظفر واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما واستغفر الله مما هممت به من عقاب اليهودي ولا تجادل عن الذين
يختانون انفسهم يخونونها بالمعصية كقوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم جعلت معصية العصاة خيانة منهم

لانفسهم كما جعلت ظلما لها لان الضرب راجع اليهم فان قلت لم قيل للخائنين ويختانون انفسهم وكان السارق طعمة وحده
قلت لوجهين احدهما ان بني ظفر شهدوا له بالبراءة ونصروه وكانوا شركاء له في الاثم والثاني انه جمع ليتناول طعمة
وكلما خان خيانته فلا يخاصم لخائن قط ولا يجادل عنه فان قلت لم قيل خوانا اثما على المبالغة قلت كان الله عالما
من طعمة بالافراط في الخيانة وركوب المأثم ومن كانت تلك لخاتمة امره لم تشق في حاله وقيل اذا عثرت من رجل على
سيئة فيعلم ان لها اخوان وعن عمر رضه انه امر بقطع يد سارق فجاءت امه تبكي وتقول هذه اول سرقة فاعف عنه
فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ في اول مرة يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا
يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا يستخفون يستترون من الناس حياء منهم وخوفا من ضررهم ولا
يستخفون من الله ولا يستحيون منه وهو معهم وهو عالم بهم مطلع عليهم لا يخفى عليه خاف من سرهم وكفى بهذه
الاية ناعية عن الناس ما فيه من قلة الحياء والافتضاح يبيتون يريدون ان كانوا مؤمنين انهم في حضرته لا سترة
ولا غفلة ولا غيبة وليس الا الكشف الصريح والافتضاح يبيتون يريدون واصله ان يكون بالليل ما لا يرضى من القول
وهو تدبير طعمة ان يرمي بالدرع في دار زيد ليسرق دونه ويحلف برأيه فان قلت كيف سميت التدبير قولا وانما هو معنى
في النفس قلت لم حدث بذلك نفسه وسمي قولا على المجاز ويجوز ان يراد بالقول الحلف الكاذب الذي حلف به بعد ان
بينه وتوديكه الذنب على اليهودي ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة امن يكون
عليهم وكيلا ها انتم هؤلاء ها للتنبيه في انتم واولاء هما مبتدأ وخبر وجادلتم جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا كما تقول لبعض
الاستحياء انت حاتم تجود بمالك وتؤثر على نفسك ويجوز ان يكون اولاء اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم صلته والمعنى
هبوا انكم خاصمتم عن طعمة وقومه في الدنيا فمن تخاصم عنهم في الاخرة اذا اخذهم الله بعذابه وقرأ عبد الله عنه
اي عن طعمة وكيلا حافظا ومحاميا من باس الله واسقامه ومن يعمل سوءا ويظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما
ومن يعمل سوءا قبيحا متعديا يشوبه غيره كما فعل طعمة بقتادة اليهودي او يظلم نفسه بم يختص به كالحلف الكاذب وقيل
ومن يعمل سوءا من ذنب دون الشرك او يظلم نفسه بالشرك وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة لتلزمه الحجة مع
العلم بما يكون منه او بقومه لما فرط منهم من نصرته والذي عنه ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليما
حكيما فانما يكسبه على نفسه اي لا يتعداه ضرره الى غيره فليتق على نفسه من كسب السوء ومن يكسب خطيئة ثم يرمي به بريئا
فقد احتمل بهتانا واثما مبينا خطيئة صغيرة او اثما كبيرة ثم يرم به كما رمى طعمة زيدا وقد احتمل بهتانا واثما مبينا
لانه يكسب الاثم اثم ويرمي به البريء باهت فهو جامع بين الامرين وقرأ معاذ بن جبل رضه ومن يكسب بكسر الكاف والسين
المشددة واصله يكتسب ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك
من شيء وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ولولا فضل الله عليك ورحمته
اي عصمته والطافه وما اوحي اليك من الاطلاع على سرهم لهمت طائفة منهم ان يضلوك عن القضاء بالحق وتوخي
طريق العدل مع علمهم بان الجاني هو صاحبه فقد روي ان ناسا منهم كانوا يعلمون كنه القصة وما يضلون الا انفسهم لان
وباله عليهم وما يضرونك من شيء لانك انما علمت بظاهر الحال وما كان يخطر ببالك ان الحقيقة على خلاف ذلك وعلمك
ما لم تكن تعلم من خفيفات الامور وضمائر القلوب او من امور الدين والشرايع ويجوز ان يراد بالطائفة بنو ظفر ويرجع

الضمير

الضمير في منهم الى الناس وقيل الاية في المنافقين لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح
بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما لا خير في كثير من نجويهم من تناجي
الناس الا من امر بصدقة الا نجوى من امر على انه مجرور بدل من كثير كما يقول لا خير في قيامهم الا قيام زيد و
يجوز ان يكون منصوبا على الانقطاع بمعنى ولك الا من امر بصدقة ففي نجواه الخير وقيل المعروف القرض و
قيل اغاثة الملهوف وقيل هو عام في كل جميل ويجوز ان يراد بالصدقة الواجب بالمعروف ما يتصدق به على
سبيل التطوع وعن النبي صلى الله عليه وسلم كلام ابن ادم كله عليه لا له الا ما كان من امر بمعروف او شيء عن منكر
او ذكر الله وسمع سفيان رجلا يقول ما اشد هذا الحديث فقال الم تسمع الله يقول لا خير في كثير من نجويهم فهو هذا
بعينه او ما سمعته يقول والعصر ان الانسان لفي خسر فهو هذا بعينه وشرط في اصحاب الاجر العظيم ان ينوي فاعل
الخير عبادة الله والتقرب لهم وان سمع به ووجهه خالصا لان الاعمال بالنيات فان قلت كيف قال الا من امر ثم
قال ومن يفعل ذلك قلت قد ذكر الامر بالخير ليدل به على فاعله لانه اذا دخل الامر به في زمرة الخيرين كان
الفاعل فيه ادخل ثم قال ومن يفعل ذلك فذكر الفاعل وقرن به الوعد بالاجر العظيم ويجوز ان يراد ومن
يامر بذلك فعبر عن الامر بالفعل كما يعبر به عن سائر الافعال وقرئ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له
الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ويتبع غير سبيل المؤمنين وهو السبيل
الذي عليه من الدين الحنيفي القيم وهو على ان الاجماع حجة لا يجوز مخالفة الكتاب والسنة لان الله تعالى جمع بين
اتباع سبيل غير المؤمنين وبين مشاقة الرسول في الشرط وجعل جزاءه الوعيد الشديد فكان اتباعهم واجبا
كموالاة الرسول قوله ما تولى نجعله واليا لما تولى من الضلال بان يخذله ويخلي بينه وبين ما اختاره ونصله
جهنم وقرئ ونصله بفتح النون من صلاه وقيل هي في طعمة وارتداده وخروجه الى مكة ان الله لا يغفر ان يشرك به
تكرير للتاكيد ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا ان الله لا يغفر ان يشرك به تكرير للتاكيد وقيل
كرر لقصة طعمة وروي انه مات مشركا وقيل جاء شيخ من العرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا شيخ منهمك
في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وامنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اقطع المعاصي جراة على
الله ولا مكابرة له ولا توهمه طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب مستغفر فما ترى حالي عند الله فنزلت
وهذا الحديث ينفي قول من فسر من يشاء بالتائب من ذنبه ان يدعون من دونه الا اناثا وان يدعون الا شيطانا
مريدا لعنه الله وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا الا اناثا هي اللات والعزى والمنات وعن الحسن لم
يكن حي من احياء العرب الا ولهم صنم يعبدونه يسمونه انثى بني فلان وقيل كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات
الله وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وقرئ انثى جمع انيث او اناث ووثنا واثنا بالتحقيق و
الثقيل جمع وثن كقول اسد واسد واسد وقلب الواو الفا نحو اجوه في وجوه وقرأت عائشة رضي الله عنها
اوثانا وان يدعون وان يعبدون بعبادة الاصنام الا شيطانا لانه هو الذي اغراهم على عبادتها فاطاعوه
فجعلت طاعتهم له عبادة ولعنه الله وقال لاتخذن صفتان بمعنى شيطانا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع
نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا فرضته لنفسي من قولهم فرض له في العطاء وفرض الجند رزقه قال الحسن من كل الف

تسعماية وتسعين الى النار ولاضلنهم ولامنينهم ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام ولامرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ
الشيطان من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا اولئك ماويهم جهنم و
لا يجدون عنها محيصا لامنيهم الاماني الباطلة من طول الاعمار وبلوغ الامال ورحمه الله للمجرمين بغير توبة والخروج
من النار بعد دخولها بالشفاعة ونحو ذلك وتبتكهم الاذان فعلهم بالبحاير كانوا يسقون اذن الناقة اذا ولدت
خمسة ابطن وجاء الخامس ذكرا على انفسهم الانتفاع بها وبغيرهم خلق الله فقرء عين الحامي واعضاءه عن الركوب وقيل
الحصاء وهو في قول عامة العلماء مباح في البهايم واما في بني ادم فمحظور وعند ابي حنيفة رح يكره شرى الحصان و
استخدامهم وامساكهم لان الدغيم فيهم تدعوا الى حصايهم وقيل فطرة الله التي هي دين الاسلام وقيل للحسن ان عكرمة
يقول هو الخصا فقال كذب عكرمة هو دين الله وعن ابن مسعود هو الوشم وعنه لعن الله الواشرات والمنتقمات والمتوشحات
المغيرات خلق الله وقيل التخنث والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ابدا وعد الله حقا ومن اصدق من الله قيلا وعد الله حقا مصدرات الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد
لغيره ومن اصدق من الله قيلا توكيد ثالث بليغ فان قلت ما فائدة هذه التوكيدات قلت معارضة مواعيد
الشيطان الكاذبة وامانيه الباطلة لقربانه بوعد الله الصادق لاوليائه ترغيبا للعباد في ايثار ما يستحقون به
يتجر وعد الله على ما يتجرعون في عاقبته غصص اخلاف مواعيد الشيطان ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل
سوء يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك
يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا في ليس ضمير وعد الله اي ليس ينال ما وعد الله من الثواب بامانيكم ولا اماني اهل
الكتاب والخطاب للمسلمين لانه لا يتمنى وعد الله الا من امن به ولذلك ذكر اهل الكتاب معهم لمشاركتهم لهم في الايمان بوعد
الله وعن مسروق والسدي هي في المسلمين وعن الحسن ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ان قوما
اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن به لاحسنوا العمل وقيل ان المسلمين واهل الكتاب
افتخروا فقالوا اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم وقال المسلمون نحن اولى منكم بنبينا خاتم
النبيين وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت قبله فنزلت ويحتمل ان يكون الخطاب للمشركين لقولهم ان كان الامر كما
يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا لاوتين مالا وولدا ان لي عنده للحسنى وكان اهل الكتاب يقولون نحن
احباء الله وابناؤه ولن تمسنا النار الا اياما معدودة ويعضده تقدم ذكر اهل الشرك قبله وعن مجاهد ان الخطاب
للمشركين قوله من يعمل سوء يجز به وقوله ومن يعمل من الصالحات بعد ذكر تمني اهل الكتاب نحو من قوله بلى من كسب سيئة
واحاطت به خطيئته قوله والذين امنوا وعملوا الصالحات عقيب قوله وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة
واذا ابطل الله الاماني واثبت ان الامر كله معقود بالعمل وان اصلح عمله فهو الفايز ومن اساء عمله فهو الهالك
تبين الامر ووضح ووجب قطع الاماني وحسم المطامع والاقبال على العمل الصالح ولكنه نصح لا تفيه الاذان ولا
يتقي اليه الاذهان فان قلت ما الفرق بين من الاولى والثانية قلت الاولى للتبعيض اراد ومن يعمل بعض
الصالحات لان كلا لا يتمكن من كل الصالحات لاختلاف الاحوال وانما يعمل منها ما هو تكليفه وفي وسعه وكم من
مكلف لا حج عليه ولا جهاد ولا زكوة وتسقط عنه الصلاة في بعض الاحوال والثانية لتبيين الابهام في من يعمل فان

قلت كيف خص الصالحون بانهم لا يظلمون وغيرهم مثلهم في ذلك قلت فيه وجهان احدهما ان يكون الراجع في ولا يظلمون
لعمال السوء وعمال الصالحات جميعا والثاني ان يكون ذكره عند احد الفريقين دالا على ذكره عند الاخر لان كل الفريقين
مجزيون باعمالهم لا تفاوت بينهم ولان ظلم المسيء ان يزاد في عقابه وارحم الراحمين معلوم ان لا يزيد في عقاب المجرم فكان
ذكره مستغنى عنه واما المحسن فله ثواب وتوابع الثواب من فضل الله هي في حكم الثواب فجاز ان ينقص من الفضل لانه
ليس بواجب فكان نفي الظلم دلالة على انه لا يقع نقصان في الفعل ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن و
اتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا اسلم وجهه لله اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له لا يعرف لها ربا
ومعبودا سواه وهو محسن وهو عامل للحسنات تارك للسيئات حنيفا حال من المتبع او من ابراهيم كقوله بل ملة ابراهيم
حنيفا وما كان من المشركين وهو الذي يحنف اي مال عن الاديان كلها الى دين الاسلام واتخذ الله ابراهيم
خليلا مجاز عن اصطفائه واختصاصه بكرامة نبيه ككرامة الخليل عند خليله والخليل المخال وهو الذي يخالك
اي يوافقك في خلالك اي يسايدك في طريقتك من الخل وهو الطريق في الزمك او يسد خللك كما تسد خلله
او يداخل خلالا منازلك وحجبك فان قلت ما موقع هذه الجملة قلت هي جملة اعتراضية لا محل لها من الاعراب
كنحو ما يجيء في الشعر من قولهم والحوادث جهته فايدتها تاكيد وجوب اتباع ملته لان من بلغ من الزلفى عند
الله ان اتخذه خليلا كان جديرا بان تتبع ملته وطريقته ولو جعلتها معطوفة على الجملة قبلها لم يكن لها معنى فقيل
ان ابراهيم بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابة الناس بمنار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يطلب الميرة لنفسه
لفعلت ولكنه يريدها للاضياف فاختار غلمانه ببطحا لينة فملاوا منها الغدائر حياء من الناس فلما اخبروا
ابراهيم ساءه الخبر فحملته عيناه وعمدت امراته الى غدارة منها فاخرجت احسن جواري واختبزت فاستيقظ
ابراهيم فاشتم رايحة الخبز فقال من اين لكم فقالت امراته من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل
فسماه الله خليلا ولله ما في السموات وما في الارض وكان الله بكل شيء محيطا ولله ما في السموات وما في الارض متصل
بذلك لعمال الصالحين والطالحين ومعناه ان له ملك اهل السموات والارض فطاعته واجبة عليهم وكان الله
بكل شيء محيطا وكان عالما باعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرها فعليهم ان يختاروا لانفسهم ما هو اصلح لها
ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما
كتب لهن وترغبون ان تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وان تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير
فان الله كان به عليما ما يتلى في محل الرفع اي الله يفتيكم والمتلو في الكتاب في معنى اليتامى يعني قوله و
ان خفتم الا تقسطوا في اليتامى وهو من قولك اعجبني زيد وكرمه ويجوز ان يكون ما يتلى عليكم مبتدا وفي
الكتاب خبره على انها جملة معترضة والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ تعظيما للمتلو عليهم وان العدل والنصف في
حقوق اليتامى من عظايم الامور المرفوعة الدرجات عند الله التي تجب مراعاتها والمحافظة عليها والمحل
بها ظالم متهاون بما عظمه الله ونحوه في تعظيم القران وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم ويجوز ان يكون مجرورا
على القسم كانه قيل قل الله يفتيكم فيهن واقسم لا يتلى عليكم في الكتاب والقسم ايضا بمعنى التعظيم وليس بسديد
يعطف على المجرور فيهن لاختلاله من حيث اللفظ والمعنى فان قلت ثم تعلق قوله في يتامى النساء قلت في

نبدله لاغير فان قلت الاضافة فى يتامى النساء ماضى قلت اضافة بمعنى من كقولك عندى سحق عمامة وقرى
فى يتامى النساء يبتان على قلب همزة الايامى ياء لانونهم ما كتب لهن وقرى ما كتب الله جميلة وتزوجها
لهن من الميراث وكان الرجل منهم يضم اليتيمة الى نفسه وماله فان كانت جميلة وتزوجها
واكل المال وان كانت ذميمة عضلها عن التزوج حتى تموت فيرثها وترغبون ان تنكحوهن
فى ان تنكحوهن بجمالهن وعن تنكحوهن لذمامتهن وروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان اذا
جاءه ولى اليتيمة نظر فان كانت جميلة غنية قال زوجها غيرك والتمس لها من هو خير منك
وان كانت ذميمة ولا مال لها قال تزوجها فانت احق بها والمستضعفين مجرور معطوف على
يتامى النساء وكانوا فى الجاهلية انما يورثون الرجال القوام بالامور دون الاطفال والنساء فجوز
ان تكون خطابا لما لا وصيا كقوله ولا تبتدلوا يفيتكم فى يتامى النساء وفى المستضعفين وفى ان تقوموا
ويجوز ان يكون منصوبا بمعنى ويامركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة فى ان ينظروا لهم ويستوفوا
لهم حقوقهم ولا يخلوا احدا يهتضم وان امراة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا فلا جناح
عليهما ان يصلحا بينهما صلحا والصلح خير واحضرت الانفس الشح وان تحسنوا و
تتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا خافت من بعلها فوقعت منه ذلك لما لاح لها من مخايله
واماراته والنشوز ان يتحامى عنها بان يمنعها نفسه ونفقته والمودة والرحمة التى بين الرجل والمراة و
ان يودها بسبب اوخدي والاعراض ان يعرض عنها بان يقل محادثتها ومواناتها وذلك لبعض الاسباب
من طعن فى سن او ذمامة او شئ فى خلق او خلق او ملال او طمح عين الى اخرى او غير ذلك فلا باس بهما
ان يصلحا بينهما وقرى يصالحا ويصلحا بمعنى يتصالحا ويصطلحا ونحو اصلح اصبر فى اصطبر صلحا فى معنى مصدر كل
واحد من الافعال الثلثة ومعنى الصلح ان يتصالحا على ان تطيب له نفسا عن القسمة او عن بعضها كما فعلت سودة بنت
زمعة حين كرهت ان يفارقها رسول الله صلعم وعرفت مكان عايشة من قلبه فوهبت لها يومها وكما روى ان امراة اراد ان
يطلقها زوجها لدمامتها وكان لها منه ولد فقالت لا تطلقنى ودعنى اقوم على ولدى واقسم لى فى كل شهرين فقال
ان كان هذا يصلح وهو اجب الى فاقرها اذ تهب له بعض المهر او كله او النفقة فان لم تفعل فليس له الا ان يمسكها باحسان او يسرحها
والصلح خير من الفرقة او من النشوز والاعراض وسوء العشرة او هو خير من الخصومة فى كل شئ او الصلح خير من الخيور كما
ان الخصومة شر من الشرور وهذه الجملة اعتراض وكذلك قوله واحضرت الانفس الشح ان الشح جعل حاضرا لها لا يغيب
عنها ابدا ولا تنفك عنه يعنى انها مطبوعة عليه والمعنى وان المراة لا تكاد تسمح بقسمتها ولغير قسمتها والرجل لا يكاد نفسه
تسمح بان يقسم لها وان يمسكها اذا رغب عنها واجبغيرها وان تحسنوا بالاقامة على انفسكم وان كرهتموهن واجبتم غيرهن
وتصبروا على ذلك رعاية لحق الصحبة وتتقوا النشوز والاعراض ومايودى الى الاذى والخصومة فان الله كان بما تعملون
خبيرا فيجازيكم على ذلك ما تستحقونه من ثواب او عقاب وعن ابى الدرداء رضى الله عنه ان رسول الله صلعم
قال ان الله ليرحم بنى ادم وامراته من اجلهم فاجابت فى وجهه نظرها يوما ثم تابت اليه فقال ما لك حمدت الله على اذى و
اياكم من اهل الجنة قال كيف قالت لانك رزقت مثلى فشكرت ورزقت مثلك فصبرت وقد وعد الله الجنة عبادة الشاكرين والصابرين
ولن تستطيعوا ان تعدلوا الى الاخرى الا بمشقة ولن تستطيعوا ومحال ان تستطيعوا العدل بين النساء والتسوية حتى لا يقع ميل البتة ولا زيادة
ولا نقصان فلم يجب لهن فى ذلك شئ تمام العدل وغايته وما فيه كلفة منه لا ما تستطيعون بشرط ان تبتدلوا فيه وسعكم وطاقتكم

لان تكليف ما لا يطاق داخل فى حد الظلم وما ربك بظلام للعبيد وقيل معناه ان تعدلوا
فى المحبة وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يقسم بين نسايه فيعدل ويقول هذه قسمتى
فيما املك ولا تواخذنى فيما تملك ولا املك يعنى المحبة لان عايشة رضى الله عنها كانت احب
اليه وقيل ان العدل بينهن امر صعب بالغ فى الصعوبة حد ابوهم انه غير مستطاع لانه
يجب ان يسوى بينهن فى القسمة والنفقة والتعهد والنظر والاقبال والملاطفة والمفاكهة
والمؤانسة وغير ذلك مما لا يكاد الحصر يحيط به وراية فهو كالخارج عن حد الاستطاعة هذا اذا كن محبوبات كلهن فكيف اذا مال القلب مع بعضهن فلا تميلوا كل الميل
فتجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمتها من غير رضا منها يعنى ان اجتناب
كل الميل ما هو فى حد الوسع فلا تفرطوا فيه ان وقع منكم التفريط فى العدل كله
وفيه ضرب من التوبيخ فتذروها كالمعلقة وهى التى ليست بذات بعل ولا مطلقة
قال هل هى الا خطة او تطليق او صالف او بين ذاك تعليق وفى قراءة ابى
فتذروها كالمسجونة وفى الحديث من كانت له امراتان يميل مع احداهما جاء يوم القيامة
واحد شقيه مايل وروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعث الى ازواج رسول
الله صلى الله عليه وسلم بمال فقالت عايشة رضى الله عنها الى كل ازواج رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعث عمر مثل هذا فقالوا لا بعث الى القرشيات بمثل هذا
والى غيرهن بغيره فقالت ارفع راسك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعدل
بيننا فى القسمة ماله ونفسه ورجع الرسول فاخبره فاتمر لهن جميعا وكان لمعاذ
امراتان فاذا كان عند احداهما لم يتوض فى بيت الاخرى فاتتا فى الطاعون
فدفنهما فى قبر واحد وان تصلحوا ما مضى من ميلكم وتتداركوه بالتوبة وتتقوا
فيما يستقبل غفر الله لكم قرئ وان يتفارقا معنى وان يفارق كل واحد منهما
صاحبه يغن الله كلا يرزقه زوجا خيرا من زوجه وعيشا اهنى من عيشه
والسعة الغنى والمقدرة والواسع الغنى المقتدر من قبلكم متعلق بوصينا
او باوتوا وايا كم عطف على الذين اوتوا الكتاب اسم للجنس يتناول الكتب السماوية
ان اتقوا بان اتقوا او بكون ان المفسرة لان التوصية فى معنى القول وقوله
وان تكفروا فان الله عطف على اتقوا لان المعنى امرناهم وامرناكم بالتقوى وقلنا
لهم ولكم ان تكفروا فان لله والمعنى ان لله الخلق كله وهو خالقهم ومالكهم والمنعم
عليهم باصناف النعم كلها فحقه ان يكون مطاعا فى خلقه غير معصى يتقون عقابه
ويرجون ثوابه ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من الامم السالفة ووصيناكم
ان اتقوا الله يعنى انها وصية قديمة ما زال يوصى الله بها عباده لستر بها مخصوصين
لانهم بالتقوى يسعدون عنده وبها ينالون النجاة فى العاقبة وقلنا لهم ولكم ان

اى لقطف المتصل

اى لقطف المنفصل

اى لقطف المتصل

اى لقطف المنفصل

اى لقطف المتصل

اى لقطف المنفصل

تكفروا فان لله ما في سمواته وارضه من الملايكة الثقلين من يوحده ويعبده
ويتقيه وكان الله مع ذلك غنيا عن خلقه وعن عبادتهم جميعا مستحقا لان
يحمد لكثرة نعمه وان لم يحمده احد منهم وتكرير قوله لله ما في السموات وما في
الارض تقرير لما هو موجب تقواه ليتقوه فيطيعوه ولا يعصوه لان الخشية
والتقوى اصل الخير كله ان يشا يذهبكم يفنيكم ويعدمكم كما اوجدكم
وانشاكم ويات باخرين ويوجد انسا اخرين مكانكم او خلقا اخرين غير
الانس وكان الله على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا بليغ القدرة
لا يمتنع عليه شي اراده وهذا غضب عليهم وتخويف وبيان لاقتداره وقيل
هو خطاب لمن كان يعادي رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب
اي ان يشا يمتكم ويات بناس اخرين يوالونه ويروى انها لما نزلت ضرب رسول
الله صلى الله عليه وسلم بيده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد ابناء
فارس من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة فعند
الله ثواب الدنيا والاخرة فماله يطلب احدهما دون الاخر والذي يطلبه
اخسهما لان من جاهد لله خالصا لم تخطيه الغنيمة وله من ثواب الاخرة
ما الغنيمة الى جنبه كلا شي والمعنى فعند الله ثواب الدنيا والاخرة له ان
اراده حتى يتعلق الجزاء بالشرط قوامين بالقسط مجتهدين في اقامة العدل
حتى لا يجوروا شهدا لله تقيمون شهاداتكم لوجه الله كما امرتم باقامتها ولو على
انفسكم ولو كانت الشهادة على انفسكم او ابايكم او اقاربكم فان قلت الشهادة
على الوالدين والاقربين ان يقول اشهد ان لفلان على والدي كذا او على اقاربي
فما معنى الشهادة على نفسه قلت هي الاقرار على نفسه لانه في معنى الشهادة
عليها بالزام الحق لها ويجوز ان يكون المعنى وان كانت الشهادة وبالا على انفسكم
او على ابايكم واقاربكم وذلك ان يشهد على من يتوقع ضرره من سلطان ظالم او
غيره ان يكن المشهود عليه غنيا فلا تمنع الشهادة عليه لغناه طلبا لرضاه او فقيرا
ترحما عليه فالله اولى بهما بالغني والفقير اي بالنظر لهما وارادة مصلحتهما ولولا
ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها لانه انظر لعباده من كل ناظر فان قلت
لم ثنى الضمير في اولى بهما وكان حقه ان يوحد لان قوله ان يكن غنيا او فقيرا في
معنى ان يكن احد هذين قلت قد رجع الضمير الى ما دل عليه قوله ان يكن
غنيا او فقيرا لا الى المذكور فلذلك ثنى ولم يفرد وهو جنس الغني وجنس
الفقير كانه قيل فالله اولى بجنسي الغني والفقير اي بالاغنيا والفقرا وفي قراة ابي
فالله اولى بهم وهي شاهدة على ذلك وقرا عبد الله ان يكن غني او فقير على كان

التامة

اي قراة ابي شاهدة على ان المراد الجنس لان الجنس والجمع يلتقيان في العموم ولهذا فسر جنسي الفقير والغني بالاغنيا والفقرا

التامة ان تعدلوا يحتمل العدل والعدول كانه قيل فلا تتبعوا الهوى كراهة ان تعدلوا
بين الناس او ارادة ان تعدلوا عن الحق وان تلووا او تعرضوا وان تلووا السنتكم
عن شهادة الحق او حكومة العدل او تعرضوا عن الشهادة بما عندكم وتمنعوها
وقرئ وان تلوا او تعرضوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة او اعرضتم عن اقامتها
فان الله كان بما تعملون خبيرا وبمجازاتكم عليه يا ايها الذين امنوا خطاب للمسلمين
ومعنى امنوا اثبتوا على الايمان ودوموا عليه وازدادوه والكتاب الذي انزل
من قبل المراد به جنس ما انزل على الانبياء قبله من الكتب والدليل عليه قوله وكتبه
وقرئ وكتابه على ارادة الجنس وقرئ نزل وانزل على البنا للفاعل وقيل الخطاب
لاهل الكتاب لانهم امنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض وروي انه لعبد الله
بن سلام واسد واسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس وسلام بن اخت عبد الله
بن سلام وسلمة بن اخيه ويامين بن يامين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالوا يا رسول الله انا نومن بك وبكتابك وموسى والتورية وعزير ونكفر
بما سواه من الكتب والرسل فقال عليه السلام بل امنوا بالله ورسوله محمد
وكتابه القران وبكل كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت فامنوا كلهم وقيل
هو للمنافقين كانه قيل يا ايها الذين امنوا نفاقا امنوا اخلاصا فان قلت
كيف قيل لاهل الكتاب والكتاب الذي انزل من قبل وكانوا مومنين بالتورية
والانجيل قلت كانوا مومنين بهما فحسب وما كانوا مومنين بكل ما انزل من
الكتب فامروا ان يومنوا بالجنس كله ولان ايمانهم ببعض الكتب لا يصح ايمانا به
لان طريق الايمان به هو المعجزة ولا اختصاص لها ببعض الكتب دون بعض
فلو كان ايمانهم بما امنوا به لاجل المعجزة لامنوا به كله فحين امنوا ببعضه
وعلم انهم لم يعتبروا المعجزة فلم يكن ايمانهم ايمانا وهذا الذي اراد عز وجل في
قوله ويقولون نومن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك
سبيلا اولئك هم الكافرون حقا فان قلت لم قيل نزل على رسوله وانزل من
قبل قلت لان القران نزل مفرقا منجما في عشرين سنة بخلاف الكتب قبله
ومعنى قوله ومن يكفر بالله الاية ومن يكفر بشي من ذلك فقد ضل لان
الكفر ببعضه كفر بكله الا ترى كيف قدم الامر بالايمان به جميعا لم يكن الله ليغفر
لهم ولا ليهديهم سبيلا نفي [illegible] والهداية وهي اللطف على سبيل المبالغة
التي تعطيها اللام والمراد بنفيهما [illegible] ما يقتضيهما وهو الايمان الخالص الثابت
والمعنى ان الذين تكرر منهم الارتداد وعهد منهم ازديادهم الكفر والاصرار

عليه ثم بعد منهم ان يحدثوا ما يستحقون به المغفرة ويشوبون اللطف فراجع ثابت برضاه الله تعالى لان قلوب اولئك الذين هذا دينهم قد ضربت بالكفر ومرنت على الردة وكان الايمان اهون شيء عندهم وادونه حيث يبدو لهم فيه كرة بعد اخرى وليس المعنى انهم لو اخلصوا الايمان بعد تكرار الردة وصحت توبتهم لم تقبل منهم ولم يغفر لهم لان ذلك مقبول حيث هو بذل الطاقة واستفراغ الوسع ولكنه استبعاده واستغرابه وانه امر لا يكاد يكون وهكذي ترى الفاسق الذي يتوب ثم يرجع ثم يتوب ثم يرجع لا يكاد يرجى منه الثبات والغالب انه يموت على شر حال واسخ صورة وقيل هم اليهود امنوا بالتوراة وموسى ثم كفروا بالانجيل وعيسى ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم بشر المنافقين وضع بشر مكان اخبرهم بهم والذين ثبتت على الذم او رفع بمعنى اريد الذين او هم الذين وكانوا يبالون الكفر ويوالونهم ويقول بعضهم لبعض لا يتم امر محمد فتولوا اليهود فان العزة لله جميعا يريد لاولياءه الذين كتب لهم العزة والغلبة على اليهود وغيرهم وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ان اذا سمعتم هي ان المخففة من الثقيلة والمعنى انه اذا سمعتم اي نزل عليكم ان الشان كذا والشان ما افادته الجملة بشرطها وجزائها وان مع ما في حيزها في موضع الرفع بنزل او هو موضع النصب بنزل فيمن قرأ به والمنزل عليهم في الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وذلك ان المشركين كانوا يخوضون في ذكر القرآن في مجالسهم فيستهزئون فنهي المسلمون عن القعود معهم ما داموا خائضين فيه فكان احبار اليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين فنهوا ان يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة وكان الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الاحبار هم المنافقون فقيل لهم انكم اذا مثل الاحبار في الكفر ان الله جامع المنافقين والكافرين يعني القاعدين والمقعود معهم فان قلت الضمير في قوله فلا تقعدوا معهم الى من يرجع قلت الى من دل عليه بكفرهم ويستهزائهم كانه قيل فلا تقعدوا مع الكافرين بها والمستهزئين بها فان قلت لم يكونوا مثلهم بالمجالسة اليهم في وقت الخوض قلت لانهم اذا لم ينكروا عليهم كانوا راضين والراضي بالكفر كافر فان قلت فهلا كان المسلمون بمكة حين كانوا مجالسون الخائضين من المشركين منافقين قلت كانوا لا ينكرون لعجزهم وهؤلاء لم ينكروا مع قدرتهم فكان ترك الانكار رضا منهم

الذين

الدين يتربصون بكم وامّا بدل من الذين يتخذون واما صفة للمنافقين او نصب على الذم منهم يتربصون بكم اي ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من ظفر او اخفاق ان يكن معكم مظاهرين فاسهموا للنار في الغنيمة الم نستحوذ عليكم الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم فابقينا عليكم ونمنعكم من المؤمنين بان ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم ومرضوا في فتالكم وتواقعنا في مظاهرتهم عليكم فما تولوا نصيبا لنا مما اصبتم وقرئ ونمنعكم بالنصب باضمار ان قال الخطية الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء فان قلت لم سمي ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا قلت تحظيا لشان المسلمين وتحسيسا لحظ الكافرين لان ظفر المسلمين امر عظيم يفتح له ابواب السماء حتى ينزل على اوليائه واما ظفر الكافرين فما هو الا حظ دنيء وسطة من الدنيا يصيبونها يخادعون الله ويفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان وهو خادعهم وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم معصومي الدماء والاموال وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم معصومي الدماء والاموال في الدنيا واعد لهم الدرك الاسفل من النار في الاخرة ولم يخلهم من العاجل من فضيحة واحلال باس ونقمة ورعب دائم والخادع اسم فاعل من خادعته فخدعته اذا غلبته وكنت اخدع منه وقيل يعطون على الصراط نورا كما يعطى المؤمنون فيمضون بنورهم ثم يطفأ نورهم وسعي نور المؤمنين فينادون انظرونا نقتبس من نوركم كسالى قرئ بضم الكاف وفتحها جمع كسلان كسكارى في سكران اي يقومون متثاقلين متقاعسين كما ترى من يفعل شيئا على كره لا عن طيبة نفس ورغبة يراءون الناس يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة ولا يذكرون الله الا قليلا ولا يصلون الا قليلا لانهم لا يصلون قط غائبين عن عيون الناس الا ما لا جاهرون به وما لا جاهرون به قليل ايضا لانهم ما وجد وا منذ وحة من تكلف ما ليس في قلوبهم لم يتكلفوه او ولا يذكرون الله بالتسبيح والتهليل الا ذكرا قليلا في الندرة وهكذا ترى كثيرا من المنتحلين بالاسلام لوصحبته الايام واللياني لم تسمع منه تهليلة ولا تسبيحة ولا تحميدة ولكن حديث الدنيا يستغرق به او قانه لا يفتر عنه ويجوز ان يراد بالقلة العدم فان قلت ما معنى المراءاة وهي مفاعلة من الرؤية قلت فيها وجهان احدهما ان المرائي يريهم عمله وهم يرونه استحسانه والثاني ان يكون من المفاعلة بمعنى التفعيل فيقال راءى الناس بمعنى راهم كقوله نعمه وناعمة وفنقه وفانقه وعيش مفانق روي ابو زيد راءت المرأة الرجل اذا امسكتها لترى وجهه

الانحفاق ان يطوا ويضروا وجنوبهم والمنح ان يكبوا على الاستاه او على الوجوه والمنخر الانف

استثناء منقطع

يعني يذكرون الله لا يذكرون الا ذكرا قليلا لانهم لا يحصلون ما يتعبدون به من الاذكار والعامل في اوقاتها

عن ابي الهيثم قال ابو زيد راءت الرجل اراءه رؤية اذا نظرت فيما وجهه

ويدل عليه قراءة ابن ابي اسحق يوؤونهم بهمزة مشددة مثل يوعونهم اي يبصرونهم اعمالهم
ويراؤنهم مذبذبين ه اما حال نحو قوله ولا يذكرون عن واو يراؤون اي يراؤنهم
غير ذاكرين مذبذبين او منصوب على الذم ومعنى مذبذبين يذبذبهم الشيطان
والهوى بين الايمان والكفر فهم مترددون بينهما متحيرون وحقيقة المذبذب الذي
يذب عن كلا الجانبين اي يذاد ويدفع فلا يقر بجانب واحد كما قيل فلان
يرمي به الحدثان الا ان الذبذبة فيما تكرير ليس في الذب كان المعنى كلما مال الى جانب
ذب عنه وقرأ ابن عباس مذبذبين بكسر الذال معنى يذبذبون قلوبهم او دينهم
او دينهم ورأيهم او معنى يتذبذبون كما جاء صليل وتصليل معنى وفي
مصحف عبد الله متذبذبين وعن ابي جعفر مذبذبين بالدال غير المعجمة
وكان المعنى اخذ بهم تارة في دبة وتارة في دبة فلبسوا بماضين على دبة
واحدة والدبة الطريقة ومنها دبة قريش وذلك ه اشارة الى الكفر والايمان
ه لا الى هؤلاء ه لا مسوبين الى هؤلاء فيكونوا مؤمنين ه ولا الى هؤلاء ه ولا منسوبين
الى هؤلاء فيسموا مشركين ه لا تتخذوا الكافرين اولياء ه لا تتشبهوا بالمنافقين
في اتخاذهم اليهود وغيرهم من اعداء الاسلام اولياء سلطانا مبينة بينة
يعني ان موالاة الكافرين بينة على النفاق وعن صعصعة بن صوحان
انه قال لابن اخ له خالص المؤمن وخالق الفاجر والكافر فان الفاجر يرضى منك
بما تخالق الحسن فانه حق عليك ان تخالص المؤمن ه الدرك الاسفل الطبق ه
الذي في قعر جهنم والنار سبع دركات سميت بذلك لانها متداركة متتابعة بعضها
فوق بعض وقرئ بسكون الراء والوجه التحريك كقولهم ادراك جهنم فان
قلت لم كان المنافق اشد عذابا من الكافر قلت لانه مثله في الكفر وضم
الى كفره الاستهزاء بالاسلام واهله ومداهنة جاهم ه واصلحوا ما افسدوا من ايمانهم
واحوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله ه واثقوا به كما يثق المؤمنون الخلص
ه واخلصوا دينهم لله ه لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه ه اولئك مع المؤمنين ه
فهم اصحاب المؤمنين ورفقاؤهم في الدارين ه وسوف يؤتي الله المؤمنين اجرا
عظيما ه فيشاركونهم فيه ونساهمونهم فان قلت من المنافق قلت هو
في الشريعة من اظهر الايمان وابطن الكفر واما تسمية من ارتكب شيئا يفسق به
بالمنافق فللتغليظ كقوله عليه الصلاة والسلام من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر
ومنه قوله عليه السلام ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه
مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ايتمن خان وقيل لحذيفة

عن المنافق

من المنافق فقال الذي يصف الاسلام ولا يعمل به وقيل لابن عمر ندخل على السلطان
ونتكلم بكلام فاذا خرجنا تكلمنا بخلافه فقال كنا نعد ه من النفاق وعن الحسن
اني على النفاق زمان وهو مقروع فيه فاصبح قد عمم وقلد واعطى سيفا يعني
الحجاج ما يفعل الله بعذابكم ه ايتشفي به الغيظ ام يدرك به الثار او يستجلب
به نفعا او يستدفع به ضرا كما يفعل الملوك بعذابهم وهو الغني الذي لا يجوز
عليه شيء من ذلك وانما هو امر اوجبته الحكمة ان يعاقب المسيء فان تم شكر
نعمته وامتثم به فقد ابعدتم عن الفسق استحقاق العذاب ه وكان الله
شاكرا ه مثيبا موفيا اجوركم ه عليما بحق شكركم وايمانكم فان قلت لم قدم
الشكر على الايمان قلت لان العاقل ينظر اولا فيما عليه من النعمة العظيمة في خلقه
وتعريضه للمنافع فيشكر شكرا مبهما فاذا انتهى به النظر الى معرفة المنعم آمن به ثم
شكر شكرا مفصلا فكان الشكر متقدما على الايمان وكانه اصل التكليف ومداره
ه لا يحب الله ظلم ه الا الجهر بمن ظلم استثنى من الجهر الذي لا يحبه الله جهر المظلوم
وهو ان يدعو على الظالم ويذكره بما فيه من السوء وقيل هو ان يتذاكا بالشتيمة
فيرد عليه الشاتم ولم ينتصر بعد ظلمه وقيل ضاف رجل قوما فلم يطعموه فاصبح
شاكيا فعوتب على الشكاية فترك وروي الا من ظلم على البناء للفاعل للانقطاع
والمعنى ولكن الظالم اراك ما لا يحبه الله فتجهر بالسوء ويجوز ان يكون من ظلم
رفوعا كانه قيل لا يحب الله الجهر بالسوء الا الظالم على لغة من يقول ما جاني زيد
الا عمرو بمعنى ما جاني الا عمرو ومنه لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا
الله ثم حث على العفو وان لا يجهر احد لاحد بسوء ثم حث على العفو وان
يجهر احد لاحد بسوء وان كان على وجه الانتصار بعد ما اطلق الجهر به وجعله
محبوبا حثا على الاحب اليه والافضل عنده والادخل في الكرم والتخشع والعبوة
وذكر ابدا الخير واخفاءه تنشيطا للعفو ثم عطف عليهما اعتدادا به ولبيان
منزلته وان له مكانا في باب الخير وشتان ما والدليل على ان العفو هو الغرض المقصود
بذكر ابدا الخير واخفاءه قوله فان الله كان عفوا قديرا اي يعفوا عن الجاني
مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنة الله جعل الذين امنوا بالله
وكفروا برسله وامنوا بالله وبعض رسله وكفروا ببعض كافرين بالله ورسله
جميعا لما ذكرنا من العلة ه ومعنى الخاء هو بين ذلك سبيلا ان يتخذ واديا حجه
وسطا بين الايمان والكفر كقوله ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك
سبيلا اي طريقا وسطا ه في القراءة وهو ما بين الجهر والمخافتة وقد اخفاه وفانه

لا واسطة بين الكفر والايمان ولذلك قال اولئك هم الكافرون حقا اي هم الكاملون في الكفر حقا تاكيد لمضمون الجملة كقولك هو عبد الله حقا اي حق ذلك حقا وهو كونهم كاملين في الكفر او هو صفة لمصدر الكافرين اي هم الذين كفروا كفرا حقا ثابتا بقينا لا شك فيه **فان قلت** كيف جاز دخول بين على احد وهو يقتضي شيئين فصاعدا **قلت** ان احدا عام في الواحد المذكر والمؤنث وتثنيتها وجمعها تقول ما رايت احدا فتقصد العموم الا تراك تقول لا يأبى فلان والابنان فلان والمعنى ولم يفرقوا بين اثنين منهم او بين جماعة ومنه قوله تعالى لستن كاحد من النساء **سوف** نؤتيهم اجورهم معناه ان ايتاءهم كائن لا محالة وان تاخر فالغرض به توكيد الوعد وتثبيته لا كونه متاخرا روي ان كعب بن الاشرف وفنحاص بن عازورا وغيرهما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا صادقا فاتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى فنزلت وقيل كما بالي فلان بانك رسول الله وقيل كما بالنعاينه حين ينزل وانما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت قال الحسن ولو شاءوا لكي يتبينوا الحق لاعطاهم وفيما اتاهم كفاية **فقد** سالوا موسى جواب لشرط مقدر معناه ان استكبرت ما سالوه منك فقد سالوا موسى اكبر من ذلك وانما اسند السؤال اليهم وان وجد من ابائهم في ايام موسى وهم النقباء السبعون لانهم كانوا على مذهبهم ورضين بسؤالهم ومضاهين لهم في التعنت **جهرة** عيانا معنى ارناه نره جهرة بظلمهم بسبب سؤالهم الرؤية ولو طلبوا امرا جايزا لما سموا ظالمين ولما اخذتهم الصاعقة كما سال ابرهيم صلوات الله عليه ان يريه احياء الموتى فلم يسمه ظالما ولا راماه بالصاعقة **فبما** نقضهم الشبهة ورميا بالصواعق واتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا واستيلاء ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم حتى تاب عليهم فاطاعوه واجتبوا بانفسهم والسيوف تتساقط عليهم فذلك من سلطان مبين **وقتلنا** بسبب ميثاقهم اعنا قهم لتقرب من الفهم **والطور** مسلط عليهم ادخلوا الباب سجدا اي لا تعدوا في السبت وقد اخذ منهم الميثاق على ذلك وقولهم سمعنا وعصينا وطغيا ومعاهدتهم على ان يتوبوا عليه ثم نقضوه بعد وقري ولا تعدوا وابدغام التاء الدال فبما نقضهم فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد **فان قلت** ثم تعلقت الباء وما معنى التوكيد **قلت** اما ان يتعلق بمحذوف كانه قيل فبما نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم ما فعلنا واما ان يتعلق بقوله حرمنا عليهم على ان قوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبما نقضهم ميثاقهم واما التوكيد فمعناه تحقيق ان العقاب او تحريم

الطيبات

الطيبات لم يكن الا سقوط العمد وما عطف عليه من الكفر وقتل الانبياء وغير ذلك **فان قلت** هلا زعمت ان المحذوف الذي تعلقت به الباء ما دل عليه قوله بل طبع الله عليها بكفرهم فيكون التقدير فبما ينقضهم ميثاقهم وكفرهم طبع الله على قلوبهم بل طبع الله عليها بكفرهم **قلت** لم يصح هذا التقدير لان قوله بل طبع الله عليها بكفرهم رد وانكار لقولهم قلوبنا غلف فكان متعلقا به وذلك لانهم اراد وا بقولهم قلوبنا غلف ان الله خلق قلوبنا غلفا اي في اكنة لا يتوصل الى شيء من الذكر والموعظة كما حكي الله عن المشركين وقالوا لو شاء الله ما عبدنا هم وكمذهب المجبرة اخزاهم الله فقيل لهم بل خذلها الله ومنعها الالطاف بسبب كفرهم فصارت كالمطبوع عليها الا ان لخلق غلفا غير قابلة للذكر ولا ممتنعة من قبوله **فان قلت** علام عطف قوله وبكفرهم **قلت** الوجه ان يعطف على فبما نقضهم ميثاقهم وما بينهما اعتراض وقوله بل طبع الله عليها بكفرهم كلام منثنع قوله وقالوا قلوبنا غلف على وجه الاستدراك ويجوز عطفه على ما يليه من قوله بكفرهم **فان قلت** ما معنى المجيء بالكفر معطوفا على ما قبل حرف الاضراب او على ما بعده وهو قوله وكفرهم بايات الله وقوله بكفرهم **قلت** قد تكرر منهم الكفر لانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد وعطف بعض كفرهم على بعض او عطف مجموع المعطوف على مجموع المعطوف عليه كانه قيل فبجمعهم بين نقض الميثاق والكفر بايات الله وقتل الانبياء وقولهم قلوبنا غلف وجمعهم بين كفرهم وبهتهم وافترائهم بقتل عيسى عاقبناهم او بل طبع الله عليها بكفرهم وجمعهم بين كفرهم وكذا وكذا والبهتان العظيم هو التزنية **فان قلت** كانوا كافرين بعيسى اعداء له عامدين لقتله بسمونة الساحرين الساحرة والفاعلين الفاعلة فكيف قالوا انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله **قلت** قالوه على وجه الاستهزاء كقول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ويجوز ان يضع الله الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح في الحكاية عنهم رفعا لعيسى عليه السلام عما كانوا يذكرونه وتعظيما لما اراد وا بانه كقوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهادا روي ان رهطا من اليهود سبوه وسبوا امه فدعا عليهم اللهم انت ربي وبكلمتك خلقتني اللهم العن من سبني وسب والدتي فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبرهم الله بانه يرفعه الى السماء ويطهره من صحبة اليهود فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال

رجل منهم انا فالقي عليه فقتل وصلب وقيل كان رجل منافق عيسى فلما ارادوا قتله
قال انا ادلكم عليه فدخل بيت عيسى ورفع عيسى والقي شبهه على المنافق فدخلوا
عليه فقتلوه وهم يظنون انه عيسى ثم اختلفوا فقال بعضهم انه اله لا يصح قتله
وقال بعضهم قتل وصلب وقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان
كان صاحبنا فاين عيسى وقال بعضهم رفع الى السماء وقال بعضهم الوجه وجه
عيسى والبدن بدن صاحبنا **فان قلت** شبه مسند الى ماذا ان جعلته
مسندا الى المسيح فالمسيح مشبه به وليس بمشبه وان اسندته الى المقتول
فالمقتول لم يجر له ذكر **قلت** هو مسند الى الجار والمجرور وهو لهم كقولك
خيل اليه كانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه ويجوز ان يسند الى ضمير المقتول
لان قوله انا قتلنا يدل عليه كانه قيل ولكن شبه لهم من قتلوه الا اتباع
الظن استثنا منقطع لان اتباع الظن ليس من جنس العلم يعني ولكنهم
يتبعون الظن **فان قلت** قد وصفوا بالشك والشك الا يترجح احد الجايزين
ثم وصفوا بالظن والظن ان يترجح احدهما فكيف يكونون شاكين ظانين
قلت اريد انهم شاكون ما لهم من علم قط ولكن ان لاحت لهم امارة فظنوا
فذاك وما قتلوه يقينا قتلا يقينا او وما قتلوه متيقنين كما ادعوا ذلك
في قولهم انا قتلنا المسيح او يجعل يقينا تاكيدا لقوله وما قتلوه كقولك وما
قتلوه حقا اي حق ابتغا قتله حقا وقيل هو من قولهم قتلت الشي علما اذا تبالغ
فيه علمك وفيه تهكم لانه اذا نفي منهم العلم نفيا كليا بحرف الاستغراق ثم
قيل وما علموه علم يقين واحاطة لم يكن الا تهكما بهم ليومنن به جملة قسمية
واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره وان من اهل الكتاب احد الا ليومنن
به ونحوه وما منا الا له مقام معلوم وان منكم الا واردها والمعنى وما من
اليهود والنصارى احد الا ليومنن به قبل موته بعيسى وبانه عبد الله ورسوله
يعني اذا عاين قبل ان تزهق روحه حين لا ينفعه ايمانه لانقطاع
وقت التكليف وعن شهر بن حوشب قال لي الحجاج اية ما قراتها الا تخالج
في نفسي شي منها يعني هذه الاية وقال اني اوتى بالاسير من اليهود والنصارى
فاضرب عنقه فلا اسمع منه ذلك فقلت ان اليهودي اذا حضره الموت
ضربت الملايكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى نبيا فكذبت
به فيقول امنت انه عبد نبي ويقول للنصراني اتاك عيسى نبيا فزعمت انه
الله او ابن الله فيومن انه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه ايمانه قال وكان متكيا

فاستوى

فاستوى جالسا فنظر الي وقال ممن قلت حدثني محمد بن علي بن الحنفية فاخذ ينكت الارض
بقضيبه ثم قال لقد اخذتها من عين صافية او من معدنها قال الكلبي فقلت له
ما اردت الى ان تقول حدثني محمد بن علي بن الحنفية قال اردت ان اغيظه يعني بزيادته
اسم علي لانه مشهور بابن الحنفية وعن ابن عباس انه فسر كذلك فقال له عكرمة
فان اتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه قال فان خر
من فوق بيت او احترق او اكله سبع قال يتكلم بها في الهواء ولا تخرج روحه
حتى يومن به وتدل عليه قراة ابي الا ليومنن به قبل موتهم بضم النون على معنى
وان منهم احد الا سيومن به قبل موتهم لان احدا يصلح للجمع **فان قلت** ما فايدة
الاخبار بايمانهم بعيسى قبل موتهم **قلت** فايدته الوعيد وليكون علمهم بانهم لا بد لهم من
الايمان به عن قريب عند المعاينة وان ذلك لا ينفعهم بعثا لهم وتنبيها على معالجة
الايمان به في اوان الانتفاع به وليكون الزاما للحجة لهم وكذلك قوله ويوم القيامة
يكون عليهم شهيدا يشهد على اليهود بانهم كذبوه وعلى النصارى بانهم دعوه ابن
الله وقيل الضمير ان لعيسى بمعنى وان منهم احد الا ليومنن بعيسى قبل موت
عيسى وهم اهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله روي انه ينزل من السماء
في اخر الزمان ولا يبقى احد من اهل الكتاب الا يومن به حتى تكون الملة واحدة
وهي ملة الاسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال وتقع الامنة حتى ترتع
الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذياب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات
ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ويجوز
ان يريد انه لا يبقى احد من جميع اهل الكتاب الا ليومنن به على ان الله يحييهم في
قبورهم في ذلك الزمان ويعلمهم نزوله وما انزل له ويومنون به حين لا ينفعهم
ايمانهم وقيل الضمير في به يرجع الى الله تعالى وقيل الى محمد صلى الله عليه وسلم
فبظلم من الذين هادوا فباي ظلم منهم والمعنى ما حرمنا عليهم الطيبات الا
لظلم عظيم ارتكبوه وهو ما عدد لهم من الكفر والكباير العظيمة والطيبات
التي حرمت عليهم ما ذكره في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر وحرمت
عليهم الالبان وكلما اذنبوا ذنبا صغيرا او كبيرا حرم عليهم بعض الطيبات
من المطاعم وغيرها وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ناسا كثيرا او صدا
كثيرا بالباطل بالرشوة التي كانوا ياخذونها من سفلتهم في تحريف الكتاب
لكن الراسخون في العلم يريد من امن منهم كعبد الله بن سلام واضرابه
والمومنون يعني المومنون منهم او المومنون من المهاجرين والانصار

وارتفع الراسخون على الابتداء ويومنون خبره والمقيمين نصب على المدح لبيان فضل
الصلوة وهو باب واسع قد كسره سيبويه على امثلة وشواهد ولا يلتفت الى
ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف وربما التفت اليه من لم ينظر في الكتاب
ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتنان وغبي
عليه ان السابقين الاولين الذين مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل كانوا ابعد
همة في الغيرة على الاسلام وذب المطاعن عنه من ان يتركوا في كتاب الله ثلمة
ليسدها من بعدهم وخرقا يرفوه من يلحق بهم وقيل هو عطف على بما انزل اليك
اي يومنون بالكتب وبالمقيمين الصلوة وهم الانبيا وفي مصحف عبد الله والمقيمون
بالواو وهي قراة مالك بن دينار والجحدري وعيسى الثقفي انا اوحينا اليك جواب
لاهل الكتاب عن سوالهم رسول الله ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج
عليهم بان شانه في الوحي اليه كشان سائر الانبيا الذين سلفوا وقرى زبورا
بضم الزاي جمع زبر وهو الكتاب ورسلا نصب بمضمر في معنى اوحينا اليك
وهو ارسلنا ونبانا وما اشبه ذلك او بما فسره قصصناهم وفي قراة ابي ورسل
قد قصصناهم عليك من قبل ورسل وعن ابرهيم ويحيى بن وثاب انهما قرا
وكلم الله بالنصب ومن مدع التفاسير انه من الكلم وان معناه وجرح الله موسى
باظفار المحن ومخالب الفتن رسلا مبشرين ومنذرين الاوجه ان ينتصب على
المدح ويجوز انتصابه على التكرير فان قلت كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل
وهم محجوجون بما نصبه الله من الادلة التي النظر فيها موصل الى المعرفة والرسل في
انفسهم لم يتوصلوا الى المعرفة الا بالنظر في تلك الادلة ولا عرف انهم رسل الله الا
بالنظر فيها قلت الرسل منبهون على الغفلة وباعثون على النظر كما يرى علما اهل العدل
والتوحيد مع تبليغ ما حملوه من تفصيل امور الدين وبيان احوال التكليف وتعليم
الشرايع فكان ارسالهم ازاحة للعلة وتتميما لالزام الحجة لئلا يقولوا لولا ارسلت
الينا رسولا فيوقظنا من سنة الغفلة وينبهنا لما وجب الانتباه له قرا السلمي
لكن الله يشهد بالتشديد فان قلت الاستدراك لا بد له من مستدرك فما هو
في قوله لكن الله يشهد قلت لما سال اهل الكتاب انزال الكتاب من السماء وتعنتوا
بذلك واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال لكن الله يشهد بمعنى انهم لا يشهدون
لكن الله يشهد ومعنى شهادة الله بما انزل اليه اثباته لصحته باظهار المعجزات كما
تثبت الدعاوي بالبينات وشهادة الملايكة شهادتهم بانه حق وصدق فان قلت
بم يجابون لو قالوا بم يعلم ان الملايكة يشهدون بذلك قلت يجابون بانه يعلم بشهادة

الله

الله لانه لما علم باظهار المعجزات انه شاهد بصحته علم ان الملايكة يشهدون بصحة
ما شهد بصحته لان شهادتهم تبع لشهادته فان قلت ما معنى قوله انزله بعلمه
وما موقعه من الجملة التي قبله قلت معناه انزله ملتبسا بعلمه الخاص الذي
لا يعلمه غيره وهو تاليفه على نظم واسلوب يعجز عنه كل بليغ وصاحب بيان
وموقعه مما قبله موقع الجملة المفسرة لانه بيان للشهادة وان شهادته بصحته
انه انزله بالنظم المعجز الفايت للقدر وقيل انزله وهو عالم بانك اهل لانزاله
اليك وانك مبلغه وقيل انزله بما علم من مصالح العباد مشتملا عليه ويحتمل
انه انزله وهو عالم به رقيب عليه حافظ له من الشيطان برصد له من الملايكة
والملايكة يشهدون بذلك كما قال في اخر سورة الجن الا ترى الى قوله واحاط
بما لديهم والاحاطة بمعنى العلم وكفى بالله شهيدا وان لم يشهد غيره لان
التصديق بالمعجزة هو الشهادة حقا قل اي شي اكبر شهادة قل الله كفروا وظلموا
جمعوا بين الكفر والمعاصي او كان بعضهم كافرين وبعضهم ظالمين اصحابا
كباير لانه لا فرق بين الفريقين في انه لا يغفر لهما الا بالتوبة ولا ليهديهم
طريقا لا يلطف بهم فيسلكون الطريق الموصل الى جهنم او لا يهديهم يوم
القيامة الا طريقها يسيرا اي لا صارف له عنه فامنوا خيرا لكم وكذلك انتهوا
خيرا لكم انتصابه بمضمر وذلك انه لما بعثهم على الايمان وعلى الانتها عن التثليث
علم انه يحملهم على امر فقال خيرا لكم اي اقصدوا وايتوا امرا خيرا لكم انتصابه
بمضمر وذلك انه لما بعثهم على الايمان وعلى الانتها عن التثليث بما انتم فيه من
الكفر والتثليث وهو الايمان والتوحيد لا تغلوا في دينكم غلت اليهود
في حط المسيح عن منزلته حيث جعلته مولودا لغير رشدة وغلت النصارى
في رفعه عن مقداره حيث جعلوه الها ولا تقولوا على الله الا الحق وهو
تنزيهه عن الشريك والولد قرا جعفر بن محمد انما المسيح بوزن السكيت وقيل
لعيسى كلمة الله وكلمة منه لانه وجد بكلمته وامره لا غير من غير واسطة
اب ولا نطفة وقيل له روح الله وروح منه لذلك لانه ذو روح وجسد من
غير جزو من ذي روح كالنطفة المنفصلة من الاب الحي وانما اخترع اختراعا
من عند الله وقدرته خالصة ومعنى القاها الى مريم اوصلها اليها وحصلها
فيها ثلثة خبر مبتدا محذوف فان صحت الحكاية عنهم انهم يقولون هو جوهر واحد
ثلثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون
باقنوم الاب الذات وباقنوم الابن العلم وباقنوم روح القدس الحيوة فتقديره

الله ثلاثة والا فتقديره الالهة ثلاثة والذي يدل عليه القران التصريح منهم بان الله
والمسيح ومريم ثلاثة الهة وان المسيح ولد الله من مريم الا ترى الى قوله
ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقالت النصارى
المسيح ابن الله والمشهور المستفيض عنهم انهم يقولون في المسيح لاهوتيه
وناسوتيه من جهة الاب والام ويدل عليه قوله انما المسيح عيسى بن مريم
فاثبت انه ولد لمريم اتصل بها اتصال الاولاد بامهاتهم وان اتصاله بالله عز
وعلا من حيث انه رسوله وانه موجود بامره وابتداعه جسدا حيا من غير اب
فنفى ان يتصل به اتصال الابنا بالاباء وقوله سبحانه ان يكون له ولد حكاية
الله اوثق من حكاية غيره ومعنى سبحانه ان يكون له ولد اسبحه تسبيحا
من ان يكون له ولد وقرا الحسن ان يكون بكسر الهمزة ورفع النون اي سبحانه
ما يكون له ولد على ان الكلام جملتان له ما في السموات وما في الارض بيان
لتنزهه عما نسب اليه يعني ان كل ما فيهما خلقه وملكه فكيف يكون بعض
ملكه جزءا منه على ان الجزء انما يصح في الاجسام وهو متعال عن صفات
الاجسام والاعراض وكفى بالله وكيلا يكل اليه الخلق كله امورهم فهو الغني
عنهم وهم الفقرا اليه لن يستنكف المسيح لن يانف ولن يذهب بنفسه عزة
من نكفت الدمع اذا نحيته عن خدك باصبعك ولا الملايكة المقربون ولا من
هو اعلى منه قدرا واعظم منه خطرا وهم الملايكة الكروبيون الذين حول العرش
كجبريل وميكايل واسرافيل ومن في طبقتهم فان قلت من اين دل قوله ولا
الملايكة المقربون على ان المعنى ولا من فوقه قلت من حيث ان علم المعاني
لا يقتضي غير ذلك وذلك ان الكلام انما سبق لرد مذهب النصارى وغلوهم
في رفع المسيح عن منزلة العبودية فوجب ان يقال لهم لن يترفع عيسى عن
العبودية ولا من هو ارفع منه درجة كانه قيل لن يستنكف الملايكة المقربون
من العبودية فكيف بالمسيح ويدل عليه دلالة ظاهرة بينة تخصيص المقربين
لكونهم ارفع الملايكة درجة واعلاهم منزلة ومثاله قول القايل
وما مثله ممن يجاود حاتم ولا البحر ذو الامواج يلتج يصطرب زاخره
لا شبهة في انه قصد بالبحر ذي الامواج ما هو فوق حاتم في الجود ومن كان
له ذوق فليذق مع هذه الاية قوله ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى
يعترف بالفرق البين وقرا علي رضي الله عنه عبيد الله على التصغير وروي
ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال ومن

صاحبكم

صاحبكم قالوا عيسى قال واي شي اقول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله قال
انه ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت اي لا يستنكف عيسى فلا
تستنكفوا له منه فلو كان موضع استنكاف لكان هو اولى بان يستنكف
لان العار الصق به فان قلت علام عطف قوله ولا الملايكة قلت
لا يخلوا اما ان يعطف على المسيح او على اسم يكون او على المستتر في عبدا
لما فيه من معنى الوصف لدلالته على معنى العبادة وقولك مررت برجل
عبد ابوه فالعطف على المسيح هو الظاهر لادا غيره الى ما فيه بعض
انحراف عن الغرض وهو ان المسيح لا يانف ان يكون هو ولا من فوقه
موصوفين بالعبودية او ان يعبد الله هو ومن فوقه فان قلت
قد جعلت الملايكة وهم جماعة عبدا لله في هذا العطف فما وجهه قلت
فيه وجهان احدهما ان يراد ولا كل واحد من الملايكة او ولا الملايكة
المقربون ان يكونوا عباد الله فحذف ذلك لدلالة عبد الله عليه ايجازا
واما اذا عطفتم على الضمير في عبدا فقد طاح هذا السوال قرى بضم
الشين وكسرها وبالنون فان قلت التفصيل غير مطابق للمفصل
لانه اشتمل على الفريقين والفصل على فريق واحد قلت هو مثل قولك
جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به وصحة
ذلك لوجهين احدهما ان يحذف ذكر احد الفريقين لدلالة التفصيل عليه
ولان ذكر احدهما يدل على ذكر الثاني كما حذف احدهما في التفصيل في قوله
عقيب هذا فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به والثاني وهو ان الاحتياج
الى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا في جملة التنكيل بهم فكانه قيل ومن يستنكف
عن عبادته ويستكبر فسيعذب بالحسرة اذا راى اجور العاملين وبما
يصيبه من عذاب الله البرهان والنور المبين القران او اراد بالبرهان
دين الحق او رسول الله وبالنور المبين ما بينه ويصدقه من الكتاب
المعجز في رحمة منه وفضل في ثواب مستحق وتفضل ويهديهم اليه الى
عبادته صراطا مستقيما وهو طريق الاسلام والمعنى توفيقهم وتثبيتهم
روي انه اخر ما نزل من الاحكام كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في
طريق مكة عام حجة الوداع فاتاه جابر بن عبد الله فقال ان لي اختا فكم
اخذ من ميراثها ان ماتت وقيل كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اني كلالة فكيف اصنع في مالي فنزلت ان امرؤ هلك ارتفع امرؤ بمضمر

لان ذا الحال نكرة غير موصوفة
هلك مفسر للفعل المحذوف لا
ان هلك

يفسره الظاهر ومحل ليس له ولد الرفع على الصفة لا النصب على الحال اي هلك ا
غير ذي ولد والمراد بالولد الابن وهو اسم مشترك يجوز ايقاعه على الذكر
وعلى الانثى لان الابن يسقط الاخت ولا تسقطها البنت الا في مذهب ابن
عباس وبالاخت التي هي لاب وام او لاب دون التي لام لان الله فرض
لها النصف وجعل اخاها عصبة وقال للذكر مثل حظ الانثيين واما
الاخت للام فلها السدس في اية المواريث مسوى بينها وبين اخيها وهو
يرثها واخوها يرثها ان قدر الامر على العكس من موتها وبقايه بعدها ان لم
يكن لها ولد اي ابن لان الابن يسقط الاخ دون البنت فان قلت الابن
لا يسقط الاخ وحده فان الاب نظيره في الاسقاط فلم اقتصر على نفي الولد
قلت بين حكم انتفا الولد ووكل انتفا حكم الوالد الى بيان السنة وهو قوله
عليه الصلاة والسلام الحقوا الفرايض باهلها فما بقي فلاولى عصبة ذكر والاب
اولى من الاخ وليسا باول حكمين بين احدهما بالكتاب والاخر بالسنة ويجوز
ان يدل بحكم انتفا الولد على حكم انتفاء الوالد لان الولد اقرب الى الميت من
الوالد فاذا ورث الاخ عند انتفاء الاقرب فاولى ان يرث عند انتفاء
الابعد ولان الكلالة تتناول انتفاء الوالد والولد جميعا فكان ذكر انتفاء
احدهما دالا على انتفاء الاخر فان قلت الى من يرجع ضمير التثنية
والجمع في قوله فان كانتا اثنتين وان كانوا اخوة قلت اصله فان
كان من يرث بالاخوة اثنتين وان كان من يرث بالاخوة ذكورا واناثا
وانما قيل فان كانتا وان كانوا كما قيل من كانت امك فكما انث ضمير من
لمكان تانيث الخبر كذلك ثني وجمع ضمير من يرث في كانتا وكانوا لمكان
تثنية الخبر وجمعه والمراد بالاخوة الاخوة والاخوات تغليبا لحكم الذكورة
ان تضلوا مفعول له ومعناه كراهة ان تضلوا عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة النساء فكانما تصدق على كل مومن ومومنة ويرث
ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترا محررا وبري من الشرك وكان في مشية
الله من الذين يتجاوز عنهم